الجزء الثالث — المجلد الثالث والستون

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

ذو القعدة ١٤٠٨ هـ
تموز (يوليو) ١٩٨٨ م

إنها مخطوطة

زاد الرفاق

الأستاذ حمد الجاسر

سنحت لي سانحة زرت خلالها القاهرة ، بعد تقديم وصف المخطوطة المجهولة الاسم للنشر ، في هذه المجلة الكريمة[1] ، وكنت قد عرفت بأن مخطوطة من كتاب « زاد الرفاق » في دار الكتب المصرية ، ولما لم يتسنَّ لي الاطلاع على هذه المخطوطة أثناء زيارة هذه الدار ذهبت الى معهد المخطوطات في القاهرة فوجدت النسخة مصورة فيها ، كما وجدت نسخة أخرى أقدم منها مصورة أيضا ، فتمكنت من الحصول على صورتيهما ، وقمت بدراستها ومقابلتها على المخطوطة التي وصفتها في المجلة ، فظهر لي من ذالك أن الثلاث النسخ لكتاب واحد هو « زاد الرفاق » لِلأَبِيْوَرْدِي ، إلاُ أن نسخة مكتبة (دير الاسكوريال) لاتحوي من الكتاب الا مايقارب الثلث الأخير منه ونقص في آخره يسير ، ولكنه لايحوي النص الذي ورد فيه اسم الكتاب ، كما ورد في النسختين الأخريين بهذا النص : (وقد أوردتَ وأصدرت ، وأكثرت حتى أضجرت ، وبعثت إليك بهذه الأوراق ، موسومة بـ « زاد الرفاق ») ـ نسخة لالَلي في استنبول رقم ١٧٨٦ ص ٣٠٣ ، ونسخة دار الكتب المصرية رقم ٥٨٢ أدب ص ٦٢٣ ـ .

ومقدمة النسختين تتفق مع المقدمة التي ذكرها صاحب « كشف

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد ٦٣ ج ١ ص ٢٢ الى ٤١

الظنون[٢] للكتاب المذكور ، وقد نص الذهبي على عَدّه من مؤلفاته ، ونقل عن ابن الخشاب مانصه[٣] : (قرأت على عبد الرحيم بن الإخوة ثلاثةَ أجزاء من أول كتاب « زاد الرفاق » للأَبِيْوَرْدِيّ ، وهذا الكتاب ـ نَعَمْ واللهِ ـ باردُ الوضع ، مشوبٌ أدبه بفُضُول من علوم لاتعد في الفضل ، دالَّةٍ على أن الأَبِيْوَرْدِيّ كان مُتَخرِّقاً مُحِبًّا لأنْ يُرَى بعين مُفْتَنٍّ ، مُتَشَبِّعاً بما لم يُعْطَ) . انتهى . ومعروف أنَّ ابنَ الخشاب ـ مع ماوُصِم به من صفات يُرْبَأ بأهل العلم عنها كان يتطاول على الفضلاء منهم ، ويتنقص ذوي المنازل الرفيعة[٤] ـ وهذا لا ينافي تبحره بعلم النحو ، ومعرفته غيره من علوم أهل زمنه . ولعل أَكْثَر إنصافاً منه لهذا الكتاب أحَدُ العلماء المتأخرين ، فقد نقل أستاذنا الدكتور إحسان عباس في تحقيقه لكتاب « وفيات الاعيان » ـ ٤ / ٤٤٩ ـ في ترجمة الأَبِيْوَرْدِيّ ـ ماهذا نصه : بهامش (ن) بخط غير خط الأصل : (وقفت على مؤلف له سماه بـ « زاد الرفاق » واستصحبتهُ بحمد الله سبحانه وتعالى ، وهو من الكتب الممتعة ، ويشتمل من نوادر الظرف والآداب على مايروق العيون ويُعجب الأسماع ، وحرره الفقير عارف) .

والواقع أن الكتاب لم يَخْلُ من التباهي وإبراز التمكن في العلم في مقام الافتخار ، ولكنه مع ذالك يحوي علما غزيراً ، وأدباً جَمّاً ، وليس

---

(٢) ص : ٩٤٥ ، وقد ورد فيه أن وفاة الأبيوردي سنة ٥٥٧ هـ ، وكذا عند ابن خلكان « وفيات الأعيان » ٤ / ٤٤٩ منصوصا على ذالك باللفظ (سنة سبع وخمسين وخمس مئة) ، ولكن أستاذنا الزركلي ـ رحمه الله ـ في « الاعلام » ـ ٦ / ٢٠٩ ـ خطأ هذا وقال : إنه من خَطَإ الطبع . وقد تنبه الى هذا المستشرق بروكلمان فأشار إليه في ترجمة الأبيوردي في « دائرة المعارف الاسلامية » .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٩ : ٢٩١

(٤) انظر ترجمته في « معجم الادباء » ١٢ / ٤٧ وما بعدها .

كما قال صديقنا الاستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم[٥] : (إن هذا الكتاب يشتمل على مناظرات مع أرباب النجوم ونقد لحججهم) . حقا ان فيه نصوصا قليلة في إبطال مزاعم من يعتقد بان للنجوم تأثيراً في الكون ، وفيه فصل مطول عن علم النجوم عند العرب يدل على سعة اطلاع مؤلفه في هذا الشأن ، ولكنه لايحوي مناظرات مع أرباب النجوم ، وإنما ساق ذالك مساق المبين لاستيضاح احد تلاميذه .

وهذا التلميذ وهو يدعوه في أول الكتاب : أخاً : (علام أيُّها الأخ ؟) ويعاتبه على جفائه وقلة زيارته ، وميله إلى (ارتشاف الأعذبين ، وتَلَهِّيه بقهقهة الإبريق) ويظهر أن هذا ممن أسرف على نفسه بمعاقرة بنت الحان ، حيث ختم الكتاب بنصحه عن الاقلاع عن ذالك (فما لك عقير العقار ، وهلا اقتديت بالصالحين الأخيار) . ويظهر أنه ينحو منحى الفلاسفة : (وانتهجت سنن سقراط في زهده فهو إمامك) .

وهذا الذي وجه اليه الأَبِيْوَرْدِي الكتابَ بشكل رسالة من أهل (جَنْزَةَ) قال عنه[٦] : (وقد فارقتَ الوطنَ لتكون في العِلْمِ ناراً على عَلَمٍ ، وتسودَ به في بلدتك وهي (جنزة) القاصرة عن الإحاطة بوصفها الألسنَ ، والآهلة بما تشتهي الأنفس ، وتلذ الأعين ، وهي أول ارض مَسَّكَ ترابُها) .

وجنزة هذه على ماذكر صاحب كتاب « بلدان الخلافة الشرقية »[٧] :

---

(٥) هامش « إنباه الرواة » ٣ / ٥٠

(٦) الورقة الـ (٢٩٦) النسخة المصرية .

(٧) ص : ٢١٣

(من إقليم الرّان ، كانت تعرف بــاسم كنجــة وتسمى اليــوم اليزابيث بول Elizabetpol) .

وقد ذكر صاحب « معجم البلدان » جنزة بأنها أعظم مدينةٍ بأرّان ، وعد ممن خرج منهــا من أهل العلم أبـا حفصٍ عمرَ بنَ عثمان بن شعيب الجنزي ، أديب فــاضــل متـــدين ، قرأ الأدب على الأديب أبي المظفر الأَبِيْوَرْدِيِّ ببغـداد وهمـذان . ومثـل هـذا ورد في كتـاب « الأنسـاب »[8] للسمعاني .

أفترى هـذا الجنزيّ هـو الـذي وجـه إليـه الأَبِيْـوَرْدِيُّ كتـابـه « زاد الرفاق » ؟! لولا وصفه بأنه (فـاضل متـدين) لصح هـذا ، ولكن يظهر أنَّ من أهل تلـك البلـدة من تَلَقّى العلم عن الأَبِيْوَرْدِيِّ غَيْرَهُ أو أنـه أقلـع عما كان يعيبُهُ ، وارتدى رداء من الفضيلة والدين لستر عيوبه .

ولا أدري هل الاستنتـاج من جملـة : (وترى حـاسـدك يـاأبـا المقيم للمقيم المُقْعِدِ ، وتكون لك يا مُسافِرُ كالزاد للمسافر) أن اسم ذالـك الجنزي (مسافر) وكنيته (أبو المقيم) ؟!

زمن تأليف الكتاب : يظهر أن الأَبِيْوَرْدِيَّ أَلَّفَ هذا الكتاب بعد أن بلـغ الأربعين سنـة من عمره ، على مـايفهم من هـذه الجملـة : (وقـد مُنِيتُ بِمُسَـاوِرَةِ الحـاسـد ، في هـذا الزمـان الفـاسـد ، والعشرون تُرْضِعُني أَخْلافَها ، وهَلُمَّ جَرّاً إلى الأربعين وقد ألبستني أَعْطَافَها)[9] .

موضوع الكتـاب : هـو من كتب المحـاضرات التي تجمـع مختـارات منوعة من التاريخ والأدب ، ومقاطيع شعرية ، وأبحـاث لغويـة ، ويكاد يغلب سَرْدُ المفردات اللغوية على هذا الكتاب ، بحيث تشمل حَيِّزاً واسعاً

(٨) ٣ / ٢٥٥

(٩) الورقة الـ ٦٨ النسخة المصرية .

منه ، مع تنوع محتوياته ، وإيراد كثير من الأمثال ، ومن غرائب الأخبار والأشعار القديمة والحديثة ، ويمتاز في ذالك على كثير من المؤلفات في هذا الشأن ، وبأنه ينقل عن نصوص أصيلة ، فهو ينقل عن خط أبي عُمَر اللغويّ صاحب ثعلب[١٠] ، وينقل عن خط صاحب « الأغاني »[١١] .

ومن طرائف القصص التي أوردها ولم أرَ لها ذكرا فيا اطلعت عليه من المؤلفات قوله[١٢] :

(وسألتني عن قصة صَولة في قول الشاعر :

سائِلُوا صولةَ هل نَبَّهْتَها ؟

فبذلت المستطاع من المساعدة والمرافدة في إيرادها ، وإنْ أفحش الشاعرُ فيا قاله ، وأمِنَتِ البائسةُ كَيْدَهُ واحتياله ، وكانت تُدْنيه لِمَا يُظهره من حسنِ سِيرة ، ولا تشعر فيا يخفيه من قبح سَريرة ، ولم يكن لها مُغَازِلاً ، فكيف ذكرها مُبْتَهِراً وهَازِلاً ، ولله در الكُمَيْت ، فقد سحرني بهذا البيت :

قبيحٌ بِمِثْلِيَ نَعْتُ الفتاةِ إمَّا ابْتِهاراً وإمَّا ابتياراً

قال الشعبي : كانت لمعاوية جاريةٌ اسمها صولة ، وكانت ثقة عنده ، وكان الشعراء ينتابونها لكثرة عطائها ، وفيهم فتى ناسك ، وصولةُ تَميل إليه لديانته ، فقال لها ذات يوم : إني مُضيق ، فَخُذي هذه الرقعة فإن رَأيْتِ خلوةً فادفعيها إلى أمير المؤمنين ، فأخذتها فدفعتها إليه في بعض خلواته ، فقرأها ثم قال : ماأحسبه إلا كاذبا . فقالت صولة : حاشاه

(١٠) الورقة الـ (٢٥٠) النسخة المصرية .

(١١) الورقة الـ (٢٢٩) النسخة المصرية .

(١٢) الورقة الـ (٣) نسخة الاسكوريال

ياأمير المؤمنين !، مثله لايكذب ، بل هو صادق ، قال لها : أتدرين مافيها ؟ قالت : لا . قال : فاسمعي فإن كان صادقاً فقد هتك الله سترك على يديه ، قالت : مافيها ياأمير المؤمنين ؟ قال فيها :

سائِلُوا صَوْلَةَ هلْ نَبَّهْتَهَا ... بعدَ ما نامتْ بِعَرْدٍ ذي عُجَرْ ؟
فتبازَتْ فَتَبَازَخْتُ لَهَا ... جِلْسَةَ الجازر يَسْتَنْجي الْوَتَرْ

فقالت : كذب عَدُوُّ الله ، وقد نسب بعضُ الأمويين هذا الشعر الى عبد الرحمن بن الحكم ، والشعبي أدى لما يعيه ، وأعلم بما يرويه ، وكم بارض فلان من هاد وهيد) .

وأضاف في موضع آخر[١٣] : (وقال عوانة : طلب ابنُ الزُّبير إلى معاوية حاجةً فلم يقضها ، وكانت لمعاوية مولاة ظريفة لها منه منزلة ، يقال لها صولة ، فوقف ببابها ، فمرَّ به عنبسةُ بنُ أبي سفيان ، فقال : مايقفك هاهنا ؟، ماهذا بموقف مثلك !! فقال ابنُ الزبير : إذا طَلَبْتَ الامور من أعاليها فأعيتْ فاطلُبْها من أسافلها ، وقال يحي بن سعيد الأموي : شُكِي الى عمر بن عبد العزيز عماله فشاور فقيل له : عليك بأهل العذر من الناس ، وقال ارسطوطاليس : لم يضع رئيسٌ صِناعَةٍ إلاَّ في شرِّ زمانٍ وأخَسِّ سلطان) .

ويتسع المجال لو حاولت تقديم أطراف من الأخبار أو الأشعار أو الحكم أو المفردات اللغوية التي يحويها هذا الكتاب ، ولعل الله أن يهيِّىء له من يتولى تحقيقه ثم نشره ، ولا اجدر بذالك من علماء مجمعنا الكريم (مجمع اللغة العربية بدمشق) فلصاحب الكتاب آصرة تربطه بهاؤلاء العلماءِ الأجلّة ؛ وفي الكتاب نفسه ماينم عن طيب خيم ، وعن وفاء لبلاد الشام ولأهلها .

---

(١٣) الورقة الـ (١١٧) نسخة الاسكوريال

النسخ المخطوطة : عرفت منها ثلاثا : إحداها تقدَّمَ وصفُها ، وهي مكتبة (دير الاسكوريال) ، والثانية في تركية في (مكتبة لاللي) ، والثالثة في (دار الكتب المصرية) ، وعند مقابلة النسخ الثلاث اتضح لي أن كل نسخة منقولة عن أصلٍ مغاير لأصلي النسختين الأُخْرَيَيْنِ .

١ ـ نسخة لاللي (في اصطنبول) :

في المعلومات التي سجلتها بعثة التصوير من معهد المخطوطات انه صور سنة ١٩٤٩ م في استنبول في المكتبة السليمانية وأن رقم شريطه (١٠٥) ، وأن رقم الكتاب (١٧٨٦) ، وأنه نسب للزمخشري خطأً ، وأنه كتب في القرن السابع في ١٥٥ ورقة عنها ٣٠٤ من الصفحات قياس ١٩٤ × ١٣٢ في الصفحة ٢٣ سطرا بالقلم النسخي ، وكثير من الكلمات مضبوطة بالحركات ، ومع جمال الخط لايخلو من التحريف أو النقص في بعض الكلمات .

وفي طرة الصفحة الاولى (كتاب « زاد الرفاق » لجار الله العلامة) ثم أسماء بعض من ملكوا النسخة ، وهي تتفق في المقدمة مع ماورد في نسخة (دير الاسكوريال) التي تقدم وصفها وتنتهي بالبيتين :

إذا كنتَ يوما خائفا أو مُحَوِّلاً ولاقيت عمرانَ بن مرة فانزلِ
هو الغيث والشهر الحرام وضامنٌ لك الدهرَ إنْ أنحى بنابٍ وكلكل

تم الكتاب .

ومن عيوب هذه النسخة عدم وضوح كثير من الصفحات في أولها ، إما لقدم الأصل ، أو لرداءة التصوير .

٢ ـ نسخة دار الكتب المصرية :

رقمها في الدار ٥٨٢ ادب وتقع في ٣١٥ ورقة في الورقة صفحتان وفي الصفحة ١٩ سطرا والخط نسخي واضح ، وتزدان كثير من صفحات

الكتاب بحواشٍ توضح معاني بعض الكلمات ، أو تنسب الشعر لقائله ، أو تبين أصل اقتباس الشاعر ، ويظهر أنها نقلت عن نسخة قديمة ، إذ ورد في آخر حاشية الورقة الثالثة ماهذا نصه : (فلتحرر تلك الحاشية من مظانها ، فإننا لم ننقلها وأمثالها إلا حرصا على الفائدة واعتماداً على أنكم تحررونها وإلا فغالبها كما تروا (؟) ناقصة حيث انها قديمة الخط) . ووردت كلمات أخرى في نهاية بعض الحواشي بهذا المعنى ، وناسخ الأصل وكذا ناسخ الحواشي لايحسنان ماينقلان ، ولهذا قلَّ أن تخلو صفحة من صفحات هذه النسخة من الأخطاء .

وآخرها بعد البيتين الواردين في نسخة لاللي : (تم كتاب « زاد الرفاق » بعون الملك الخلاق الذي يحق ان يُذهَّبَ بالتبر على الأحداق ، لا أنْ يُحَبَّر بالحبر على الأوراق ، على يد أفقر الورى وأحوجهم الى من يَرى ولا يُرى ، مصطفى الدمشقي الامام ، غفر الله له ولوالديه جميع الذنوب والآثام ، في دار السعادة اسلامبول العامرة في ١٢ جمادى الاول سنة ١٢٨٨) .

وفي هذه المخطوطة تقص ورقة أو ورقتين ، قد يكون ناشئا عن التصوير الذي كرر بعض الاوراق .

٣ ـ نسخة مكتبة دير الاسكوريال :

ـ تقدم وصفها ـ وهي لاتحوي من الكتاب سوى مايقارب الثلث من آخره ، حيث يبتدىء الخرم من الورقة الثانية بعد جملة : (وتزوج ابنة العنب بالغمام حتى ترى) والذي يتصل بهذه الجملة هو : (الفجر ينشر ضفيرته) ولكن الذي في هذه النسخة هو : (منه وبدا نجيث القوم) والجملة هذه تقع في الصفحة الـ (١٨٥) من نسخة لاللي ، والصفحة الـ (٣٨٢) من نسخة دار الكتب المصرية ، فكأنها تنقص هذا العدد من

الصفحات في أول الكتاب ، أما آخره فإن آخر صفحة منه وهي الصفحة الـ (١٧٠) تنتهي بكلمة : (وقول امية :

والشمسُ تطلع كلَّ آخر ليلـة) .

ويتبعها في النسختين الأخريين : [(حمراءَ يُصبح لونُها يَتَوَرَّدُ)] ثم مايقارب ورقة واحدة هي آخِرُ الكتاب .

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

الحمد لله رب العالمين وصلواته على نبيه محمد وآله اجمعين. أخفا عبادالله ان [illegible] قبله
بثينة او بلغ الثريا رقيها، علام ايها الاخ وقاك الله الحدثان ولقاك في مقاصدك
البشرى تتقاضى النجم ورقيه في المقاطعة ولا تباهي الثريا والعيوق بالمطاولة
[illegible] على النجم [illegible] وبطية الغدر مستهزئا، ومتى ابتدعت هذه الطبيعة حتى نشأ
في قول ابن ابي ربيعة: ايها المنكح الثريا سهيلا، عمرك الله كيف يلتقيان هي شامية اذا ما استقلت
وسهيل اذا استقل يماني. فتجافيت عن وصل بهذا الانس من خصائصه ولست تنتهي وذا
التابع مقالته. فان نزحت دارك تراخت اخبارك او قرب مزارك [illegible]
صدك وازورارك وكم زرتني مبكرا وتمتني مغتبقا ومهجرا وضربت الى اكباد
المطي وطويت عرض البلد النطي، بناية الاخفاف عن شعف الذرى بان قاتلها خاب
فاذبر عن بركك واقبل هريرك واذقتني مرارة البين وبلتك الى رشاق الاعتنين
والمسك فهمية الابريق واضربت صفحا عن رعاية التصديق وللاخاء حق لا يهمله
وللكريم ذمة لا تخفر وانت تلتحف جلباب الظلام وتزوج ابنة العنب بابن الغمام
حتى ترى الفجر ينشر صفيرته وتسمع ذا الرعثات يرفع عقيرته وعيناك مطوقة بكاس
وانت تترنم بقول ابي نواس: بحرت من اللص المغير بسيفه اذا ما رباة بالتجار سبيل
واسلت خمارا على خمره، فراح بانواع وراحت ايل، وكانه نظر في استعمال الميل الى
ابيات زيد الخيل: يا بني الصيداء ردوا فرسي، انما يفعل هذا بالذليل
عودوا مهري الذي عودته، دلج الليل وايطاء القتيل، احمل الزق على منسجه
واخبر انفع نشوان ايل وانا ادرع الغياهب واتبع بعيني الكواكب وما يعرف الليل
الطويل وهمه من الناس الا من نجم اوانا، وابيت مسجور الجوانح بهم يحرقني نارا و
مرسوم الرداء بدمع تنفرقني تيارة وتنادمني اشجان تبرح بالطرف الساهر وندمك
نشوان يغرد بقول الشاعر: وكان النديم يكرع بالزهرة مكنون مهجة المريخ وينذبيا
وحش وقد تصوبت بنات نعش وندمان صدق له بهجة كريم المحيا رحب العطن.

أول الكتاب في مخطوطة (لالهلي باسطنبول)

تشانيت البرذون وبلغ عليا رضي الله عنه قول عمرو بن العاص اضربكم واارى ابا حسن
كفى بهذا حزنا يا ابن الحزن فقال علي رضي الله عنه لقد تركا نكلني وهو يعرفني ولكنه
كما قال الاول: اتعد الوني ترتمين وانت مبصرة. وقال نصر بن سيار ارخينكم
للدخول في طاعة الكرماني وهي شادنة ورامم فلان الاربعين وورث الشيخ
في نفسه وقالت الاعرابية للاصمعي: [illegible] وصريح ولسان الطريح ويقولون
لا آتيك السمر والقمر وقال الفراء افرش الرجل صاحبه لو اغتابه وضربه في نعته
ولسان كمعراض الخفاجي وشنا فلان على يمين كاذبة وهو اسوق شامخ [illegible]
بعض الاعراب لاعدلن ميلك كما تعدل المعاتر بالمشيم وبنو فلان تروح عليهم
شابيا من اموالهم وتشطر فلان خراب هذا البلد قاله ابو المكارم والعرب سطام
الحارثي وقال ابو حاتم هذا الشيخ [illegible] ذاك اي على قدره وان امرهم لفي سفاد و
محسوب هذا الابل سلابق النسوع وهو يغير لسانه في اعراض الناس وجاءت
العاديات ديما امثال الدما وروى ابن الاعرابي قول مرة بن محكان السعدي
تنشنش اللحاء عنها وهي باركة كما تنشنش كفا قاتل سلبا بالقاف وقال الاصمعي
بالفاء كان يقول السلب لحاء الشجر وبالمدينة سوق يقال لها سوق السلابين فذهب
الى ان القاتل الذي يفتل السلب فقال ثعلب اخطا ابن الاعرابي والصحيح ما [قاله]
الاصمعي واما قوله يا ربة البيت قومي غير صاغرة ضمي اليك رحال القوم والقربا
نعنا انهم نزلوا فنالا لا يزاع جاره فاسموا ولم يفتقروا الى مضاجعة السيوف
ترنا فضمت رحالهم ومنها سيوفهم المعروفة اذ عشاهم النزول عليها منهم كفتهم ان
يستصحبوا السيوف عنده ويقال مر فلان فلم يعكم اي لم يكن. وقال الشافي [illegible]
لذ كلانا كنتلم القداح [illegible] الهم وادلة. وسالتني عن منكر ونكيره
احببت الوقوف على راي اهل الجاهلية فيهما وقد كفاك هذا السؤال ما كان على كعب
بن لؤي وزيد وورقة وقس وامية [illegible] نظروا ولم يزدو في العقول الراجحة
دون ذوي الخبرة والفلاسفة المحسوبين في عدل الانام كابن شعوب في قوله

الناس وسمعت بني شيب يقولون الاسعدي سطام الحارثي [illegible]

قاله

الصفحة الـ (٢٧١) من مخطوطة [illegible]

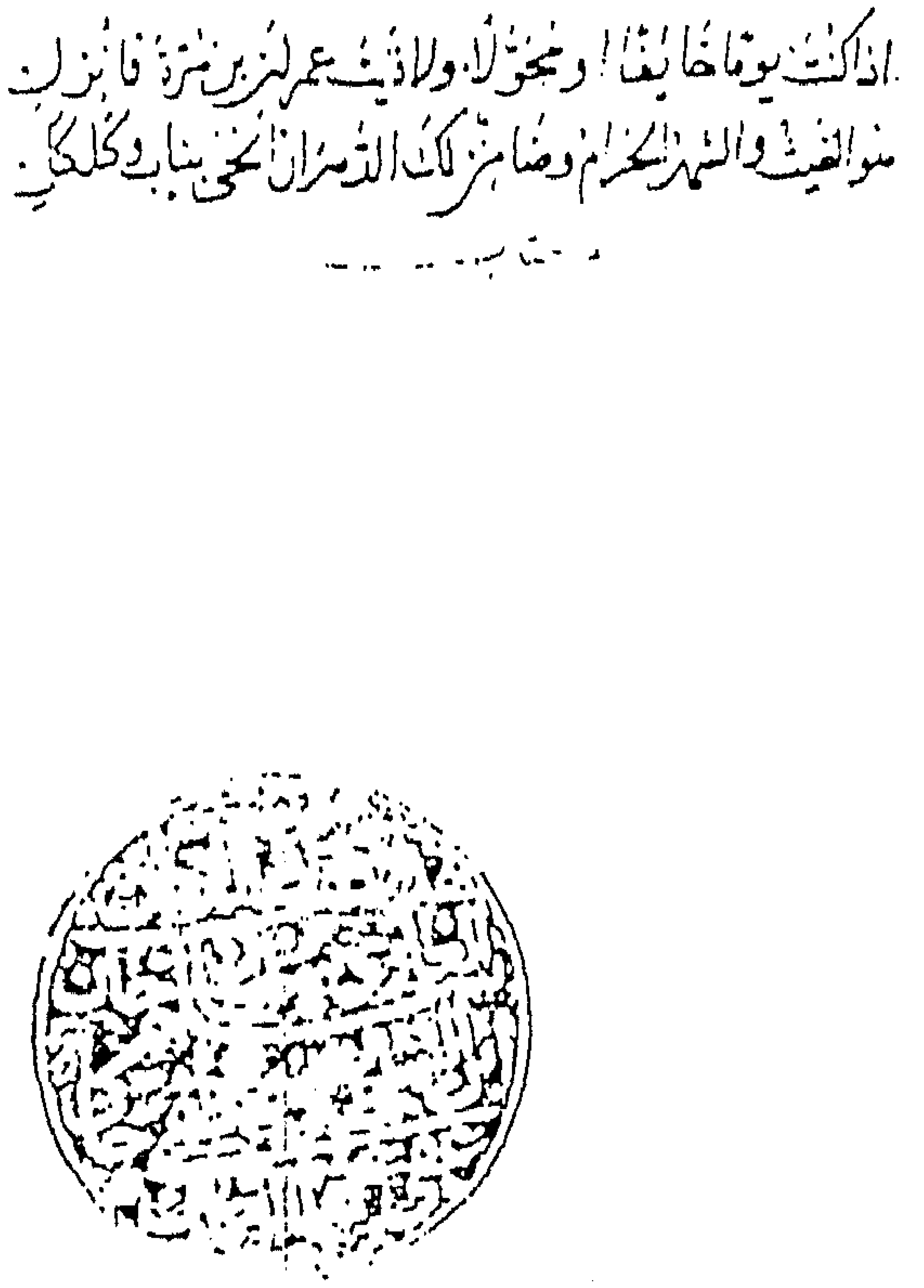

اذا كنت يوما خايفا ومحولا ولذت بعمرو بن مرة فانزل
منه الغيث والشهر الحرام وضامن لك الدهر ان تحيى بناب وكلكل

الصفحة الأخيرة من مخطوطة (الأصل)

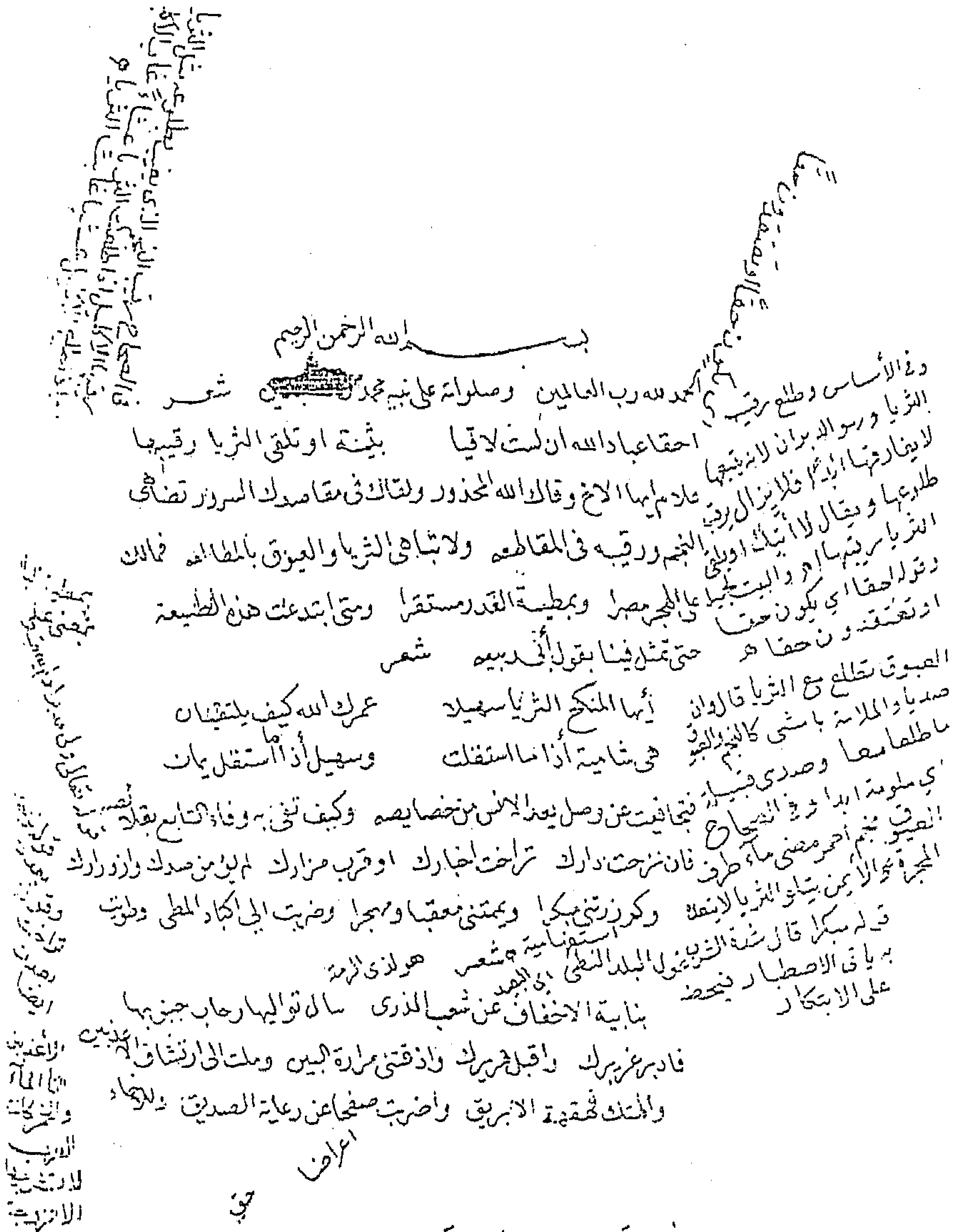
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلواته على نبيه محمد [illegible] شعر

احقا عباد الله ان لست لاقيا بثينة او تلقى الثريا رقيبها

علام ايها الاخ وقاك الله المحذور ولقاك في مقاصدك السرور تضاهي النجم ورقيبه في المقاطعة ولا تباهي الثريا والعيوق بالمطالعة فمالك [illegible] على المهجر مصرا وبمطية الغدر مستقرا ومتى ابتدعت هذه الطبيعة حتى تمثلنا بقول ابي ربيعة شعر

ايها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية اذا ما استقلت وسهيل اذا ما استقل يماني

فتجافيت عن وصل يعد الانس من خصايصه وكيف تنبو [illegible] التابع بقلادة [illegible] تراخت احجارك او قرب مزارك لم يبق من صدك وازورارك [illegible] ويمتني معقبا ومجرا وضربت الى اكباد المطي [illegible] شعر هو لذي الرمة

بناية الاحقاف عن شعب الذرى [illegible] جنوبها

فادبر عن برك واقبل [illegible] واذقتني مرارة البين وملت الى [illegible] الابريق واضربت صفحا عن رعاية الصديق [illegible] اعراض

أول الكتاب في (مخطوطة دار الكتب المصرية)

لابين من صدر القصيدة للعتابي تلوم على ترك الغنى باهلية طوى الدهر عنها كل طرف وتالد
رأت حولها النسوان يرفلن في الكسى مقلدة اعناقها في القلائد لسرك لي سه ما بالي جعفر
من الملك اما بالي يحيى بن خالد وان امير المؤمنين اعضه مقصها بالمرهفات البوارد
دعوني تجئني ميتتي مطمئنة ولم اتجشم هول تلك الموارد وان جسيمات الامور
نا نقصت بالدنيه تعيذ

اورد الراشتاني في ... من العلم سامية رتبه غير متدانية شعبه ولا يتعدى الرئاسة ...
للعتابي لم لا ... لامن وفر العناية عليه وتابع الذؤوب في الوصول اليه شعر
تقصد لا بر يحمد ... وان جسيمات الامور مشوبة بمستودعات في بطون الاساود
فقال لاني اراه يعطي ... لا لا يتجاوز فيه بعد المنزلة ويوجب الحظوة ويجذب بضبع مالم يعند
حسد ولا بد ... ويقبل الثقاف لا لدية الحافلة عليه وحذرات الالسن الجذلات لديه
اخس بالراحة ولا ... فيعظم قدره ويفخم امره وتخضع له ابيات الاعناق وتلوي الاعنة
ذنب والسادري ... اي الرجلين انا الاحداق شعر خدم العلى فخدمنه وهي التي لا تخدم الاقوام ما لم تخدم
والسا برو منه ... مقدار ما خاطره ومن تحكم وجد شاند في الميزان وناكصا على عقبيه عن مبارات الاقران
وهو الذي قال الامزة ... وان توزعت في فكره المعاني لم يطلع عليه غاربها ولا اربع عليه ازبها
اسرك اني نلت البت ... وحتى حضر المشاهد الجامعة غص في المباهات على شكيمه وان تعز بالملاذ
فقالت بلى فقال ... واني امير المؤمنين فاحاديه والجاه النجى الى التهمه والمغيق بعوم في غمرات الشبه شعر
اعمى فقالت لا ... وابن اللبون اذا ما لز في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس
فقال لها اني حسنى ... وهو على عبا وة في عيش ورنق والفاضل في مزاماله وضيق شعر
تلبس معطه ... من الشبان ... تراضينا بحكم الله فينا لنا ادب وللسعف مال
فتبوا ... ومن احرز في عمله قصب السبق وتقدم على النظرا بواجب الحق عن تنزيلها
قال ابو نواس ... ايا دهرها عنية وابن غاشية نادية الاغنية وحظى الجزيل في البلد اخوانه
اذا ما ابدا ... قبل ... وتم بجميل عوائده جيرانه ومن اشتهر بجاهه ونبله لم يهتد الى اقصى
من ابدا عنده الاصدقاء ... وقال اسحاق بن الصباح ... رعى حرمة جاره ولم يخله من عوارفه ومباره وبينا
امن بدا بحسن ... نسبة العلم والقربة وهي توفي على وشائج القربى في الرتبة فلم تؤثر
بني الهامة الاصدقاء

اما سمعتم قول الليثي

الا من مبلغ ذاب ابن كرز ... ابا الجنساء زائدة الظليم

فلا تفخر باحمر واطرحه ... فما يخفى الاغر من البهيم

بعبد الله شر من ابيه ... كراع زيد في عرض الاديم

وهو ذاب بن كرز بن عبد الرحمن بن عبد الله بن احمس وقال
الاعشى لعلقمة بن علاثة واراد اليمن اعقد لي حبلا
قال اعقد لك من بني عامر قال لا يغني عني قال
من قيس قال لا قال فانا ابرأ اليك فاتى عامر بن
الطفيل فقال اجيرك من خلق الله اجمعين الجن
والانس وما ياكل ويشرب وان هلكت حنف
انفك فديتك علي بكل بعير هلك بعيران وبكل
متاع اثنان فاجاره فاستلحم طريق اليمن جحيشا
وفي السافرة لا يحفل بالا ومن امثالهم لبنا في
بردة اخماس وتلاحظه بالعترسة قال العجاج
وهو اذا لاقى الصعاب عترسا ومنه العنتريس والحزم
ارفع من الحزن والحزن اغلظ ويقال ارض فيها حزومة
ولا يقال حزومة وتلاحزن القوم وقال الصنوبري
عندنا ناجمة من عبدي بني عامر وبرق عمل
وقال ابو عمرو تباطل القوم بينهم وقال عنترية ام البهلول

ومنه العنتريس الاسدية اي الناقة الصلبة الشديدة والنون زائدة لانه مشتق من العترسة وعترس اخذ ما لذو الغصب

الصفحة الـ ٤٢٤ من مخطوطة (دار الكتب المصرية)

اليك كل من طمح اليها من الاخوان
فالقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالاياب المسافر
ولئن تجهمت البلاد وتخازرت الاوغاد فقد شد ازرك
نجل يرقع وهيك بصيانته سعيك ويدفع
عنك باليد واللسان ويقوم لك اخدع الزمان
وان تداركت كذبات الانواء خلف الربيع المنجم في
السنة الشهباء
اذا كنت خائفا او محولا ولاقيت عمران بن مرة فانزل
هو الغيث والشهر الحرام وما من لك الدهر ان يحي شباب وكلكل

تم كتاب زاد الرفاق بعون الملك الخلاق
الذي يحق أن يذهب بالتبر على الاحداق
لا ان يحبر بالحبر على الأوراق
على يد افقر الورى واحوجهم
الى من يرى ولا يرى مصطفى
الدمشقي الامام غفر الله
له ولوالديه جميع الذنوب
والاثام في دار السلطنة
اسلامبول العامرة
في ١٢ جماد الاول
١٢٨٨

الصفحة الأخيرة من مخطوطة (دار الكتب المصرية)

سطوة الشاعر ولغة الشعر

الدكتور إبراهيم السامرائي

لا أدري كيف يكون لي أن ادرك قول الخليل بن أحمد لابن مناذر الشاعر : « إنما أنتم ، معشر الشعراء ، تبعٌ لي ، وأنا سُكّان السفينة ، إن قرّظتكم ورضيت قولكم نَفَقتمْ وإلا كَسَدتم »[1] . قد أستغربُ قولة الخليل هذه ، ولا أستبعدها ، ذلك أني أعرف زهد الخليل بنفسه ، وبعده عن الزهو والكبر .[2] ولكني أعود الى نفسي فأدرك أن هؤلاء الرجال الكبار قد تمرّ بهم ساعاتٌ يعرفون فيها لأنفسهم علوّ مكانتها فيكون منهم شيء من التنفّج لا يوصلهم الى الزهو المقيت . ولعل من هذا ما كان من خبر خلف الأحمر (وهو فوق كونه شاعراً يعد بحق في جملة علماء الشعر)[3] .

أقول هذا وأذكر ما كان من قول الخليل ، ثم أذكر ما كان من خبر خلف الاحمر إذ قال له رجل : « ما أبالي اذا سمعتُ شعراً استحسنتُه ما قلتَ أنتَ وأصحابُك فيه ، (وهو يريد بأصحابه علماء الشعر) . فقال له : اذا أخذتَ درهماً تستحسنُه ، وقال لكَ الصيرفيّ إنه ردي ، هل ينفعك استحسانُك إياه[4] ؟ » وكأن الخليل وخلفاً الأحمر على شهرتها في

(١) الأغاني ١٨ / ١٨٤ (ط . دار الكتب)

(٢) جاء في « نزهة الالباء » ص ٤٧ : قال النضر بن شميل « أكلَت الدنيا بعلم الخليل بن أحمد وكتبه ، وهو في خُصّ لايُشعَر به » .

(٣) كالخليل بن أحمد والأصمعي . انظر المصون في الأدب لأبي أحمد العسكري ص ٦

(٤) العمدة ١ / ١١٧ ، الموازنة ١ / ٣٩٢ ثم قال الآمدي في معنى قول خلف شارحاً : « ... حتى اذا رمت تصريف دينار بدراهم ، او تصريف دراهم بدينار ، أو ابتياع ثوب ، أو شيء من الآلة ، لم تثق بفهمك ولا علمك حتى ترجع الى من يعرف ذلك دونك فتستعين به على

اللغة كانا من علماء الشعر ، ولهما في نقده ومعرفته الخبرة التي يحتاج الشعراء أن يعرفوها . ومثل الخليل وخلف جماعة أخرى من أهل الأدب واللغة .

والجاحظ يذهب الى هذا الذي أشرت إليه حين قال : « وطلبتُ علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لايحسن إلاّغريبه ، فرجعت الى الأخفش فوجدته لايتقن إلا اعرابه ، فعطفتُ على أبي عبيدة فوجدته لا ينقل إلاّ ما اتصل بالأخبار وتعلّق بالأيام والانساب ، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات »[٥] .

والجاحظ يقر أن أدباء الكتاب ومنهم الحسن بن وهب[٦] ومحمد بن عبد الملك الزيات[٧] من أهل العلم بالشعر ونقده ، وإن كان للثاني شعر معروف اشتمل عليه ديوان صغير[٨] .

ولقد تبين فيا نقلناه من النصوص أن اللغويين والأدباء الاقدمين كانوا نقّاداً ، وهم أهل معرفة ودراية بصناعة الشعر ، وإن كانوا لا يقولون الشعر . واللغويّون النقاد والأدباء الكتاب قد اضطلعوا بمهمة النقد ، وكان لهم قول يعتد به إعلاء الشاعر وخفضه .

حاجتك ، ولِمَ لَما خفت الغبينة في مالك فأذعنت وسلمت وأقررتَ بقلة المعرفة ، لم تخش الغبينة والوكس في عقلك فتسلّم العلم بالشعر الى أهله ؟ فان الضرر في غبن العقل أعظم من الضرر في غبن المال » . الموازنة ١ : ٣٩٣ ـ ٣٩٤ [وكلمة خلف الأحمر أوردها ابن سلام في طبقات فحول الشعراء ١ : ٧]

(٥) الكشف عن مساوئ المتنبي ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤ .

(٦) الحسن بن وهب من الكتّاب كان يكتب لمحمد بن عبد الملك الزيات ، وليَ ديوان الرسائل . انظر وفيات الاعيان ، / ٤١٥ ـ ٤١٦

(٧) اديب شاعر كان وزيراً للمعتصم والواثق ، سجنه المتوكل ، وتوفي في سنة ٢٣٣ هـ . انظر وفيات الأعيان ٥ / ٩٤ ـ ١٠٣

(٨) نشر ديوانه جميل سعيد في بغداد .

على أني أخلص من هـذا التمهيـد الى أن الشعراء أنفسهم كانـوا نقـاداً يتقنون صنعتهم ، ويدركون أن غيرهم من أهل المعرفة لايبلغون مبلغهم في معرفة الشعر . قال الصاحب بن عباد : وحـدثني محمـد بن يوسف الحـّادي قال : حضرت مجلس عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد حضره البحتري فقال : يا أبا عبـادة ، أمسلم بن الوليـد أشعر أم أبو نواس ؟ فقـال بل أبو نواس ، لأنـه يتصرف في كل طريق ، ويتنـوّع في كل مـذهب ، إن شـاء جدّ ، وإن شـاء هزل ، ومسلم يلتزم طريقـاً واحـداً لايتعـدّاه ، ويتحقق مذهباً لايتخطّاه ، فقال عبيد الله : إن أحمد بن يحي ثعلباً لايوافقـك على هذا ، فقال : أيها الأمير ليس هذا من علم ثعلب وأضرابه ، ممّن يحفظ الشعر ولا يقوله ، وإنما يعرف الشعر من دُفع الى مضايقـه . فقـال : وَرِيتْ بـك زنادي ياأبـا عبـادة ، لقـد حكمتَ في عمّيـكَ حكم أبي نواس في عمّيـه جرير والفرزدق ، فـإنـه سئـل عنهما ففضّـل جريراً ، فقيـل لـه : إن أبـا عبيـدة لايوافقك على هذا ، فقال : ليس هذا من علم أبي عبيدة ، وإنما يعرفـه من دفع الى مضايق الشعر » .[٩]

وقد ذهب الشعراء الى هـذا ، وكأنهم أبوا على أهل النقـد من اللغويين والأدباء أن يكون لهم رأي صائب فيهم ، وفي هذا يحسن بنـا أن نعرض لما وقع للفرزدق مع عبـد الله بن أبي اسحـاق الحضرمي ، قـال يونس : « .... وكان (أي ابن أبي اسحـاق) يردّ كثيراً على الفرزدق ، ويتكلم في شعره ، فقال فيه الفرزدق :

فلـو كانَ عبـدُ الله مـولىً هجوتـهُ ولكن عبـدَ الله مـولى مَـواليـا

(٩) الكشف عن مساوئ المتنبي ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤

فقال ابن أبي اسحاق : ولقد لحنْتَ أيضاً في قولك : « مولى مواليا » ، وكان ينبغي أن تقول : مولى موالٍ ، والحليف عند العرب مولى ، ومنه قول الأخطل ....

ومما رواه أبو عمرو بن العلاء : أن ابن أبي اسحاق سمع الفرزدق ينشد :

وعضُّ زمانٍ بابنَ مروانَ لم يدَعْ من المال إلا مُسحَتاً أو مُجَلَّفُ

فقال له ابن أبي اسحاق : على أي شيء ترفع « أو مجلّف » ، فقال : على ما يسوؤك وينوؤك .... » .(١٠)

أقول : ومن هنا نفهم ما كان الفرزدق يشعر به من سطوة الشاعر ، ذلك الشعور الذي جعله يقدم على شيء من رداءة التأليف ، وهو غير مبال بما يقوله اللغويون وما عابوه عليه . ومن ذلك ما ورد في قصيدة مدح بها ابراهيم بن هشام بن اسماعيل خال الخليفة هشام بن عبد الملك :

وما مثلهُ في الناس إلاّ مملَّكا أبو أمِّه حيٌّ أبوه يُقاربُه(١١)

وقد عدّ النقاد هذا البيت من فاسد التأليف ، وصار من شواهدهم في هذا الباب . ومثل هذا بيته الذي ورد في قصيدة مدح بها الوليد بن عبد الملك :

الى مَلكٍ ما أمُّه من مُحاربٍ أبوه ولا كانت كليبٌ تُصاهِرُه(١٢)

---

(١٠) نزهة الالباء ص ٢٧ ـ ٢٨

(١١) سقط البيت من الديوان ، وأضافه الصاوي الناشر ص ١٠٨ نقلاً عن الأغاني وغيره .

(١٢) شواهد العيني ١ / ٥٥٥ ، وفي الديوان ص ٣١٢ ، والأغاني (بولاق) ١٩ / ١٥

على أن هذه المداخلة في الكلام كانت مما يُعجب النحويين كقوله :

تعالَ فان عاهدتَني لا تخونُني نكنْ مثل من يا ذئبُ يصطحبانِ

وقوله :

إنا وإياك إن بلّغنَ أرحلَنا كمن بواديه بعد المحل ممطورِ[١٣]

واذا كان عبد الله بن أبي اسحاق قد ناله شيء من هجو الفرزدق له لأنه لم يسكت عمّا وقع للفرزدق من خطأ ، فان الفرزدق على سطوته التي عرف بها ، وهي سطوة الشعراء الكبار ، قد أذعن لِما وَجّه إليه من نقد . لقد « أقوى » الفرزدق في بيت له جاء بقافية مضمومة فقال فيها :

على عمائمنا تُلقى وأرحلنا على زواحفَ تُزْجَى مُخُّها ريرُ[١٤]

لقد ضمّ الفرزدق « رير » فوقع في الإقواء ، ولكن ابن أبي اسحاق رواها « رير » بالكسر تصحيحاً للفرزدق ، ولم يكترث لما كان من الفرزدق معه . وكأن الفرزدق أقرّ بما صنع ابن أبي اسحاق فعاد للبيت وغيرَّ من قافيته لتسلمَ من الإقواء فقال : على زواحفَ نزجيها محاسيرِ[١٥]
على أن أبا عمرو بن العلاء كان يرى في شعر الفرزدق ثروة عظيمة من العربية . ولا يعني شيئاً كبيراً أن يكون الفرزدق قد عرض له الإقواء ، فقد عرض لشعراء العصر الجاهلي شيء منه ، فلم يسلم منه شعر النابغة في قوله :

---

(١٣) الأغاني ١٩ / ١٥ ، [ديوان الفرزدق : ٨٧٠ ، ٢٦٣]

(١٤) انظر : طبقات الشعراء ص ٧ ، والموشح ص ١٠٠ ، والشعر والشعراء ص ٢٥ وفيها ان ابن أبي اسحاق كان قد عاب على الفرزدق إقواءه ، وفي رواية أخرى ان الذي عابه على ذلك هو عنبسة بن معدان الفيل . [طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١ : ١٧] .

(١٥) كذا في الديوان (ط . الصاوي) ص ٢٦٣ ، [طبقات فحول الشعراء ١ : ١٧]

فبتُّ كأنّي ســـاورتني ضئيلـــة   من الرُقْش في أنيـابها السُمُّ نـاقـعُ

وكأنَّ « الضرورة » ألجأت النابغة الى قوله « ناقع » بدلاً من نصبه على الحال[16][6] .

أقول : وليس شيئاً أن يعيب عبد الله بن أبي اسحاق ما كان من الفرزدق من مخالفة القياس وفساد التأليف ، ذلك أن خصوم ابن أبي اسحاق أخذوا عليه ضعف عربيته على تشدّده في تحري الصواب ونقده للشعراء .[17]

واذا كان الفرزدقَ قد بلغ هذه المكانة في شعره ، وأنه وقف من ابن أبي اسحاق موقفه الذي أشرنا إليه ، فقد كان في الوقت نفسه يحسب لأقوال النحويين واللغويين ما تستحق من الحساب . ومن هذا ما كان منه في قصيدته التي مدح فيها أخواله بني ضبة ، وفخر بفعله حصين بن أصرم قاتل ابن الجون الكندي ، لأنه أبى أن يقرب اللحم ويتناول الخمر حتى يقتله ، فقال فيها :

غـداةَ أحلَّت لابن أصرَمَ طعنـةٌ   حصينٍ عبيطـاتُ السـدائفِ والخمرُ

---

(١٦) الكتاب لسيبويه ٢ / ٢٢٣ ، أقول : ومن الاقواء في شعر النابغة قوله في الدالية « وبذاك خبّرنا الغرابُ الاسودُ » ، وفي شعر امرئ القيس وطرفة وعنترة شواهد في الإقواء .

[(٦) جاء في كتاب سيبويه (ط . بولاق) ١ : ٢٦١ : « .... وذلك قولك : فيها عبد الله قائماً ، وعبد الله فيها قائماً .... فصار قولك : فيها ، كقولك : استقرّ عبد الله ، ثم أردت أن تخبر على أية حال استقرّ فقلت : قائما . فقائم حالٌ مستقرٌ فيها . وان شئت ألغيت فيها ، فقلت : فيها عبد الله قائمٌ . قال النابغة :

فبتُّ كأني ســـاورتني ضئيلـــة   من الرقش في أنيـابهـا السمُّ نـاقـعُ

وقال الهذلي :

لادرَّ دري إن اطعمتُ نـــازلكم   قرف الحَيّ وعنـــدي البُرّ مكنـوزُ

كأنك قلت : البرُّ مكنوزٌ عندي ، وعبد الله قائمٌ فيها .... / المجلة] .

(١٧) انظر ارشاد الاريب ٢ / ٣٧١ ، [معجم الادباء (ط مصر) ٧ : ٨٦ ترجمة بكر بن حبيب السهمي] وانظر : غاية النهاية ١ / ٤١٠

بنصب «طعنة» ورفع «عبيطات» وهذا مما لم يرضه الكسائي، فغيّر الفرزدق روايته هذه فقال :

غداةَ أحلّت لابن أصرَمَ طعنةٌ حصينٍ عبيطاتِ السدائفِ والخمرُ[١٨][2]

أقول : الشعر صنعة وشاعرية ، وكأني أقدّم الصنعة لأنها ثقافة وعلم ، ثم تأتي الشاعرية معتمدةً على محصول الشاعر من صنعته . واذا كان الشعر صنعة فهي جهدٌ ومعاناة ، قال الراجز القديم :

الشعر صعبٌ وطويل سُلَّمُهْ
اذا ارتقى فيه الذي لا يعلَمُهْ
زلَّتْ به الى الحضيض قَدَمُه
يريد أن يُعربَه فيعجمُهْ ،

وقد « سُئل رؤبة عن الفحل من الشعراء فقال : هو الراوية ، يريد أنه اذا روى استفحل . وهو القائل :

لقد خشيتُ أن يكونَ ساحرا راويةً مرّاً ومرًّا شاعرا

استعظم حاله حتى قرنها بالسحر »[١٩] .

---

(١٨) انظر الكامل للمبرد (ط . رايت) ص ٢٠٩ وقد وردت هذه الرواية في الديوان ص ٣١٧

[(2) رواية المبرد في الكامل ان الفرزدق أنشد يونس بن حبيب بيته بنصب (طعنة) ورفع (عبيطاتُ ... والخمرُ) على القلب ، لأن الكلام اذا لم يدخله لبسٌ جاز القلب للاختصار .

ولكن الكسائي النحوي حين أنشد يونسَ بن حبيب البيتَ رفع (طعنة) ونصب (عبيطات ...) ثم رفع (الخمر) على معنى : وحلّت له الخمرُ . فقال له يونس : ماأحسن ماقلت .

ثم قال المبرد : والذي ذهب اليه الكسائي أحسنُ في مَحْض العربية . وان كان انشاد الفرزدق جيداً / المجلة] .

(١٩) كفاية الطالب ص ٤٤ (لابن الأثير ، من منشورات جامعة الموصل ، سنة ١٩٨٢) ، وفي العمدة ١ / ١١٤ : « وسئل رؤبة عن الفحولة ، قال : هم الرواة » . =

ومما رُوي أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سأل « غالباً » أبا الفرزدق عن الغلام الذي يصحبه ، فقال غالب : ابني ، قال : ماأسمه ؟ قال : همّام ، وقد روَّيته الشعر ياأمير المؤمنين وكلام العرب ، ويوشك أن يكون شاعراً مجيداً ، فقال : أقرئه القرآن ، فهو خير له . فكان الفرزدق يروي هذا الحديث ويقول : مازالت كلمته في نفسي ، حتى قيّد نفسه بقيد وآلى ألاّ يفكّه حتى يحفظ القرآن ، فما فكّه حتى حفظه[٢٠] . وذكر ابن سلاّم : أن راوية الفرزدق حدّثه قائلاً : « إنه لم ير رجلاً كان أروى لأحاديث امرئ القيس وأشعاره من الفرزدق »[٢١] . وقيل : ان الفرزدق سمع رجلاً يقرأ : « والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله ، والله غفور رحيم » ، فقال : لاينبغي ان يكون هذا هكذا ، فقيل له إنما هو « عزيز حكيم » ، قال : هكذا ينبغي ان يكون[٢٢] » .

وقد يدلّنا على سعة علم الفرزدق ماحُكِيَ من أن رجلاً سأل الحسن البصري فقال : « ياأبا سعيد ، الرجل يقول : لا والله ، وبلى والله ، لايعقد اليمين ؟ فقال الفرزدق : لاشيء ، فقال الحسن : وما علمك بذلك ؟ قال : أو ماسمعتَ ماقلت ؟ قال الحسن : وماقلت ؟ قال :

= وكانوا : « يسمون الشاعر الذي يجمع الى جودة شعره رواية الجيد من شعر غيره « خِنذيذاً » أي تاماً ، ويجعلون الشاعر الراوية أول الشعراء قدراً » . المصدر السابق .

(٢٠) الاغاني (ط . دار الكتب) ٢١ / ٢٨٣ ، ٣٩٥ ، والخزانة (تحقيق هارون) ١ / ٢٢٢

(٢١) الشعر والشعراء ٢ / ٤٩٠ ، والبيان والتبيين ١ / ٤٦ . [الشعر والشعراء ١ / ٧٠ ترجمة امرئ القيس ، ولم يرد ماذكره ابن سلام في البيان والتبيين . وانما ورد فيه (١ : ٣٢١) : « ... فاذا كان الفرزدق وهو راوية الناس وشاعرهم وصاحب أخبارهم يقول فيه (في أبي عمرو بن العلاء) مثل هذا القول .... وقال يونس : لولا شعر الفرزدق لذهب نصف أخبار الناس / المجلة]

(٢٢) الأغاني ٢١ / ٣٦٢

قلت :

ولستَ بمأخوذٍ بشيءٍ تقولُه اذا لم تعمّد عاقدات العزائمِ

قال : فسكت الحسن »[٢٣] .

وقد كان لثقافة الشاعر إشارات كثيرة في أشعار الأقدمين ، فهذا معقّر بن حمار البارقي يقول :

الشعرُ لبُّ المرء يعرضه والقولُ مثل مواقع النبْل
منها المقصّر عن رميّته ونوافذ يذهبنَ بالخَصْلِ[٢٤]

وها هو ذا الأخطل يقول :

ان الكلامَ من الفواد وإنّما جُعِلَ اللسانُ على الفؤادِ دليلا[٢٥]

ومما نُسبَ الى طرفة والى حسّان بن ثابت :

وان أشعرَ بيت أنتَ قائلُه بيتٌ يقال اذا أنشدته صَدَقا
وإنما الشعرلبُّ المرء يعرضُه على المجالس إنْ كَيْساً وإن حمقا[٢٦]

قلت : ان الشعر صنعة فنية ، وشاعرية ، وقد تكلّمت عن الصنعة وأدواتها ، فما الشاعرية ؟

زعم الشعراء أنّ الشعر يأتيهم وحياً وإلهاماً ، ومن هنا أشاروا الى شياطينهم ، وان لكل شاعر شيطاناً يُلهمه ، أو رئياً من الجنّ يوحي إليه ، فيقول الشعر . أشارَ الأعشى الى شَيطانه « مِسحَل » فقال :

وما كنتُ ذا خوفٍ، ولكن حَسِبتُني اذا مِسحَلٌ يُسدي ليَ القولَ أفرَقُ

---

(٢٣) نور القبس للمرزباني ص ٤٠ ـ ٤١ [طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١ : ٣٣٥ ـ ٣٣٦ ، والبيت في ديوان الفرزدق ٢ : ٨٥١]

(٢٤) العمدة ١ / ٩٧ ، وانظر الخزانة ٢ / ٤١٠

(٢٥) الشعر والشعراء ١ / ٢٤١

(٢٦) الاغاني ٩ / ١٦٠ ، والشعراء ١ / ٢٣٥ [العمدة لابن رشيق ١ : ٩٥]

شريكان فيما بيننــا من هــوادةٍ صَفيّــان إنسيٌّ وجنٌّ مــوفَّــقُ
يقـول فـلا أعيـا بقـولٍ يقـولـه كفـاني لاعِيٌّ ولا هـو أخرقُ(٢٧)

وقال أيضاً :

دعـوت خليلي مِسْحَلاً ودَعَوا لـه جهنّـام بُعْـداً للغـويِّ المـذمَّمِ(٢٨)

وقال :

حبـاني أخي الجنّيُّ نفسي فـداؤه بـأفيحَ جيـاشِ العشيّـات مرجمِ(٢٩)

ويذهب عُوَيف القوافي الى أبعدَ من هذا فيـذكر أن رِدْفـه ، أي تـابعـه من الجنّ قد دعا القوافي فأَجبْنه وارعوَيْنَ لصوته فيقول :

دعـاهُنّ ردْفي فـارعَـوَيْنَ لصوتِـه كما رُعتَ بالجوتِ الظِّماءَ الصَواديا(٣٠)

ويعزو الفرزدق حُسن شعره الى « شيطان أشعر خلق الله » فيقول :

كأنهـا الـذهبُ العِقْيـان حبَّرَهـا لسـانُ أشعرِ خلْـقِ الله شيطـانا(٣١)

وأنا ابو النجم الراجز فيرى ان شيطانَـه غيرَ شيـاطين الشعراء فهو يفوقهم ، فيقـول في هـذا إن شيطـانـه أقـوى من شيـاطين الشعراء لأنــه « ذكر » ، وشياطين غيره إناث :

إني وكلُّ شـــــاعرٍ من البشَرْ شيطـــانُــه أنثى وشيطـــاني ذكَرْ
فمــا رآني شـــاعرٌ إلا استَتَرْ فعلَ نجـوم الليـل عـايَنَّ القمَرْ(٣٢)

---

(٢٧) جمهرة أشعار العرب ص ٦٢

(٢٨) رسائل أبي العلاء ص ٦٦ ، [ديوان الأعشى : ١٢٥]

(٢٩) الحيوان ٦ / ٢٢٦ [ديوان الأعشى : ١٢٥]

(٣٠) الخزانة ٦ / ٣٨٢ ، ويقال للبعير : « جوت ، جوت » ، اذا دعوته الى الماء .

(٣١) الحيوان ٦ / ٢٢٧

(٣٢) الحماسة البصرية ١ / ٨٠ ، أقول وفي « رسائل المعرّي » و « ديوانـه اللزوميـات » و « رسـالـة الغفران » مـايشعر أن المعري ينكر هـذا ويستبعـد ان يكـون للشـاعر رئيّ من الجن يصـدر عنـه . انظر : رسـائل ابي العلاء ص ٦٥ ـ ٦٦ ، وشروح سقـط الزنـد ٢ / ٩١٧ ، ولـزوم مـالا يلزم ٢ / ٥٣٩ ، ورسـالـة الغفران ص ٥٥٢ . وقـد أشـار ابـو العـلاء الى أن الجنيّ ، واسمـه الخيتعور ، من قبيلة من الجن دعاها بني الشيصبان ، ولعل هذا شيء ابتدعه المعري .

فهو يفاضل بين شيطانه ، وشياطين الشعراء الآخرين . والى شيء مثل هذا ذهب أعشى سُلَيْم حين وصف شيطان الفرزدق بأنه لم يكن قدوة بين شياطين الشعراء فقال :

وما كان جنّيُ الفرزدقِ قدوةً ... وما كان فيهم مثل فحلِ المُخَبَّلِ
ومافي الخوافي مثل عمروٍ وشيخِه ... ولا بعدَ عمروٍ شاعر مثل مِسحَلِ[٣٣]

وقال صبيّ بدويّ :

إنّي وإنْ كنتُ صغيراً سِنّي ... وكان في العين نبُوٌّ عنّي
فإنّ شيطاني أميرُ الجنّ ... يذهب بي في الشعر كلَّ فنّ
حتى يُزيلَ عنّيَ التظنّي[٣٤]

أقول : كأن توهّم الأقدمين لشيطان الشاعر ، أو جنّيّه ضرب من وهم يوشك أن يكون اعتقاداً أسطورياً ، ذلك أن ذهاب هذا الصبي البدوي الى أن شيطانه « أمير الجنّ » يشير الى تجسيم هذا التصور في ذهنه ، ان هذا التجسيم يوحي أن صاحبه طراز خاص من البشر بحيث اصطفاه شيطانه أو جنّيّه ليحتل هذه المكانة . ومن هنا كان الشاعر الكبير هو « الفذّ » وهو « الخِنْذيذ » ، وان شعره « رُقْيَةُ شيطان » لأنه مؤثّر تأثير السحر . ومن أجل هذا كان عجب جرير من أن « رُقَى شيطانه لم تستفزّ » عمر بن عبد العزيز :

رأيتُ رُقَى الشيطانِ لاتستفِزُّه ... وقد كان شيطاني من الجنّ راقيا[٣٥]

ويرى جرير أنه أشعر الشعراء ، وان شيطانه لذلك قد « اكتَهَلَ » وأنه « إبليس الأباليس » ، فيقول :

---

(٣٣) الحيوان ٦ / ٢٢٥ ـ ٢٢٦ .

(٣٤) الخصائص ١ / ٢١٧ ووردت الأشطار مع اختلاف في الوحشيات ص ١١٩ ، وانظر رسائل ابي العلاء ص ٦٥ ـ ٦٦ .

(٣٥) ديوان جرير ص ١٠٤٣ (ط . دار المعارف بمصر) .

إني لَيلقي عليَّ الشعر مكتهـــلٌ من الشيـاطين إبليسُ الأبـاليس[٣٦]

وذهب احد الشعراء الى أنه اذا عرض له الشعر أطلعَتْـه الجنُّ على أشعـارهـا فيصطفي منها مايُريد بعد أن يوردَها عليه شيطانه ، فيقول :

وكنتُ اذا مـــاأردتُ القريضَ تخبّرني الجنُّ أشعـــارَهـــا
أروضُ صِعـــابَ قـــوافي القريـــض حتى تَـذلَّ فـأختـارَهـا
قـوافٍ يـورّدُهـــا صـــاحبي اليَّ وأكفيـــه إصـــدارَهـــا[٣٧]

لقد رأينا الشاعر يعزو شـاعريتـه الى شيطـانـه أو جنيّـه ، وان الجنّ تعرض عليه الشعر فيختار منه أجوده ، ولكنـه لم ينس أنـه صـانعٌ مـاهر ، وان قوافيه تُـدرك الخفي من المعـاني . لقـد ذهب طرفـة بن العبـد الى أن شعره أدرك الخفي من المعاني فهو يـدخل في مـداخل لاتصل اليهـا مغـارز الإبَر فيقول :

رأيت القــوافي يتّلجْنَ مَــوالجـــاً تَضـايقُ عنهـا ان تَـولَّجهـا الإبَرْ[٣٨]

وهذه القدرة التي تصل إليهـا القوافي دليل صنعـة خـاصـة لايصل إليهـا إلا الشـاعر الخِنـذيـذ ، وصنعتـه هـذه هي عمـل صعب لايُـدركـه إلا الشـاعر الشـاعر . ومن هنـا حـقّ للفرزدق ان يصرّح أنّ مـايعـانيـه من ألم في قلـع ضرسٍ له أهونُ عليه من وضع القافية في موضعها[3] .

---

(٣٦) ربيع الأبرار ١ / ٣٨٤ ، ولم أجد البيت في طبعتي الديوان .

(٣٧) الاشباه والنظائر للخالديين ٢ / ١٤٩ .

(٣٨) حلية المحاضرة ١ / ٢٥٧ .

[(3) جاء في البيان والتبيين للجاحظ (١ : ١٣٠ ، ٢٠٩) : « وقال الفرزدق : أنا عند النـاس أشعرُ العرب ، ولربّما كان نـزع ضرس أيسر علي من أن أقـول بيت شعر » . وجـاء هـذا القـول في الشعر والشعراء ١ : ٢٦ ، والأغـاني ٢١ : ٣٦٥ ، والعقـد لابن عبـد ربـه ٥ : ٣٢٧ ، وأنسـاب الاشراف ١١ : ٦١ ، ومحاضرات الأدباء ١ : ٥٢ ، والكشكول ٢ : ٤١٥ / المجلة] .

واذا كان للشاعر هذا الإدراك من الصنعة ، فذلك موضع فخره .

ومن هنا دُعيَت قصائد زهير بن أبي سلمى بـ « الحوليّات » ، ذلك أنها تقتضيه جُهْدَ عامٍ ينظمها ويبقى ملازماً لها ، مجتهداً في إتقان صنعته ، فحق له أن يقول :

فأبلغْ ، ان عرضتَ لهم ، رسولاً بني الصيداء إنْ نَفَع الجوارُ
بأنّ الشعر ليس له مَرَدٌّ اذا وَرَد المياهَ به التجارُ(٣٩)

ويبقى شعره متعة الركبان يُنشدونه في ظعنهم فيقول :

أولى لهم ثم أولى ، أن تُصيبَهُمُ منّي بواقرُ لاتُبقي ولا تَذَرُ
وأن يعلّل ركبانُ المطيّ بهم بكلّ قافيةٍ شنعاءَ تشتهرُ(٤٠)

وقال في مثل هذا أيضاً :

إني سترحَلُ بالمطيِّ قصائدي حتى تَحُلَّ على بني ورقاءِ
يتوارثون بقاءَها مدحاً لهم رهنٌ لآخرهم بطولِ بقاءِ(٤١)

ولقد كثر فخرهم بالشعر وسيرورته حتى صار نهجاً يسلكه الشعراء على تفاوت أقدارهم ، قال المسيَّب بن علس :

فلأهدينَّ مع الرياح قصيدةً منّي مُغَلْغَلَةً الى القَعْقاعِ
تَرِدُ المياهَ فلا تزالُ غريبةً في القوم بين تمثُّلٍ وسَماع(٤٢)

وقصيدته هذه تقوم مقام رسالة « مغلغلة » يبعث بها الى القعقاع ، وهي بقدر ماتكون أداة تبليغ تكون في الوقت نفسه مادة فنيّة تُحرز لها البقاء والخلود ، يتمثل بها القوم منشدين . ومثل هذا قول الأعشى :

وإن عِتاقَ العيسِ سوف يزورُكم ثناءٌ على أعجازهنّ مُعَلَّقُ

(٣٩) شعر زهير بن ابي سلمى ص ٩٢ .
(٤٠) المصدر السابق ص ٩٥ .
(٤١) حلية المحاضرة ١ / ٤٢٣ .
(٤٢) الاغاني ١٦ / ١٦٨ .

بـه تُنْفضُ الأحـلاسُ في كلِّ منزلٍ وتُعْقَـدُ أنسـاعُ المطيّ وتُطلَـق(٤٣)

وتقرأ قـولَ الشـاعر تميم بن أبيّ بن مُقبـل فتلمـح قـدرةَ الشعر في شـاعريـة صاحبه وسطوته ، قال الشاعر :

اذا متُّ عن ذكر القـوافي فلن ترَى لهـا تـاليـاً مثلي أطبَّ وأشعرا
وأكثَر بيتـاً مـارداً ضُربَتْ لـه حُـزونُ جبـال الشعر حتى تيسَّرا
أغرَّ غريبـاً يمسحُ النـاسُ وجهَـه كما تمسَحُ الأيـدي الأغرَّ المُشهَّرا(٤٤)

والشاعر يُطري شعره فيذهب الى أن النـاس يُنشـدونـه معجَبين متمثّلين كما يُعجَبون بالجواد « الأغرّ المشهّر » فيروحون يمسَحون بأيديهم غُرّته .

وكأنّ الفخرَ بالشعر وبنـاء القوافي من موادّ الفخر المفضّلـة ، لايختلف درجـةً عن الفخر بـالنَّسَب وبـالصفـات الحميـدة ، فـأنت تجـد جمهرة من شعرائهم قد أشاروا الى هذا في بناء قصائدهم . ومن هؤلاء قول جرير :

وإني لقـوّالٌ لكلّ غريبـةٍ وَرودٍ اذا السـاري بليـلٍ ترَنَّما
خَروجٍ بـأفـواهِ الرواةِ كأنهـا قَرَى هُنـدوانيٍّ اذا هُـزَّ صمَّما(٤٥)

وقال أيضاً :

وإني لَهـاجيهم بكلِّ غريبـةٍ شَرودٍ اذا السـاري بليـلٍ ترَنَّما
غرائبَ آلافـاً اذا حـانَ وِرْدهـا أخـذْنَ طريقـاً للقصـائـد مُعْلَما(٤٦)

وقال ذو الرمة :

---

(٤٣) ديوان الأعشى (شرح د . محمد محمد حسين) ص ٢٢٣ .

(٤٤) الأغـاني ١ / ٣٣٨ و ١ / ٣٥٥ وطبقـات فحـول الشعراء ٢ / ٦٧٥ [لم ترد الابيـات الثلاثة في طبقات فحول الشعراء لابن سلام ، ولكنها وردت في الشعر والشعراء لابن قتيبـة ١ : ٤٢٧ ، ودلائـل الاعجـاز لعبـد القـاهر الجرجـاني : ٥١٢ ، وحليـة المحـاضرة للحـاتمي ١ : ٤٢٥ ، وديوان تميم بن أبي بن مقبل : ١٣٦] .

(٤٥) نقائض جرير والفرزدق ١ / ٦٢ .

(٤٦) نقائض جرير والفرزدق ١ / ٦٣ .

فـأصبحتُ أرميكم بكلِّ غريبـةٍ تجِدُّ الليـالي عـارَهـا وتَـزيـدُهـا
قوافٍ كشامِ الوجهِ بـاقٍ حَبَـارُهـا اذا أرسِلتْ لم يبقَ يـومـاً شرودُهـا
تـوافَى بهـا الركبـانُ في كلِّ موسمٍ ويحلـو بـأفـواهِ الرواةِ نشيـدُهـا[٤٧]

وللفرزدق حـديث في القصـائـد يتنـاشـدهـا الركبـان كسـائر الشعراء ممّن استشهدنا بشعرهم ، وغيرهم كثير ، قال :

واذا القصـائـدُ أوضَعَتْ ركبـانُهـا بـــالغَـــورِ وهي مُمرَّةُ التحبيرِ
علِمتْ هَـوازنُ أنّـه قـد غَرَّهـا شعراؤهـــا وغـواتُهـــا بغرورِ
نَبَحَت كـلابُ الجِنِّ لَمّـا أجحَرتْ فَرَقـاً لـــدى مُتَبهْنِسٍ مَضْبـورِ
لمـا رَأيْنَ صـلابـــةً في رأسِـــهِ أقعَيْنَ ثم صـــأيْنَ بعـــدَ هريرِ[٤٨]

فالركبان تسرع وهي تنشد بقصائده فينجحر الشعراء ويُقعون كالكلاب .

ودأبُ الشعراء هـذا في الفخر بشعرهم قـديم ، فحُمَيـد بن ثـور ، من شعراء العصر الاسـلامي المتقدّم يشير الى أن قصائده كانت موضعَ سَمر الرواة في تشهيرها بخصومه :

قصـائـدُ يَستحلي الرواةُ نشيـدَهـا ويلهـو بهـا من لاعبِ الحيِّ سـامرُ
يعَضُّ عليهـا الشيخ إبهـامَ كفِّـه ويَخْـزَى بهـا أحيـاؤكم والمقـابرُ[٤٩]

وهم يفخرون بما كان لهم من عناية في تخيّر قوافيهم وتهذيبها وبنـائهـا كما في قول ذي الرمة :

وشعرٍ قـــد أرقتُ لـــه غريبٍ أجنِّبُـــه المسـانـــدَ والمحـــالا
فبتُّ أقيمـــه وأقـــدُّ منـــه قـــوافيَ لاأعـــدُّ لهـــا مثـــالا[٥٠]

(٤٧) ديوان ذي الرمة (تحقيق عبد القدوس أبو صالح) ١٢٣٩ ـ ١٢٤٠ .

(٤٨) نقائض جرير والفرزدق ٢ / ٩١٤ .

(٤٩) أمالي ابن الشجري ١ / ٣٢٤ ، وانظر الحماسة البصرية ٢ / ٢٧٤ [وديوان حميد بن ثور الهلالي : ٨٩] .

(٥٠) ديوان ذي الرمة (تحقيق عبد القدوس أبو صالح) ٣ / ١٥٣٢ ـ ١٥٣٣ .

وقال عديّ بن الرقاع العاملي :

وقصيدة قد بتُّ أجمع بينها حتى أقوّمَ ميلَها وسِنادَها
نظر المثقف في كعوب قناته حتى يقيمَ ثِقافُه مُنآدَها
وأبيتُ حتى ما أسائل عالماً عن حرف واحدةٍ لكي ازدادها[٥١]

والى هذا المعنى ذهب كثير من الشعراء مفتخرين بشعرهم ، وما كان لهم من العناية في بنائه ونسجه . وكأن هذه الصنعة التي كلفت الشعراء عناية فائقة لاتفسد عليهم قولهم في « شياطين الشعراء ، وان هذه كانت تلهمهم ماكانوا قد أبدعوا فيه . وهذا يعني أن « الإلهام » ، أيّاً كان لنا أن نوجّهَه ؛ غيرُ الصنعة والعناية بها ، وكلاهما مما يُهيِّيء للشاعر مادته وشاعريته التي حبته سِطوته وقوته . أقول : كأن لغة الشاعر وتصرفه بها وما يكون له من شاعرية موهوبة قد أوحى كلُّه الى الشاعر أنه صانع الابداع في حيز اللغة التي يملكها ويتصرف بها .

وكأني أذهب من هنا الى شيء غير الذي ذهب إليه علماء الشعر مما أسموه « ضرورة » شعرية فعقدوا له الرسائل وصنفوا فيه الكتب . وإني لأستبعد هذا المصطلح الذي ينصرف الى مساوىء الشاعر ولايبعد عما ندعوه فساد التأليف . ومن هنا أعطي مصطلحاً يعني « الاضطرار » ، والاضطرار يومىء الى الضُر والضرر . ومن هنا ايضاً قيل في صاحب « الضرورة » : إنه ارتكبها ، كأنها ذنب يقترفه صاحبه ، ألا ترى أنهم قالوا : ضرورة حسنة أو مقبولة ، وأخرى قبيحة . وليس الحسن والقبح إلاّ الابتعاد عن العربية نحواً وأبنية .

---

(٥١) الشعر والشعراء ٢ / ٥١٦ ، والبيان والتبيين ٣ / ٢٤٤ ، وديوان عدي بن الرقاع من منشورات المجمع العلمي العراقي . أقول : أبيات عديّ هذه التي تدل على مبلغ عنايته بشعره تذكّرنا بقول أبي تمام :

خذها ابنة الفكر المهذّب في الدجى والليل أسود رقعةِ الجلباب

وكأني أنظر الى « الضرورة » على أنها مما يريد أن يفرضه الشاعر الفذّ مستظهراً بشاعريته ، مستعصماً بها ، وليس ما يقوله النحويون واللغويون شيئاً إزاء ما يرسله هذا الصانع الاستاذ في فنه . ألا ترى ان« الضرورات » قد عرضت للفحولة من الشعراء ، فأما غيرهم من النظّامين فهم يكدّون ليبتعدوا عنها ليستحقوا رضا النحويين .

ولم يدرك أهل البلاغة أن للشعر لغة خاصة ، وذلك لأنهم أشاروا الى ما يقدح في الفصاحة ، ولم يستشهدوا على ذلك إلا بما جاء منها في الشعر . لقد قالوا في بيت الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مُملَّكاً أبو أمّه حيٌّ أبوه يقاربُهْ

إنه من أقبح الضرورة ، وأهجن الألفاظ ، وأبعد المعاني ، ولو كان الكلام على وجهه لكان قبيحاً ، وكان يكون اذا وضع الكلام في موضعه : « وما مثله في الناس حتى يقاربه إلاّ مملّك أبو أمّ هذا المملك ، أبو هذا الممدوح ، فدلّ على أنه خاله[٥٢] .

جاء في « العقد الفريد » : « .... أُبيح للشاعر مالم يبح للمتكلم من قصر الممدود ، ومد المقصور ، وتحريك الساكن ، وتسكين المتحرك ، وصرف مالا ينصرف ، وحذف الكلمة مالم تلتبس بأخرى »[٥٣] .

وربما كان مفيداً لنا في معالجة ماأسميناه « ضرورة » على أنها شيء من قوة الشاعر ، ماورد من قول الخليل : « الشعراء أمراء الكلام يتصرفون فيه أنّى شاءوا ، وجاز لهم فيه مالا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى وتقييده »[٥٤] .

---

(٥٢) الكامل ١ / ١٨ ، الموشح ١٠٢ ـ ١٠٣ .

(٥٣) العقد الفريد ٤ / ١١ ـ ١٢ .

(٥٤) روضات الجنّات للخوانساري ص ٢٨٠ .

أقول : ولهذا ذهب الأعلم الشنتمري الى أن الشعر « يحتمل فيه وضع الشيء في غير موضعه دون إحراز فائدة ولا تحصيل معنى »[٥٥] ، كالذي جاء في بيت الفرزدق المتقدم . وقال سيبويه : « .... فإن قلت : كيف زيداً رأيت ، وهل زيدٌ يذهب ؟ قبح ولم يجز إلا في شعر »[٥٦] ، وجعل سيبويه من يقول : « إن تأتني آتيك » قبيحاً ، وجوّزه في الشعر[٥٧] ، أي أن مايجوز في الشعر لايجوز في سعة الكلام . وقال أبو الفتح عثمان بن جنّي : « والاضطرار يجعل الشاعر ينطق بما لم يرد به سماع » .[٥٨]

أقول : وقول ابن جني : « ان الشاعر ينطق بما لم يرد به سماع » يدلنا على أن الشاعر صاحب لغة خاصة يتصرف في أمرها ، وينطق بالجديد الذي لم يطرق أسماع المعربين ، وهم راضون مطمئنون . ويتوسع ابن جنّي قليلاً فيقول : « والشعر موضع اضطرار ، وموقف اعتذار ، وكثيراً ما يحرَّف فيه الكلم عن أبنيته ، وتحال فيه المُثُل عن أوضاع صيغها لأجله »[٥٩] . ويقف المبرّد على قول جرير :

« لقد ولد الأخيطلَ أمُّ سوءٍ »

فيقول : « إنما جاز للضرورة في الشعر جوازاً حسناً ، ولو كان مثله في الكلام لكان عند النحويين جائزاً على بعد »[٦٠] .

---

(٥٥) تحصيل عين الذهب ١ / ٢٩ .

(٥٦) الكتاب ١ / ٥١ .

(٥٧) المصدر السابق ١ / ٦٨ ، وقال ايضاً (الكتاب ١ / ٢٧٧) في الكلام على بيت كثير : « لعزّةَ موحشاً طَلَلَ » ، وهذا كلام أكثر ما يكون في الشعر وأقل ما يكون في الكلام .

(٥٨) الخصائص ١ / ٣٩٦ [قال ابن جني : واعلم ان الشاعر اذا اضطُر جاز له ان ينطق بما يبيحه القياس ، وإن لم يرد به سماع] .

(٥٩) الخصائص ٣ / ١٨٨ .

(٦٠) المقتضب ٢ / ١٤٨ .

أقول : وقول المبرد : « انما جاز للضرورة جوازاً حسناً » يومىء ان الجواز هنا من صنعة الشاعر المفلق ، وهي مدركة للحسن . وقد يتجاوز الشاعر هذا الذي يقرّ حسنه النحاة فيكون منه ما كان لجرير في قوله :

ولو ولَدتْ قفيرةُ جرو كلبٍ لسبَّ بذلكَ الجرو الكلابا

قال ابن شرف القيرواني : « ... فنَصَبَ « الكلاب » بغير ناصب ، وقد تحيَّلَ له بعض النحويين بكلام كالضريع الذي لا يسمن ولا يغني من جوع »[٦١].

وقال في هذا ابن جنّي : « قيل هذا من أقبح الضرورة ، ومثله لا يعتدّ به أصلاً ، بل لا يثبت الا محتقراً شاذاً »[٦٢] .

أقول : وجرير يدرك أن الذي قاله يجانب المشهور من الصواب ، ولكنه يصرُّ عليه ، ولا يكترث لما يكون من أقوال النحويين . وهذا يعني أنه يملك الحق فيما يقول ، وأنه يفرض اللغة في سعتها وفي ضيقها ، وكنا قد رأينا نظائر ذلك في شعر الفرزدق ، وما كان له مع النحويين . ويدلنا على ما ذهبنا إليه من انّ « الضرورة » قد عَرَضت لكبار الشعراء جاهليين وإسلاميين . وكأني أعدّ من التزيّد ما جاء منه في شعر لبيد وطرفة وعنترة وامرىء القيس وأضرابهم . وهل يكون لي ان أنسب الى « الضرورة » واقدح في بيت للشاعر لبيد ، وهو قوله :

« دَرَسَ المنَا بمتالعٍ فأبانِ »[٦٣]

ويريد : المنازل .

---

(٦١) أعلام الكلام ص ٣٧ .

(٦٢) الخصائص ١ / ٣٩٧ ، وفي « شرح المفصل » لابن يعيش ٧ / ٧٥ ـ ٧٦ أقوال للنحويين في البيت واختلافهم فيه .

(٦٣) الخصائص ١ / ٨١ .

وفي رجز العجاج ، وهو الذي حفظ لنا الكثير من شوارد العربية ، في قوله :

« أوالفاً مكّةَ من وُرْق الحمي »[٦٤]

وليس لي أن أقول ان العجاج اضطره الوزن فغير « الحَمام » وجعله « الحَمي » مراعاة للوزن.

والذي أراه أن شيئاً من هذا عرفه العرب ، ولم يصل الينا . وأنا استظهر بقول أبي عمرو بن العلاء : « ما انتهى اليكم مما قالت العرب إلا أقلّه ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير »[٦٥] . ويدلنا على ان الذي قيل ، وعُدّ من الضرورة ، شيء عرفه العرب ماكان من قول أبي الاسود الدؤلي :

ليت شعري عن خليلي ما الذي غالَه في الحبّ حتى وَدَعَه[٦٦]

فقد خفَّف أبو الاسود الدال في « وَدَعه » ، والكثير فيها أن الفعل مضاعف ، وظنّوه ضرورة ، وفاتهم أنّ من القرّاء من قرأ « ما وَدَعك ربُّك وماقَلَى » .

ثم كيف لي أن أقولَ بالضرورة في قول الأعشى الكبير :

« وما قَصَدت من أهلها لسوائكا »

لقد جعل سيبويه قول الأعشى « سوائكا » ضرورة ، لخروجها عن الظرفية لأنها ظرف لديه وقد جعل من الضرورة أيضاً قول خطام المجاشعيّ :

« وصالياتٍ ككما يُؤثفَيْنْ »

لاستعمال الكاف اسماً بمعنى « مِثل » فأدخل حرف الجر عليه . وقد أضاف

(٦٤) ديوان العجاج ص ٢٩٥ .

(٦٥) نزهة الالباء ص ٢٣ [طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١ : ٢٥] .

(٦٦) الخصائص ١ / ٣٩٦ .

سيبويه فقال : « فعلوا ذلك لأن معنى « سواء » معنى غير ، ومعنى الكاف معنى « مثل »[٦٧] . وكأن سيبويه التمس وجهاً في قول الشاعرين .

وهل لي أن أعد من الضرورة ما ورد في أرجوزة جرير وهو قوله .

إني امرؤ يَبني ليَ المجدَ البانْ أندبُ مجداً غير مجدِ ثُنْيانْ[٦٨]

وأراد الباني . وكيف يكون ضرورة قول الأخطل :

جزاء يوسفَ إحسانٌ ومغفرةٌ أو مثلما جُزْيَ هارونٌ وداودُ[٦٩]

أقول : كيف لنا أن نعدّ ذلك ضرورة ، وقد ورد نظير قول جرير في لغة التنزيل ، قال تعالى : « فتولَّ عنهم يوم يَدْعُ الداعِ الى شيء نُكُر »[٧٠] .

وأما قول الأخطل « جُزْيَ » باسكان الزاي فمن لغة العرب ، وتميم قرؤوا «بما رَحْبَت»[٧١] بإسكان الحاء، وهي لغتهم في الفعل الثلاثي، وبها قرأ زيد بن عليّ . ومثل هذا قراءة أبي السمال في « حَسْنَ »[٧٢] بإسكان السين وهي لغة تميم[٧٣] .

وهل لي ان أحمل على الضرورة بيتاً للمتنبي كان مطلعاً لقصيدة له من قصائده المحجّلة ، وهو :

بادٍ هواكَ صبرتَ أم لم تصبرا وبُكاكَ إن لم يجرِ دمعُك أو جرى
أمر الفؤادُ لسانَه وجُفُونَه فكتَمنَه وكفى بجسمكَ مُخبرا[٧٤]

---

(٦٧) الكتاب ١ / ٣٢ [١ / ١٣ ، ٢٠٣ ط بولاق] .

(٦٨) ديوان جرير ص ٢٩٠ .

(٦٩) شعر الأخطل ٢ / ٧٧٠ .

(٧٠) سورة القمر ، الآية ٦ .

(٧١) سورة التوبة ، الآية ٢٥ .

(٧٢) سورة النساء ، الآية ٦٩ .

(٧٣) البحر المحيط ٣ / ٢٨٩ ، وانظر غاية النهاية لابن الجزري ٢ / ٢١ .

(٧٤) شرح ديوان المتنبي ٢ / ١٦٠ .

وليس لي أن أقول ان الالف في « تصبرا » جاءت من نون توكيد ساكنة للوقف ، وهي كالألف في قوله تعالى « وليُسجَنَنْ وليكونا »[٧٥] ، لأن الفعل سبق بـ « لم » ، والتوكيد لايلحق المنفي . ومن هنا لابدّ لي أن أقول : ان بيت المتنبي على شاكلة الشاهد النحوي :

يحسَبُه الجاهلُ مالم يعلَما   شيخاً على كرسيّه مُعَمّماً[٧٦]

أقول : كيف لي أن أحمل بيت المتنبي ، وهو مطلع جميل ، على الضرورة وأراني اذهب الى أبعد من هذا فلا أحمل قوله أيضاً على مخالفة القياس :

فلا يُبرم الأمرَ الذي هو حاللٌ   ولا يحلل الأمرَ الذي هو مبرمُ

أقول هذا لأني أعرف ان المتنبي يعرف العربية ووجوهها ، ولهذا لا بد أن يكون فك الإدغام ضرباً من كلامهم أو كلام إحدى قبائلهم ، وأنا استظهر على هذا بفك الادغام في الألسن الدارجة . ان بعض هذه الألسن تلتزم بالإدغام في حين أن غيرها تفكّ الادغام ، فمنهم من يقول : « حالِل » و « شادِد » وآخرون يقولون في جهة أخرى : « حالّ » و « شادّ » .

إن المتنبي هو الذي يقول :

أنا الذي نظرَ الأعمى الى أدبي   وأسمَعَتْ كلماتي من به صَمَمُ

أنامُ ملءَ جُفوني عن شوارِدِها   ويَسهَر الخلقُ جرّاها ويختصمُ

أقول : الذي يذهب الى هذا الحد مزهواً ، وله الحق في ذلك ، لا يأبه لما يقوله أهل اللغة والنحو . وبعد فإني أختم هذا الموجز فأقول : لقد رأينا مكانة الشاعر القديم حين يرسل شعره فيفرض على السامعين صنعته متصرفاً ومجدّداً ، وذلك كله يتأتى مما يشعر به سطوة المفلق الملهم ، فهو ذو فنٍ وأصالة .

---

(٧٥) سورة يوسف ، الآية ٣٢ .

(٧٦) الكتاب لسيبويه ٣ / ٥١٦ [٢ / ١٥٢ ط بولاق] .

ظاهرة وقف الكتب

في تاريخ الخزانة المغربية

الدكتور احمد شوقي بنبين

الحديث عن ظاهرة وقف الكتب في الخزانة المغربية يدعو بالضرورة إلى الحديث عن هذه الظاهرة في المشرق لأن ظهورها كان هناك ولأن الخلاف بين الفقهاء في جوازها أو منعها قد تم في تلك الربوع وأخيراً لأن الوقفيات المغربية لا تختلف كثير الاختلاف عن أخواتها في المشرق .

وأقول في البداية إن الباحث في هذا الموضوع يجب أن يكون فقيها متضلعا من الفقه . وقانونيا محيطا بمبادئ القانون ، أما أنا فليست لي المؤهلات الفقهية ولا التكوين القانوني لمعالجته ، ولكن شفيعي في ذلك هو اهتمامي بالكتب والمكتبات ، وغايتي القصوى هي إثارة المشكلة ووضعها بين أيدي الباحثين الذين يملكون من المؤهلات السابقة ما يمكنهم من تناول هذا الموضوع واعطائه ما يستحق من الاستيفاء والبحث .

فباستثناء إشارات الفقهاء الموجزة إلى هذه الظاهرة في كتبهم الفقهية وباستثناء ما قاله عنها المرحوم يوسف العش في أطروحته الجامعية[1] فإن

● ألقي هذا العرض بمناسبة الحفل التكريمي الذي أقيم تكريماً للأستاذ الكبير والعالم الجليل سيدي أحمد الشرقاوي إقبال المراكشي في مراكش يوم السبت ١٤ آذار (مارس) ١٩٨٧ .

(١) انظر : يوسف العش : Les bibliothèques arabes Damas 1967 وانظر كذلك أطروحتنا الجامعية : . Histoire des bibliothèques au Maroc .

الموضوع يبقى بحاجة إلى دراسة ، وربما إلى دراسات لسد ثغرة من أهم الثغرات في تراثنا العربي .

سأحاول إذاً في هذا العرض أن أتحدث بإيجاز عن بداية هذه الظاهرة في المشرق ثم في المغرب ، يتلوها دراسة وثيقة وقف أنفذُ من خلالها إلى إلقاء بعض الضوء على وضعية وبناء الوقفية المغربية ، ثم أختم الحديث بكلمة أتساءل بها عما يمكن أن تؤدي إليه دراسة هذه الوقفيات من خدمة لعلمٍ من أهم علوم المكتبات هو تاريخ الكتاب المخطوط (His-toire du Livre Manuscrit)

من القضايا التي أثارت جدالا كبيرا بين فقهاء المسلمين في العصور الاسلامية الأولى قضيةُ الوقف ، والسببُ في ذلك يرجع إلى عدم ورودها في القرآن الكريم ، وبالتالي إلى وجودها ظاهرةً مجردة في السنة النبوية ، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام اقتصر في تعريفه للوقف على ذكر حقيقته فقط وترك التفصيلات والتأويلات للفقهاء ، فأدى ذلك الى اختلافهم في مشروعية الوقف . فمنهم من أجازه ، ومنهم من لم يقل بجوازه ، ومنهم من قبله في حالات ورفضه في أخرى . وكانت الكتبُ من بين أنواع الموقوفات التي احتدم حولها الصراع بين العلماء ، لأن وقفها لم يثبت الا بالعرف كما سنرى فيما بعد .

حتى القرن الهجري الثاني كان الفقهاء والعلماء ينسخون أو يستنسخون المصاحف ويضعونها في المساجد تقرباً الى الله ، اقتداء بما صنعه الخليفة الراشد عثمانُ رضي الله عنه الذي نسخ أربعة مصاحف أو ستة ووزعها على الامصار كما هو معروف . يروى في كتب التاريخ أن أبا عمرو الشيباني[٢] نسخ ثمانين مصحفا ، ووضعها في مساجد الكوفة ، وروى

(٢) الفهرست لابن النديم : ٦٨ ، وفيات الأعيان لابن خلكان ١ : ٦٥ .

السيوطي[٣] أن المفضل الضبي كان عالما بالنحو والشعر والغريب وأيام الناس وكان يكتب المصاحف ويضعها في المساجد تكفيراً لما كتبه بيده من أهاجي الناس . فهذان العالمان الجليلان وغيرهما من الفقهاء وضعوا المصاحف في المساجد ابتغاء مرضاة الله دون التعبير عن عملهم هذا بالألفاظ الدالة على ظاهرة الوقف . فلما بدأت حركة التأليف في القرن نفسه وظهرت تآليف في التفسير والفقه والأدب واللغة وغيرها ، وارتأى بعض العلماء وضع هذه الكتب في المساجد على غرار المصاحف ليستفيد منها الطلبة منعهم علماء آخرون ، معتمدين في موقفهم المعارض هذا على عدم وجود هذه الظاهرة في كل من الكتاب والسنة ، بل أصبح وقفُ القرآن نفسه موضع نقاش بين هؤلاء الفقهاء مما جعل بعضهم يرفضه كما صنع ابن همام الحنفي مثلا[٤] .

ولما أجاز جمهور الفقهاء ظاهرة الوقف حددوها بالاشياء التي لها صفة الدوام كالاراضي والبنايات وما شابه ذلك ، ولم يجيزوا وقف ما يفتقر الى هذه الصفة كالكتب لانها تبلى وتندثر . وبعد نقاش طويل أجازوا وقف المصاحف اقتداء بالخليفة الراشد عثمان وبالمسلمين من بعده ، ولم يرد هذا الجواز بالنصّ ، بل إنه قد ورد بالعرف ، والثابتُ بالعرف كالثابت بالنص ، وهذا العرف يعززه قوله عليه الصلاة والسلام : ماراه المسلمون حسنا فهو حسن .

وبعد عملية جواز وقف المصاحف انتقل النقاش إلى وقف باقي أنواع الكتب ، فمنهم من رفض وقفها مطلقا كمحمد بن سلامة الحنفي ، ومنهم من أجازه عموما استدلالا بالحديث الشريف الذي اعتمده الفقهاء في جواز

(٣) السيوطي : بغية الوعاة (ط ١٩٠٩ م) : ٣٩٦ .

(٤) فتح القدير ٥ : ٥٠ .

ظاهرة الوقف : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » .

واعتماداً على هذا الحديث وتطبيقاً لمبدأ العرف أجازت هذه الفئة من الفقهاء وقف الكتب ، ولكن أي نوع من الكتب يقول أحد الحنفيين نصير بن يحي (ت ٢٦٨ هـ) : « يجري على الكتب ما يجري على المصاحف ، لأنها تدعو إلى الدين ، وتساعد على فهمه » . ويستفاد من موقف هذا الفقيه الحنفي أن الكتب التي أجاز وقفها هي كتبُ الدين المرتبطة بالقرآن الكريم ككتب التفسير ، وكتب الحديث ، وكتب الفقه ، وغيرها ، أما كتب العلوم الأخرى كالفلسفة ، والرياضيات ، والفلك ، أو كتب علوم الأوائل عموما ، كما كان القدماء يقولون فإنها مستثناة من الوقف ، وقد عبر عن هذا الرأي صراحة عدد آخر من الفقهاء ، بل أفتى بعضهم بإحراق هذه الكتب فضلا عن وقفها[٥] .

وبالإضافة إلى كتب الأوائل نص الفقهاء على أن كتب التوراة والأناجيل لا توقف ، لأن وقفها يتنافى مع الغاية المثلى التي ترمي إليها هذه الظاهرة الدينية وبالتالي لأنها مبدلة ومنسوخة[٦] .

---

(٥) ابن أبي عامر حاجب المؤيد بالله الأندلسي أحرق كتب الأوائل باستثناء كتب الطب والرياضيات التي يحتاجها المسلمون ، ولاتتدخل بطبيعتها في علوم الشرع . أما الماوردي فيعد الفلك والفلسفة علمين محرمين ، لأنها يتعارضان مع المبادئ القرآنية .

(٦) اكتفى بعضهم بأنها مبدلة ولا يقول منسوخة ، لأن تلاوة المنسوخ من كتب الله وآياته ليس بمعصية ، فإن في القرآن منسوخا يتلى ويكتب كغير المنسوخ . وعلى الرغم من موقف الفقهاء من وقف كتب هذه الديانات فإن الخزانات العربية في المشرق الاسلامي ومغربه ملأى بهذه الكتب . كان الخلفاء يقبلون هذه الكتب هدايا ، ويضعونها في خزائنهم . وقد أهدى المستشرق الهولندي اربانيوس Erpenius إنجيلاً بالعربية للخليفة السعدي زيدان الذي قبله ووضعه في خزانته التي آلت كما نعلم إلى الاسكوريال بإسبانيا :

انظر De Castries : Sihm. 1ereseue Pays-Bas. III. P.359.

وانظر كذلك Deverdun : Marrakech des Origines à 1912. t1 P. 435

امتد الخلاف حول هذه الظاهرة نحو قرنين من الزمان قبل أن يقبل جمهور الفقهاء بوقف الكتب عموما ، ومع ذلك لا يتوانى هؤلاء الفقهاء في أن يشيروا في كتبهم الفقهية إشارات قد توحي دائما بالاضطراب والتشكك وعدم الاطمئنان ، فأحدُ المتأخرين من المالكية وهو الدسوقي المتوفَّى عام ١٢٣٠ هـ يقول في الجزء الرابع من حاشيته على الشرح الكبير للخرشي : « والكتب يصح وقفها على المذهب فهي مما فيه الخلاف ، وذلك عندنا جارٍ في كل منقول ، وإن كان المعتمد الصحة . »[٧] .

أما في المغرب فإن الخلاف بين الفقهاء لم يقم حول ظاهرة وقف الكتب لأنها أصبحت من المسلمات ، بل كان الخلاف قائما حول وضعية الكتب الموقوفة نفسها ، الشيء الذي أدى إلى صدور فتاوى متعلقة بهذه الظاهرة ، وجمعها في كتب النوازل كالتي يضمها الجزء السابع من كتاب المعيار المعرب للونشريسي .

ولئن كنت أريد أن أتحدث عن بداية هذه الظاهرة في المغرب ، إنني لا أستطيع ذلك ، لأن مصادر تراثنا المغربي لا تفصح عن ذلك كل الافصاح . يقول الانصاري في حديثه عن خزائن الكتب بمدينة سبتة « وكان منها [الخزانات] في زماننا [القرن الثامن الهجري] سبع عشرة خزانة ، تسعٌ بدور الفقهاء والصدور كبني القاضي الحضرمي ، وبني أبي حجة ، وأشباههم ، وثمانٍ موقفةٌ على طلاب العلم ، أقدمُها الخزانةُ الشهيرة ذات الأصول العتيقة والمؤلفات الغريبة : خزانة الشيخ أبي الحسن الشّاري المذكور التي بالمدرسة المنسوبة إليه التي ابتناها من ماله وهي أول خزانة

---

(٧) حاشية الشرح الكبير ٤ : ٧٧ .

وقفت بالمغرب على أهل العلم نفعه الله بها . »[٨] فمعنى الوقف في هذه الفقرة غير واضح لأنه يمكن أن يفهم منه أن هذه الخزائن الموقفة على طلاب العلم هي خزائن يرتادها عامة الناس ، وإن فرضنا أن الوقف هنا جاء بمعناه الفقهي فأقدمُ خزانة تكون قد وقفت حسب هذا النص ، تعود الى العهد الموحدي الذي هو عصر أبي الحسن الشّاري الغافقي (٥٧١ ـ ٦٤٩ هـ) . وهناك نص آخر في القرطاس لابن أبي زرع عن القرويين يمكن أن يستفاد منه أن هذه الظاهرة كانت معروفة في المغرب منذ العهد المرابطي[٩] .

أما الكتب الموقوفة التي لا تزال مصونة بخزاناتنا المغربية فإن أقدمها يرجع إلى العهد الموحدي : مثل كتاب الانجاد لابن أصبع وكتاب التمهيد لابن عبد البر اللذين وقفها الخليفةُ الموحدي عمر المرتضى في القرن السابع الهجري على خزانة مدرسة القصبة بمراكش . والمخطوطان معا من محفوظات خزانة ابن يوسف بمراكش .

والمرجح عندنا أن وقف الكتب قديم في المغرب ، فقد ثبت أن خلفاء بني أمية بالأندلس ، وعلى الأخص منهم عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر صاحب الخزانة المشهورة كانوا يرسلون مجموعات من الكتب لاغناء خزانةِ القرويين ونشر العلم بحاضرة فاس ، والطابعُ العام الذي كانت تتسم به هذه المكتبة يحملنا على الاعتقاد بأن الكتب المهداة من طرف الخليفتين كانت في إطار الوقف . ولهذا يحتمل أن يكون وقف الكتب في المغرب أقدم مما كان يظن[١٠] .

(٨) الانصاري : اختصار الاخبار ص ١٤٥ ، في : Héspéris t. XII. 1931

(٩) ابن أبي زرع : القرطاس ص ٤٣ .

(١٠) يوجد بخزانة القرويين : شرح الفصوص في صناعة الطب للفارابي ، نسخ للناصر الاموي بقرطبة بالاندلس . وتسخ المختصر لابي مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري لخزانة الخليفة الأموي الحكم المستنصر . انظر : عبد الهادي التازي : جامع القرويين ١ : ١٢٤ .

بعد هذا المدخل التاريخي الوجيز عن ظهور هذه الظاهرة في المشرق ، وبالتالي في المغرب ، أنتقل إلى الحديث بشيء من التفصيل عن تطور وقف الكتب وبناء الوقفيات في الخزانات المغربية انطلاقا من وقفية مغربية تم اختيارها لانها تمكننا من إبراز جميع جوانب هذه الظاهرة في المغرب . ووقفيتُنا المختارة هي وقفية ابن خلدون التي بتها في الجزء الخامس من كتاب العبر الذي حبسه على خزانات القرويين في نهاية القرن الهجري الثامن . ولم يبق من هذه النسخة الموقوفة الا الجزآن الثالث والخامس الذي يحمل نص الوقفية . وقد بقيت النسخة كاملة بالخزانة المذكورة حتى القرن الحادي عشر الهجري حيث يذكرها أحمد المقري في نفح الطيب بقوله : « ورأيته بفاس وعليه خطه في ثماني مجلدات كبار جدا وقد عرف في آخره بنفسه وأطال » .(١١) .

وربما بقي الكتاب كاملا بهذه الخزانة حتى القرن التاسع عشر الميلادي بحيث يستفاد من بحث العالم السويدي « دي حمصو » (di Hemso) الذي كان قنصلا لبلاده بطنجة في بدء القرن الماضي(١٢) أن هناك نسخة كاملة من كتاب العبر لابن خلدون عليها خطه(١٣) ولما وضع

(١١) احمد المقري : نفح الطيب ٦ : ١٩١ (ط . دار صادر) . نسخة العبر تتكون من سبعة أجزاء ، أما الجزء الثامن المذكور في نص المقري فهو الذي خص به ابن خلدون نفسه ، والمسمى رحلة ابن خلدون شرقا وغربا ، وقد حقق منذ بدء الخمسينات بعناية المرحوم محمد بن تاويت الطنجي .

(١٢) كان دي حمصو di Hemso من أكبر علماء السويد ، يتقن عددا من اللغات ، منها الفرنسية والانكليزية والايطالية ، كما كان عضواً في عدد من الاكاديميات من بينها الاكاديمية الفرنسية (Inscriptions et Belles Lettres) وكانت له خزانة كتب مهمة تضم أربعة آلاف كتاب مطبوع (4000) وثلاثمائة (300) مخطوط ، من بينها خمسون مخطوطا عربيا .

(١٣) انظر : Account Of The Great historical Work of the African philosopher Ibn Khaldun. Di Hemso. P.5 1833

العالمان « الفرد بيل » (Alfred Bel) والشيخ عبد الحي الكتاني أول فهرست لخزانة القرويين عام ١٩١٨ لم يذكرا فيه إلا الجزأين الثالث والخامس . فيحتمل إذاً أن تكون الأجزاء الأخرى قد ضاعت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . ونسخةُ العبر الموقوفة هذه على خزانة القرويين نسخها مصري يدعى عبد الله بن حسن ولد الفاخوري . وهذه النسبة معروفة في مصر حسب المستشرق ليفي بروفنسال[١٤] .

أما نص الوقفية فقد كتبه العدلان المذكور اسماهما في آخره من إملاء ابن خلدون نفسه . وفي أسفل الورقة شهادة ابن خلدون وتصحيحه للوقف بخط يمينه . وكتب في أعلى الورقة عبارة الشيخ عبد الحي الكتاني التالية : طالع فيه مستعيره محمد عبد الحي الكتاني عافاه مولاه .

وقد تم اختيارنا لهذه الوقفية لأنها من أقدم الوقفيات المغربية ومن أكثرها استيفاء لأركان وشروط الوقف .

نص وقفية ابن خلدون☆

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه .

---

(١٤) ليفي بروفنسال : الصحيفة الأسيوية (Journal asiatique) ١٩٢٣ ، حسب الجزأين الباقيين فإن النسخة التي حبسها ابن خلدون على القرويين توافق النسخة التي طبعت بمطبعة بولاق عام ١٨٦٨ م . وهي منسوخة عن الأصل لأنه جاء في الورقة الأخيرة ما نصه : « من الأصل المعتمد لمؤلفه » .

☆ اسم الناسخ لهذه الوقفية : عبد الله بن حسن ولد الفاخوري . والخط المكتوب به من طرف ابن خلدون خط مغربي يظهر للعين لأول وهلة .

وقد تفضل المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال (Levi-ProvenÇal) فنقل نص هذه الوقفية إلى اللغة الفرنسية : انظر مجلة الصحيفة الأسيوية (Journal asiatique) ١٩٢٣ .

وقف وحبس وسبل وأبد وحرم وتصدق سيدنا ومولانا العبد الفقير إلى الله تعالى الشيخ الامام العالم العلامة الحافظ المحقق أوحد عصره وفريد دهره قاضي القضاة ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن الشيخ الامام أبي عبد الله محمد بن خلدون الحضرمي المالكي ، أمتع الله المسلمين بحياته ، ونفعهم بعلومه وبركاته ، وهو مؤلف هذا الكتاب ، جميع هذا الكتاب المسمّى بكتاب العبر في أخبار العرب والعجم والبربر المشتمل على سبعة أسفار هذا أحدها وقفاً مرعياً وحبساً مرضياً على طلبة العلم الشريف بمدينة فاس المحروسة قاعدة بلاد المغرب الاقصى ، ينتفعون بذلك قراءة ومطالعة ونسخاً ، وجعل مقره بخزانة الكتب التي بجامع القرويين من فاس المحروسة بحيث لا يخرج حَرَمَها الا لثقة أمين ، بِرَهْنٍ وثيق لحفظ صحته ، وأن لا يمكث عند مستعيره أكثر من شهرين وهي المدة التي تتسع لنسخ الكتاب المستعار أو مطالعته ثم يعاد الى موضعه ، وجعل النظر في ذلك لمن له النظر على خزانة الكتب المذكورة . وقف لله على الوجه المذكور لوجه الله الكريم وطلب لثوابه الجسيم يوم يجزي الله المتصدقين ، ولا يضيع أجر المحسنين ، وأشهد عليه بذلك في اليوم المبارك الحادي والعشرين لشهر صفر المبارك عام تسعة وتسعين وسبعمائة حسبنا الله ونعم الوكيل .

أشهدني سيدنا ومولانا العبد الفقير إلى الله تعالى قاضي القضاة ولي الدين الواقف المسمى فيه أمامه لله تعالى على نيته الكريمة بما نسب إليه فيه وتشهدت عليه به في تاريخه ، وكتبه أحمد

أشهدني سيدنا ومولانا العبد الفقير الى الله تعالى الشيخ الامام العالم العامل العلامة قاضي القضاة بما نسب إليه أعلاه ، أمتع الله تعالى به وتشهدت عليه بذلك ، وكتبه محمد بن محمد بن أحمد بن أبي القاسم

بن علي بن اسماعيـــــل المـــــــالكي

الحمد لله ، المنسوب إليّ صحيح

وكتب عبد الرحمن بن محمد بن خلدون

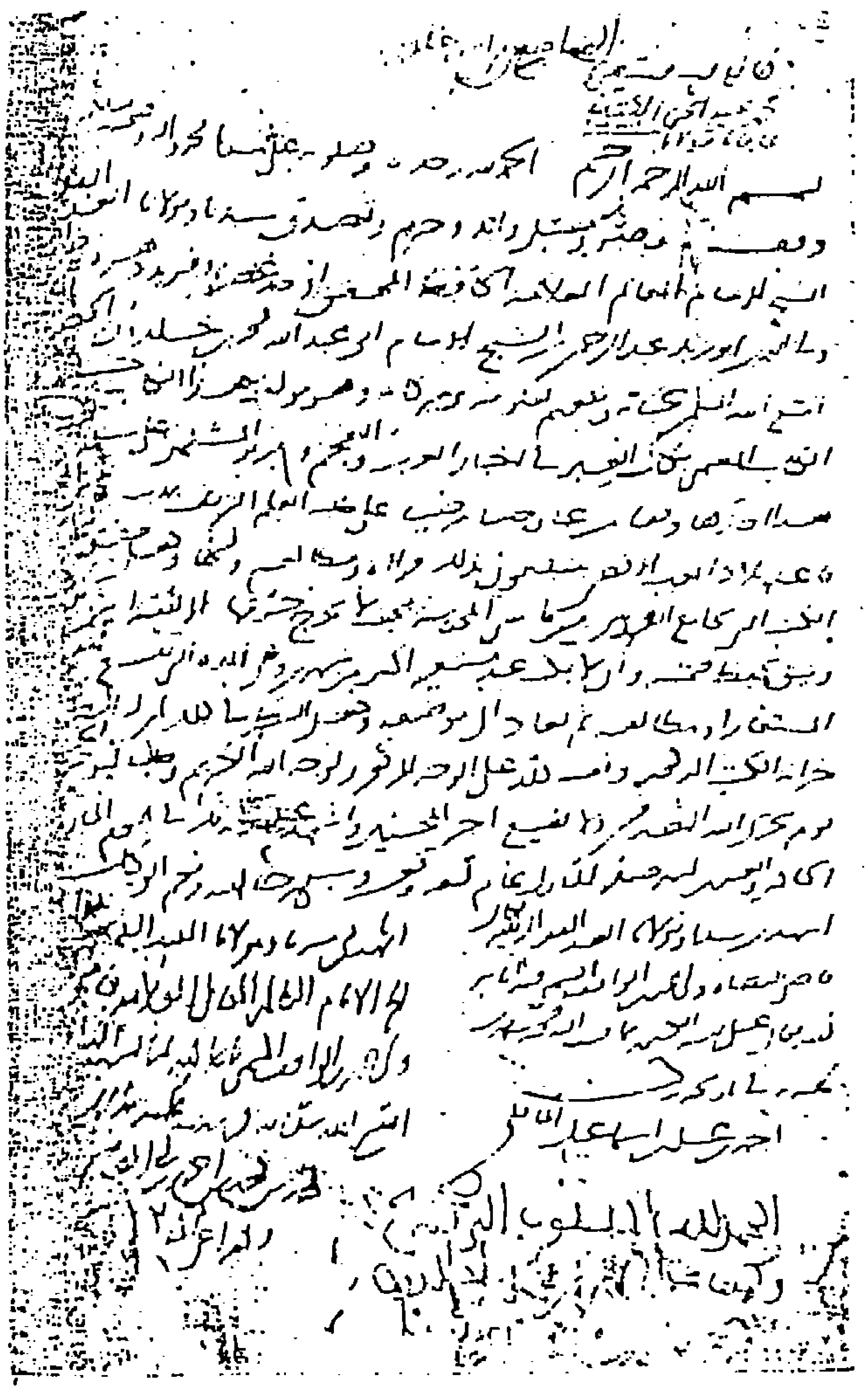

صورة نص الوقفية من الجزء الخامس من كتاب العبر.

البسملة والتصلية

وقف وحبس وسبل وأبد وحرم وتصدق

استخدم ابن خلدون ستة أفعال مترادفة كلها تدل على معنى الوقف ، وأعتقدُ أن السبب في هذا التعدد هو الخلاف بين الفقهاء في صيغة الوقف . فالجمهور يرى أن الوقف يتحقق بلفظ « وقف » ، واختلفوا في صحته بالألفاظ الأخرى كحبس وسبل وغيرهما ، منهم من أجازه ومنهم من منعه . ويعتقد بعض المحدثين أن الوقف يتم بكل لفظ يدل عليه حتى باللغة الاجنبية ، لان الألفاظ وسيلة للتعبير ، وليست غاية في نفسها[١٥] . ولهذا بدأ ابن خلدون وقفيته باستعمال فعل الوقف الثلاثي الذي قبله جمهور الفقهاء للتعبير عن صيغة الوقف . ولم يستعمل « أوقف » الرباعي لأنه لغة رديئة باتفاق معاجم العربية[١٦] . كما أنه لم يستعمل « وقف » بالتشديد لأنه غير وارد في الاستعمال المجازي لهذا الفعل[١٧] .

ثم قال و « حبس » بتشديد الباء وهو الصحيح عند علماء اللغة ولم يستعمل « أحبس » مع أنه صحيح كذلك ، غير أن استعماله نادر كما أنه لم يستخدم « حبس » الثلاثي ، لأن استعماله رديء حسب علماء اللغة :

---

(١٥) محمد جواد مغنية : الفقه على المذاهب الخمسة ص ٥٩٠ ط ١٩٧٧ .

(١٦) يلاحظ أن عدداً كبيرا من الوقفيات التي وقفت ، تستعمل « أوقف » الرباعي ، كما يلاحظ أن بعض كتب التراث كنفح الطيب للمقري تستعمله في شكله الرباعي .

(١٧) لاحظت « وقف » بالتشديد في كتابات المستشرقين : استعمله ليفي بروفنسال في « اختصار الأخبار » للانصاري الذي حققه كما استعمله دوزي Dozy في ملحقه على المعاجم العربية (مادة وقف) . وأعتقد أن استعمال وقف بالتشديد هو استعمال عامي ، وربما لهذا السبب استعمله المستشرقون .

يقول الزبيدي في تاج العروس : « الفصيح أحبس وحبّس ، وحبسه مخففا لغة رديئة »[١٨] .

والسبب في استعمال ابن خلدون للفظ التحبيس يرجع في رأيي الى أن الكلمة حديثية : قال عليه الصلاة والسلام لابن الخطاب رضي الله عنه لما سأله عما يصنع بالارض التي أخذها بعد خيبر : « حبس الأصل وسبل الثمرة » ومصطلح التحبيس هو المستعمل في كتب الفقه المالكي ، وابن خلدون مالكي المذهب : وأعتقد أن السبب في استعمال كلمة التحبيس عند المالكية يرجع إلى أن علماء هذا المذهب يقولون بالوقف الموقت بمعنى أن الشيء الموقوف محبوس صاحبه عن التمتع به لمدة معينة مع احتفاظه بملكية الشيء الموقوف فهو تحبيس فقط ، أما إذا كان الموقوف مؤبداً فتخرج الملكية عن الواقف ، ويسمى وقفا وليس تحبيسا ، ولهذا نلاحظ أن كلمة التحبيس هي المستعملة في الدول الاسلامية التي ساد فيها المذهب المالكي كالغرب الاسلامي وافريقية .

كما نلاحظ كذلك أن الكلمة دخلت اللغة الفرنسية[١٩] وأخذت مكانها في المعاجم[٢٠] والسبب في اعتقادي يرجع إلى أن الفرنسيين لما تمت لهم السيادة على الدول العربية في شمال افريقية ، وجدوهم يستعملون كلمة

---

(١٨) تاج العروس : مادة حبس .

(١٩) حبس = Habous , Hobous

الموقوف عليه = Habousant

الموقوف = Habousé

(٢٠) انظر :

- La Grande encyclopédie: art.Habous
- Grand Larousse encyclopédique
- Nouveau larousse illustré.

التحبيس فاستعملوها في مؤلفاتهم[٢١] .

ثم قال : « وسبل »

والتسبيل هو التصدق في سبيل الله ، ولقد حرص ابن خلدون على استعمالها مرادفاً آخر للوقف ، لأنها كلمة قرآنية اعتمدها بعض الفقهاء في جواز الوقف عموما ، وحديثية لقوله عليه الصلاة والسلام : « حبس الأصل وسبل الثمرة » .

ثم قال : وأبد .

والتأبيد هو التخليد[٢٢] والدوام والاستمرار ، واتفق جمهور الفقهاء على اشتراطه في صيغة الوقف ، الا المالكية فإنهم أجازوا أن يكون الوقف مؤبدا وموقتا[٢٣] . يقول الخرشي : « ولا يشترط في صحة الوقف التأبيد » ، وأعتقد أن استعمال ابن خلدون لفعل التأبيد هو تأكيد لتخليد هذا الوقف ودوامه وألا تراجع فيه كما هو جائز في المذهب الحنفي .

أما التحريم فإنه يمنع الواقف من التمتع بالشيء الموقوف كما يمنع الشيء الموقوف من البيع والهبة والإرث وغيرها . واستعمال فعل « التحريم » في وقفيات الكتب نادر جدا ، ويحرص ابن خلدون على استعماله زيادة في تأكيد عدم التراجع عن الشيء الموقوف .

---

(٢١) أمثال : Milliot; Mercier; clairer وغيرهم . ونلاحظ أن الانكليز الذين تمت لهم السيادة على الشرق قد استعملوا كلمة « وقف » المستعملة في كتب الفقه والقانون عند المشارقة . ودخلت هي بدورها معاجم اللغة الانكليزية حيث نجدها مثلا في المعجم الكبير : Encyclopédia Britanica .

(٢٢) قد نجد في بعض الوقفيات المغربية عوض عبارة « وقف مؤبد » عبارة « وقف مخلد » كما جاء في وقفية الأمير أبي عبد الله الوطاسي المثبتة في نسخة من صحيح البخاري وقفها على خزانة القرويين .

(٢٣) إذا أطلق الواقف صيغة الوقف فإنه يحمل على التأبيد لأنه الأصل في الوقف .

وختم ابن خلدون هذه السلسلة من أفعال الوقف بالتصدق لأن الوقف قبل كل شيء هو نوع من أنواع الصدقات حث الشارع على فعلها تقرباً إلى الله سبحانه .

وابن خلدون يعلم أكثر من غيره ما جاء في مغازي الواقدي عن الحوار الذي دار بين المهاجرين والانصار حول أول صدقة موقوفة في الاسلام ، فقال المهاجرون : صدقة ابن الخطاب رضي الله عنه ، وقال الأنصار : صدقة النبي ﷺ[٢٤] . والمقصود بالصدقة الوقف استدلالاً بقوله عليه الصلاة والسلام من الحديث الشريف الذي رواه الامام مسلم : « صدقة جارية » .

يبدو أن استعمال هذه المترادفات للتعبير عن الوقف من طرف ابن خلدون يدل على تأكيده على استمرارية ودوام ما وقفه من جهة ، وعلى حرصه على إرضاء جميع الاتجاهات الفقهية من جهة أخرى[٢٥] . وتكاد تنفرد وقفية ابن خلدون باستعمال هذا العدد من المترادفات في العالم الاسلامي ، وأغلبُ الوقفيات سواء في المغرب أو في المشرق لا تستعمل أكثر من فعلي الوقف والتحبيس للتعبير عن صيغة الوقف .

وبعد ذكر الصيغة التي هي الركن الأساسي في الوقف[٢٦] ، انتقل ابن خلدون إلى ذكر الركن الثاني وهو اسم الواقف ، ولا يصح الوقف دون ذكره ، وذلك بقوله « سيّدنا ومولانا العبدّ الفقير إلى الله تعالى الشيخ الإمام العالم العلامة ، الحافظ المحقق ، أوحد عصره ، وفريد

---

(٢٤) إن أول صدقة موقوفة أراضي مخيريف التي أوصى بها إلى النبي ﷺ فوقفها النبي ﷺ .

(٢٥) ابن خلدون المالكي يعيش في مصر حيث ملتقى المذاهب الفقهية كلها .

(٢٦) أركان الوقف أربعة : الصيغة ، الواقف ، الموقوف ، الجهة الموقوف عليها .

دهره ، قاضي القضاة ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن ابن خلدون ..... وبركاته » . ثم قال « وهو مؤلف هذا الكتاب المسمى بكتاب العبر في أخبار العرب والعجم والبربر المشتمل على سبعة أسفار هذا أحدها وقفا مرعيا وحبسا مرضيا . » .

بهذه الجملة يذكر ابن خلدون الركن الثالث من أركان الوقف وهو ذكر الشيء الموقوف ، والشيء الموقوف هنا هو كتاب العبر في التاريخ .

أما الركن الرابع وهو الجهة الموقوف عليها فجاء في قوله : « وجعل مقره بخزانة الكتب التي بجامع القرويين من فاس المحروسة » .

فهذه الاركان الاربعة ضرورية في كل وقف وتكفي وحدها لجواز وقف الكتب كما ينص على ذلك الخرشي في شرح مختصر خليل والدسوقي في حاشيته على هذا الشرح[٢٧] ، وكل الوقفيات المغربية التي وقفت عليها تشتمل على الصيغة والواقف والكتاب أو الكتب الموقوفة وأخيرا الجهة الموقوف عليها . ففيما يخص هذا الركن الأخير استخلصتُ من استقرائي لعدد من الوقفيات ولرصيد من كتب التراث العربي بالمغرب أن المغاربة ملوكا وعامة قد دأبوا على وقف الكتب على المؤسسات ذات الصبغة العمومية كالمساجد ، والزوايا ، والمدارس العتيقة ، وخزانات المساجد الجامعة وغيرها . وأقتصر على الأمثلة التالية القليلة : نسخ الخليفةُ الموحدي عمرُ المرتضى قرآناً في عشرة أجزاء ووقفه على خزانة مسجد ابن يوسف بمراكش[٢٨] . وبنى أبو الحسن المريني عددا من المدارس في مختلف

---

(٢٧) الدسوقي : الحاشية ٤ : ٥ .

(٢٨) حتى بداية الاستقلال (١٩٥٦ م) لم يبق فيا أعلم من هذا القرآن الا الأجزاء الرابع والتاسع والعاشر والحادي عشر . ووقفت بالمصادفة على الجزء السابع من هذا القرآن معروضاً بخزانة المتحف البريطاني بلندن . (انظر ما كتبه الأستاذ المنوني عن هذا القرآن بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٩٦٨ م) .

بلاد المغرب وحبس عليها كتبا ، ينص على ذلك ابن مرزوق في كتاب (المسند الصحيح) : « هذا ما حبس في جلها (المدارس) من أعلاق الكتب النفيسة والمصنفات المفيدة فلا جرم كثر بسبب ذلك العلم وعدد أهله وثواب المعلم والمتعلم في ميزان حسناته بلغه الله بذلك[٢٩] وحبس أبو عنان المريني مجموعة من الكتب اختارها من خزانته الخاصة على المدرسة التي بناها بفاس ، ولا تزال الوقفية التي زخرفت على باب هذه المؤسسة ماثلة الى اليوم . أما ما وقفه الملوك السعديون والعلويون ووزراؤهم وعلماؤهم من كتب على مختلف الخزانات المغربية فكثير ، وأكبر عملية وقفية في هذا الاطار تلكم التي قام بها السلطان المولى عبد الله العلوي حينما وزع خزانة جده المولى اسماعيل التي كانت تضم اثني عشر ألف كتاب على خزانات المغرب . ولا يزال بعض كتبها مصونا بخزانة جامع القرويين . ولم يقتصر المغاربة على اختلاف طبقاتهم في اختيار الجهات الموقوف عليها على المؤسسات المغربية بل امتد تحبيسهم الكتب في سبيل الله الى جهة الشرق . يقول المقري في نفح الطيب : كان السلطان أبو الحسن المريني كتب ثلاثة مصاحف شريفة بخطه ، وأرسلها الى المساجد الثلاثة التي تشد اليها الرحال وأوقف عليها أوقافا جليلة ... وقد رأيت أحد المصاحف المذكورة وهو الذي ببيت المقدس وربعته في غاية الصنعة »[٣٠] . وقد أورد ابن الوردي الوقفية بكاملها في الجزء الثاني من تاريخه[٣١] .

---

(٢٩) ابن مرزوق : المسند الصحيح ص ٣٥ في Hespéris ١٩٢٥ حبس أبو الحسن نسخة من كتاب البيان والتحصيل لابن رشد الذي حققه محمد حجي أخيرا ، على خزانة مدرسة عدوة الاندلس عام ٧٢٨ هـ . ولا يزال هذا المخطوط الذي نسخ على رق الغزال محفوظا بخزانة القرويين بفاس .

(٣٠) المقري : نفح الطيب ٤ : ٣٩٩ .

(٣١) ابن الوردي : التاريخ ٢ : ٣٨٤ .

ويروي الشيخ محمد عبد الحي الكتاني في كتابه المخطوط (المكتبات الاسلامية)[٣٢] ، أن السلطان العلوي المولى عبد الله بن اسماعيل وقف ثلاثة وعشرين مصحفاً على المسجد النبوي بالمدينة المنورة ، يوجد من بينها المصحفُ الذي نسخه عقبة بن نافع من مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنهما[٣٣] .

وبالاضافة الى المؤسسات العلمية سواء في المغرب أو في المشرق فان المغاربة قد حبسوا الكتب على الأسر والعلماء . بعد وفاة العالم الكبير محمد بن عبد السلام الفاسي ١٢١٤ هـ اشترى السلطان المولى سليمان العلوي خزانته وحبسها على أولاده . وجاء في الوقفية المثبتة على الورقة الأولى من كتاب تفسير الجلالين بتصحيح السلطان أن الخزانة تنتقل الى أحباس خزانة القرويين بعد انقراض جميع أفراد أسرة هذا العالم . وهذا اللون من الوقف يطلق عليه الفقهاء الوقف المعقب[٣٤] .

بعد استيفاء الأركان الأربعة في الوقفية انتقل ابن خلدون الى وضع الشروط التي يشترطها الواقف ، والتي يجب أن تطبق تطبيقا كاملا ، ولا يجوز مخالفتها الا لضرورة ، أو لحاجة لأنها ترجمان ارادته وقصده . يقول الفقهاء : « شرط الواقف كنص الشارع[٣٥] » بمعنى أن ألفاظ الواقف كألفاظ الشارع في وجوب الاتباع دون تغيير ولا تأويل . يقول ابن

---

(٣٢) عبد الحي الكتاني : المكتبات الاسلامية ـ مخطوط الخزانة العامة بالرباط : رقم ٣٠٠٢٥ ص ٢٣ .

(٣٣) حبس الخليفة المريني أبو يعقوب يوسف مصحفاً على مكة المكرمة عام ٧٠٣ هـ .

(٣٤) العابد الفاسي : الخزانة العلمية ص ٥٧ .

(٣٥) اختلف الفقهاء في هذه العبارة : يقول الحنابلة : شرط الواقف كنص الشارع في الفهم والدلالةلا في وجوب العمل به واتباعه .

خلدون : « وقفا مرعيا وحبسا مرضيا على طلبة العلم الشريف بمدينة فاس المحروسة » .

يستفاد من هذه العبارة أن الواقف فسح المجال لكل الطلبة الموجودين بفاس لا لطلبة جامع القرويين فقط لأنه يعلم أن للفقهاء آراء متباينة في هذه القضية ، فلو خص بتحبيسه طلبة القرويين لما أمكن غيرهم من طلاب المؤسسات العلمية الأخرى بفاس القراءةُ والاستفادة من الكتاب المحبس : يقول ابن عابدين : اذا وقف مصحف على مسجد معين ، لا جامع ، فلا يقرأ فيه الا سكان الحي ، واذا وقفت كتب على مدرسة لا يقرأ فيها الا طلبة المدرسة[٣٦] . فان كان ابن خلدون قد وقف كتاب العبر على مؤسسة معينة هي خزانة القرويين فانه تلافياً لتأويلات الفقهاء ، قد سمح لكل طلبة فاس بل حتى الطلبة الذين يفدون على فاس قاعدة بلاد المغرب الأقصى كما يقول أن ينتفعوا به . وتخصيصُ ابن خلدون طلبةَ العِلْمِ بتحبيسه يستفاد منه منع المتفقهين ودعاة العلم من الاستفادة من الكتاب . وهذه الظاهرة معروفة في الوقفيات الشرقية ، فلو قال : وقفا مؤبدا على جميع المسلمين كما يصنع بعض الواقفين ، دفعاً لكل التباس وتأويل ، لأمكن لكل الناس قراءة الكتاب بما في ذلك المتفقهون ودعاة العلم . والملاحظ أن مثل هذه العبارة التي تخص جميع المسلمين تكون غالباً في المصاحف الموقوفة . أما عبارة طلبة العلم فتخص في الغالب الأعم خزانات المدارس أو الزوايا أو المساجد الجامعة كالقرويين بفاس ، وابن يوسف بمراكش .

ثم قال : « ينتفعون بذلك قراءةً ومطالعةً ونسخا » .

---

(٣٦) الحاشية ٣ : ٢٨٧ .

يسمح ابن خلدون بقراءة الكتاب ومطالعته ونسخه ، فلو قال ينتفعون بذلك قراءة ومطالعة ، وسكت عن النسخ لما وجب أن ينسخ الكتاب ، جاء في المعيار للونشريسي أن الفقيه أحمد القباب سئل عن وقفية اشترط فيها الواقف أن يقرأ كتابه ويطالع فقط ولم يذكر النسخ فهل يجوز نسخه . قال : اذا لم تذكر الوقفية النسخ فلا ينسخ الكتاب .. ثم أضاف : إن القاضي ابن رشد الجد ألقي عليه نفس السؤال فكان الجواب ما قلت(٣٧) .

وعلى الرغم من موقف العالمين المالكيين الجليلين فان جمهور الفقهاء يرى امكانية نسخ المخطوطات الموقوفة(٣٨) .

ويستمر ابن خلدون في وضع شروطه قائلا : « ... ولا يخرج حرمها الا لثقة أمين ، برهن وثيق يحفظ صحته وألا يمكث عند مستعيره أكثر من شهرين وهي المدة التي تتسع لنسخ الكتاب المستعار أو مطالعته ثم يعاد الى موضعه » .

العادة في الكتب الموقوفة أنها لا تخرج من الجهة الموقوف عليها ولا تعار ، وعدد كبير من الوقفيات تشتمل ضمن شروطها على عبارة منع الخروج والاعارة ، زيادة في التأكيد(٣٩) ، وذلك من أجل الحفاظ عليها

---

(٣٧) الونشريسي : المعيار المعرب ٧ : ٣٧ .

(٣٨) يمكننا أن نتساءل عن الأسباب التي تدعو الواقفين الى عدم السماح بالنسخ ، الشيء الذي يبعدنا قليلا عن الموضوع . انظر ابن حجر : لسان الميزان ١ : ١٦٣ [ليس في الموضع المذكور من لسان الميزان شيء يتصل بالمسألة التي عرض لها الأستاذ الباحث / المجلة] .

(٣٩) يأتي التعبير عن منع الخروج بصيغ أخرى ، كما جاء في وقفية الجامع الكبير للسيوطي الذي حبسه المنصور الذهبي على خزانة القرويين : قال : « لا يقرأ الا في قاعة المطالعة بالخزانة المذكورة .. » .

ليستفيد الناس منها عوض استغلالها من طرف انسان واحد (biblio Faphie) ، وكم عانت المكتبة العربية عموما من هذه الآفة التي بددت الكثير من مصادر تراثنا ، فالقدماء كانوا دائما يتمثلون بقول الشاعر :

لا تعيرنْ ما حييتَ كتاباً واجعل الصمت إن سئلت جوابا
كم صديق أعرته من كتاب أفسد الود ان طلبت الكتابا

وعلى الرغم من العواقب التي تتسبب فيها هذه الآفة فإن بعض الواقفين من العلماء ، رغبةً في نشر العلم ، يسمحون باعارة كتبهم التي وقفوها كما صنع ابن خلدون في وقفيته هذه ، ولكنه حِفاظاً على صحة الكتاب ، اشترط شروطا لذلك :

١ ـ يعار الكتاب لثقةٍ أمين ، ويقصد عالما معروفا بصدقه وأمانته .

٢ ـ على الرغم من الصفات الحميدة التي يجب أن يتحلى بها هذا العالم المستعير للكتاب فلا بد له من وضع رهن بالخزانة (كتاب أو مال يكون له قيمة الكتاب الموقوف[٤٠]) .

٣ ـ لاينبغي أن تتجاوز مدة اعارته شهرين ، وهي المدة التي يرى ابن خلدون أنها تكفي لنسخه أو مطالعته .

هذه هي الشروط التي تتوفر عليها وقفية ابن خلدون ، أما الوقفيات المغربية فهي بدورها تتضمن الشروط نفسها ، أو تختلف عنها قليلا . فبعض الواقفين مثلا يسمح باعارة الكتاب ، ويشترط على المستعير أن يقرأ آيات قرآنية معينة ترحماً عليه وعلى والديه ، وربما على المسلمين جميعا . واحترامُ شروط الواقف واجب باتفاق الفقهاء ولم تتميز الوقفية

---

(٤٠) قد يحدث أن الواقفين الذين يشترطون الرهن في مقابل الاعارة يخصون به الأغنياء فقط ويستثنون الفقراء الثقات . وقد يسمح الواقفون بخروج الكتاب الموقوف بدون رهن كما صنع السلطان العلوي المولى عبد الحفيظ في وقفياته .

العربية وحدها بهذه الظاهرة بل الواقفون في أوربا[٤١] سواء في العصر الوسيط أو في العصر الحديث يشترطون شروطا ، وتطبق بالحرف مع وجود بعض الخلاف ، فالوقفية العربية شرقية كانت أم مغربية تشتمل على شروط الواقف ، وتكتب على ورقة من أوراق المخطوط[٤٢] ، أما الهبةُ أو الوصية عند الأوروبيين اذا كانت مخطوطا لا تينياً واحدا فلا تضم أبداً شروطاً بل تقتصر على ذكر الجهة المهداة اليها[٤٣] . أما اذا كانت الهبة مجموعة من الكتب فإنها تأخذ طابعا قانونيا ، ويكتب عقدٌ يضم شروط الواهب أو الموصي[٤٤] . وهذه الطريقةُ الوسيط لا تزال تطبق اليوم في الخزائن الأوربية بحيث تحترم شروط الواهب . فالكاتب الفرنسي أنتول فرانس Antole France - بين عدد كبير من العلماء الذين وهبوا مكتباتهم الى المؤسسات العلمية الفرنسية - قد أهدى خزانته الخاصة الى المكتبة الوطنية بباريز ، واشترط ألا توزع ، وألا تخضع للترقيم العام الداخلي لهذه المكتبة ، وتبقى مجموعة وترقم ترقيما خاصاً . وبالفعل قبل شرطه ودخلت الكتب الخزانة المذكورة وأصبحت تشكل مجموعة خاصة بذاتها ، يقال لها مجموعة انتول فرانس (Fonds Anatole France) كما يقال مجموعة باريس (Fonds Barrès) وغيرها .

---

(٤١) ليس عندهم وقف ولكن عندهم الهبة (ex-dono) اذا تمت العملية في حياة الواقف أو الوصية (legs) اذا كانت بعد وفاته .

(٤٢) بعض الوقفيات لا تحمل شروطا .

(٤٣) المخطوطات التي أهديت الى خزانة جامعة الصوربون تحتوي بالاضافة الى أركان الوقف على ثمن الكتاب ، (انظر Histoire Générale de Paris., (3 vol. 186874 Collection de documents: Leopold Delisle .

(٤٤) هذه الظاهرة معروفة في الشرق بحيث يسجل الوقف عند قاضي البلد ، ويكتب عقد يضم جميع الشروط .

ثم قال [ابن خلدون] : « وجعل النظر في ذلك لمن له النظر على خزانة الكتب المذكورة » .

بهذه العبارة تتعرض الوقفية لقضية التسليم وهو ما يسمى عند الفقهاء بالقبض[٤٥] وهو بالاضافة الى الحوز أو الحيازة ضروري لتمام الوقف ولزومه عند المالكية[٤٦] . فتسليم كتاب العبر قد تم بالنيابة ، لأن ابن خلدون كان مستقراً بالقاهرة حيث يتضح ذلك في مقدمة كتابه « المقدمة » حين قال : « أتحفت بهذه النسخة خزانة مولانا السلطان أبي فارس عبد العزيز المريني ... وبعثته الى خزانتهم الموقفة لطلبة العلم بجامع القرويين من مدينة فاس حاضرة ملكهم وكرسي سلطانهم ... »[٤٧] .

والتسليم بالنيابة معروف في تاريخ الخزانات المغربية بحيث كان الخلفاء والملوك وهم أكثر الناس وقفا للكتب ينيبون عنهم الوزراء والقضاة أو الأدباء والفقهاء ورجال الحاشية لتسليم الوقف . فالسلطان محمد بن عبد الله وقف مجموعة من الكتب على المسجد الكبير بطنجة ، وأناب عنه في ذلك القاضي آيت التايدي والناظر مفرج[٤٨] . واناب عنه الفقيه العلامة سيدي عبد العزيز بن حمزة لتسليم كتاب شرح الحطّاب في ثمانية أجزاء على خزانة ضريح أبي العباس السبتي ، كما جاء في وقفية هذا الكتاب[٤٩] . وكذلك فعل السلطان المولى سليمان العلوي حين أناب عنه

---

(٤٥) القبض هو أن يتخلى الواقف عن الشيء الموقوف .

(٤٦) أغلب الوقفيات المغربية تشتمل على العبارة التالية : « وبسط (الواقف) يد قيم الخزانة على حوزه فحازه » وهي عبارة تدل على القبض والحيازة .

(٤٧) ابن خلدون : مقدمة كتابه « المقدمة » .

(٤٨) Maillard: Bibliothèque de la Grande Mosquée de Tanger. In R.MM t2 P355 Année 1918 .

(٤٩) الخزانة الصبيحية بسلا : المخطوط رقم ٢٣ .

الفقيــه الحبيب بن عبــد الهــادي السجلمـــاسي في تسليم كتـــاب « نسيم الرياض » الذي وقفه على خزانة مسجد الرصيف بفاس[٥٠] .

أما فيما يخص صفة المتولي الـذي تم لـه تسليم كتـاب العبر بـالنيـابة فيستفاد من عبارة الوقفية أنه القيّم ، لأن المصادر تحدثنا بأن أبا عنان لما أقام بناية هـذه الخزانـة عـام ٧٥٠ هـ عين على رأسهـا قيّماً لرعـايتهـا دون الافصاح عن اسمه أو هويتـه . قـال الجزنـائي : « وعيّن لهـا قيا لضبطهـا ومناولة ما فيها »[٥١] .

وقد جرت العـادة في تـاريخ الخزانـات المغربيـة أن الكتب الموقوفة على المؤسسات العلمية تسلم للقيم مباشرة ، بخلاف المصاحف وبعض الكتب الدينيـة التي توقف على المساجد ، فانها تسلم لناظر الأحباس . أمـا الملوك فيسلمون الكتب الموقـوفـة للقيمين وللقضـاة لأنهم كانـوا يكلفـونهم في نفس الوقت السهر على العناية بـالخزانـات ، ومراقبـة المسؤولين عنهـا كالنظـار والأمنـاء . فـالسلطـانُ المـولى عبــد الرحمن العلـوي كلف القــاضي عبــد الهادي بن عبد الله التهامي العلوي مساعدة قيم خزانة القرويين . وكذلك فعل السلطـان الحسن الأول (١٨٩٤ م) حينـا أرسل ظهيرين الى قـاضي فـاس محمـد العلـوي المـدغري وحميـد بنـاني يحثهما فيهما على مسـانـدة القيم والناظر في اصلاح خزانة القرويين[٥٢] .

---

(٥٠) العابد الفاسي : الخزانة العلمية ص ٦٥ .

(٥١) الجزنائي : جنى زهرة الآس ص ٧٦ .

(٥٢) العابد الفاسي : الخزانة العلميـة ، ص ٧١ الخليفـة أحمد المنصور الـذهبي السعـدي يسلم القـاضي نـسخـة من الجـامع الكبير للسيوطي في ستـة أجزاء حبسهـا على خـزانـة جـامـع القرويين .

انظر فهرس خزانة جامع القرويين لمحمد العابد الفاسي .

ثم تقول وقفية ابن خلدون : « وقف على الوجه المذكور لوجه الله الكريم وطلب لثوابه الجسيم يوم يجزي الله المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين » .

هنا يشير ابن خلدون الى الغاية التي من أجلها وقف هذا الكتاب وهي ابتغاء مرضاة الله ، ورجاء ثوابه الكبير . وهذه هي الغاية القصوى التي يهدف اليها كل واقف . ويختم ابن خلدون وقفيته بعبارة الاشهاد وتصحيح الوقف على غرار الوقفيات المغربية ، فقال : « وأشهد عليه ذلك » بمعنى أنه كان حاضرا وشاهدا على ما كتب .

والاشهادُ في الوقف هو اشهاد عادي بسيط أو اشهاد رسمي بحضور عدلين . فالاشهاد الأول هو أن يشهد انسان أن كتاباً أو مجموعة من الكتب وقفها صاحبها بحضوره على مؤسسة معينة ، وعدد الأشهاد غير محصور ابتداء من شاهد واحد الى أربعة أو خمسة شهود ، ويمكن للواقف أن يستغني عن الاشهاد ، والكتب التي يشهد على وقفها تكون في الغالب الأعم من الكتب المهمة والنادرة ، كما ينبغي أن يختار الشهود من الفقهاء والعلماء أو من عِلْيَة القوم .

أما الاشهاد الرسمي فيتم بحضور عدلين لاثبات أصالة الوقف ومشروعيته ، كما جاء في وقفية ابن خلدون هذه ، حيث يشهد عدلان هما : أحمد بن علي بن اسماعيل المالكي ومحمد بن محمد بن أحمد بن أبي القاسم . وقد وردت وقفيات باشهاد عدل واحد[٥٣] .

كما وردت وقفيات أخرى بدون اشهاد عدلي تماما فتكون عبارةً عن وقف استرعائي ، بمعنى أن الاشهاد قد تم عند قاضي البلد ، ويقتصر في

(٥٣) حبس الوزير المريني الطريفي كتاب « الملتقى » على المسجد الجديد بفاس ، وتشتمل الوقفية على اشهاد عدل واحد ... والمخطوط محفوظ بخزانة القرويين تحت رقم ١٧٢ .

الوقفية المكتوبة في الكتاب الموقوف على ذكر الأركان الأساسية في الوقف ، وغالباً ما يحصل هذا بالنسبة للكتب التي يقفها الملوك ، فيكلفان القضاة بهذا العمل . أما ابن خلدون فقد حرص على اعطاء وقفه أكثر ما يمكن من الاثبات والمشروعية ، وذلك باحضار عدلين . ويذيل شهادتها بشهادته الخاصة لتصحيح ما كتب واثباته ، فسطرت يمينه على أسفل الورقة ما نصه : « المنسوب اليّ صحيح ، وكتب عبد الرحمن بن محمد بن خلدون » .

ويلاحظ على اشهاد ابن خلدون لتصحيح الوقف شيئان :

١ ـ لم يقل ابن خلدون : أشهد للتعبير عن الشهادة ، بل اقتصر على عبارةٍ تدل على الاشهاد كقوله المنسوب اليّ صحيح ، وهذا جائزٌ عند المالكية(٥٤) ، فهم لا يشترطون لأداء الشهادة لفظاً معيناً ، فيكفي فيها كل صيغة تدل على علم الشاهد بها كما فعل ابن خلدون ، أما باقي المذاهب فانها لا تجيز غير لفظ : أشهد للتعبير عن الشهادة .

٢ ـ يضع ابن خلدون توقيعه لتصحيح الوقف على أسفل ورقة الوقفية ، اقتداء بالخلفاء المرينيين الذين أهدى اليهم الكتاب ، والذين اعتادوا أن يذيلوا وقفياتهم بتوقيعاتهم الخاصة لاثبات الوقف(٥٥) .

وظاهرة التوقيع على أسفل الوقفية شائع عند المغاربة عموما(٥٦) ،

---

(٥٤) ابن فرحون : تبصرة الحكام ٢ : ٤٣ .

(٥٥) ظاهرة توقيع الخلفاء على وقفيات الكتب معروفة في الشرق : نسخة من كتاب الوافي بالوفيات للصفدي ، محفوظة بإحدى خزانات اصطنبول ، كان قد وقفها الخليفة العثماني سليمان القانوني ، ووضع تصحيح الوقف عليها بيده : أنظر : يوسف العش : Les Bib-

(٥٦) الخليفة الموحدي عمر المرتضى يضع توقيعه على أسفل الوقفية المثبتة في الجزء الأول والرابع من القرآن الذي خطه بيمينه ، وحبسه على خزانة مسجد ابن يوسف بمراكش .

باستثناء الخلفاء السعديين ، فانهم كانوا يضعون تصحيحاتهم على أعلى الورقة . حيث لا تزال بعض الكتب التي وقفوها على الخزانات المغربية شاهدة على ذلك[٥٧] .

وبالاشهاد تنتهي وقفية ابن خلدون كما هو الشأن بالنسبة للوقفية العربية عموما ، أما حجم هذه الوقفية فكان حسب هوى هذا العالم الجليل ، وحسب ما أراد أن تشتمل عليه من شروط وغيرها . ولم يكن أبداً طول أو قصر الوقفيات مقياسا لأهمية الكتاب الموقوف أو لعدم أهميته ، فكم من كتاب مهم اقتصر واقفه على وقفية صغيرة ، وكم من كتاب لم يكن ذا قيمة كبيرة أطال واقفه في الوقفية المثبتة عليه . ولنختم الآن هذا العرض بالحديث عما يمكن أن تؤدي اليه دراسة الوقفيات من خدمة لتاريخ الكتاب ، وبالتالي لما يسمى بالتحقيق العلمي الحديث .

دراسة الوقفيات من الجوانب التي تفيدنا في تاريخ الكتاب تقتضي بداءة الوقوف على هذه الوقفيات ، وحصر المخطوطات التي تحملها في كشاف بيليوغرافي . ومثل هذا الكشاف وغيره ككشاف المخطوطات المؤرخة من العمليات المكتبية التي تفتقر اليها الخزانات العربية عموما . وبعد القيام بهذا العمل الببليوتيكو نومي الأساسي يمكن للكوديكولوجي أو المختص في علم المخطوطات ، والفيلولوجي الباحث في توثيق النصوص ونشرها الاعتماد على وثائق الوقفيات لاثبات تاريخ النصوص المؤرخة ، وتحديد تاريخ غير المؤرخة منها .

وتبحث الوقفيات في هذا الاطار من جانبين : الجانب التاريخي ،

---

(٥٧) تحتضن خزانة القرويين نسخة من الجامع الكبير للسيوطي في ستة أجزاء حبسها المنصور الذهبي السعدي ، وفي أعلى الورقة تصحيح المنصور للوقف بخط يمينه . وفي أسفل الوقفية كتب : وبحضور مشاهدين سلم الكتاب للقاضي ليضعه بالخزانة ، ثم توقيع العدلين .

والجانب الباليوغرافي أو الخطي ، إن صح التعبير . ففيما يخص الجانب التاريخي فان الخزانات العربية عموماً والمغربية خصوصا ، تشتمل على رصيد هام من المخطوطات غير المؤرخة ، وأخرى مجهولة المؤلف ، أو العنوان ، أو مجهولة المؤلف والعنوان معا . ففي كلتا الحالتين واعتماداً على المخطوطات الحاملة لوثائق الوقف فانه يمكن تأريخ أو تعريف نسبة كبيرة من هذه المخطوطات . ومما يساعد الكوديكولوجيين أو المهتمين بعلم المخطوطات في دراستهم المخطوطية هذه ، هو وجود هذه الوثائق الوقفية على ظهر الأوراق الأولى من المخطوطات ، وأحياناً في وسطها ، الشيء الذي تفتقر اليه المخطوطات اللاتينية الوسيطية ، كما توجد هذه الوقفيات في بعض أجزاء المخطوط أو في جميع أجزائه : فوقفية القرآن الذي حبسه الخليفة الموحدي المرتَضَى توجد على الأجزاء العشرة[٥٨] . ووقفيةُ الأمير أبي عبد الله الوطاسي توجد في الجزء السابع من نسخة البخاري الأربعينية التي حبسها على القرويين ، أما وقفيةُ ابن خلدون موضوع هذه الدراسة فوجدت في الجزء الخامس من كتاب العبر . والغالب على الظن أن أجزاء أخرى من الكتابين السابقين كانت حاملة لوثيقتي الوقف المذكورتين . فمن مزايا تعدد نسخ وثائق الوقفيات في أجزاء المخطوطات أنها تبقى مع ما بقي مصونا من أجزاء مخطوط معين .

فالوقوف على اسم الواقف أو الخزانة الموقوف عليها يساعد في الغالب الأعم على تحديد تقريبي للزمن وربما للمكان الذي نسخ فيه المخطوط المجهول التاريخ أو النسب كما يمكن الوقوف على هذه الوقفيات من

---

(٥٨) لم يبق الا وقفيتا الجزء الأول والرابع : أثبت Deverdun في كتابه Marrakech des origines à 1912 أن الوقفية الموجودة على ظهر الورقة الأولى من الجزء الأول هي وحدها من خط الخليفة والأخريات المثبتة في باقي الأجزاء من خط كاتب للخليفة .

تصحيح تاريخ مخطوط معين . فكم من مخطوط مؤرخ اطمأن اليه محققه ، فثبت بعد دراسة المخطوط دراسة كوديكولوجية أنه نسخ في زمن تفصله قرون من التاريخ المثبت عليه . فلا يكفي أن نؤرخ للنساخة وحياة النساخ ، بل يجب البحث في سلوكهم وأمزجتهم ، بل ربما أخضعناهم لنظرية الجرح والتعديل ، التي طبقت على رواة الحديث واللغة ، حتى نقبل أو نرفض لا التواريخ فقط بل حتى شكل النصوص التي نسخوها .

أما الجانب الباليوغرافي أو الخطي فيمكّن الباحث في المخطوطات أن يحل رموز كتابة طالما ظل صاحبها مجهولا ، بمعنى أن مؤلف مخطوط مجهول المؤلف يكتشف من خلال مقابلة خط وقفية له عليها اسمه بكتابة هذا المخطوط . وتسمى هذه العملية الهولوغرافيا Holographie . على أية حال فغاية كل من الكوديكولوجيين أو المختصين في علم المخطوطات ، والباليوغرافيين أو المختصين في علم الخطوط القديمة من دراستها لهذه الوقفيات في اطار تاريخ الكتاب هي خدمة ما يسمى بتاريخ النصوص ، الذي يكوّن المرحلة الأولى والأساسية لما نسميه اليوم بالتحقيق العلمي . فهل خضعت مخطوطاتنا العربية المحققة الى عملية تاريخ النصوص كما خضعت لها المخطوطات الغربية ، على الرغم من الفوارق الموجودة بين التراثين العربي والافريقي اللاتيني ؟ ما أظن ذلك . ولقد آن الأوان لانشاء معهد للبحث وتاريخ النصوص على مستوى العالم العربي تستغل فيه جميع المعطيات المخطوطية كالوقفيات والتمليكات ، في سبيل دراسة تاريخ المخطوطات ، وبالتالي تاريخ النصوص . ولا يحق لنا أن نمارس التحقيق العلمي دون ممارسة الكوديكولوجيا وتاريخ النصوص مسبقا .

نواة لِمُعْجَم الموسيقى

(القسم الرابع)

الدكتور صادق فرعون

394 - EAR TRAINING (E.)
CULTURE AURALE (Fr.)

تدريب الأذن ، التدريب السمعي : فرع هام من فروع التربية الموسيقية يهدف إلى التعرّف على العلامات الموسيقية المختلفة ، كأن يعزف الأستاذ نوطةً على البيانو أو على أية آلة موسيقية أخرى ويطلب من تلميذه تسميتها ، ثم يتطوّر الأمر إلى عزف علامتين سوية أو بالتتالي ليتعرّف عليهما وعلى البُعْد بينهما ثم بعد ذلك إلى عزف ائتلافات موسيقية مختلفة وهكذا ، كذلك الأمر بالنسبة للإيقاع بعزف نماذج ايقاعية مختلفة السهولة والصعوبة والتعرف عليها وإعادتها حتى يبلغ الطالب درجة من الحسّ الموسيقي إنه اذا قرأ مقطوعة موسيقية مكتوبة يستطيع أن يتصوّرها ويسمعها بذهنه وعقله دون حاجة إلى عزفها ، والدرجات العليا من التدريب الموسيقي السمعي هي التي تفسّر كيف ألّف بيتهوفن أعظم مؤلفاته الموسيقية وهو مصاب بصمم مطلق لذا قيل الموسيقيّ هو الذي يستطيع أن يسمع بعينه وأن يرى بأذنه .

395 - ECCLESIASTICAL MODES (E.)
MODES ÉCCLÉSIASTIQUES (Fr.)

المقامات الكَنَسِيّة : (رَ رقمي ٩١ و ٢٣٦) . نُسِبَت إلى الكنيسة المسيحية الغربية لأن الكنيسة لعبت دوراً هاماً في تطويرها وتثبيت قواعدها رغم انها هي نفس المقامات التي كانت تستعمل في موسيقى الشعوب الأوربية وفي مؤلّفات موسيقييها لما يربو على أحدى عشر قرناً . لقد أعتمدت الكنيسة المسيحية الغربية هذه المقامات أساساً لها منذ حوالي العام ٤٠٠ ميلادية عندما كان الترتيل

البسيط هو السائد وحتى بداية ظهور الهارموني (الانسجام أو الكساء اللحني) من العام ٩٠٠ وحتى ١٤٠٠ ميلادية . واستمرّ تأثير هذه المقامات حتى عهد پالسترينا (١٥٢٥ ـ ١٥٩٤) ومازال أثرها ملموساً حتى عهد باخ (١٦٨٥ ـ ١٧٥٠) الذي أرسى أسس السلّم الموسيقي الجديد المُعدّل .
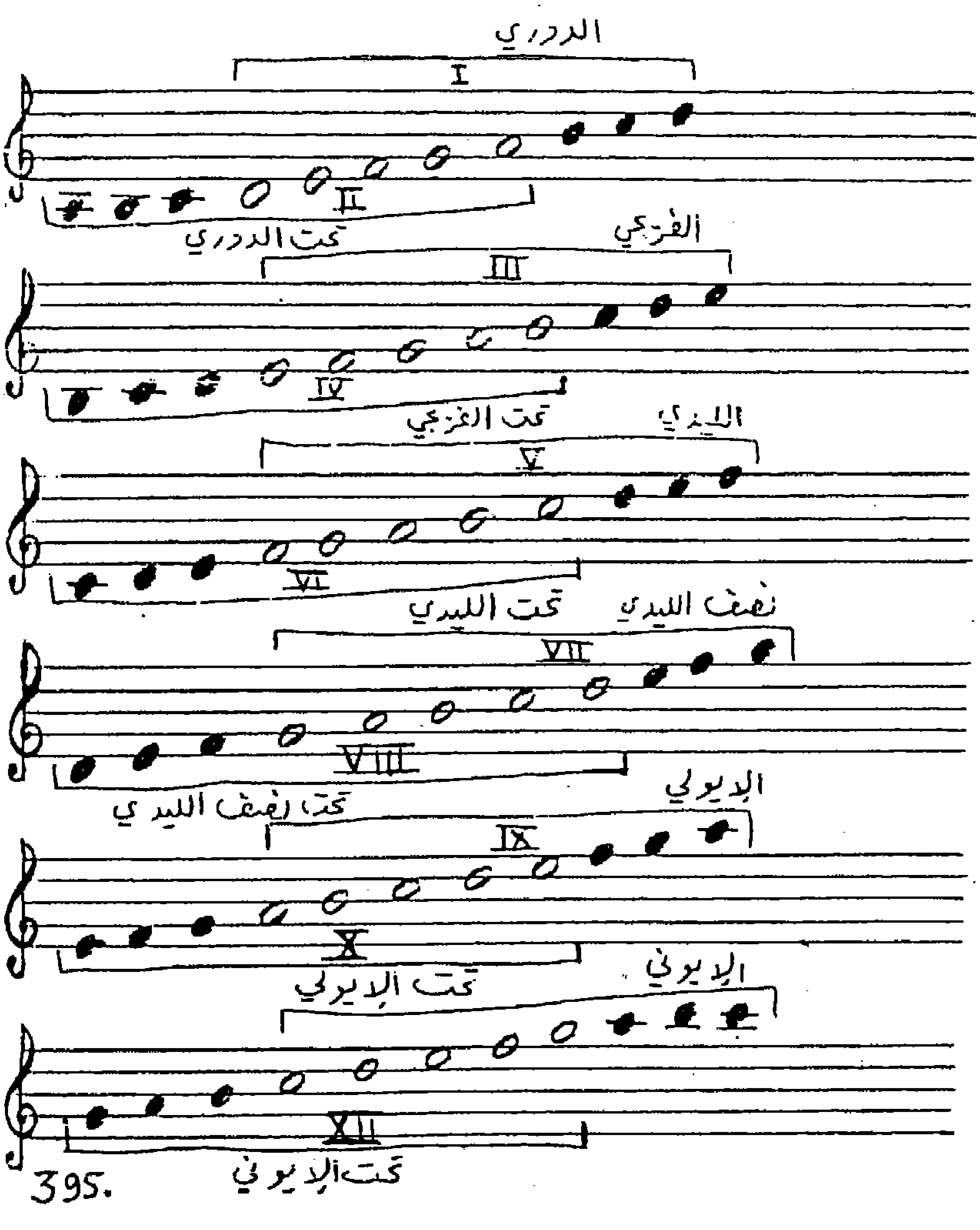
تاريخها : تأثرت هذه المقامات بموسيقى الإغريق وبالسلّم الموسيقي الذي وَضَعه فيثاغورث وبالرغم من أن هناك فوارقاً بين السلّم الحالي وبين سُلّم الإغريق فقد صار من المتعارف عليه ان يُتخذ السلّم الحاليّ أساساً للبحث بقصد التسهيل . يمكننا أخذ فكرة عن هذه المقامات بالعزف على الملامس البيض لآلة البيانو . أما الملامس السود فهي اضافات مُستحدثة نتركها جانباً في البداية . كان للإغريق سبع سلالم موسيقية تأثرت بها الكنيسة الغربية وعندما قرّر أمبروز أسقف ميلانو (قُرابة ٣٤٠ ـ ٣٩٧ م) تنظيم موسيقى الكنيسة وترتيبها اعتمد أربعة مقامات فقط تبنّاها فيما بعد البابا غريغوري (غريغوري الكبير قرابة ٥٤٠ ـ ٦٠٤ م) وأضاف اليها أربعة أخرى فصارت ثمانية مقامات ، وفي وقت لاحق أضيفت أربعة أخيرة ليغدو المجموع اثنى عشر مقاماً .

طبيعة المقامات : تختلف المقامات باختلاف الأبعاد بين العلامات . ففي السلّم الحديث لا يختلف دو الكبير ، مثلاً ، عن ره الكبير في أي من هذه الأبعاد بل يختلف فقط بالطبقة واذا عُزِفَ كلّ منها على حدة قد لا يستطيع المستمع أن يلحظ اختلافاً بينهما إلاّ اذا كانت عنده القدرة السمعية المُطْلَقَة على التعرّف على الطبقة . أما الاختلاف بين المقامات الكنسية فهو اختلاف في الطبيعة كما يختلف حالياً السلّم الحديث الكبير (ماجور) عن الصغير (مينور) أي إنه اختلاف في النكهة .

المقامات الأمبروزية أو الأصلية : أربعة مقامات . يتألف كلّ منها من ثماني علامات : الأولى والخامسة منها ذاتا أهمية بارزة فالخامسة هي التي تسيطر على جوّ المقام وهي العلامة التي تُتلى عليها التراتيل الكنسية ، وعندما يريد الكاهن ختم سرده الطقوسي فانه يحطّ إلى العلامة الأولى لذا دعيت الأساس أو القرار وهي مشتقة من الراحة والاستقرار والختام .

المقام الأمبروزي الأول : من علامة ره حتى ره التي تعلوها ، كما تعزف على الملامس البيض للبيانو ، والمسيطرة أو السائدة هي « لا » وهو المقام الدوْري DORIAN ،

المقام الثاني : من علامة مي حتى مي التي تعلوها والمسيطرة كانت السي ثم صارت فيما بعد الدو وهو المقام الفريجي PHRYGIAN .

والثالث من فا إلى فا والمسيطرة هي الدو وهو المقام الليدي LYDIAN .

والرابع من صول إلى صول والمسيطرة هي الره ، ويجدر بنا أن نذكّر إن العلامات هي دوماً البيض من ملامس البيانو فالفا هنا عادية لامرفوعة ولامخفوضة وهو المقام نصف الليدي MIXOLYDIAN . أما استبدال السي بالدو كسيطرة في المقام الفريجي فلأنّ الموسيقيين الأقدمين اعتبروا علامة السي هذه عابرةً غير مستقرّة لاتستحق كبير تقدير أو احترام فهي تسعى جاهدة كي تلحق بالتي بعدها (علامة دو) ولذلك اعتبرت الدو مسيطرة بدلاً عنها .

الاستطالات الفريغوارية : قام البابا غريغوري الكبير باعادة ترتيب المقامات الأصلية وباعادة تصفيفها بحيث تغدو المسيطرةُ قراراً أو أساساً وعلى هذا خرجت أربعة مقامات دُعيت پلاغية PLAGAL أي مُنحرفة أو مائلة وهي من لا إلى لا ومن سي إلى سي ومن دو إلى دو ومن ره إلى ره وسُمّيت بالترتيب : تحت الدوري ، تحت الفريجي تحت الليدي وتحت نصف الليدي . ثم صارت بعض التراتيل البسيطة تتعدى حدود مقام ما إلى نظيره المائل فظهرت المختلطة .

نظام غلاريانوس : بعد حوالي تسعماية وخمسين عاماً من عهد البابا غريغوري ، قام كاهن سويسري يدعى هنريكوس غلاريانوس بدراسةٍ لأوضاع الموسيقى الكنسية خَلَص منها إلى أنه يجب أن يوجد اثنى عشر مقاماً لاثمانية فقط وذلك باضافة أربعة مقامات جديدة وهي من لا إلى لا ـ المقام الإيولي AEOLIAN ـ وإمالته من مي إلى مي . ومن دو إلى دو ـ المقام الإيوني IONIAN ـ وإمالته من صول إلى صول ورفض مبدأ إحداث مقام من سي إلى سي لما اتهمت به من اهتزازٍ وعدم استقرار . وهنري هذا هو الذي أعطى هذه المقامات اسماءها الإغريقية رغم عدم صحتها أو دقتها

وهكذا يمكننا تلخيص ماسبق إن استتباب المقامات تمّ على ثلاث مراحل : الأولى على يد أمبروز في القرن الرابع والثانية على يد غريغوري (أو غريغوار) في القرن السادس والثالثة على يد غلاريانوس في القرن السادس عشر وقد قدّم كل منهم أربعة مقامات (رَ الشكل)

تطوّر المقامات وتفكك نظامها : كان الأقدمون يتفادون غناء المسافة الرابعة المُزادة (فا ـ سي) وذلك بخفض الأخيرة (سي) نصف صوت مما أدى إلى ظهور علامّة موسيقية جديدة ، كما أدّى ذلك إلى إمكانية غناء المقام ذاته مرفوعاً مسافةً رابعة أو مخفوضاً مسافة خامسةً دون حدوث أي تغيّر في المسافات بين الأصوات (في السلّم الحديث تحوّل دو الكبير إلى فا الكبير) . ثمّ عمد الأقدمون إلى تفادي الرابعة المُزادة برفع علامة الفا نصف صوت . وفي البداية لم تكنْ توضع شارة للخفض بل يترك الأمر للمرتّل ، ثم ظهرت علامة الخفض ـ البيمول ـ دفعاً للّبْسِ ، وكانت أول علامة تكتب على الدليل (سي بيمول ، مخفوضة) ثم ظهرت الديز ـ الرافعة ـ (فا دييز) وهكذا تتالى ظهور العلامات الخافضة والرافعة مما أدى ذلك لتفكك عرى المقامات واندفاع المقامين الإيوني (الكبير) والإيولي (الصغير) نحو المقدّمة . ويبدو إنّ من أسباب بروز هذين المقامين وتراجع المقامات الأخرى هو أنهما أكثر ملاءمة للإكساء الصوتي (الهارموني) ، وهكذا اندمجت كل المقامات تدريجياً وذابت في هذين المقامين وظهرت المفاتيح التي تدلّ على السلّم الموسيقي الذي يتبع أحد المقامين : الكبير (الإيوني) أو الصغير (الإيولي) ، ولكلٍ من هذين المقامين اثنتا عشرة طبقة بحسب أنصاف الصوت الاثني عشر بعد تعديل السلّم الموسيقي بجعل المسافات بين أصواته متساوية ، صوت أو نصف صوت . والطريف في الأمر أن المقام الإيوني (الكبير) قد تسلّل خفية ، وقبل عهد غلاريانوس ، إلى الموسيقى الشعبية واستعمله الشعراء الجوّالون في غنائهم مما أكسبه اسم المقام العابث الفاسق الداعر (MODUS LASCIVUS) ولاشكّ إن الموسيقى الغربية قد فقدت بعضاً من جمالها بفقد هذه المقامات ولكنها ربحت بالمقابل ربحاً كبيراً بادخال

الهارموني (الإنسجام أو الإكساء الصوتي) والطباق (الكنترابنط) وغيرهما من فنون الموسيقى البوليفونية مما يتلاءم مع نفسية انسان العصر وفكره أكثر من الموسيقى اللحنية المونوفونية (وحيدة الصوت) كالموسيقى الشرقية ، ونأمل ألاّ يُساء فهم مثل هذا الكلام على أنه قدح بموسيقى الشرق أو تمجيد لموسيقى الغرب بل هو اعتراف بحقيقة واقعة ، ولا يكون تقدّم الشعوب بتجاهل المصاعب وتفاديها بل بمواجهتها والتغلّب عليها . ولقد أثبت الفكر العربي أصالته عبر القرون وأثبت مقدرته على تمثّل كل غريب وجديد وعلى الخروج منه بنتاج عربي أصيل متميّز . وتشكّلُ الموسيقى العالمية الحديثة شكلاً من أشكال هذه التحديات العديدة الكبيرة التي لايحلو تحدّيها والفوز عليها إلا لعظماء القلب والفكر ، وهو مانأمل إنه حادثٌ في المستقبل القريب .

قد يستغرب البعض أن يجرّنا الحديث عن المقامات الكنسية إلى الحديث عن الموسيقى العالمية ككلّ . والجواب على ذلك إن هذه المقامات القديمة لم تكن في يوم من الأيام مقصورةً على الكنيسة وحدها ، فقد كانت كلّ ألحان الشعوب تُصاغ من هذه المقامات ذاتها ، وهذا لايعني ألاّ يُعتَرَفَ للكنيسة المسيحية الغربية بفضلها في تصنيف المقامات وترتيبها بل وفي تشجيع معظم مؤلفي الغرب أن يكتبوا أروع المؤلفات الموسيقية الدينية المؤمنة حتى لم يعد سماعها وأداؤها حكراً على الكنائس بل صار موفوراً للانسانية جمعاء تستمتع بها وتتأثر بصدق مشاعرها الروحانية متخطّية بذلك حدود اللغات والأمم والعقائد . نقف عند هذا الحدّ خيفَةَ أن نكون قد تخطّينا حدود الغاية المطلوبة ، والله من وراء القصد .

396 - ECHAPPE´(Fr.) — الهاربة أو المنفلتة (العلامة أو النوطة ـــ)

ESCAPE NOTE (E.) — العلامة المتغيّرة أو المتبدّلة : صيغة نغمية

CHANGINEG NOTE (E.) — تتميّز بقفزة ثلاثية ـ أي ذات بُعْد ثلاثي ـ

NOTA CAMBIATA (It.) — بعيداً عن علامة عابرة ، لاتشكّل جزءاً

رئيساً من الائتلاف . كان الشكل القديم المستعمل في العهد البوليفوني يتألّف من ثلاث علامات ـ نوطات ـ كما في الشكل آ ، والعلامة الهاربة في هذا المثال هي ـ لا ـ . ثم استبدلت هذه الصيغة بأخرى تتألف من أربع علامات ـ ب ـ . أما في عصر الطباق الموسيقي (الكنترابنط) أي منذ عهد باخ وهاندل ومن تلاهما فقد ظهرت ضروب أخرى من هذه الصيغ كما في الأمثلة ـ جـ و د و هـ ـ . وعندما تتجه العلامة المتغيّرة في اتجاه معاكس لاتجاه الحركة السُلّمية فانها قد تُدعى الهاربة أو المنفلتة . ففي المثال جـ يمكننا أن نسمّي دو هاربةً لأنها نازلة مع أن الاتجاه السّلّمي (ره ـ مي) كان صاعداً واذا تلتها علامة تعود بالنغم إلى العلامة الأصلية دُعيت هذه (العلامة الآيبة) وهي (ره) الأخيرة في المثالين (جـ و ـ د) . رَ الشكل
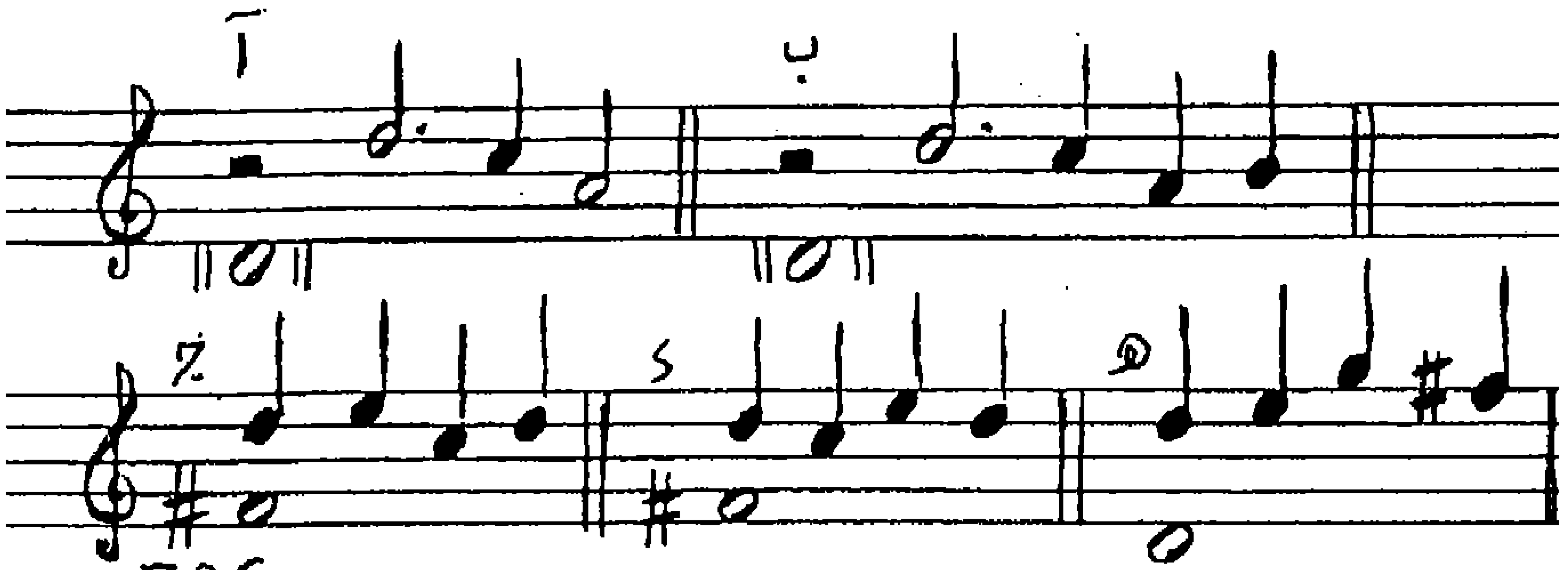
396..

397 - ELECTRIC GUITAR (E.) — القيثار الكهربي (تابع القراءة)

GUITARE ÉLECTRIQUE (Fr.)

398 - ELECTRIC INSTRUMENTS (E.) — الآلات الموسيقية الكهربية :

هي اختراعات حديثة العهد ، تقسم إلى صنفين رئيسين : الأول ينجم الصوت فيه عن استعمال قدرة كهرطيسيّة (كهربية ـ مغناطيسية) وتقله عبر الأثير . والثاني ينجم الصوت فيه عن ذبذبات كهربية تحدث في الآلات الموسيقية نفسها ولذا تُدعى بالآلات نصف الكهربيّة .

الآلات الالكترونية 399 - ELETRONIC INSTRUMENTS (E.)

مرثاة : أغنية أو مقطوعة يغلب عليها طابع الحزن والكآبة . 400 - ELEGY (E.)

ÉLÉGIE (Fr.)

طريقة وضع الشفتين وإطباقهما 401 - EMBOUCHURE (Fr. ,E., etc.)

على فم الآلة الموسيقية في العزف على آلات النفخ النحاسية . أصل الكلمة افرنسي ، لذا قد يقصد بها في اللغة الفرنسية فم آلة النفخ نفسه .

البوق الانكليزي : آلة نفخ خشبية من عائلة 402 - ENGLISH HORN (E.)

الأوبوا ، وهي الثانية في ترتيب هذه العائلة : COR ANGLAIS (Fr.)

فالأبوا من طبقة السوپرانو والبوق الانكليزي من طبقة الآلتو وتنخفض طبقته الصوتية بمقدار بُعدٍ خماسي عن الأبوا . وأخفض علامة فيه هي السي التي تكتب تحت أسطر المدرّج الموسيقي ولكنها تصوّت (مي) التي تقع تحت السي بخمس علامات . لذا فالبوق الانكليزي من آلات التحويل : أي أن نوطاته الموسيقية تكتب أعلى بخمس علامات من العلامات الحقيقية . ونظراً لأنه أطول من الأوبوا فان قصبته تتّصل به بأنبوب معدني رفيع ومعوجّ ليسهل وصولها لفم العازف . لهذا دعيت هذه الآلة بالفرنسية البوقَ المعوجَّ أو المزوّى COR ANGLE ثم أسيئت كتابة هذه الصيغة وحوّرت مع الزمن إلى ANGLAIS فكانت رميةٌ للإنكليز من غير رام . بدأ استعمال البوق الانكليزي في عهد غلوك وموتسارت ولكن لم يستتبّ موقعه في الأوركسترا إلاّ في عهد ڤاغنر . للبوق الانكليزي صوت رخيم وعاطفي ، وتأثيره بليغ في المقاطع الموسيقية البطيئة الممدودة .

الأبعاد المتعادلة : كانت 403 - ENHARMONIC INTERVALLES (E.)

نُظُم الموسيقى الاغريقية INTERVALLES ENHARMONIQUES (Fr.)

القديمة تؤمن بوجود أبعاد أو مسافات صوتية ضئيلة بين بعض العلامات . وبعد ادخال السلّم الموسيقي المعدّل صارت هذه الأبعاد المتناهية في الصِغَر وهمية أكثر منها

حقيقيّة ، فعلامة سي دييز (رافعة) هي نفس علامة (دو) وكذلك فا دييز (رافعة) هي نفس علامة صول بيمول (خافضة) لاسيا حين العزف على آلة البيانو . وعلى هذا الأساس يستطيع الموسيقي أن ينتقل من سلّم موسيقي إلى آخر بأن ينتقل من علامة على أنها فا (دييز) إلى علامة تتلوها ومعادلة لها ولكن يتخيّلها المؤلف على أنها صول بيمول ويتابع بهذا التصور الجديد للسلّم ، ويدعى ذلك بالانتقال المعادل .

السلّم المعادل : يرتكز في أساسه على 404 - ENHARMONIC SCALE (E.) ماسلف من كلام . فالسلّم الموسيقي صول بيمول ماجور (الكبير) هو السلّم المعادل لفا دييز ماجور (الكبير) .

وصلة ، فِقْرة : في الروندو هي المقاطع الموسيقية 405 - EPISODE (E.,Fr.) المختلفة التي تؤدّى بين اللازمة المُعادة . ففي روندو يتألف من مقاطع C , A , B , A , A , D , A تُدعى الأقسام D , C , B وصلات أو فِقرات وكانت تُدعى بالفرنسية COUPLETS (رَ 303) . أما في الفوغة (رَ الشكل الموسيقي) فبعد أن تدخل الأصواتُ الواحد تلو الآخر تؤدّي « الموضوعَ » نفسه بشكل متتابع يلاحقُ فيه كل داخلٍ من سبقه ، وبعد أن ينتهي « عَرْضُ » هذا الموضوع ، تستطرد الأصوات أداءها بعزف (أو بغناء) أفكار موسيقية MOTIFS جديدةٍ أو مستقاة مما سبق من موسيقى وكأنها تناقش الموضوع الموسيقي وتفنّده وتعتصر منه ماكَمُنَ فيه من جمال موسيقي وطرافة ، وكثيراً ماتجد في ذلك فرصة مواتية للانتقال إلى سلمٍ موسيقي آخر .

السلّم المعدّل بالتساوي ، أو المتعادل : 405 - EQUAL TEMPERAMENT (E.)

التَرجمة الحرفية لهذا المصطلح الموسيقي TEMPERAMENT EGAL (Fr.) هو المزاج المتعادل ويقصد به هنا السلّم الموسيقي .

اذا درسنا السلّم الموسيقي بشكل حسابي علم - صوتي وجدنا إن الثّانية (البُعْد

الثُماني أو الأوكتـاف) يتـألف من اثنى عشر نصف صـوت . أمـا الخُماسيـة الكاملـة (, البُعد أو المسافة الخُماسية) أو التامّة فلا تتألف من سبعة أنصاف صوت فقط بل من ٧,٠١٩٥٥٠٠٠٨٦٥٤ نصف صوت . ينجم عن هذه الزيادة الطفيفـة على العـدد التـام (٧) أن تتواجد سلسلة لامتناهية من أصوات جـديـدة يفصل بين كل واحـد منهـا ومايليه ٧ + ذلك الكسر المتناهي في الصغر المؤلّف من اثنى عشر رقمـاً ، الأمر الـذي يخلق مشكلة عويصـة بـالنسبـة للپيـانو وللآلات الـوتريـة ذات المـلامس ألا وهي الحاجة إلى عدد هائل من الأوتار يُسوّى (يدوزن) كل منها على الخـاسيـة الكاملـة التي تزيد عن سابقتها بـ ٧ أنصاف صوت + ذلـك الكسر العشري المـذكور : (دو ـ صـول ـ ره ـ لا ـ مي ـ سي ـ فـا دييز ـ دو دييز ـ صـول دييز ـ ره دييز ـ لا دييز ـ مي دييز ـ سي دييز) وهكذا دواليك بعـدد الثانيـات (الأوكتـافـات) المطلوبـة . والمخرج العملي الوحيـد من هـذه المعضلـة هـو استعمال وتر واحـد لكل من الصـوتين القريبين جداً من بعضهما (مثلاً دو وسي دييز ؛ فـا دييز وصول بيمول الخ) ويكون ذلك بأن تقسم الثمانية (الأوكتاف) إلى اثنى عشر نصف صوت متساويـة ، وهو حلّ وسط وعملي وإنْ لم تنطبق أصواته على تلك الناجمة عن دراسة الصوت بشكل علمي وهو أسهل تطبيقـاً واستعمالاً . يظن البعض إن يوحنـا سيبـاستيـان بـاخ هو الـذي اخترع هذا السلّم ، والواقع إنه قد استعمل في عدة بلدان أوروبية منذ القرن الخامس عشر ، ولكن تأثير بـاخ كان بليغـاً عبر القرون عنـدمـا ألّف في العـام ١٧٢٢ كتـابين يحويان (٢٤) مقدمة وفوغة للپيانو (كلاڤير) مستخـدمـاً هـذا السلّم فكانت هـذه المقطوعات حُجّة خالدة في تثبيت دعائم السلّم المعدّل .

407 - EQUAL VOICES (E.)
A'VOIX E'GALES (Fr.)
VOCI EGUALI (It.)

بأصوات متماثلة : يقال عن مقطوعة غنائية (كورال) تكتب الأدوار فيها لأصوات من نفس الطبقة ، مثلاً لصوتين أو أكثر من طبقة السوپرانو ..

متحمّس ، متوّتر : مصطلح موسيقي أدائي . 408 - ESALTATO (It.)
EXALTED, EXCITED (E.)
EXCITE' (Fr.)

العلامة الهاربة أو المنفلتة 409 - ESCAPE TONE (E.)
(رَ 396) .

معبّر 410 - ESPRESSIVO (It.)

علامة أساسية : علامة موسيقية 411 - ESSENTIAL NOTE (E.)
تشكّل جزءاً أساسياً وضرورياً NOTE ESSENTIELLE (Fr.)
للإئتلاف بعكس العلامة العابرة أو الممدودة (المعلّقة) أو التزيينية التي تعتبر علامات غير أساسية .

توبا تينور : تتألف التوبا 412 - EUPHONIUM (E.) TUBA TENOR
من مجموعة من آلات النفخ النحاسية EUPHONION أو BARYTON (G.)
كبيرة الحجم ، غليظة الطبقة (باص) . وقد برزت BOMBARDA (It.)
أهميتها ورسخت دعائمها في الأوركسترا في عهد فاغنر الذي استعمل منها ثلاثة أنواع : ١ً - التوبا التينور وهي من آلات التحويل (سي بيمول) وهي اليوفونيوم .
٢ً - التوبا الباص (الجهيرّ) مفتاحها فا ، وكلا الصنفين قريب في تركيبه من البوق ولكن لُمعة التوبا أوسع . ويصنع بعضها للفرق العسكرية بشكل دائري واسع يَدخِلُ العازف جذعه فيه ليسهل حمله والسير به .
٣ً - كونترباص توبا (الأجهر) : وهي أكبرها حجماً وأغلظها طبقة ، قطعتها الفموية كالقديح ومفتاحها (دو) وأخفض علامة تؤديها هي مي بيمول تحت مدرّج فا بخمس مسافات . وللتوبا أسماء وأشكال عديدة أخرى تختلف بين بلد وآخر وعصر وآخر نحجم عن ذكرها خيفة الإطالة والإملال .

الانسجام الإيقاعي : هو التناغم بين 413 - EURYTHMICS (E.)

الموسيقى وحركات جسم الانسان . EURYTHMY (E.)

مصطلح أطلقه أتباع الفيلسوف الألماني رودولف شتاينر (١٨٦١ ـ ١٩٢٥) واعتبروه فناً جديداً وإن لم يطلع بجديد في عالم رقص الباليه . كذلك روّج له إميل جاك ـ دالكروز في سويسرا .

414 - EVADED CADENCE أو BROKEN, DECEPTIVE, FALSE, INTERRUPTED (E.) CADENCE E'VITE' (Fr.)

الوقف المبتور أو المُجْتَنَب أو الكاذب : محطّ عابر في أثناء ترتيل جملة موسيقية ، من المسيطرة (صول) إلى ماتحت المتوسطة (لا) في مقام دو .

415 - EXERCISE (E.) EXERCICE (Tr.) UEBUNG (G.)

تمرين ، تمارين : مقطوعات موسيقية مؤلّفة لآلة موسيقية ما ، غايتها تدريب أصابع العازف أو حنجرة المغنّي أكثر من العناية بمحتواها الموسيقي .

416 - EXPOSITION (E.,Fr.)

العَرْضُ : هو أداء « الموضوع » ، الأول أو الثاني ، ـ عزفاً أو غناءً ـ في الشكل « الثنائي المُرَكّب » (الذي يُدعى أيضاً « شكل الصوناته ») .

أما في الفوغة فالعرض هو أداء الموضوع من قِبَل « الأصوات » المختلفة (سواء أكان « الصوت » معزوفاً أم مُغَنّى) واحداً بعد الآخر حتى تُتِمّ كل « الأصوات » أداء موضوعها .

417 - EXPRESSION (E.,Fr.)

التعبير : في الأداء الموسيقي هو تلك اللمسات العديدة التي يُضفيها العازف من عنده ولاسيا اذا اكتفى المؤلّف الموسيقي بكتابة العلامات الموسيقية لاأكثر ، مثل درجات القوة والخفوت والسرعة وتبديل السرعة من إسراع أو إبطاء . بدأت علامات التعبير الموسيقي بالظهور في إيطاليا في القرن السابع عشر عندما نشر ماتسوكي D. MAZZOCCHI في العام ١٦٣٨ مجموعة من الماردیغال وعليها اشارتا F و p . ونظراً لاشتهار المدرسة الموسيقية الايطالية وذيوعها وانتشارها في تلك العصور فقد نشرت معها التعابير الموسيقية الايطالية ،

وكان استعمال هذه التعابير في البداية مقتصداً وموجزاً ثم ازداد مع ظهور الحركة الرومنتيكية . ثم حاول العديد من المؤلفين الموسيقيين كتابة التعابير الموسيقية بلغاتهم فالافرنسيون ـ من أمثال آل كوپران وديبوسي ـ كتبوا باللغة الفرنسية والألمان ـ من أمثال شومان وڤاغنر وغيرهما كُثُر ـ بالألمانية وهكذا حتى صار يتوجب على الموسيقي أن يتعلّم هذه التعابير بلغتها ليتمكّن من أداء المؤلفات الموسيقية حسب رغبات مؤلّفيها . ثم ظهر شطط في استعمال هذه التعابير من اشارات وكلمات وجُمَلٍ جعلت الموسيقي مقيّداً لا يكاد يستطيع التعبير عن ذاته من خلال المؤلَّف الموسيقي الذي يؤديه مما حدا بالعازفين إلى اعتبار هذه التعابير للدلالة والتوجيه لا للتكبيل والتقييد ..

هناك تعابير تُحدّد سرعة المقطوعة وثانية لتبيان أداء الجُمَل الموسيقية وثالثة تبيّن النبرات والشدّات ورابعة توضح تموّجات السرعة من تسارع وتباطؤ ، تعجيل وتلكؤ ، وخامسة تحدد استعمال القوس في الآلات الوترية المقوّسة وأخرى ترسم تصاعد الجُمَل الموسيقية وتخافُتَها ... يتّضح من دراسة تاريخ الموسيقى إن الاهتمام بكل مظاهر التعبير الموسيقي وأشكاله لم يَكُ ملموساً في العهود القديمة من التطوّر الموسيقي ولكنه تطوّر وتنامى بشكل تدريجي ومتواصل ، وهو ما يفسّر تفضيل باخ للكلاڤيكورد على الهارپسيكورد وتفضيل الموسيقيين للپيانو عند ظهوره على الكلاڤيكورد نظراً للإمكانيات التعبيرية الأفضل والأوسع التي تتميّز بها كل آلة موسيقية خلفت سالفتها . كذلك أدّى تطوّر « الشكل الموسيقي » ونضجه المتمثّل في الشكل « الثنائي المُرَكّب » (أي شكل الصوناته) إلى ازدياد متطلّبات الأداء والتعبير . وتبرز في هذه المراحل التاريخية المتتالية أسماء أعلام متميزين من أمثال باخ وهاندل ـ هايدن وموتسارت ـ بيتهوڤن ـ برليوز ـ ڤاغنر وريتشارد شتراوس بالنسبة للأداء الأوركسترالي وهكذا حتى شكا بعض المؤلّفين الحديثين (مثلاً ستراڤنسكي) من أن موسيقاه تُعزَف بطريقة تفيض تعبيراً وعاطفة ! وهو مالا يرغبون به ومالم يعنونه .

المدرسة التعبيرية : اذا اعتُبِرَتْ المدرسة 418 - EXPRESSIONISM (E.)
الإنطباعية اتجاهاً فنياً يحاول وصف مظاهر EXPRESSIONISME (Fr.)
الحياة والوجود كما يراها الفنان من الخارج ، فالتعبيرية حسبما يراها المروّجون لها هي محاولة لرسم مظاهر الحياة كما يراها الفنان من داخله . لذا يرى البعض إن المدرسة الانطباعية هي مدرسة « واقعية » بعكس التعبيرية التي تؤكد على « الذات » .

بشّر للتعبيرية في الرسم الرسّام الروسي كاندنسكي (١٨٦٦ - ١٩٤٤) وفي الموسيقى صديقه آرنولد شونبرغ (١٨٧٤ - ١٩٥١) الذي حاول منذ بداياته القذف بقواعد الموسيقى جانباً قبل أن يطلع علينا بالمدرسة اللامقامية التي رمت بالسلّم الموسيقي الدياتوني عرض الحائط ، أو هكذا خُيّلَ لها في محاولات تخريبيّة خبيثة مريضة . لاشك إن المدرسة التعبيرية محاولة من المحاولات الكثيرية واللامتناهية في التجديد لاأكثر . واذا كان الأمر لايعدو مجرّد تجديد فلاشك إن كل الموسيقيين الخالدين كانوا مجددين في عصرهم إذ أدخلوا جديداً في عالم الفن والتعبير الانساني دونما وجود رغبة خبيثة في تهديم كلّ ماأتى به الأولون ولنذكر على سبيل المثال من بين أعاظم المجددين : باخ وهاندل - هايدن وموتسارت - بيتهوفن - ڤاغنر وبرليوز وليست - وغيرهم .

ارتجل (قسّم) الارتجال 419 - EXTEMPORISE (E.) EXTEMPORIZATION.
(التقاسيم) : IMPROVISER (Fr.) IMPROVISATION,

كان الارتجال في الموسيقى يُعتبر ، لقرن خلى ، فناً رفيعاً وبالغ الأهمية . وقد تراجع بالتدريج مع تحسّن الكتابة الموسيقية حتى تضاءل دوره في الموسيقى الكلاسيكية ولكنه لم يزل قائماً في موسيقى الجاز وعند الشعوب الشرقية وهو مايعرف في بلادنا بالتقاسيم .

نظرة تاريخية : بدأ الارتجال بالظهور في القرن الثاني عشر وتطوّر حتى القرن

السابع عشر في التراتيل الكنسية عندما كان يصدح (أو تصدح) مُغني السوپرانو على هواه في أثناء « الترتيل البسيط » فيرتّل حسبما تسعفه قريحته بأنغام تساير التركيب الهارموني للترتيل . ودُعي ذلك DESCANT أو DISCANT أو DE'CHANT اللحن المضادّ أو المقابل أو الحرّ .

أما بالنسبة لموسيقى الآلات فقد كانت بعض المقطوعات كالتوكاتا TOCCATA والفانتازيا FANTASIA والمقدّمة PRELUDE وغيرها عبارة عن مقطوعات يرتجلها المؤلّف الموسيقي في وقتها وكثيراً مالم تكن لتجد فرصتها للبقاء بكتابتها موسيقياً ، ويظهر على ماسجّل منها طابع الارتجال والعفوية .

وكان ارتجال عازفي الآلات في أوروبا القرن السابع عشر يُدعى تقاسيماً DIVISIONS ولاندري كيف يمكننا تفسير اضمحلال فن التقاسيم في الغرب وبقائه ، على بساطته وعفويته إن لم نَقُلْ على بدائيته ، في الشرق .

كذلك كان يتّضح طابع الارتجال في « الباص المُرَقّم » الذي كان يؤديه عازف الهارپسيكورد حسبما يحلو له ، وما كان عليه إلاّ أن يتقيّد فقط بالإئتلافات التي كانت تحدّد بأرقامها المعروفة . كذلك التزيينات التي كان يكتب بعضها المؤلف الموسيقي نفسه وكان يترك للمغني أو العازف حقّ إضافة مايحلو له من هذه التزيينات .

وقد كانت العادة في عهد باخ وهاندل أن يقتصر المؤلّف الموسيقي في كتابة مقدّمة PRELUDE المتابعة الموسيقية على بضع ائتلافات متتالية ويترك للعازف حرّية نسج مقدمة على أساسها . ولما لاحظ المؤلفون البونَ بين ماكان يجول في فكرهم وبين مايعزفه العازفون المرتجلون صاروا يكتبون مقدّماتهم كاملةً .

والكادنزا CADENZA مثال على الارتجال الموسيقي إذ كانَ ومازال يعطى الحق للعازف المنفرد في نهاية حركة الكونشرتو أن يرتجل مقاطع موسيقية تعتمد على ألحان الحركة نفسها ، وكانت تلك اللحظات فرصة ثمينة للعازف كي يُظهر براعته في

العزف والتأليف ، بل صار المشهورون من العازفين يطبعون ماتتفتّق عنه قرائحهم كي يعزفها من شاء من العازفين الأقل موهبة في هذا الفن .

يعتبر القرنان الثامن عشر والتاسع عشر عصر ازدهار موسيقى الارتجال ، وكانت قدرة الموسيقي على الارتجال تعتبر ميزاناً لتقييمه ، فقد عُرِفَ عن باخ الكبير أنه كان يجلس إلى أرغنّه ساعة أو ساعتين يعزف ماتفيض به قريحته دون توقف أو تلكؤ ، وكانت مُرتَجلاته تأخذ أشكالاً موسيقية محددّة : مقدّمة ثم فوغة ثم مقطوعة خفيفة ثم مقدّمة « كورال » ثم فوغة مرة ثانية وهكذا ... وكان الكثيرون يرون إن الموسيقى المرتجلة كانت أروع بكثير وأعمق أثراً في نفوس المستمعين من الموسيقى المكتوبة والمحضَّرة .

وقد اشتُهِرَ موتسارت منذ صغره ببراعته في الارتجال . ويروى عن بيتهوفن إنه كان يجلس إلى البيانو فيتناول أي لحن يُعطى له مهما كان بسيطاً فيخلق منه أروع الموسيقى حتى كان الكثيرون يتأوهون ويجهشون بالبكاء . وقد حاول العديد من مشاهير الموسيقيين في عهده أن ينافسوه في فن الارتجال هذا في أمسيات مشتركة كانت مساجلاتها الموسيقية تشدّ انتباه المستمعين وتُذكي حماسهم وتأثرهم .

وقد اشتهر فرانز ليست بقدرته الفائقة على ارتجال المقطوعات الموسيقية الرائعة التي تعتمد على أي لحن يقدّمه أيٌّ من الحضور . واشتهر كذلك أمثال سيزار فرانك وسان سن وغيرهما كُثُر في الارتجال على الأرغن والبيانو .

والارتجال في الغرب ، مَثَلُه مَثَلِ التقاسيم في بلادنا حتى يومنا هذا ، تتناقص فيه عوامل الجِدّة والعفوية مع الإعادة والتكرار وتصبح لدى كل موسيقي جُمَل وتعابير موسيقية محددة وثابتة يكررها في كل مناسبة على أنها مرتجلة وبنت وقتها وهي في الواقع محفوظة مُعادة مكرورة .

وقد راج في وقت من الأوقات فن الارتجال الثنائي يقوم به موسيقيان اثنان في آن واحد كما كان يفعل موتسارت مع كليمانتي CLEMENTI وبيتهوفن مع ڤولفل

WOELFL وموشلز MOSCHELES مع مندلسون على آلتي البيانو وكذلك بيتهوفن مع ريس RIES على آلتي البيانو والكمان . والأغلب أن ماكان يحدث هو أن يبدأ الأول بأداء مقاطع موسيقية معينة فيرافقه الثاني ثم يتبادلان الموقع بأن يقوم الثاني بأداء مقاطع موسيقية بنفس الأسلوب أو مع بعض التعديل فيه فيرافقه الأول بما يتلاءم مع ذلك من ائتلافات أو أنغام مقاربة . ولاشك إن هذا الارتجال المزدوج كان يتطلّب الكثير من الذوق والخيال وسرعة البديهة .

420 - ELECTRO - ACOUSTIC (E.) كهرصوتي
ELECTRO - ACOUSTIQUE (Fr.)

421 - EMISSION (E., Fr.) بثّ ، إرسال

422 - ETHNOMUSICOLOGY (E.) علم موسيقى الشعوب :
ETHNOMUSICOLOGIE (Fr.) يهتم بدراسة تأثير الأعراق والثقافات والمجتمعات على الموسيقى وتطورها وبالعكس .

423 - EXPERIMENTAL MUSIC (E.) موسيقى تجريبية .
EXPERIMENTAL (MUSIQUE) (Fr.)

424 - EXTENSION (E., Fr.) مدّ ، بسط ، تمديد .

F

425 - F (E., G.) فا : هي العلامة الرابعة في سلّم دو الكبير أو الصغير .
FA (Fr.) وقديما وحسب نظام غيدو داريتسو GUIDO D'AREZZO كانت الفا هي العلامة الرابعة من أي سلّم كبير والعلامة السادسة من أي سلم صغير (مينور) .

للبحث صلة

الصيد

تاريخه ، مصطلحاته ، كتبه

الدكتور صادق آئينه وند

لقد اعتنى الانسان بالصيد والطرد منذ ماقبل التاريخ . عرفه الانسان الأول منذ أن أحس بالجوع ، فاتخذه وسيلة لتحصيل قوته . « اذاً فقد كانت الحاجة الى الغذاء واستدامة الحياة ، هي الدافع الأول للصيد »[1] ، الذي عرفته كلّ الأمم في بداوتها ، وصورته كل الشعوب في آدابها الأولى .

« وفي أقدم النصوص البشرية نجد صدى لهذا الصراع بين الانسان والحيوان ، فلقد عرضت ملحمة كلكامش لذكر الصياد ، وصيد الظباء ، وحمر الوحش . كما أن التوراة أخبرتنا أن نمرود وابنه كوش قد مارسا الصيد ، ومثلهما اسماعيل (ع) . ومن حديث لابن الكلبي عن دخول الخيل جزيرة العرب نفهم أن سليمان (ع) كان لهجا بالصيد ، حاذقا فنونه . »[2]

ثم تطور الدافع الى الصيد بتطور الانسان مدنياً وحضارياً ، فلم يعد حاجة غذائية أو حياتية فقط ، بل حاجة وسلوى وترفاً ولذة . وعرفته شعوب الشرق في تواريخها ، مادة حياة أو مادة متعة .

---

(١) الدكتور ممدوح حقي ، الصيد والطرد عند العرب ، مقدمة ص ٨ .

(٢) الدكتور عباس مصطفى الصالحي ، الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني ، ص ١٤ . نقلاً عن سفر التكوين ، أنساب الخيل ، مناهج السرور للفاكهي .

الصيد عند الفرس

الفرس ذوو قدم راسخة في فن الصيد وآدابه ، ودرايةٍ واسعةٍبضواريه وجوارحه ، وسبقٍ ملحوظ في الاهتداء الى وسائله وآلاته ، فقد روي أن أول من صاد بالبازي أحد ملوك فارس[٣] .

والجاحظ يقول : « ان البازي أعجمي »[٤] . والمنكلي يؤكد أولية العجم في تضرية البازي وتأديبه وحسن القيام عليه ، فيروي عن أصحاب التجربة قولهم : إن البازي لايصلح له من الأشياء الا القفاز وهو مما ابتكرته العجم[٥] .

والفرس أيضاً هم أول من ضرّى الزُّمَّج ، وكانوا يذمون من لا يصيد به ، ويقولون : انه ناقص المعرفة بالصيد ، وذكر الحكماء من العجم أن أحد الملوك وهو « أردشِير » نظر يوما الى صورة البازي والى الزُّمَّج فعرف الزُّمَّج بمشابهته للبازي فضرّاه على الصيد ، ولم يشاركه في تضريته وتأديبه أحد . وقيل أيضاً : انّ أول من ضرى اليُؤيُؤ على الصيد واصطاد به ملك من ملوك فارس هو « بَهْرام جُور » (هو ابن يَزْدجِرْد وقد ولي الملك بعد أبيه سنة ٤٢٠ م) وذلك لأنه شاهد يؤيؤاً يطارد قُبَّرَةً ويراوغها ويرتفع وينحط معها ، فما تركها الى أن صادها فأعجبه ، وأمر به فأُدّب وضرّي ثم جعل يصيد به[٦] .

(٣) الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا ، الصيد عند العرب ص ١١ .

(٤) الحيوان ، ج ٦ ، ص ٤٧٨ [قال الجاحظ : « والبازُ والفهدُ من جوارح الملوك ، والشاهين والصقر والزُّرّقَ واليؤيو . وليس ترى شريفاً يستحسن حمل البازي ، لأن ذلك من عمل البازيار ، ويستهجن حمل الصقور والشواهين وغيرها من الجوارح . وما أدري علة ذلك . إلا أن الباز عندهم أعجمي ، والصقر عربيّ » . / المجلة] .

(٥) المخطوطة ، (ورقة ٥٩ أ) .

(٦) النويري ، نهاية الارب ، ج ١٠ ، ص ١٩٩ .

والجاحظ يتحدث[٧] عن ولع ملوك فارس بالصيد فيقول : « وزعموا - وكذلك هوفي كتبهم - أن ملوك فارس كانت لهجةً بالصيد ، الا أن (بهرام جور) هو المشهور بذلك في العوام » . ومن مظاهر ولع الفرس بالصيد ما روي من أن « فيْرُوز بن قُبَاذ » (ولي الحكم بعد أبيه قباذ وقتل في حرب القياصرة) الملك الفارسيّ ألح في طلب حمار أخدريّ[٨] .

« وكانت ملوك الاعاجم تجمع أصناف الحيوان في حظائر ، وتدخل أصاغر أولادها عليها وتعرفها صنفا صنفا منها ، لكيلا يُنسبوا الى الجهل إذا كبروا ولم يكونوا رأوها في صغرهم »[٩] .

وكانت لملوك فارس رحلات صيد صاخبة يحتم عليهم العرف أن يقوموا بها ، فقد جاء في كتاب « قصة الحضارة » لِول ديورانت : « أن حياة الملك الفارسي كانت مثقلة بالواجبات والتبعات التي لا آخر لها ، فقد كان يُنْتظر منه أن يخرج الى الصيد والقنص بلا خوف ، وكان يخرج اليه في هودج مزركش تجره عشرة من الجمال وعليه ثيابه الملكية ، وكانت تحمل عرشه سبعة جمال وتُقلّ شعراءه ومنشديه مائة جمل ، وقد يكون في ركابه عشرة آلاف فارس ، وكان عليه - كما يبدو من النقوش السَّاسَانِية - أن يواجه بنفسه وَعْلاً أو نَمِراً أو أسداً »[١٠] .

---

(٧) الحيوان ، ج ١ ، ص ١٤٠ .

(٨) الحِمارُ الأَخْدَري : نسبة الى أَخْدَر وهو فرس كان لأردشير فتوحش وخرجت من نسله حمر رائعة الشكل عظيمة الجسم . (الصيد عند العرب ، ص ١٥) .

(٩) الصيد عند العرب ، ص ١٦ . نقلاً عن البيزرة [كتاب البيزرة ، تحقيق الأستاذ محمد كرد علي ، ص ٢٢ / المجلة] .

(١٠) قصة الحضارة ، الجزء الأول من المجلد الرابع (الترجمة العربية) ، ص ٢٨٥ .

وكانت للصيد آدابه عند الفرس ، « فكان الملك من ملوك فارس اذا عمد الى الركوب للصيد دفع أصحابُ ركابه سوطه الى بطانته - وهم خاصته - ودفعته الخاصة الى الخدم ، وأدخله الخدم الى موضع نسائه فناولته اياه امرأة ثيّب ، وخرج من عندها وهو بيده ... وكانت الجوارح تنتصب على كنادرها[٦] من ناحية وساده نحو رأسه ، والضواري - وهي الكلاب والفهود وبنات عرس - من ناحية ممدّ رجليه ، والخيل أمامه أو عن يمينه ، وكل من شهد معه الصيد حاش عليه العانة والسرب ،[١١] حتى يكون الملك يتصيدها ، أما هم فيتصيدون سائر الوحش والسباع مالم ينهوا عن ذلك »[١٢] .

فصاحب المصايد يقول عند الحديث عن كيفية امساك الجارح واطلاقه : « ان ملوك فارس كانت تحمل البازي على اليسار وكان من « الآيين »[١٣] أن يأتي البازيار والجارح على يساره ، فيعارض الملك ورأس كل واحد منهما الى كفل الآخر ، فيحوله من يساره الى يسرى الملك ، ثم أردف يقول : وهذا هو مذهب العرب في امساك الجوارح »[١٤] .

وكان ملوك فارس يخصون بيوتهم بجلود الأسود والنمور ويتفاءلون ويتشاءمون لدى خروجهم الى الصيد[2] .

[(٦) جاء في تاج العروس (كندر) : « والكندرة : مجثم البازي الذي يُهيأ له من خشب أو مَدَر . وهو دخيل ، ليس بعربيّ » / المجلة] .

(١١) العانَةُ : قطيع من حُمُر الوحش ، والسِّرْبُ : القطيع من الظباء .

(١٢) بازيار العزيز بالله الفاطمي (ظنا) ، البيزرة ، تحقيق ، محمد كرد علي ، ص ٢٩

(١٣) الآيين : القواعد المتبعة .

(١٤) كشاجم ، المصايد والمطارد ، تحقيق الدكتور محمد أسعد طلس ، ص ٦١ .

[(2) الصيد عند العرب : ١٨ نقلاً عن المصايد والمطارد : ١٧٢ ، ٢٣٨ / المجلة] .

الصيد عند الروم

كان الروم ـ وهم الأمة الثانية التي اختلط بها العرب ـ مغرمين بالصيد أيضاً ، سباقين الى تضرية بعض جوارحه وتأديبها فهم أول من لعب « بالشواهين » ولم يسبقهم الى اقتنائها أحد[١٥] .

روى المسعودي في مروج الذهب عن هاشم بن حديج قال : « خرج (قسطنطين) ملك مقدونية يتصيد بالبزاة حتى انتهى الى خليج بُنطس الجاري الى بحر الروم ، فعبر الى مرج بين الخليج والبحر فسيح مديد ، فنظر الى شاهين يتكفأ على طير الماء ، فأعجبه ما رأى من سرعته وضراوته وجرأته على صيده ، فأمر باصطياده ، فضرّاه فكان قسطنطين أول من لعب بالشواهين »[١٦] .

ثم ان أول من لعب بالعقاب الروم أيضا[3] ، فهم حين رأوا شدة أسر هذا الجارح وافراط سلاحه قال حكماؤهم عنه : « هذا طائر لايقوم خيره بشره » ، ثم ضرّوه وجعلوا يهدونه الى ملوك الأمم الأخرى »[١٧] .

وكان قياصرة الروم يتبادلون الهدايا من الجوارح والضواري مع أكاسرة الفرس ، فقد روي : « أن قيصر أهدى الى كسرى عقابا وكتب اليه يعلمه أنها تعمل أكثر من عمل الصقر الذي أعجبه صيده ، فأمر بها

(١٥) الصيد عند العرب ، ص ١٩ . نقلاً عن « القانون في البيزرة » .

(١٦) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، للمسعودي ، ج ١ ، ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧ .

[(3) الذي جاء في المصادر العربية : « وأول من صاد بها أهلُ المغرب » . انظر المصايد والمطارد لكشاجم : ٩٩ ، والصيد والطرد عند العرب : ٤٠ ، ونهاية الأرب للنويري ١٠ : ١٨٢ / المجلة] .

(١٧) انظر : المصايد والمطارد ، ص ٩٩ ، ونهاية الارب ج ١٠ ص ١٨٣ ، والصيد عند العرب : ١٩

كسرى فأُرسلت على ظبي عرض له فدقته ، فأعجبه ما رأى منها ، فانصرف مسروراً ، وجوعها ليضرّيها ، فوثبت على صبيّ له فقتلته ، فقال كسرى : « وَتَرَنا قيصر في أولادنا بغير جيش » ، ثم ان كسرى أهدى الى قيصر نمراً وكتب اليه أنه يقتل الظباء وأمثالها من الوحش ، وكتم ما صنعت العقاب ، فأعجب قيصر بحسن النمر ووافق صفته ما وصف من الفهد وغفل عنه ، فافترس بعض فتيانه فقال : « صادنا كسرى ، فان كنّا صدناه فلا بأس بذلك »[١٨]

الصيد عند العرب

ولقد كان للصيد ـ بمعناه العام ـ عند العرب في جاهليتهم مكانة هامة ويبدو أن الأمر بدأ في صورة حاجة اقتصادية ، ثم لم يلبث أن تطور الى متعة عند من يجدون الكفاية المعيشية[١٩] .

ولم يكن الصيد عند عرب الجاهلية وسيلة من وسائل الرزق فحسب ، وانما كان متعة من متع النفس ، وضرباً من ضروب الحرب في أيام السلم ، وهم أشد ما يكونون حاجة الى الرزق والمتعة والتدرّب الدائم على القتال[٢٠] .

ذكر صاحب البيزرة في باب : (من كان مُسْتَهتراً[٢١] بالصيد من الاشراف): «اسماعيل بن ابراهيم النبي صلى الله عليهما، قال رسول الله ـ

---

(١٨) مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧ [المصايد والمطارد : ٩٩ ، نهاية الأرب ١٠ : ١٨٢ ـ ١٨٣ ، الصيد والطرد عند العرب : ٤٠ ـ ٤١ / المجلة] .

(١٩) البلدي ، الكافي في البيزرة ، تحقيق احسان عباس وعبد الحفيظ منصور ، مقدمة ص ٦ .

(٢٠) الصيد عند العرب ، ص ٢٣ .

(٢١) المُستَهْتَر : المُولع (مختار الصحاح)

صلى الله عليه وعلى آله وقد رتب الانصارَ فنصب خمسين رجلاً منهم في وادٍ وقال : ارموا يابني اسماعيل فقد كان أبوكم رامياً . وكان اسماعيل عليه السلام مولعاً بالقنص محبّاً له ، متعباً نفسه فيه ، مباشراً لعمل آلات الرّمي »[٢٢] .

وحمزة بن عبد المطلب عم الرسول الكريم صلوات الله عليه كان صاحب صقور يصيد بها « وكان إسلامه عند منصرفه من صيد ، وعلى يده صقر ، وجاء في الحديث : أن حمزة كان صاحب قنص فرجع يوما من صيده فقالت له امرأة كانت رأت ما نال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله من أذى أبي جهل : يا أبا عمارة لو رأيت ما صنع أبو الحكم اليوم بابن أخيك ، فمضى على حاله ، وهو معلّق قوسه في عنقه ، حتى دخل المسجد ، فألفى أبا جهل ، فعلا رأسَه بقوسه فشجّه ، ثم قال حمزة : ديني دينُ محمدٍ ، أشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم »[٢٣] .

وأما رؤساء العرب فمنهم لَقيط بن زُرارة ، ومنهم عَمرو بن الجَون الكِندي ، ومنهم مَعَدّ بن عَدنان ، وهو أول من طرد الوحش على الخيل ، ومنهم هام بن وَبرة ، ومنهم مُدْركة بن إليـاس بن مُضَر بن نَزار ، ومنهم أخوه طابخة ، وشُغف بالصيد أيضاً عديّ بن زَيد ، ومنهم كُلَيب بن رَبيعة الذي يضرب به المثل في العزّ فيقال : أعزّ مِن كُليب ، ومن الصيادين عرف الكُسَعي الذي يضرب به المثل في النّدامة ، وممن اقتنص طَرَفةُ بن العَبْد في صباه ، ومن الصَعاليك السليكُ بن سُلَكَة ، والشَّنْفَرَى كانا يسبقان الخيل ويصيدان الظباء عَدْواً ، وتَأبّطَ شرّاً . وممن عرف

(٢٢) البيزرة ، ص ٤٠ [جاء في صحيح البخاري ٤ : ٤٥ : « مرّ النبيّ ﷺ على نفر من أسلم ينتضلون ، فقال النبي ﷺ : ارموا بني اسماعيل فإن أباكم كان رامياً ... / المجلة] .

(٢٣) البيزرة ، ص ٤٠ ، والسيرة لابن هشام ، ص ٣١٢ .

بالقنص كذلك المُنْتَشِر ، وأوفى بن مَطَر وعامِر بن عَنْتَرة . ومنهم بنو جماز بن مالك بن النّصر الأزدي[٢٤] .

الصيد في صدر الاسلام

لما جاء الاسلام برسالته الشاملة لشؤون العقيدة والحياة ، وأخذ العرب يبنون حياتهم الجديدة على أسسه وتعاليمه ، ويحكّمون شريعته في جميع ما يأتون وما يذرون ، لم يكن بدعاً أن يسألوا الرسول صلوات الله عليه عن حلّ الصيد وحرمته ، وأن يقفوا على رأي الاسلام في هذا الأمر الحيوي الهامّ ، وهم الذين جعلوا يتحرّجون من كل ما كان في الجاهلية خشية أن يكون للإسلام منه موقف آخر غير ما ألفوه وما تعامَلوا به[٢٥] .

فقد رُوي أن زيد الخير وعديّ بن حاتم سألا النبي صلوات الله عليه ، فقالا : « انا نصيد بالكِلاب والبُزاة وقد حرم الله تعالى الميتة فماذا يحلّ لنا منها »[٢٦] . فنزل قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلّ لَهُم ؟ قُل أُحلّ لَكُم الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم من الجَوارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمونهنّ مّما عَلَّمكمُ اللهُ ، فَكُلُوا مِمّا أَمْسَكْنَ عليكم واذكروا اسمَ اللهِ عليه واتّقوا اللهَ إنّ اللهَ سريعُ الحساب ﴾[٢٧] .

ومضى المسلمون على ذلك زمن الرسول الكريم وخلفائه الأربعة . ثم آل الأمر الى بني أمية ، وغدا المسلمون في بسطة من العيش ، وسعة في الأرض ، وسطوة في الملك . فنظر الأمويون الى الأمور نظرة جديدة

---

(٢٤) الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري ، ص ١٤ ـ ١٥ . نقلاً عن مناهج السرور (المخطوطة) .

(٢٥) الصيد عند العرب ، ص ٢٨

(٢٦) الصيد والطرد عند العرب ، ص ٢٧

(٢٧) سورة المائدة ، الآية : ٤

وصيروا الخلافة الاسلامية ملكاً عضوضاً[٢٨] .

ومن الأمويين ، كان معاوية ، وابنه يزيد ، وسليمان بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك ، مشغوفين بالصيد . وقد كان يزيد - كما يقول المسعودي - صاحب طربٍ وجوارح وكلاب وفهود[٢٩] ، وكان مولعاً بالصيد مبتدعاً فيه ، فهو أوّل من حمل الفهود على ظهور الخيل .

فقد جاء في (أنس الملا) : « أن بعض الخلفاء - وهو هشام بن عبد الملك - وكان مولعا بالصيد - قد انفرد عن صحبه فساقته قدماه الى بيت شعر فيه أعرابي وعنده فرس ارتبطه ، وكان من هشام ما أحفظ الأعرابي فتشاجرا فأغلظ هشام القول للأعرابي ، فوثب الأعرابي على فرسه وطعن هشاما برمحه فشجعه وأدماه »[٣٠] . بل ان هشاماً ذهب الى أبعد من ذلك فرسم في قصره للصيد رسماً خاصاً به واختار للمنصب الجديد الغِطْريف بن قُدامة الغسَّاني ، وكان يُسمّى صاحب صيد هشام بن عبد الملك .

ولما آل الأمر الى بني العباس ، كانت متع الصيد ولذاذاته في طليعة ما أقبلوا عليه . ومما زاد في هذا الإقبال عظم مكانة العنصر الفارسي في الدولة الجديدة . والفرس - كما رأينا من قبل - ذوو شأن في الصيد عظيم ضرّوا جوارحه ، وراضوا ضواريه ، وأتقنوا فنونه ، وأحكموا آلاته ، فلما صار لهم في المجتمع الجديد مقامٌ الريادة والتوجيه نقلوا اليه كل ما كان

---

(٢٨) الصيد عند العرب ، ص ٣٢ [الملك العضوض : الذي فيه عسفٌ وظلم للرعية ، كأنه يعضهم عضاً - انظر الفائق للزمخشري ٢ : ٤٤٣ - ٤٤٤ ، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير - مادة عضض / المجلة] .

(٢٩) مروج الذهب ، ج ٥ ، ص ١٥٦ (الطبعة الاوربية) .

(٣٠) أنس الملا ، (ورقة ١٠ ب) .

لديهم في هذا المجال[٣١] .

قال صاحب البيزرة : « ومن خلفاء بني العباس كان أبو العباس السفاح شديد اللهج بالصيد ، ناشئاً ومكتهلاً »[٣٢] . وقال أيضاً : « وركب المنصور يوماً في صدره[٣٣] مُشَهَّرَةً[٣٤] مشمراً من ذيله ، وعلى يده باز حتى عبر الجسر بادئاً ، وانكفأ فعبر الآخر راجعاً ، وتبينه الناس فلما عاد واستقر به مجلسه قال للربيع : ما قال الناس في ركوب أمير المؤمنين على هذه الحال ؟ قال : عجبوا منها . قال : إنه كان لأمير المؤمنين في ذلك مذهب ، وهو أنه سيأتي من أبنائنا من يحب الصيد ويتبذل فيه ، فأحببتُ أن يكون مني ما رأيتَ ، فمتى فعل مثلَه منا فاعلٌ بعدي قال الناس : قد ركب المنصور على مثل هذه الصورة »[٣٥] .

وكان المهدي محمد بن عبد الله مع ما كان فيه من الحذر والتحفظ والبعد من التبذل مشغوفاً بالصيد لايكاد يُغِبُّه[٣٦] . ومن أخبار رحلات صيد المهدي ما رواه كشاجم من أن المهدي كان في رحلة صيد ومعه علي بن سليمان وأبو دُلامَة ، فأثير أمامهم ظبيٌ فرماه المهدي فأنفذه ، ورمى علي بن سليمان فأصاب كلباً من كلاب الصيد فقتله . فقال أبو دُلامة :

قَد رَمَى المَهديُّ ظَبْياً شَكَّ بالسَّهم فُؤادَهْ

---

(٣١) الصيد عند العرب ، ص ٣٨ .

(٣٢) البيزرة ، ص ٤١

(٣٣) هكذا في الأصل ، لعلها في صيده ليستقيم المعنى .

(٣٤) مُشَهَّرَة : المعنى غير معلوم ، لعلها من أشهرتُ فلاناً : جَعَلْتُه شُهْرَة (شرح القاموس المحيط) .

(٣٥) البيزرة ، ص ٤٢ ـ ٤٣

(٣٦) البيزرة ، ص ٤٣

وعلي بن سليمـــــــا نَ رَمَى كلبــاً فَصـــادَهْ
فَهَنيئـــــــاً لهما كُـ ـــلُّ امرئٍ يــأكل زادَهْ[٣٧]

وكان للرشيد حظ من الصيد لا كمداومة المهدي لـه، واستهتـاره بـه، وكان يرتاح لـه اذا حضره ارتيـاحـاً شـديـداً ، حتى تحمله الأريحيـة على ركض فرسه ، والشدّ في اثر الطريدة[٣٨] . ثم آل الأمر من بعد الرشيد الى ابنـه محمـد الأمين . « فـوجّـه إلى جميـع البلـدان في طلب الملهّين ، وضمهم اليه ، وأجرى لهم الأرزاق ، ونافس في ابتياع فُرْه الدواب وأخذ الوحوش والسباع وغير ذلك »[٣٩] .

وكان المعتصم أشدَّ خلفاء بني العباس ولعاً بالفروسيّـة والصيـد ، فقـد قال عنه كشاجِم : « إنـه كان أكثر خلفـاء بني العبـاس محـالفَـة للصيـد ، وأخفَّهم فيه ركاباً ، لتوفُّر همّته على الفروسيّة وما شاكلها[٤٠] » .

ولم يكن المتوكل الذي ولي الخلافة أقلّ من أبيه المعتصم تعلّقاً بالصيد وإقبـالاً عليه ، وان كان لا يدانيه في فروسيته وشجاعته[٤١] .

وفي زمن المعتضد بلغ الاستهتار بالصيد غايته وعدا طوره ، فالخليفة قد ورث عن المعتصم قوته وولعه بالفروسيـة وشغفـه بـالصيـد . ولمـا آلت الخلافة من المعتضد الى ابنه المكتفي لم يكن الولد دون أبيه ولعا بـالصيـد واستهتاراً به ، فقد ورث عن أبيه الخلافة وورث معها جوارحه وضواريـه وبيازرته وفهّاديه وكلاّبيه[٤٢] . قال مؤلف البيزرة : « ولم يتـأخر المكتفي

(٣٧) المصايد والمطارد ، ص ١٦٦ .
(٣٨) البيزرة ، ص ٤٣ .
(٣٩) تاريخ الطبري ، ج ٧ ، ص ١٠٢ ، [الصيد عند العرب : ٤٨] .
(٤٠) المصايد والمطارد ، ص ٥ ، [الصيد عند العرب : ٤٩ ـ ٥٠] .
(٤١) الصيد عند العرب ، ص ٥١
(٤٢) الصيد عند العرب ، ص ٥١ ـ ٥٤

عن مذهبه في الصيد ، إلا أنّه كان أكثر ما يدمنه الصيد بالفهد والعُقاب ، وهما سبعا الضواري والجوارح ويباشر ذلك بنفسه ، ويمتهنها[٤٣] فيه ، لشدّة الشغف به والارتياح اليه ، أخبرني بذلك « شَهْرَام »[٤٤] وكان خصيصاً به لمعرفته بالصيد وحسن أدبه »[٤٥] .

(٤٣) يمتهنّ : يَبْتَذِل ، من امتهنت الشيءَ : ابتذلته . (مختار الصحاح) .

(٤٤) اسم فارسي وهذا يدل على أن الفرس كانوا مازالوا يتولون مثل هذه الأعمال حتى عهد المكتفي ، على الأقل .

(٤٥) البيزرة ، ص ٤٨ ، [وانظر المصايد والمطارد لكشاجم : ٧ ، والصيد عند العرب : ٥٤] .

الملحق الأول

طائفة من مصطلحات علم البيزرة والصيد والفروسية

١ ـ **الأخيّة** [كأبيّة] عود في حائط أو في حبل يدفن طرفاه في الأرض ويبرز طرفه كالحلقة تشد فيها الدابة . [ويقال فيها : الآخية بالمد وتخفيف الياء كآنية ، وبالمدّ وتشديد الياء] .

٢ ـ **الأُشنان** : حمض تغسل به الأيدي والثياب[1] .

٣ ـ **الإطْلاق** : ارسال السهم عن القوس .

٤ ـ **الإكْديش** : (الكِديش) هو من الخيل خلاف الجواد [مولدة] .

٥ ـ **أمير آخُور** : هو الذي يشرف على اصطبل السلطان أو الأمير ويتولى أمر ما فيه من الخيل والابل وغيرهما مما هو داخل في حكم الاصطبلات . (كلمة فارسية) . [آخور (بالفارسية) : مكان علف الحيوانات] .

٦ ـ **إيتار القوس** : أن تجعل للقوس وترا .

٧ ـ **البَرْنيّة** : إناء من خزف .

[(1) جاء في معجم الألفاظ الزراعية (ص ٥٨١ ـ ٥٨٢) : « الأشنان Salicorne وهو جنس نباتات من الفصيلة السرمقية ، تنبت برية في بادية الشام خاصة . منها الأُشنان العشبي S. herbacea ، والأشنان الدغلي S. fruticosa ، ويطلق الأُشنان في القديم والحديث على نبات بضعة أجناس من السرمقيات ....

وكانوا يستخرجون القلي من هذه النباتات ، وكلها لغوياً من الحمض . ولها أسماء عامية كثيرة » .

والحمضُ : ماملح وأمرّ من النبات ، الواحدة حمضة ، تأكله الإبل عند سآمتها من الخُلّة ، وهي ماحلا من النبات / المجلة] .

٨ـ البَعْجُ : الشقّ بالسكّين أو السّيف .

٩ ـ البَكْرَة : خشبة مستديرة في وسطها حَزّ ، يُسْتقى عليها .

١٠ ـ البَلْطَةُ : ضربٌ من الفؤوس (تركية) .

١١ ـ البُوق : شيء مجوف مستطيل ينفخ فيه ويزمر .

١٢ ـ البَيْزَرَة : حرفة البيزار ، وقيل : هي علم أحوال الجوارح من حيث صحتها ومرضها ومعرفة العلامات الدالة على قوتها في الصيد . (كلمة فارسية) .

١٣ ـ التّذْكِيَة : الذبح ، أو النحر عند الفقهاء .

١٤ ـ التركاش : (تَرْكِش) الكنانة (كلمة فارسية) [انظر شفاء الغليل ـ تركش] .

١٥ ـ التّسْمية : أن يذكر اسم الله على الذبيحة حينما يتشاغل بالذبح .

١٦ ـ الجَارُوفَة : شبكة طويلة تنشر في البحر على سعة مئة أو مئتين أو أكثر من الأمتار يصطاد بها مجموعة يتعاونون على سحبها الى البرّ بعد امتلائها بالصيد .

١٧ ـ الجَامُ : إناء من فضة .

١٨ ـ الجَامَكِيّة : (الجَوْمَك) : رواتب خدّام الدولة ، والكلمة مؤلفة من (جامَهْ + كِي) جامه : بمعنى لباس ، وكِي : أداة النسبة (كلمة فارسية) .

١٩ ـ الجَوْكَان : العصا المعقوفة الرّأس التي يضرب بها الفارس الكرة في بعض الألعاب معربها « الصولجان » (كلمة فارسية) .

٢٠ ـ الجَوْكَةُ : الجماعة من الناس ، الفوج (كلمة تركية) [جاء في القاموس المحيط : الجَوْقَةُ : الجماعة منا / المجلة] .

٢١ ـ الحَذْفُ : الرّمي .

٢٢ ـ **الحَلْبَةُ** : الدُّفْعة من الخيل في الرهان . وخيل تجتمع للسباق من كل أوب للنصرة (القاموس) .

٢٣ ـ **حَلْقَةُ الصَّيد** : المكان الذي يريدون الصيد فيه ويراقبون فيه الطرائد .

٢٤ ـ **الخَمَرُ** : شبه التخمة . يقال خَمِر الفرسُ (كفرح) : تخِم وسنق وبشم من أكل الشعير ، أو تغيرت رائحةُ فيه .

٢٥ ـ **الخِتْل** : جُحر الأرنب .

٢٦ ـ **الخُرْج** : وعاء من الشعر أو غيره ، ذو عدلين ، يوضع على ظهر الدابة .

٢٧ ـ **الخُفّ** : مايلبس بالرجل ، وهو من اللِّبْد ونحوه وقاية من أظفار النّمر وغيره من السبع .

٢٨ ـ **خَرْكَاه** : القبة والخيمة الواسعة المدورة (كلمة فارسية) .

٢٩ ـ **الخِلال** : عود يزال به الطعام الذي بين الأسنان .

٣٠ ـ **الخَنْجَر** : السكين .

٣١ ـ **الدِّبْق** : غراء لزج ينشر على قضبان دقاق ، يصاد به الطير والذباب ونحوهما .

٣٢ ـ **الدَّبُّوس** : عصا من خشب أو حديد لها رأس كالكرة .

٣٣ ـ **الدِّرْع** : ثوب أو قميص من زرد الحديد يلبس في القتال وقاية من سلاح العدو .

٣٤ ـ **الدَّرَق** : ضربٌ من التِرَسة (جمع تُرْس) ، الواحدة : دَرَقة ، تتخذ من الجلود .

٣٥ ـ **الدَّفّ والدفيف** : تحريك الطائر جناحيه ورجلاه بالأرض ، وهو يطير ، ثم يستقلّ .

٣٦ ـ **الرّائض** : من يروض الحيوانات الصائدة .

٣٧ ـ **الرَّشَقُ** : القوس السريعة السهم ، الرشيقة . وما أرشَقها : ماأخفّها وأسرع سهمها .

٣٨ ـ **الرفرفة** : بسطُ الطائر جناحيه .

٣٩ ـ **الرُّمَّة** : قطعة من الحبل .

٤٠ ـ **الزُّرْق** : الأسنّة ، سُميت بذلك للونها . والمزراق من الرماح : رمحٌ قصير وهو أخفّ من العَنَزَة .

٤١ ـ **الزِّق** : كل وعاء من الأُهُب اتخذ لشراب ونحوه .

٤٢ ـ **الزناد** : أداة يضغط عليها بالاصبع فتطلق القذيفة .

٤٣ ـ **الزّناقُ** : رباط تحت حنك الدابة في الجلد .

٤٤ ـ **السَّبَق** : مايجعل من المال رهناً على المسابقة . فمن سبق أخذه ، والجمع أسباق .

٤٥ ـ **السَّفُّود** : حديدة دقيقة يشكّ فيها اللّحم ليشوى .

٤٦ ـ **السّندان** : مايطرق الحداد عليه الحديد . معرّب (شفاء الغليل) .

٤٧ ـ **السَّيْرُ** : مايقد من الجلد طولا .

٤٨ ـ **السَّيف البَدّاوي** : سيف منسوب الى البادية .

٤٩ ـ **السَّيف القَلْجُوري** : سيف استخدمه المماليك في حروبهم .

٥٠ ـ **الشَّبَكَةُ والشُّبّاكُ** : شَرَكة الصائد التي يصيد بها في البر والماء .

٥١ ـ **الشَرَكُ** : حبائل الصيد وما ينصب للطير . واحدته شَرَكَة .

٥٢ ـ **الشّكَال** : الحبل الذي تشد به قوائم الدابة .

٥٣ ـ **الصَّوَاريخ** : سهام من النفط يرمى بها في الحصار لاحراق البيوت .

٥٤ ـ **الصَّوْلَجَان** : العصا المعقوفة الرأس التي يضرب بها الفارس الكرة في بعض الألعاب .

٥٥ ـ **الصَّيْد** : المصيد . أو ماكان ممتنعاً ولا مالك له (القاموس) .

٥٦ ـ **الصِّيَرة** : حظيرة الغنم والبقر .

٥٧ ـ **ضابِطُ الأمر** : القائد والحاكم بأمور الجيش .

٥٨ ـ **الضَّوَاري** : من الحيوانات ، السباع كالأسد والذئب ونحوهما .

٥٩ ـ **الطَّرْقُ** : الفحل المستعمل للضراب .

٦٠ ـ **الطَّرِيدَة** : ما طردت من صيد أو غيره .

٦١ ـ **العُصْفُـور** : عظم ناتىء في جبين الفرس [وهما عصفوران يَمْنة ويسرة . وقيل : هو العُظَيم الذي تحت ناصية الفرس بين العينين] .

٦٢ ـ **الغِلْمَان** : هم الذين يتصدون لخدمة الخيل . والغلام في اصل اللغة : الذي طرَّ شاربه .

٦٣ ـ **الفَخُّ** : المصيدةُ التي يصاد بها . والجمع فخاخ وفخوخ .

٦٤ ـ **الفَرَاهَة** : الجمال والحسن . [والفراهة : النشاط . يقال : دابة فارهة أي نشيطة حادّة قوية] .

٦٥ ـ **الفَرَس العَرُوف** : الفرس الصبور .

٦٦ ـ **الفَهَّاد** : الذي يعلم الفهد الصيد ويمرّنه عليه

٦٧ ـ **الفوق** : موضع الوتر من السهم .

٦٨ ـ **القَانِص** : الصائد .

٦٩ ـ **القَرَبوس** : القسم المقوس المرتفع من قدام المقعد ومن مؤخرته في السرج .

٧٠ ـ **القُرْدُ والقُراد** : دويبة تتعلق بالبعير ونحوه ، وهي من العنكبوتيات .

٧١ ـ القَرَعة : التُرس .

٧٢ ـ القُفّاز : حديدة مشتبكة يجلس عليها البازي .

٧٣ ـ القِلادةُ : ما يجعل في العنق ، يكون للانسان والفرس والكلب والبَدَنَةِ التي تُهدى ونحوها .

٧٤ ـ القِمَاط : حبل يُشد به قوائم الشاة عند الذبح ، وكذلك الحبلُ الذي يجمع بين يدي الأسير ورجليه .

٧٥ ـ القَوْس : آلة رمي السهام .

٧٦ ـ الكَبّاش : صاحب الكباش .

٧٧ ـ الكَلاّب : معلم الكلاب الصيد .

٧٨ ـ الكَلاَل : التعب ، الاعياء في الفَرَس .

٧٩ ـ الكُمّ : مدخل اليد ومخرجها من الثوب ، يجعلونه من اللّبْد ، وقاية من أظفار النّمر .

٨٠ ـ الكُمّة : القلنسوة المدوّرة لأنها تغطّي الرأس .

٨١ ـ الكَنْدرةُ : مجثم البازي .

٨٢ ـ الكَوّاخ : هو الذي يتخذ الكوخ لتربية الغزال .

٨٣ ـ الكَوَاسِب : الجوارح .

٨٤ ـ اللُبّادةُ : قَباء من لُبود ، يقي من أظفار النمر .

٨٥ ـ اللّجام : مايجعل في فم الفرس من الحديد مع الحَكَمَتَين والعذارين والسير .

٨٦ ـ المَدّ : بسط القوس .

٨٧ ـ المزراق : رمح قصير . (انظر كلمة : الزرق) .

٨٨ ـ المَسْرَجَة : القنديل الذي فيه الفتيلة والدهن .

٨٩ ـ **المصير** : المِعَى يصنعون منه الوتر ، والجمع أمصرة ومُصْران ، وجمع الجمع مصارين .

٩٠ ـ **المُصَفَّح** : درع مُغَطّى بالصفيح .

٩١ ـ **المِعْرَاض** : سهم ليس له ريش ، دقيق الطرفين ، غليظ الوسط ، يصيب بعرضه دون حدة .

٩٢ ـ **المِغْرَفَةُ** : الأداة التي يُغْرف بها .

٩٣ ـ **المَقْبِضُ** : ما قبضت عليه بجمع الكفّ من كل شيء ، مثل مقبض السكين والقوس والسيف .

٩٤ ـ **المِقْرَعَة** : السوط .

٩٥ ـ **المِنْجَل** : آلة حديدية عقفاء يقضب بها الزّرع وغيره .

٩٦ ـ **المِنْسَر والمَنْسِر** : هو للطير الجارح مثل المِنْقار لغير الجارح . وقطعة من الجيش تمرّ قدام الجيش الكثير .

٩٧ ـ **النافجة** : وعاء المسك ، أي الجلدة التي يتجمع فيها .

٩٨ ـ **النَّصْل** : حديدة السهم والرمح والسيف والسكين .

٩٩ ـ **النَّطْع** : الأدم .

١٠٠ ـ **الوَبَر** : هو للابل والأرانب ونحوها كالصوف للغَنَم .

١٠١ ـ **الوهدة والوهد** : الأرض المنخفضة والجمع وهاد .

الملحق الثاني

الكتب التي ألفت في الصيد والبيزرة والحيوان

ألف ـ باللغة العربية

- أحكام الفرس والخيل ؟ تحت رقم : ٣٨٨٧ المكتبة الظاهرية بدمشق . انظر : فهرس مخطوطات المكتبة الظاهرية (العلوم والفنون المختلفة عند العرب) .
- أرجوزة الاقنوم في مبادىء العلوم ، لأبي زيد عبد الرحمن الفاسي . (الجزائر / ١٩٥٩) [انظر الكافي في البيزرة : ٤٠ / المجلة] .
- الاعتبار ، لأسامة بن منقذ ، حرّره فيليب حتّي (الولايات المتحدة ، جامعة برنستون / ١٩٣٠) .
- الأقوال الشافية في الخيل وما يتعلق بها ، لملك اليمن علي بن داود من بني رسول ، مجهول المكان . انظر : نوادر المخطوطات العربية ، لأحمد تيمور باشا .
- انتهاز الفرص في الصيد والقنص ، لحمزة فتح الله (دمشق ، مكتبة الظاهرية ؟) .
- أنس الملا بوحش الفلا ، لمحمد بن منكلي (باريس ، فريعون ١٨٨٠ م) [انظر الكافي في البيزرة : ٣٩ / المجلة] .
- الأيد في الصيد ؟ مجهول المكان . انظر : الصيد والطرد عند العرب ، للدكتور ممدوح حقي .
- البيزرة ، لابراهيم البصري ، ألف في زمان هارون الرّشيد وعنه ينقل محمد بن منكلي في كتابه « أنس الملا ... » مجهول المكان . [انظر الكافي في البيزرة : ٣٥ / المجلة] .

- البيزرة ، لبازيار العزيز بالله الفاطمي (ظنّاً) ، تحقيق محمد كرد علي (دمشق ، المجمع العلمي العربي / ١٩٥٣ م) .
- التبيان لما يحل ويحرم من الحيوان .. أنظر : نوادر المخطوطات العربية ، للدكتور رمضان ششن .
- تنوير الأذهان في علم حياة الحيوان والانسان ، طبع في الاسكندرية . انظر : معجم الحيوان ، لأمين معلوف (ملحق المصادر) .
- تهذيب الحيوان ، للجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون (القاهرة ، مكتبة الخانجي ـ دار الرفاعي ، ١٩٨٣ م) .
- الجارح من الطير ، لجهم بن خلف المازني . انظر : الفهرست ، لابن النديم .
- الجمهرة في علوم البيزرة ، لعيسى بن حسان الأسدي ، تحت رقم ٣٨١٣ ، مكتبة آياصوفيا . انظر : تاريخ الادب العربي ، لبروكلمان ، ج ٤ . [انظر الكافي في البيزرة : ٣٨ / المجلة] .
- الجوارح والبزدرة ، أو الجوارح وعلوم البزدرة ، لأبي بكر بن يوسف القاصي ، تحت رقم : ٢٨٣١ المكتبة الوطنية بباريس . انظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ج ٤ ونوادر المخطوطات العربية لأحمد تيمور باشا .
- الحجج البيّنات في علم الحيوانات لأحمد ندى ، طبع في مصر سنة ١٨٦٧ . انظر : معجم الحيوان لأمين معلوف ، ملحق المصادر .
- الحمام لأبي عبيدة . انظر : الفهرست لابن النديم .
- حياة الحيوان للدميري (بيروت ، دار الفكر ، بدون تاريخ) .
- حياة الحيوان (الثدييات) ، لحسين فرح زين الدين وتوفيق محمد أبو طرة (القاهرة ، دون تاريخ) .

- حيوانات لبنان البرية والمائية ، لادوارد غالب (بيروت ، الجامعة اللبنانية / ١٩٧١) .
- حيوانات وطيور بلاد الشام من النقب الى حلب ، لأحمد وصفي زكريا (دمشق ، المركز الجغرافي الفلسطيني ، ١٩٨٣) .
- الحيوان ، للجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون (القاهرة / ١٩٤٥) .
- الحيوان في الادب العربي ، لشاكر هادي شَكَر (بيروت ، مكتبة النهضة العربية / ١٩٨٥) .
- خواص الحيوان(؟)
- الخيل والبيطرة ، لأبي خزّام الخُتّلي ، تحت رقم : ٣٦٠٧ مكتبة آيا صوفيا بتركيا . انظر : تاريخ الادب العربي ، لبروكلمان ، ج ٤ .
- الدر المطابق في معرفة السوابق ، في الخيل وتعليمها ومعالجتها ، نسخة منه في السلطانية بالقاهرة . انظر : نوادر المخطوطات العربية ، لأحمد تيمور باشا .
- رسالة الطرد ؟ نشرها محمد قاسم مصطفى في مجلة معهد المخطوطات ، المجلد ٢١ سنة ١٩٧٥ . انظر معجم المخطوطات المطبوعة ، للدكتور صلاح الدين المنجد .
[رسالة الطرد لأبي الحسن علي بن أبي الطيب الباخرزي مؤلف دمية القصر ، وقد نشر الأستاذ محمد قاسم مصطفى رسالة الطرد في مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد ٢١ الجزء الثاني ، سنة ١٩٧٥ م ص ٢٦٦ - ٢٨٨ ، مع مقدمة للمحقق ، ص ٢٥٦ - ٢٦٥ / المجلة] .
- رسالة في الصيد بالجوارح ، لابي بكر بن الحسن القاسمي العلوي (٨٤٨ / ١٤٤٤) تحت رقم ٢٨٣١ المكتبة الوطنية بباريس . انظر : مقدمة الكافي في البيزرة ، لاحسان عباس وعبد الحفيظ منصور . ص ٣٩

- رسالة في الصيد ، لمحمد بن سليمان التنكابني . انظر : الذريعة الى تصانيف الشيعة ، للشيخ آغابزرك الطهراني ، ج ١٥ .
- رسالة في الصيد والذبائح ، للمولى محمد تقي النوري (توفي سنة ١٢٦٣ هـ) انظر : الذريعة ، ج ١٥ .
- رشحات المداد فيما يتعلق بالصافنات الجياد ، للبَخْشي ، نسخة منه في السلطانية بالقاهرة . انظر : نوادر المخطوطات العربية ، لأحمد تيمور باشا . [طبع الكتاب بحلب سنة ١٩٣٠ م ، بعناية الأستاذ محمد راغب الطباخ / المجلة] .
- روضة السلوان ، لابراهيم بن عبد الجبار الفجيجي (٩٢٠ / ١٥١٤) وهي قصيدة عينية على بحر الطويل . مجهول المكان . انظر : مقدمة الكافي في البيزرة ، ص ٤٠ .
- رياضة الصيد بالصقور ، للشيخ زايد بن سلطان آل نهيان (أبو ظبي / ١٩٧٦ م) .
- الزند الواري في معرفة الجوارح والضواري ؟ وقيل انه في آيا صوفيا . انظر : مقدمة الكافي في البيزرة . نوادر المخطوطات العربية لأحمد تيمور باشا .
- شرح طبائع الحيوان لأرسطو ، ترجمة الشيخ أحمد فارس من الانكليزية ، طبع في مالطة سنة ١٨٤١ .
- شعر الطرد ، للدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، دار النفائس / ١٩٧٤ م) .

الشقائق النعمانية ، لمحمد بن أبي رأس (في الصيد) وهو شرح روضة السلوان ، مجهول المكان . انظر : نوادر المخطوطات العربية ، لأحمد تيمور باشا .

ـ صيد البحر ، لعبد المنصف محمود (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب / ١٩٧٧ م) .
ـ صيد البحر في الفوائد المتفرقة والنكات الدقيقة ، لجعفر بن اسحاق الموسوي (توفي ١٢٦٥ هـ) . انظر : الذريعة ، ج ١٥ .
ـ الصيد عند العرب ، للدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا (بيروت ، مؤسسة الرسالة / ١٩٨٣ م) .
ـ الصيد والجارح ، لابن المعتز . انظر الفهرست لابن النديم .
ـ الصيد والطرد عند العرب ، تحقيق الدكتور ممدوح حقي (دمشق ، دار النشر للجامعيين / ١٩٦١ م) .
ـ الصيد والقنص ؟ تحت رقم : ٢ / ٢٩٤ ، المكتبة الوطنية بطهران .. انظر : تاريخ الأدب العربي لبروكلمان .
ـ الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري ، للدكتور عباس مصطفى الصالحي . (بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع / ١٩٨١ م) .
ـ طباع الحيوان ، لأرسطو ، ترجمة يوحنا بن البطريق ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي (الكويت ، وكالة المطبوعات / ١٩٧٧ م) .
ـ طب الطيور في تربية الصقور وتدريبها ومعالجتها ؟ مجهول المكان . انظر : فهرس المخطوطات العربية لأحمد تيمور باشا .
ـ الطيور العراقية ، بشير اللوس (بغداد / ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ م) .
ـ الطيور المصرية ، لعبد الله النجومي وآخرين (القاهرة / ١٩٥٠ م) .
ـ طيور مصر ، لأحمد حماد الحسيني (القاهرة / ١٩٥٤ م) .
ـ عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، لمحمد بن محمود الطوسي (في القرن السابع والثامن) انظر : پرندگان ايران ، مقدمة ص ٣ .
ـ عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، للقزويني ، زكريا بن محمد بن

محمود (٦٠٠ ـ ٦٨٠ هـ) (بيروت ، دار صادر) .

ـ عقد الجمان ، لعبد الله بن جبرئيل بن بَختيشوع ، وهو مخطوط في دار الكتب المصرية . انظر : معجم الحيوان ، لامين معلوف ، ملحق المصادر .

ـ عنوان الديوان في أسماء الحيوان ، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الخضري ، (توفي ٩١١ هـ) تحت رقم : ٨٣٧٧ المكتبة الظاهرية بدمشق . انظر : فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، لابراهيم خوري (دمشق ، مجمع اللغة العربية / ١٩٦٩ م) .

ـ عين الحياة ، لمحمد بن أبي بكر المعروف بابن الدماميني (توفي سنة ٨٢٧ هـ) . تحت رقم : ٣٢٨٥ ، المكتبة الظاهرية بدمشق . انظر : فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، لابراهيم خوري .

ـ فرائد السلوك في مصايد الملوك ، لابن نباتة الحموي الفارقي ، وهي أرجوزة مزدوجة . انظر : مقدمة الكافي في البيزرة ، ص ٤٠ .

ـ الفروسية والبيطرة ، لأبي خَزّام الخُتّلي (كان حيّاً قبل سنة ٢٨٩ هـ) تحت رقم : ٧١ المكتبة الظاهرية بدمشق .

انظر : فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (العلوم والفنون المختلفة عند العرب) لمصطفى سيد الصباغ .

ـ الفروسية وركوب الخيل ومعرفة أنواعها وعللها ؟ مجهول المكان .

انظر : نوادر المخطوطات العربية ، لاحمد تيمور باشا .

ـ فصول في التاريخ الطبيعي من مملكتي النبات والحيوان ، ليعقوب صروف (القاهرة ، / ١٩٣١ م) .

ـ القانون الواضح في البيزرة ، ذكره ابن الاكفاني في كتابه « ارشاد القاصد » مجهول المكان . انظر : مقدمة الكافي في البيزرة ، ص ٣٨ ـ ٣٩

- قطر السيل في الخيل ، للبلقيني ، نسخة منه عند أحمد تيمور باشا . انظر : نوادر المخطوطات العربية لأحمد تيمور باشا .
- القنص بالصقر بين المشرق والمغرب ، للدكتور عبد الهادي التازي (الرباط / ١٩٨٠ م) .
- الكافي في البيزرة ، لعبد الرحمن محمد البلدي ، تحقيق احسان عباس وعبد الحفيظ منصور (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر / ١٩٨٣) .
- كامل الصناعتين ، البيطرة والزرطقة (الزردقة) ، لابي بكر بن البدر البيطار (كان حيّاً قبل ٧٤١ هـ) تحت رقم : ٢٠ المكتبة الظاهرية بدمشق . انظر : فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (العلوم والفنون المختلفة عند العرب) .
- كتاب الحيوان ، لابن قتيبة الدينوري (٢٧٠ هـ) . انظر : پرندكان ايران مقدمة ص٣ .
- كتاب الصيد ، لأبي محمد الوشا (توفي ٢٨٠ هـ) . انظر : الذريعة ج١٥ .
- كتاب الصيد ، لمحمد بن مسعود السلمي السمرقندي . انظر : الذريعة ج١٥ .
- كتاب الصيد والذبائح ، لعلي بن مهزيار الأهوازي . انظر : الذريعة ج١٥ .
- كتاب الصيد والذبائح ، لمحمد علي بن عباس العاملي ، توجد نسخة منه في خزانة الشيخ علي بن محمد رضا كاشف الغطاء . انظر الذريعة ج١٥ .
- كتاب الصيد والذبائح ، لأبي الفضل الصابوني . انظر : الذريعة ج١٥ .
- كتاب الصيد والذبائح ، لأبي جعفر محمد بن أورمة القمي . انظر :

الذريعة ، ج١٥ .

- كتاب الصيد والذبائح ، لأبي جعفر محمد بن الحسن بن سنان الزاهري (توفي ٣٢٠ هـ) انظر : الذريعة ، ج١٥ .

- كتاب الصيد والذبائح ، لميرزا محمد بن محمد رضا القمي . انظر : الذريعة ، ج١٥ .

- كتاب الصيد والذبائح ، لمحمد بن الحسن بن فروخ الصفّار القمي توفي (٢٩٠ هـ) . انظر : الذريعة ، ج ١٥ .

- كتاب الصيد والذبائح ، لمحمد علي البلاغي ، توجد نسخة منه في خزانة الشيخ علي كاشف الغطاء . انظر : الذريعة ج ١٥ .

- كتاب الصيد والجارح ، للفتح بن خاقان (٢٤٧ / ٨٦١) . انظر : الفهرست لابن النديم ص ١٣٠ .

- كتاب البزاة والصيد ، لأبي دلف (٢٢٦ هـ - ٨٤٠ م) . انظر : الفهرست لابن النديم ، ص ١٣٠ .

- كتاب الجوارح والصيد بها ، لأحمد الطيب السرخسي (٢٨٦ هـ / ٨٩٩) انظر : الفهرست لابن النديم ص ٣٢١ .

- كتاب الجوارح والصيد ، لابن المعتز (٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م) انظر : الفهرست لابن النديم ص ١٣٠ .

- كتاب البيزرة ، لكشاجم (القرن الرابع) وهو غير كتاب المصايد والمطارد ومنه مصورة بمدرسة الدراسات الشرقية والافريقية بلندن ، تحت رقم : ٢٠٩١ . انظر : مقدمة الكافي في البيزرة ، ص ٣٦ .

- كتاب الصيد ، للخالديين (القرن الرابع) ، مجهول المكان . انظر : مقدمة الكافي في البيزرة ، ص ٣٦ .

- كتاب البازي ، لبدر الدين بكتوت بن عبد الله ، الظاهري الأشرفي

(٦٩٤ هـ ـ ١٢٩٤ م) مجهول المكان . انظر : مقدمة الكافي في البيزرة ، ص ٣٨ .

ـ كتاب منافع الطير ، (كتاب الطيور) . للحجاج بن خيثمة ، ومنه نسخة في المكتبة البودلية بأكسفورد تحت رقم : ١٤٨ (MARSH) ونسخة في المكتبة التيمورية تحت رقم : ٢ (فروسية) . انظر : نوادر المخطوطات العربية لاحمد تيمور باشا ، ومقدمة الكافي في البيزرة ، ص٣٥

ـ كتاب المصايد ، للطبيب عيسى الرقي (من أطباء سيف الدولة الحمْداني في القرن الرابع) مجهول المكان . انظر : مقدمة الكافي في البيزرة ، ص ٣٦ .

ـ كتاب الطرد ، لأحمد بن أبي طاهر (طيفور) (٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م) . انظر : الفهرست ، لابن النديم ص ١٦٣ .

ـ كتاب البيزرة ، للسان الدين بن الخطيب (٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م) مجهول المكان . انظر : مقدمة الكافي في البيزرة ، ص ٣٩ .

ـ كتاب السير والطير ،؟ وقيل انه في برلين . انظر : مقدمة الكافي في البيزرة ، ص ٣٨ .

ـ كتاب الفريد في تقييد الشريد ،؟ قيل في برلين . انظر : مقدمة الكافي في البيزرة ص ٣٨ .

ـ كتاب البزدرة في تربية سباع الضواري ؟ قيل في توبنغن . انظر : مقدمة الكافي في البيزرة ص ٣٨ .

ـ كتاب الطير ، لأبي عمر يوسف بن هارون الرمادي الأندلسي .

ـ كتاب الحيوان ، للكندي .

ـ كتاب في البيزرة ،؟ كتبت في القرن التاسع ، تحت رقم : ١٨٠٤ في مكتبة المغنيسيا بتركيا . انظر : نوادر المخطوطات العربية ، للدكتور

رمضان ششن ، ج ٣ .

- كتاب الخيل ، أو فضل الخيل ، لعبد المؤمن بن خلف الدمياطي (توفي ٧٠٥ هـ) تحت رقم : ٨٦٩٥ المكتبة الظاهرية بدمشق . انظر : فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (العلوم والفنون المختلفة عند العرب) [طبع كتاب فضل الخيل بمدينة حلب ، سنة ١٩٣٠ م ، باشراف الاستاذ محمد راغب الطباخ / المجلة] .

- كتاب الخيل ، لعبد الملك الأصمعي (١٢٢ ـ ٢١٦ هـ) تحت رقم : ٢٤ المكتبة الظاهرية بدمشق . انظر : فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (العلوم ...) [طبع غير مرة / المجلة] .

- كتاب منافع الحيوان ، لعلي بن عيسى (طبيب الخليفة المعتمد على الله) تحت رقم : ٦٧ : ٢ غوطا . انظر : تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ، ج٤ .

- كتاب الفروسية وشيات الخيل ، لأبي خزّام الختّلي ، تحت رقم : أول ١٣٠٥ المتحف البريطاني . انظر : تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ، ج٤ .

- كتاب الفروسية واستخراج الخيل العربية في البنود السليمانية ،؟ تحت رقم : ١٥٥٠ ، مكتبة شهيد علي في تركيا . انظر : نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا ، للدكتور رمضان ششن ، ج ٣ .

- كتاب الزردقة في معرفة الخيل وأجناسها وأمراضها (مصور منه في السلطانية بالقاهرة) . انظر : نوادر المخطوطات العربية ، لأحمد تيمور باشا .

- كتاب في البيطرة ، ملون الصور ، نسخة منه بخزانة خليل آغا بالقاهرة . انظر : نوادر المخطوطات العربية ، لأحمد تيمور باشا .

- كشف الأسرار عن حكم طيور والأزهار ؟
- مباهج السرور والرشاد في الرمي والسباق والصيد والجهاد ، لزين الدين عبد القادر الفاكهي (٩٤٨ هـ / ١٥٤١ م) ومنه نسخة في المكتبة الوطنية بباريس ، تحت رقم : ٢٨٣٤ [انظر الكافي في البيزرة : ٤٠ / المجلة] .
- مباهج الفكر ومناهج العبر ، للوطواط ، جمال الدين محمد بن ابراهيم بن يحي الوراق الكتبي (٦٣٢ / ٧١٨ هـ) منه نسخة في دار الكتب المصرية ، علوم طبيعية تحت رقم : ٣٥٩ .
- المصايد والمطارد ، لكشاجم ، تحقيق الدكتور محمد أسعد طلس (بغداد ، دار المعرفة . ١٩٥٤) .
- معالجة الطيور ، لأبي نصر معد ، نسخة منه في الفاتح بالآستانة . انظر : نوادر المخطوطات العربية ، لأحمد تيمور باشا .
- معجم الحيوان ، لأمين معلوف (بيروت ، دار الرائد العربي ، بدون تاريخ) .
- منافع الحيوان ، لعلي بن عيسى بن علي .
- المنصوري في البيزرة ، ضاع معظمه ، ومؤلفه من القرن السابع الهجري ، ومنه نسختان في المكتبة الأحمدية بتونس تحت رقم : ٥٤٥٢ ، ٥٤٣٣ وقد حققه ، عبد الحفيظ منصور ونشره في مجلة الشرق ١٩٦٨ . [انظر الكافي في البيزرة : ٣٩ / المجلة]
- منية الصيادين ، لعبد اللطيف الكرماني ، نسخة منه بآياصوفيا . انظر : نوادر المخطوطات العربية وأماكن وجودها ، لأحمد تيمور باشا .
- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، لشمس الدين أبي عبد الله محمد أبي طالب الأنصاري (٦٣٤ هـ / ١٢٥٦ م) ترجمت منه مختارات الى اللغة الفارسية . انظر : معجم الحيوان ، لأمين معلوف ، ملحق المصادر .

ـ نزهة الزمان في طبائع الحيوان ،؟ تحت رقم : ٧٥٩٢ المكتبة الظاهرية بدمشق . انظر : فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، لابراهيم خوري .

ـ نزهة الملوك والسادات بالطيور والجوارح والجياد الصافنات ، راجع : الصيد والطرد عند العرب ، للدكتور ممدوح حقي .

ـ نزهة النفوس والأفكار في خواص النباتات والحيوان والأحجار ،؟ تحت رقم : ٩٢١١ المكتبة الظاهرية بدمشق . انظر : فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، لابراهيم خوري .

ـ الوحوش ، لابي زيد النحوي . انظر : الفهرست لابن النديم ، ص ٨٧ .

باء ـ باللغة الفارسية

ـ أحكام الحيوان ، لفصيح الدين بن قمر الدين ، تحت رقم : ٢ ق ف ١ ، المتحف الوطني الباكستاني ـ كراتشي . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي انجمن ترقي اردو ، كراچي .

ـ ارشاد العباد الى أحكام الذبائح والاصطياد ، لأحمد بن سيد درويش قادري نقوي ، تحت رقم : أ ق ف ١٦ المتحف الوطني الباكستاني ـ كراتشي . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي انجمن ترقي .

ـ انتخاب فرسنامه ، ناشناس ، تحت رقم :١٦ / ٤٩٢ مكتبة الملك بطهران . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

ـ أنواع حيوانات ، لفيض الله ، تحت رقم ٦ / ٤٩٢ مكتبة الملك بطهران . انظر : فهرست نسخة هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

ـ أنيس الأمراء ، لمحمد حسين فرزند سيد جواد حسيني كرماني ، تحت رقم : ٣٤١ مكتبة كلية الآداب بطهران . انظر : فهرست نسخه هاي

خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

ـ بازنامه ، ناشناس ، تحت رقم : ٦٣٤١ ، مكتبة كَنج دانش ، في اسلام آباد ، انظر : فهرست . نسخه هاي خطي كتابخانه كَنج دانش ، لأحمد منزوي ج ١ .

ـ بازنامه ، ناشناس ، تحت رقم :٦٣٤١ ، مكتبة كَنج دانش ، في اسلام آباد . انظر : فهرست نسخه هاي خطي كتابخانه كَنج دانش ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

ـ بازنامه ، ناشناس ، تحت رقم : ٤٢٨ ، مكتبة كَنج دانش في اسلام آباد . انظر : فهرست نسخه هاي خطي كتابخانه كَنج دانش ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

ـ بازنامه ، ناشناس ، تحت رقم : ٣٦٧٠ مكتبة كَنج دانش في اسلام آباد . انظر : فهرست نسخه هاي خطي كتابخانه كَنج دانش . لأحمد منزوي ، ج ١ .

ـ بازنامه ، ناشناس ، تحت رقم : N.M. 1957 - 912 / 6 المتحف الوطني الباكستاني ـ كراتشي . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي موزه ملي پاكستان ، كراچي ، لسيد عارف نوشاهي .

ـ بازنامه = دستور الصيد ، لمحمد رضا فرزند خواجه يوسف ، تحت رقم : ٦٩٦٢ في المتحف البريطاني . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

ـ بازنامه ، لأبي الحسن علي بن أحمد النسوي ، تحت رقم : ١٨ / ٤٩٢ مكتبة الملك بطهران . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

ـ بازنامه ، لعرب نجفي (؟) ، تحت رقم : ٨٧٩٢ المكتبة الرضوية بمشهد .

انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

- بازنامه ، ناشناس تحت رقم : ٤٠٦ متحف ايران القديمة بطهران .

انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

- بازنامه ناشناس ، تحت رقم : ١ / ٥٠٧ مكتبة الملك بطهران . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

- بازنامه ، ناشناس ، تحت رقم : ٢ : ٢٣٤ و ٤ : ٨٣ مكتبة سپهسالار بطهران . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

- بازنامه منظوم ، لسلطان يعقوب فرزند سلطان حسين بهادرخان ، بازدار وأميرشكار ، تحت رقم : ٤ / ٣٠٦٥ ، المكتبة المركزية لجامعة طهران . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

- بازنامه منظوم ، ناشناس ، تحت رقم : ٥٧٣٥ في المتحف البريطاني . انظر : فهرست نسخه هاي خطي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

- بازنامه ناصري ، ليتمور ميزراي حسام الدولة ، طبع في طهران ، دون تاريخ .

- بازنامه ، لأبي سعيد ، تحت رقم : ٦٣٤١ مكتبة گنج دانش ، في اسلام آباد . انظر : فهرست نسخه هاي خطي ، كتابخانه گنج دانش ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

- بازنامه ، لجمال الدين أديب ، تحت رقم : ٦٣٤١ مكتبة گنج دانش ، في اسلام آباد . انظر : فهرست نسخه هاي خطي كتابخانه گنج دانش ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

- پرندگان ايران ؟ (طهران ، سازمان حفاظت محيط زيست ، ١٣٦٢ هـ) .

- پستانداران ایران ، لدکتور اسماعيل اعتاد (طهران ، سازمان حفاظت محيط زيست ، ١٣٥٥ هـ) .
- تحفة الفرس ، لقاضي حسن بن خواجه محمد ، تحت رقم : .N. M 1111- 1961 ، انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي موزه ملي پاكستان ـ كراچي ، نگاشته : سيد عارف نوشاهي .
- تذكرة صيديه = خواص الحيوان ، لشيخ محمد علي حزين لاهيجي ، تحت رقم : N.M. 1961-732. انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي موزه ملي ثاكستان ـ كراچي نگاشته : سيد عارف نوشاهي .
- التذكرة في علم البزدرة ، لمحمد علي فرزند علي شوشتري ، تحت رقم : ١ / ٥٤٦ مكتبة الملك بطهران . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .
- ترجمة حياة الحيوان دَميرى ، لملا عبد المجيد فاوجي وملا محمد ، تحت رقم ٧٠٥ ، مكتبة المجلس بطهران . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .
- ترجمة حياة الحيوان (دَميري) لشاه محمد قزويني ، تحت رقم : ٣٢٧٠ مكتبة سپهسالار بطهران . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .
- ترجمة عجايب المخلوقات (قزويني) ، لملا عبد الرشيد معروف به بايزيد البستكي ، تحت رقم : ٣٥٤ ، مكتبة الآصفية بتركيا . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .
- جانورنامه ، لمحمد تقي فرزند هاشم أنصاري كاشاني ، تحت رقم : ٧٠٧ مكتبة المجلس بطهران . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

- جانورنامه ، ناشناس ، تحت رقم : ٢٨٠٤ المكتبة المركزية لجامعة طهران . انظر : فهرست نسخة هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .
- جوار حنامه إمامية في قوانين الصياد = صيد المراد في قوانين الصياد ، لابن يار محمد عرف خدايارخان داود عباسي ، تحت رقم : .N. M 804 -1957 ، انظر ، فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .
- حواصيل وبوتيار ، لدكتور أمير حسن يزدكَردي (طهران ، دانكَشاه طهران ، ١٣٦٥) .
- الحيوانات التي تحلي (؟) بلا خلاف في مذهب الشافعي ، لأفضل الدين سمناني ، ترجمة ناشناس ، تحت رقم : ٤ / ١٣٥٦ . المكتبة الوطنية في باريس . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .
- خاص (خواص) الحيوانات ، ناشناس ، تحت رقم : ٦٥٧ المكتبة الوطنية بطهران . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي . لأحمد منزوي ، ج ١ .
- خواص جانوران ، ناشناس ، تحت رقم : ٥٣٧٤ . مكتبة كَنج دانش . اسلام آباد . انظر : فهرست نسخه هاي خطي كتابخانه كَنج دانش ، لأحمد منزوي ، ج ١ .
- خواص الحيوان : لمحمد علي حزين فرزند أبو طالب زاهدي كَيلاني ، تحت رقم : ٣ / ٢٣٥٦٢ ، المتحف البريطاني . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .
- خواص الحيوان ، لمحمد تقي فرزند خواجه محمد تبريزي ، تحت

رقم : ٢١٧١ مكتبة المجلس بطهران . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

- خواص الحيوان ، لملا علي كامي ، تحت رقم : ١ / ٢٣٨٧ ، المكتبة المركزية لجامعة طهران . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي . لأحمد منزوي ، ج ١ .

- خواص الحيوان ، ناشناس ، تحت رقم : ٧٣٠ ف المكتبة الوطنية بطهران . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

- راحة الفَرَس ، ناشناس ، تحت رقم : ١١٩١٨ في المتحف البريطاني . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

- راهنماي پستانداران ايران (طهران ، سازمان حفاظت محيط زيست ، ١٣٥٥ هـ) .

- رسالة صيدية ، ؟ نسخة منه موجودة عند الشيخ شرف الدين بتُسْتَر . انظر : الذريعة ، ج ١١ .

- رسالة في الصيد وآدابه ومحسناته ، لمولى محمد سليم الرازي ، انظر : الذريعة ، ج ١٥ .

- رسالة في الصيد والذبائح ، لمحمد بن الحسن الشيرواني . انظر : الذريعة ، ج ١٥ .

- الرسالة الصيدية ، للقاضي فيض الله البغدادي المتخلص بحاجبي ، نسخة منه موجودة ضمن مجموعة من موقوفة البروجودي في النجف . انظر : الذريعة ، ج ١١ .

- الرسالة الصيدية ، للشيخ محمد علي الشهير بالشيخ الحزين ، نسخة منه موجودة في مكتبة الخوانساري . انظر : الذريعة ، ج ١١ .

- شكار، لمجد الدين فرزند محمد شفيع هاشمي عباسي، تحت رقم: ٣١٧٥ المكتبة المركزية لجامعة طهران. انظر: فهرست نسخه هاي خطي فارسي، لأحمد منزوي، ج ١.
- شكار، لمحبعلي ملقب به خان خاص، تحت رقم: ٢ / ٥٤٦ مكتبة الملك بطهران. انظر: فهرست نسخه هاي خطي فارسي، لأحمد منزوي، ج ١.
- شكارنامه ايلخاني، لخواجه علي بن محمد نيشابوري، المعروف، بأبي الجوارح. انظر: الذريعة، ج ١٤.
- شكارنامه ايلخاني، لعلي بن منصور حلواني ياخوافي، تحت رقم: ١٦٨١ مكتبة الملك بطهران. انظر: فهرست كتابهاي خطي كتابخانه ملك، ج ٣ لـ: ايرج افشار، محمد تقي دانش پزوه، محمد باقر حجتي، أحمد منزوي.
- شكارنامه، لمحمد شمس، تحت رقم: أ ق ف ٢٣ المتحف الوطني الباكستاني - كراتشي. انظر: فهرست نسخه هاي خطي فارسي انجمن تَرقي أردو، كراچي لسيد عارف نوشاهي.
- شكارنامه، ناشناس، كتبه لسلطان بديع الزمان بهادر خان، تحت رقم: ١٤٨٥ - ٩١٦ - ٧٣٨٥ - ٨٠١٥، مكتبة كَنج دانش، اسلام آباد. انظر: فهرست نسخه هاي خطي كتابخانه كَنج دانش، لأحمد منزوي، ج ١.
- صفات الحيوان: لمنصور فرزند حسن ابراهيم ايجي شبانكاري، تحت رقم: ٢٤٧، المكتبة الوطنية بطهران. انظر: فهرست نسخه هاي خطي فارسي، لأحمد منزوي، ج ١.
- صيد = شكارنامه، لحسين فرزند روح الله حسيني طبسي، تحت رقم:

١٥٥ مكتبة الاصفية بتركيا . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

ـ صيد = رسالة در ... فيض الله تفرشي ، تحت رقم : ٦ / ٤٩٢ مكتبة الملك بطهران . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

ـ صيد ، (صيديه = رسالة درشكار) ؟ ، تحت رقم : ٤ / ٢٣٨٤ مكتبة المجلس بطهران . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

ـ صيد نامه ، لمولى محمد سليم رازي ، تحت رقم : ١ / ٦٤٠٢ مكتبة سپهسالار . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

ـ صيدنامه ملكشاهي : لخواجه علي بن محمد نيشابوري ، المعروف بأبي الجوارح عمله بأمر خواجه نظام الملك الطوسي . انظر : الذريعة ، ج ١٥ .

ـ صيد مرواريد ، لمحمد علي سديد السلطنة ، طبع بطهران سنة ١٣٠٨ هـ . انظر : الذريعة ، ج ١٥ .

ـ صيدوذباحه ، ؟ تحت رقم : ٥٢٢ مكتبة الملك بطهران . انظر : فهرست كتابهاي خطي كتابخانه ملي ملك ، لـ : ايرج افشار ، محمد تقي دانش پزوه ، محمد باقر حجتي ، أحمد منزوي .

ـ صيديه ، لسعد الدين هروي ، تحقيق محمد سرفراز ظفر (اسلام آباد ، مركز تحقيقات فارسي ايران وپاكستان ، ١٩٨٤) .

ـ الصيدية ، لحسين طبسي ، (صدر جهان) . انظر : الذريعة ، ج ١٥ .

ـ الصيد والذبائح ، لسيد حسين الحسيني الطبسي ، نسخة منه عند الميرزا

محمد علي الأردوبادي وأخرى عند مكتبة الملك بطهران ، تحت رقم : ١٦٤٤ . انظر : الذريعة ، ج ١٥ .

- فَرَس نامه ، لسعادت يارخان رنكّين دِهلوي ، تحت رقم : N. M. 1957 - 655 / 14 ، المتحف الوطني الباكستاني - كراتشي . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي موزه ملي پاكستان كراچي ، السيد عارف نوشاهي .

- فرسنامه ، ناشناس ، تحت رقم : N. M. 1961 - 1113 ، انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي موزه ملي كراچي ، السيد عارف نوشاهي .

- فرسنامه ، ناشناس ، تحت رقم : N. M. 1961 - 1112 ، المتحف الوطني الباكستاني - كراتشي . انظر : فهرست نسخه هاي خطي فارسي موزه ملي كراچي ، السيد عارف نوشاهي .

- فَرهنك جانوران ناشناس ، تحت رقم : N. M. 1961 - 1650 / 4 ، المتحف الوطني الباكستاني - كراتشي . انظر : فهرست ...

- فرهنك نامهاي پرندكَان درلهجه هاي غرب ايران (لهجه هاي كُردي) ، لدكتور محمد مُكري (طهران ، أمير كبير ، ١٣٦١ هـ) .

- فيل نامه ، ناشناس ، تحت رقم : N. M. 1957 - 1057 / 17 ، المتحف الوطني . انظر : فهرست نسخه هاي خطي ...

- فيل نامه ، ناشناس ، تحت رقم : N. M. 1957 - 955 / B ، المتحف الوطني الباكستاني - كراتشي . انظر فهرست ...

- كبوتر نامه ، ناشناس ، تحت رقم : N. M. 1972 - 35 ، المتحف الوطني الباكستاني - كراتشي . انظر : فهرست ...

- كتاب الصيد والذبائح ، لمولى علي القارپوز آبادي ، طبع في طهران سنة ١٢٨٨ هـ . انظر : الذريعة ، ج ١٥ .

ـ كتاب الصيد والذبائح وخواص الحيوانات ، لشيخ محمد علي بن أبي طالب الزاهدي . انظر : الذريعة ، ج ١٥ .

ـ كتاب الصيد والذبائح وأحكامها ، لشيخ علي بن الحسين الكربلائي نسخة منه في مكتبة المرعشي بقم . انظر : الذريعة ، ج ١٥ .

ـ مارهاي ايران ، لدكتور محمود لطيفي (طهران ، سازمان حفاظت محيط ، زيست ، ١٣٥٥ هـ) .

ـ منافعات جانوران ، لمحمد يوسف كرماني ، تحت رقم .N. M 167 -1965 ، المتحف الوطني الباكستاني ـ كراتشي . انظر : فهرست نسخه هاي خطي موزه ملي باكستان ـ كراچي ، لسيد عارف نوشاهي .

ـ منافع حيوانات ، لجالينوس حكيم ، تحت رقم N. M. 1958 -262 / 13 ، المتحف الوطني الباكستاني ـ كراتشي . انظر : فهرست ...

ـ منافع حيوان ونبات ، ؟ تحت رقم : ١ : ٥٣٤ في مكتبة شخصية في أمريكا . انظر فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

ـ منافع الحيوان ، لزين الدين محمد فرزند حسين موصلي حنفي ، تحت رقم : ١٥٦ ، المكتبة الوطنية في وينا . انظر فهرست نسخه هاي خطي فارسي ، لأحمد منزوي ، ج ١ .

مصادر البحث

١ ـ الصيد والطرد عند العرب ، للدكتور ممدوح حقي (دمشق ، دار النشر للجامعيين ، دون تاريخ) .

٢ ـ الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري ، للدكتور عباس مصطفى الصالحي (بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٩٨١) .

٣ ـ الصيد عند العرب ، للدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا (بيروت ، مؤسسة الرسالة ـ دار النفائس ، ١٩٨٣) .

٤ ـ الحيوان ، للجاحظ ، عمرو بن بحر ، تحقيق عبد السلام محمد هارون (بيروت ، دار احياء ، التراث العربي ، ١٩٦٩) .

٥ ـ أنس المَلابوحش الفَلا ، لمحمد بن مَنْكلي بُغا ، مخطوطة رقم ١١٥ المكتبة المركزية في جامعة طهران .

٦ ـ نهاية الأرب في فنون الأدب ، للنويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ١٩٣٣) .

٧ ـ قصة الحضارة ، لول ديورانت ، ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود وآخرين (القاهرة ، لجنة ـ التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٧١) .

٨ ـ البيزرة ، لبازيار العزيز بالله الفاطمي (ظنّاً) ، تحقيق الأستاذ محمد كرد علي (دمشق ، المجمع العلمي العربي ، ١٩٥٣) .

٩ ـ المصايد والمطارد ، لكشاجم أبي الفتح محمود بن الحسن الكاتب ، تحقيق الدكتور محمد أسعد طلس (بغداد ، دار المعرفة ، ١٩٥٤) .

١٠ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ، للمسعودي ، تحقيق شارل پلا (بيروت ، منشورات الجامعة اللبنانية ، ١٩٦٦) .

١١ ـ الكافي في البيزرة ، للبَلَدي عبد الرحمن بن محمد ، تحقيق ، احسان عباس وعبد الحفيظ منصور (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٣) .

١٢ ـ السيرة النبوية ، لابن هشام عبد الملك الحميري ، تحقيق ، مصطفى السقا ، ابراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي (بيروت ، دار القلم ، دون تاريخ) .

التعريف والنقد

المستدرك

على دواوين شعراء العرب المطبوعة

الدكتور شاكر الفحام

نشر الأستاذ الدكتور رضوان محمد النجار في مجلة معهد المخطوطات العربية مقالة مطولة، جعل عنوانها : (المستدرك على دواوين شعراء العرب المطبوعة)[1] .

والاستدراكُ على الدواوين، وضمُّ ماأغفلته، أمرٌ له شأنه وخطره في باب جمع الشعر، إلا أنه يستدعي الكثير من الجهد والصبر في التتبع والاستقصاء، الى جانب مايوجبه من الدقة والرويّة والتثبت وطول الدربة بأساليب القدماء، وما يتطلبه من التذوق الأدبي والبصيرة في النقد . فقد وقع في كتب الأدب والمحاضرات والمختارات، لأسباب شتى، شيءٌ من الاضطراب في نسبة الشعر الى غير شاعر حيناً، وطيّ النسبة حيناً، وتلفيق البيت من مصراعي بيتين مختلفين جاءا في قصيدة واحدة أو في قصيدتين . فلم يكن بدٌّ لمن يتصدى لهذه المهمة من أن يُعِدَّ نفسَه لعملٍ شاقٍّ مُضْنٍ، ويتزوّدَ له فيحسن التزوّد، ويرتّب مستدركاته في جُذاذاتٍ تهديه في عمله، وأن ترفده حافظة قوية تُعينه وتُرشده، فلا يفوته ماتعدّدت نسبته، أو أُغفلت . إن ولوج هذا الباب صعبٌ عسير، تزلُّ فيه الأقدام . ولا مندوحة لمن ينهض بهذا العبء الثقيل، بعد أن

---

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية، مج ٣٠ (ج ١ ، ج ٢) ، مج ٣١ (ج ١ ، ج ٢)

يأخذ له أهبته ، ويستكمل أدواته ، من أن يوطّن نفسه على أن خطوته في هذا الباب لن تكون الأخيرة ، وستتبعها خطوات تكمل مابدأه ، تتضافر لها جهودُ العلماء ، تنقّب في كتب التراث الكثيرة ، لتهتدي الى ماتناثر من أشعار ندّت عن جامعي الدواوين ومصنفيها ، ولم يفطن لها المستدرك الأول .

وفي الحقّ أن الدكتور رضوان النجار قد أنصب نفسه ، وبذل طوقه في مستدركاته ، فأصاب حيناً ، وأخطأ حيناً . وللمصيب أجران ، وللمخطىء المجتهد أجر .

لاأريد في كلمتي أن أتتبع كل ماعرض له الأستاذ الباحث وأتى به ، وإنما أنا مكتفٍ بالوقوف عند أمورٍ بدا لي أن لابدَّ من التعرّض لها وايضاحها لتكتمل صورة البحث .

• • •

وأول هذه الأمور : الطريقة التي انتهجها الباحثُ في التّثبت من صحة استدراكه .

لقد بلغ عدد الشعراء الذين استدرك الأستاذ الباحث على دواوينهم خمسة وأربعين شاعراً . وقد أوضع الباحثُ الطريقَ الذي انتهجه في عمله فقال : « لم أكتف بالنظر في طبعة واحدة من طبعات ديوان هذا الشاعر أو ذاك ، ولكن أتتبع جميع طبعات ديوانه ، إن امكنني ذلك ، وإلا نظرتُ في أكثرها ، وأحدثها ، لعلمي أن الطبعة الجديدة تستوعب الطبعات السابقة ، وتستدرك عليها »(٢) .

١ ـ كنتُ أتمنى أن يشير الباحث الكريم وهو يستعرض (في باب

(٢) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣٠ ج ١ (سنة ١٩٨٦ م): ٢٩٩ ـ ٣٠٠

المصادر والمراجع) ديوان شاعر تعددت طبعاته ، الى الطبعة او الطبعات التي ارتضاها واعتمدها ، لأنها تشتمل على ماجاء من أشعار في طبعات الديوان الأخرى ، وتضمُّ اضافات وزيادات من شعر الشاعر لاتوجد في سواها . ومن أجل ذلك كانت الأَوْلَى بالرجوع اليها واعتادها ، ليضمّ اليها ماتمّ استدراكه .

ولكن الباحث الكريم لم يجشم نفسه هذا العناء ، وسَرَدَطبعات الديوان دون تعليق ، وكأنها على قدم المساواة ، فأوْهم قارئه الذي لم يتبين الفروق بين الطبعات . ولو أضاف الباحث الفاضل كلمة أو كلمات إزاء طبعة الديوان أو طبعاته التي آثرها ، لأزاح عن قارئه العنت ، ودلّه على المراد ، ولم يتركه نهباً للظنون والشكوك .

٢ ـ وكان من ذلك أنه كان يعود حيناً الى طبعة من طبعات الديوان لاتشتمل على شعر الشاعر كله ، بل يعود حيناً الى طبعة لاتضمُّ إلا جزءاً يسيراً من ديوان الشاعر ، ويهمل الرجوع الى الطبعة التي تستوعب ماجاء من أشعار في الطبعات الأخرى وتزيد عليها ، وهي عتيدة حاضرة بين يديه . وقد عرضتُ مثلاً لذلك في الفقرة التي تناولتُ فيها الاستدراك على شعر الفرزدق .

٣ ـ وكان من ذلك أنه كان يشير في بحثه الى طبعة من طبعات الديوان ، فاذا عدتِ إلى باب المصادر والمراجع وجدته قد أثبت طبعة سواها . وقد أتيتُ بمثل لذلك في الفقرة التي تناولتُ فيها الاستدراك على شعر بشار .

٤ ـ وكان من ذلك أنه أشار في مواضع كثيرة من بحثه الى ديوان الشاعر دون أن يحدّد الطبعة التي يعنيها . فقد استدرك بيتين لدعبل الخزاعي من كتاب (الجمان في تشبيهات القرآن) ، ثم أشار الى ورود

البيت الثاني منها في ديوان دعبل (ص ١٠٨ ق ١٤٢) ، وعدتُ الى المصادر والمراجع لأتبين الديوان المقصود ، فإذا هو يورد طبعتي الديوان : أولاهما للأستاذ الدكتور محمد يوسف نجم ، والثانية للأستاذ الدكتور عبد الكريم الأشتر[٣] .

وددتُ لو ذكر الباحث الفاضل طبعة الديوان المعنيّة ، بعد أن حدّد رقمي الصفحة والقصيدة فيها .

وهذا الخللُ شائع في معظم تعليقاته . يردُّك الى ديوان الشاعر دون ذكر الطبعة ، فاذا عدتَ الى المصادر والمراجع طالعتك عدة طبعات من الديوان ، وحرت : أيّ الطبعات عناها الباحث الفاضل ؟

٥ ـ ومن المآخذ التي لايجوز إغفال الحديث عنها : موضوع الشعر المختلف في نسبته .

لقد تضافرت أسباب شتى أدت الى عزو الشعر الواحد الى غيرما شاعر . يطالعك ذلك في مختلف كتب الأدب والمحاضرات والمختارات وأمثالها . ولا يجوز للدارس الباحث ، وهو يجمع الشعر أو يستدرك عليه أن يغفل هذه الروايات ، مكتفياً بنسبة الأبيات أو البيت الى شاعر واحد فقط . بل لابدّ له من ذكر الروايات جميعا . وله أن يروّي ويناقش بعدُ ليتحقق ويتثبت من النسبة ، أو يرجح ويختار ، أو يتوقف دون أن يقطع برأي .

هذه قضية أساسية لايجوز التحلل منها ، حين نجمع الشعر ، أو ننقد ماجمع ، ونمحّصه ، ونستدرك عليه ، ليكون القارىء أو الدارس على بيّنة من أمره ، قد عرف ماثبت صحة نسبته الى الشاعر ، وما اختلف في نسبته الى غيرما شاعر ، وما وهم بعض العلماء في نسبته الى الشاعر .

---

(٣) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٢٠ ج ١ : ٣٢٤ ـ ٣٢٥ ، ٣٢٨

ولكن الأستاذ النجار لم يُعِرْ هذه الناحية اهتماماً ، واقتصر في الشعر الذي عزته الرواياتُ الى غيرما شاعر ، على نسبته الى شاعر واحد في الأعم الأغلب ، بدل أن يدلَّ على أنه من الشعر المتعدد العزو ، الذي نسبته الروايات الى عدة شعراء . وستجد أمثلة شتّى لذلك .

٦ ـ ومن المآخذ أن الدواوين المجموعة قد تضمُّ اليها عن طريق الوهم والخطأ ، ماليس من شعر الشاعر ، ولم ينسبه ناسب اليه . فالناقد المتصدّي للاستدراك على الدواوين لامناص له من أن يشير الى هذا الشعر الغريب الواغل ، الذي لاصلة له بصاحبه المنسوب اليه . وهذا أيضاً مما لم يُعْنَ به الباحث الفاضل .

٧ ـ ويبقى أن أشير بعدَ الى المأخذ الأهمّ ، وهو أن الأستاذ الباحث لم يستطع أن يفي دائماً بما وعد به من ذكر طبعات الدواوين الجديدة التي تستوعب سابقاتها ، وتستدرك عليها(٤) . وقد ضربت لذلك مثلاً في الفقرتين اللتين تناولت فيهما الاستدراك على شعر الراعي النميري ، والقحيف العقيلي .

● ● ●

وثاني الأمور التي بدت لي أن الأستاذ الباحث قد تناول شعر خمسة وأربعين شاعراً ، وهذا العدد الكبير لم يدع للباحث فرصة التقصي والتتبع في استدراكه مهما بذل وجهد . وكان من الأَوْلى أن يقتصر الباحثُ على شعر عدة من الشعراء قليلة ، فيجعله همَّه ووكْده ، ويبيت له بين الكتب ، يقرأ وينقّر ويسجل ، ليعود بصيد وفير .

---

(٤) لستُ مع الأستاذ الباحث في اطراد هذه القاعدة . فبعض الجديد أحياناً لايستوعب كل ماسبقه من طبعات ، لمقاصد يراها المحقق او الناشر . وفي طبعات طائفة من الدواوين التي قامت بها دار صادر ببيروت مثلٌ لذلك .

لقد كانت مستدركات الباحث قليلة ضئيلة ، اذا استثنينا ماوقع عليه في كتاب (منتهى الطلب) من شعر حميد بن ثور الهلاليّ .

ولن أتقصّى عمل الباحث الفاضل في مستدركاته ، فالكلام في ذلك يطول ويتشعب ، وانما هي شواهد انتقيتها تدلّ على ماوراءها . وقديماً قيل : لمحة دالّة .

أولاً ـ الاستدراك على شعر الفرزدق

استدرك الدكتور رضوان على شعر الفرزدق المطبوع ثلاثة أبيات :

١ ـ أولها قول الفرزدق :

إذا ماقلتُ قافيةً شروداً تنحّلها ابنُ حمراء العجانِ

وقد استمدّه من كتاب المرصّع لابن الأثير ، وذكر أنه مما فات الديوان الذي جمعه كرم البستاني وطبعه في بيروت ، والجزء الأول من ديوان الفرزدق المخطوط المصوّر[٥] .

وبيتُ الفرزدق المذكور آنفاً مما فات ديوان الفرزدق حقاً بجميع طبعاته . وممن أورده من العلماء أبو عبيدة معمر بن المثنّى في كتاب النقائض . وذكر (بيفان) محقق النقائض أن البيت جاء أيضاً في لسان العرب (مادة نحل) ، وأنه لم يرد في ديوان الفرزدق الذي طبع قسمه الأول المستشرق الفرنسي (ريشارد بوشيه) ، ثم قام المستشرق الألماني (يوسف هل) بطبع تتمته[٦] .

قلتُ : وجاء بيت الفرزدق في الصحاح والتاج (نحل) ، فاللسانُ أخذه عن الصحاح ، والتاج أخذه عن اللسان .

---

(٥) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣٠ ج ١ : ٢٣٢ ـ ٢٣٣

(٦) كتاب النقائض ١ : ١٢٥

٢ ـ وثاني الأبيات قول الفرزدق :

إني ضمنت لمن أتـاني مـاجنى   وأبي وكان وكنتُ غير غـدور

وقد استمدّه الدكتور النجار من كتاب سيبويه ، ومعاني القرآن للفراء ، وشرح أبيات سيبويه لأبي محمد يوسف بن أبي سعيد السيرافي ، وشرح الأعلم الشنتمري المنشور في حاشية كتاب سيبويه ، والانصاف في مسائل الخلاف ، ولسان العرب (مادة قعد)(٧) .

والبيتُ مما فات الديوان المطبوع كما قال الأستاذ الباحث . وممن أورده الفراء في معاني القرآن ، ذكره في ثلاثة مواضع ، اهتدى الباحث لموضعين منها (معاني القرآن للفراء ٢ : ٣٦٣ ، ٣ : ٧٧) . والموضع الثالث أتى به الفراء (معاني القرآن ١ : ٤٣٤) شاهداً في تفسير قوله تعالى : ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ﴾ [سورة براءة ، الآية : ٣٤] ، وأورده الامام الطبري (جامع البيان ٢٦ : ٩٩) في تفسير قوله تعالى (اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد) [سورة ق ، الآية ١٧] .وذكره الأزهري في التهذيب (مادة قعد) . وعن التهذيب أخذه صاحب اللسان .

٣ ـ وثالث الأبيات قولُ الفرزدق :

نُبّئت عبدَ الله بالجوّ أصبحت   كراماً مواليها لئيماً صميمها

استمدّه الباحث من كتاب سيبويه وشرح الأعلم الشنتمري (في حاشية كتاب سيبويه)(٨) .

والبيتُ مما فات الديوان المطبوع . وأورده الأعلم الشنتمري أيضاً في كتابه : النكت في تفسير كتاب سيبويه (١ : ١٧٣) .

(٧) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣١ ج ١ (سنة ١٩٨٧ م) : ٢٦٧ ـ ٢٦٨

(٨) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣١ ج ١ : ٢٦٨ ـ ٢٦٩

ـ وقد لاح لي في التعليق على هذا الكلام وجهان :

أولهما يتصل بالدواوين المطبوعة التي وأل اليها الباحث . لقد كان بين يديه من دواوين الفرزدق المطبوعة : طبعة صادر ببيروت ، وطبعة الصاوي بالقاهرة ، ومصورة الجزء الأول من ديوان الفرزدق الصادرة بدمشق[٩] .

ولم يتبين لي سرُّ رجوع الأستاذ النجار الى هذه الطبعات الثلاث في باب الاستدراك على دواوين الشعر المطبوعة . إن لديوان الفرزدق جملة طبعات ، ذكرتُ منها في دراسة لي قديمة[١٠] : طبعة في أوربا ، وطبعة في مصر بالمطبعة الوهبية ، وطبعتين في بيروت بالمكتبة الأهلية ، وطبعة الصاوي بمصر ، وطبعة دار صادر ببيروت ، ونقدتها جميعاً ، مبيناً مالها وما عليها . وخلصتُ من ذلك الى ان طبعة الصاوي بمصر ، على مافيها من مآخذ ونقص ، هي أكملها في باب رواية شعر الفرزدق[١١] .

ولا يجوز للأستاذ النجار ، وهو يستدرك على الدواوين المطبوعة ، أن يعود إلا الى أكمل الدواوين المطبوعة ، وهو ديوان الفرزدق الذي أخرجه الأستاذ الصاوي بمصر ، ليقع استدراكه الموقع الذي يريده له من ضمّ زيادة ندّت عن جميع جامعي ديوان الفرزدق .

إني أحبّذ تعداد طبعات ديوان الشاعر ، على أن تشفع كل طبعة بكلمة صغيرة تدلُّ على مكانها في جمع شعر الشاعر . ثم يضمّ الى ذلك اشارة الباحث الى طبعة الديوان او الطبعات المختارة ، لأنها أكملُ وأوفى ،

---

(٩) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣٠ ج ١ : ٣٤١ ، مج ٣١ ج ١ : ٢٧٧

(١٠) هي دراسة نلت بها درجة الدكتوراه عام ١٩٦٣ م ، ثم نشرتُها بعنوان (الفرزدق) عام ١٩٧٧ م (دمشق ـ دار الفكر) .

(١١) الفرزدق : ٢١٢ ـ ٢٢٩ ، وانظر ذخائر التراث العربي الاسلامي لعبد الجبار عبد الرحمن ٢ : ٧٤٣ ـ ٧٤٤

فيكون الاستدراك عليها مجدياً ، له موقعه وشأنه في باب جمع الشعر وما يتلوه من الاضافات والزيادات .

ـ لقد بينتُ في مقدمة مصورة الجزء الأول من ديوان الفرزدق التي أصدرها مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٩٦٥ م ماتضمَّنه هذه المصورة من شعر الفرزدق . قلت : « وهذه المخطوطة هي الجزء الأول من نسخة يكون تمامها في ثمانية أجزاء أو عشرة .... عدد أوراق المخطوطة (٩٦) ورقة ، تشمل أربعاً وثلاثين منظومة مابين قصيدة ومقطعة ، غير مرتبة على الحروف . عددُ أبياتها جميعاً اثنان وعشرون وست مئة بيت . وهي أقدم مانعرف من مخطوطات الديوان .... وقد سقط منها ورقة واحدة ، تسبق الورقة الأخيرة ، وسقط بها المقطوعة الخامسة والثلاثون ... »[١٢] .

ولقد نشر مجمع اللغة العربية بدمشق هذه المصورة اعتزازاً بها ، لما تفرَّدت به من المزايا والحظوظ التي أُتيحت لها ، فرأى من الخير أن يضعها بين أيدي العلماء والباحثين ليطلعوا على نمطٍ من أنماط الضبط والتدقيق التي سلكها الأجداد في حرصهم على العلم ، وتحرّيهم في روايته صحة النقل ، ودقة الضبط ، وبيان اختلاف الروايات .

ومما ظفرت به هذه النسخة أنها كانت بخط أحمد بن أحمد ابن أخت الشافعي ، وهو المشهودُ له بالتجويد خطاً وضبطاً . ومن محاسنها مقابلة الامام الرماني ، وقد أثبت ذلك في يمين الصفحة الأخيرة بقوله : « قابلتُ أحمد بن أحمد . وكتب علي بن عيسى النحويّ بخطه في شهر رجب من سنة احدى وثلاثين وثلثمائة »[١٣] .

---

(١٢) ديوان الفرزدق ـ الجزء الأول (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ـ ١٩٦٥ م) : ١ ، ٣ ـ ٤ ، ٧ م .

إن هذا العرض يكشف عن أن هذا الجزء الصغير من ديوان الفرزدق لايصلح للعودة اليه في باب المستدرك على الدواوين ، الذي عرض له الأستاذ الفاضل .

ـ أما ديوان الفرزدق الذي أصدرته دار صادر ببيروت ، فقد كنتُ بيّنتُ أنه « صورة من الديوان الذي طبعه الأستاذ الصاوي بمصر ، ولكنه يختلف عنه باختزال أكثر مقدمات القصائد ، وحذف كثير من الشروح القديمة التي أوردها الرواة من أمثال محمد بن حبيب والسكّري ، وإسقاط جزء من القصائد لأنه لايحسن أن يقرأه الطلاب لما فيه من فحش .... »[١٣] .

وهذا البيان كافٍ ليصدّنا عن هذه الطبعة ، في باب الاستدراك ، وأن نكتفي بأصلها الذي أُخذت عنه وهو طبعة الصاوي بمصر .

وأما ماذكره الأستاذ الباحث من احتمال أن يكون الأستاذ كرم البستاني قد أسقط البيت الأول من المستدركات عن قصد[١٤] ، فما هو إلا حسنّ ظن منه ، لأن الأستاذ البستاني لم يكن بين يديه إلا طبعة الصاوي ، أثبت منها ماأثبت ، وحذف ماحذف ، دون بحث في المصادر الأخرى . والصاوي لم يثبت البيت المذكور ، فتابعه البستاني حذو القُذّة بالقُذّة .

والوجه الثاني الذي طالعني في كلام الباحث إنما هو اكتفاؤه باستدراك ثلاثة أبيات على ديوان الفرزدق المطبوع . وذلك قليل في جَنْب ماللفرزدق من شعر غزير متناثر في بطون الكتب ، مما أخلّ به الديوان المطبوع .

(١٣) الفرزدق : ٢٢٨ ـ ٢٢٩

(١٤) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣٠ ج ١ : ٣٣٢

وسأسوق هنا جملة من شعر الفرزدق مما أورده صاحب الأغاني في كتابه خاصة ، ولم يُذكر في الديوان المطبوع ، دون أن أعرض لما تفرق من شعره في كتب الأدب الأخرى ، وهو كثير . ولا أزعم أن ماجئتُ به هو كل ماتفرد به كتاب الأغاني مما لم يرد في الديوان ، ولكنني أرجو أن يكون جامعاً لجلّ هذا الشعر .

ولم أُعْنَ بتخريج هذه الأبيات التي جاء بها صاحب الأغاني في المصادر والمراجع الأخرى ، فذلك غرض ثانٍ غير الذي قصدت إليه . وانما غايتي من سرد هذه الأبيات التي استمددتها من كتاب واحد أن أبين المصاعب الجمّة التي تعترضُ من ينهدُ للاستدراك على الدواوين ، إذا لم يعدّ للأمر عدته ، ويتخذ له أهبته : من الصبر الجميل ، والسهر الناصب ، والاطلاع الواسع ، والتهدّي الى المظانّ ، والمتابعة دون كلال .

طائفة من أبيات الفرزدق المستدركة

على الديوان المطبوع بمصر ، بعناية الأستاذ الصاوي

مما رواه صاحب الأغاني خاصة

(١)

وخير الشعر أكرمُه رجالا وشرُّ الشعر ماقال العبيدُ[١٥]

(٢)

كانت عُراضتك التي عرضتنا يوم المدينة زَكْمةً وسُعالا[١٦]

---

(١٥) الأغاني (ط . دار الكتب المصرية) ١ : ٣٣٨

(١٦) الأغاني ٤ : ٢٨٧ ، قال ابو الفرج صاحب الأغاني : « والعراضة : الهدية » .

(٣)

. . . . وانت ابنُ صغرى لم تتم شهورها[١٧]

(٤)

بني عـاصمٍ لاتُلْجِئـوهـا فـانكم ملاجيء للسوءات دسمُ العمائمِ[١٨]
بني عـاصمٍ لـو كان حيّـاً أبـوكم لـلام بنيـه اليوم قيسُ بن عـاصمِ

(٥)

ولـولا أن تقـول بنـو عـديّ أليست أمُّ حنظلـة النَّـوارُ[١٩]
أتكم يـابني ملكان مني قـوافٍ لاتقسّمُهـا التجـارُ

(٦)

لبئس العبء يحملـه زهير على أعجـاز صِرْمتـه نَـوارُ[٢٠]
لقـد أهـدت وليـدتُنـا اليكم عـوائرَ لاتقسمُهـا التجـارُ

---

(١٧) الأغاني ٨ : ٥٠

(١٨) الأغاني ٩ : ٣٢٥ ، ٢١ : ٢٩١ ، وجاءت رواية البيت الثاني في النقائض (٢ : ٨٠٢) :

بني عـاصم لـو كان حيـاً لـديكم لـلام بنيـه اليـوم قيس بن عـاصم

(١٩) الأغاني ٩ : ٣٢٥ ، ١٨ : ٢٠ ، ٢١ : ٢٩١ ، وقد جاء البيتان في الديوان (ط . الصاوي) ١ : ٣٣٩ ، برويّ منصوب . وروايتهما في الديوان :

لـولا أن تقـول بنـو عـديّ أليـت أمُّ حنظلـة النـوارا
إذن لأتى بني ملكان قـولٌ إذا مـا قيـل أنجـد ثم غـارا

(٢٠) الأغاني ٩ : ٣٢٦ ، وتحسن الاشارة الى مـا بين عجز البيت الثـاني والعجز في التتفة السابقة من تشابه .

(٧)

فــإن تغضب قريشٌ ثم تغضب   فــإن الأرضَ ترعــاهــا تميمُ[٢١]
هُمُ عــددُ النجـوم وكلُّ حيٍّ   ســواهم لاتُعَــدُّ لهم نجــومُ
فلـــولا بنتُ مرّ من نـــزارٍ   لمــا صــحَّ المنـــابتُ والأديمُ
بهـا كثُرَ العـديـدُ وطـاب منكم   وغيرُكمُ أحـــــذُ الريش هيمُ
فهـلاً عن تــذلُّـلِ من عَـزَزْتُم   بخـولتـــه وعــزّ بـــه الحميمُ
أعبـــدَ الله مهـــلاً عن أذاتي   فـــاني لاالضعيفُ ولا السـؤومُ
ولكني صفـــــاةٌ لم تُـــؤَبَّسْ   تــزلُّ الطيرُ عنهـــا والعُصُــومُ
انـا ابنُ العـاقر الكـوم الصفـايـا   بصــوأرَ حيث فتّحت العُكــومُ

(٨)

تروّحت الركبـانُ يـاأمّ هـاشم   وهنّ منــاخـــاتٌ لهنّ حنينُ[٢٢]
وخُيِّسْنَ حتى ليس فيهن نـافقٌ   لبيـــعٍ ولا مركـــوبهن سمينُ

(٩)

لعمرُك مـامـزينـة رهـط معنٍ   بـأخفـافٍ يطـأن ولا سنـامِ[٢٣]

(١٠)

اذا مـاالمـزونيـاتُ أصبحن حُسَّراً   وبكّيْنَ أشلاءً على عقر بـابـلِ[٢٤]
فكم طـالبٍ بنتَ المـلاءة إنهـا   تـذكّرُ رَيْعانَ الشبـاب المزايـلِ

---

(٢١) الأغاني ٩ : ٣٢٨ - ٣٢٩
(٢٢) الأغاني ٩ : ٣٣٠
(٢٣) الأغاني ١٢ : ٥٨
(٢٤) الأغاني ١٣ : ٢٧٠ - ٢٧١

(١١)

فمن يـكُ خـائفـاً لأذاة شعري فقـد أمِن الهجـاءَ بنـو حَرام[٢٥]
همُ قـادوا سفيههمُ وخـافـوا قـلائـدَ مثـلَ أطـواق الحمـام

(١٢)

كم قـال لي ابنُ أبي شيخ وقلتُ لـه كيف السبيـلُ الى معروف ذبيـان[٢٦]
إن القلوص إذا ألقت جـآجئهـا قُـدّام بـابـك لم ترحـلْ بحرمـان

(١٣)

تمشي تبختر حـول البيت منتخيـاً لو كنتَ عمرو بن عبد الله لم تـزدِ[٢٧]

(١٤)

والخلـق مثلـك مـاهم ولمثلهم في مثل مـا نـالت فـزارة تطمـع[٢٨]

(١٥)

لعمري لئن كانت بجيلـة زانهـا جريرٌ لقد أخزى بجيلةَ خـالـد[٢٩]

(١٦)

فلـو كنتَ ضبّيـاً عرفتَ قرابتي ولكنّ زنجيـاً غليظـاً مشـافره[٣٠]

(٢٥) الأغاني ٢١ : ٢٩٦
(٢٦) الأغاني ٢١ : ٣٠٣
(٢٧) الأغاني ٢١ : ٣٠٤
(٢٨) الأغاني ٢١ : ٣١١
(٢٩) الأغاني ٢١ : ٣١٣
(٣٠) الأغاني ٢١ : ٣٣٢ ، وقد روى الأستاذ الصاوي في الديوان (١ : ٤٨١) مطلع القصيدة طبقاً لرواية سيبويه في الكتاب (١ : ٢٨٢) : =

مَتَتُّ لـه بـالرحم بيني وبينـه ... فـألفيتُـه مني بعيـداً أواصرُه
وقلتُ امرؤٌ من آل ضَبَّةَ فـاعتزى ... لغيرهمُ لـونُ استـه ومحـاجرُه
فسوف يرى النوبيُّ ماكتدحت له ... يـداه اذا مـاالشعر غنت نـواقره
. . . .

وانظر بقية الأبيات (وهي خمسة ، فـالمجموع تسعة أبيات) في كتـاب الأغاني (٢١ : ٣٣٢) .

(١٧)

الى الأبرش الكلبيّ أسندتُ حـاجـةً ... تـواكلهـا حيّـا تميم ووائـلِ[٣١]
على حين أن زلّت بيَ النعـلُ زلّـةً ... وأخلف ظني كلُّ حـافٍ ونـاعلِ
فـدونكها يـاابن الـوليـد فـإنهـا ... مفضّلـة أصحـابهـا في المحـافـل
ودونكهـا يـاابن الـوليـد فقُمْ بهـا ... قيـامَ امرىءٍ في قومه غير خـامل

(١٨)

لقـد وثب الكلبيُّ وثبـةَ حـازم ... الى خير خَلْق الله نفساً وعنصرا[٣٢]
إلى خير أبنـاء الخليفـة لم يجـد ... لحـاجتـه من دونهـا متـأخرا
أبى حلفُ كلبٍ في تميم وعقـدُهـا ... لمـا سنّت الآبـاءُ أن يتغيّرا

فلـو كنت ضبيـاً عرفت قرابتي ... ولكنّ زنجيٌّ عظيمُ المشـافر

وعلّق عبد القادر البغداديّ على رواية الكتاب بقوله (خزانة الأدب ٤ : ٣٧٩) : « ... واعلم ان قافية البيت اشتهرت كذا عند النحويين ، وصوابه : ولكنّ زنجياً غلاظاً مشافره .... » ، وانظر شرح شواهد المغني للسيوطي (٢ : ٧٠١ ـ ٧٠٢) ، وشرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي (٥ : ١٩٨ ـ ٢٠٠) .

(٣١) الأغاني ٢١ : ٣٣٦

(٣٢) الأغاني ٢١ : ٣٣٦

(١٩)

ومن كان ياعيسى يؤنّب ضيفه فضيفُك ياعيسى هنيءٌ مطاعَمُهْ[٣٣]

(٢٠)

أنت وهبتَ زائداً ومزيداً[٣٤]
وكهلة . . . .

(٢١)

قتلتُ قتيلاً لم ير الناسُ مثلَه أقلّبه ذا تُومتين مسوّرا[٣٥]
[أربعة أبيات]

(٢٢)

نعتٌ لنا من الورهاء نعتاً قعدتَ بد لأمك بالسبيلِ[٣٦]
[بيتان]

(٢٣)

اذا ماذبّبَ الأتقاءُ فوقي وصاح صدى عليٌّ مع الظلام[٣٧]
فقد شمتت أعاديكم وقالت أدانيكم من اين لنا المحامي

---

(٣٣) الأغاني ٢١ : ٣٤٩
(٣٤) الأغاني ٢١ : ٣٥٦
(٣٥) الأغاني ٢١ : ٣٦٩
(٣٦) الأغاني ٢١ : ٣٨٤
(٣٧) الأغاني ٢١ : ٣٨٦

(٢٤)

وما ولدت مثل العديل حليلةً   قديماً ولا مستحدثات الحلائل[٣٨]
وما زال مذ شدت يداه إزاره   به تفتح الأبواب بكرُ بن وائلِ

فذلك سبعة وخمسون بيتاً ونصف بيت ، اخترتها من متناثر شعر الفرزدق في كتاب الأغاني دون سواه ، مما أخلّ به الديوان الذي نشره الأستاذ الصاوي . ولم أشر الى الخلاف في الرواية الذي يُحِلُّ شطراً بدل شطر . فمثلُ هذا الخلاف لاصلة له بموضوعنا الذي نعرض له .

ثانياً ـ الاستدراك على شعر الراعي النميري

جُمع شعر الراعي النميري ثلاث مرات :

الجمع الأول : (شعر الراعي النميري وأخباره) ، قام به الأستاذ ناصر الحاني رحمه الله ، وطبع بدمشق عام ١٩٦٤ م .

الجمع الثاني : (شعر الراعي النميري) ، قام به الأستاذان هلال ناجي ونوري حمودي القيسي (بغداد / ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م) .

الجمع الثالث : (ديوان الراعي النميري) ، أعدّه وهيّأه الأستاذ راينهرت فايبرت (بيروت / ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨٠ م) .

ويبدو أن الأستاذ النجار لم يطلع إلا على الجمع الأول[٣٩] . ولذلك استدرك ما استدرك ، وبلغ ما استدركه (١١) بيتاً . ولو قُدّر له أن يطلع على الجمعين : الثاني والثالث لرأى أن ما أتى به من مستدرك هو قُلٌّ من كثر ، وغيضٌ من فيض مما حفل به الجمعان المذكوران آنفا[٤٠] .

---

(٣٨) الأغاني ٢٢ : ٣٤٣

(٣٩) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣١ ج ٢ (سنة ١٩٨٧م) : ٤٤١

(٤٠) ذكر الأستاذان ناجي والقيسي (شعر الراعي النميري : ٤١ ـ ٤٣) أن المستشرق =

١ ـ يذكر الأستاذ الباحث قول الراعي :

وما الفقر من أرض العشيرة ساقنا إليك ولكنّا بقرباك نبجح[٤١]

وهو بيت من قصيدة طويلة يمدح بها الراعي بشرَ بن مروان ، أورد منها صاحب منتهى الطلب (٥٧) بيتاً[٤٢] .

٢ ـ ويورد قول الراعي :

وهاب جنان مسجورٍ تردّى من الحلفاء واتّزر اتّزارا[٤٣]

وهو بيتٌ من قصيدة طويلة يمدح بها الراعي سعيد بن عبد الرحمن . أورد منها صاحب منتهى الطلب (٥٧) بيتاً[٤٤] .

٣ ـ استدرك ثلاثة أبيات أولها :

وكم جشمنا اليكم من مؤدية كأن أعلامها في آلها القَزَع[٤٥]

والأبيات الثلاثة من قصيدة روى منها صاحب منتهى الطلب (٣٤) بيتاً[٤٦] .

٤ ـ استدرك أربعة أبيات أولها :

يمسي ضجيع خريدةٍ ومضاجعي عضبٌ رقيق الشفرتين حسام[٤٧]

الايطالي جيوفاني اومان قد تصدّى لجمع شعر الراعي ، وأصدر منه مستلتين (١٩٦٤ م ، ١٩٦٦ م) . وكذلك ذكر المستشرق راينهرت فايبرت في دراسته عن ديوان الراعي (WS ، ص ٣٧ ـ ٣٨) . أما صاحب ذخائر التراث العربي الاسلامي (١ : ٥٣١) فقد اكتفى بايراد جمع الحاني ، وجمع ناجي والقيسي .

(٤١) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣١ ج ٢ : ٤٥٤

(٤٢) شعر الراعي النميري : ٩١ ـ ١٠٠ ، ديوان الراعي النميري : ٣٤ ـ ٤٤

(٤٣) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣١ ج ٢ : ٤٥٥

(٤٤) شعر الراعي النميري : ٦٥ ـ ٧٥ ، وديوان الراعي النميري : ١٤٠ ـ ١٥١

(٤٥) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣١ ج ٢ : ٤٥٥

(٤٦) شعر الراعي النميري : ١٢٨ ـ ١٣٣ ، وديوان الراعي النميري : ١٥٥ ـ ١٥٩

(٤٧) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣١ ج ٢ : ٤٥٦

والأبيات مذكورة في جمعي شعر الراعي المذكورين آنفا . وقد شكّ الأستاذ راينهرت فايبرت في نسبة الأبيات الى الراعي[٤٨] .

٥ ـ استدرك بيتين أولهما :

وللحق فينا خصلتان فنهما ذلولٌ وأخرى صعبةٌ للمظالم[٤٩]

وقد أوردها فايبرت في جمعه[٥٠] .

٦ ـ ومن غريب الاتفاق أن الدكتور خليل أبو رحمة كان قد نشر بحثاً في مجلة معهد المخطوطات العربية بعنوان (مع شعر الراعي النميري)[٥١] ، تحدث فيه عمن عُني بشعر الراعي النميري من باحثي العصر الحديث . ثم وَقَفَ عند جمع الأستاذ الحاني ، والجمعين اللذين جاءا بعده ، ووزان بينها ونقدها ، مبيناً أن عمل فايبرت هو أتمّ أعمال جامعي شعر الراعي في العصر الحاضر[٥٢] .

ولعل من نافلة القول أن أشير الى أن صنيع الأستاذ خليل ابو رحمة يختلف في مقاصده عن عمل الأستاذ النجار ، لأنه يتناول جميع ما صنعه الباحثون في العصر الحاضر ليعرض له ناقداً ومقوّما . أما عمل الأستاذ النجار فقاصر على استدراك الأشعار التي لم ترد في أكمل دواوين الشاعر جمعاً واستيعاباً ، وإلاّ فَقَدَ الاستدراكُ معناه ومرماه . وقد بينتَ فيما ذكرتُ آنفاً أن كل ما استدركه من أبيات قد ورد في جمع الأستاذ فايبرت .

(٤٨) شعر الراعي النميري : ٢٤١ ، وديوان الراعي النميري : ٣١٠

(٤٩) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣١ ج ٢ : ٤٥٦

(٥٠) ديوان الراعي النميري : ٢٥٥

(٥١) مجلة معهد المخطوطات العربي ، مج ٣٠ ج ١ (سنة ١٩٨٦ م) : ٣٩١ ـ ٤٢٣

(٥٢) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣٠ ج ١ : ٤٢٢

كنتُ أتمنى وقد اطلع الأستاذ النجار على مقالة الدكتور خليل أبو رحمة التي صدرت قبل سنة من صدور مقالته في الاستدراك على شعر الراعي أن يبادر الى طيّها ، بعد أن تبين له أن جمع الأستاذ فايبرت قد جاوز ما استدركه أشواطاً بعيدة .

٧ ـ ويستطرد بنا البحث لنقول : إن الدكتور خليل قد أورد طائفة من مستدركاته على شعر الراعي النميري للأستاذين ناجي والقيسي[٥٣] . وهي مستدركات قد وردت جميعاً في ديوان الراعي النميري لراينهرت فايبرت .

ثم انه استدرك عدة أبيات على جمع فايبرت[٥٤] .

(١)

أول مستدركاته :

ونحن كالنجم يهوي في مطالعه وغوطة الشام من أعناقها صَدَرُ

استمده من معجم ما استعجم للبكري .

قلتُ : لا يُسلَّم للأستاذ الكريم هذا الاستدراك ، فالبيت الذي أورده قد أصاب قافيته التحريف . وهو من قصيدة دالية مدح بها الراعي عبد الملك بن مروان ، أورد منها صاحب منتهى الطلب (٦٣) بيتاً . ومطلعها :

بان الأحبة بالعهد الذي عهدوا فلا تمالَكَ عن أرضٍ لها عمدوا

وصوابُ البيت الذي جاء محرّف القافية :

ونحن كالنجم يهوي من مطالعه وغوطةُ الشام من أعناقنا صَدَدُ[٥٥]

(٥٣) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣٠ ج ١ : ٤٠٤ ـ ٤١٠

(٥٤) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣٠ ج ١ : ٤٢٢ ـ ٤٢٣

(٥٥) شعر الراعي النميري : ٨٢ ـ ٩١ (البيت ٥٥) ، ديوان الراعي النميري : ٥٤ ـ ٦٦ (البيت ٥٥) .

(٢)

والمستدرك الثاني قول الراعي :

كأن مواضع الصردان منها   منارات بدين على خمار

استمده من اللسان (مادة صرد) .

قلتُ : وقد أورد الزبيدي في التاج البيت نفسه نقلاً عن اللسان .

وهذا البيت مثل سابقه ، قد وقع في قافيته التحريف ، ورويُّ البيت هو الدال ، كما جاء في تهذيب الأزهري ، وعنه نقل صاحب اللسان ، فتسلل التحريف الى البيت . وهذه هي رواية البيت كما جاءت في تهذيب الأزهري (مادة صرد / ١٢ : ١٤١) :

كأن مواقع الصردان منها   منارات بنين على جماد

والبيت بروايته الصحيحة قد جاء في ديوان الراعي النميري (ص ٧٧) .

(٣)

والدكتور خليل لا يُعنى كثيراً بتصحيح التحريف . فقد جاء بيتٌ للراعي محرفاً في طبعة كتاب الزهرة لأبي بكر محمد بن داود الاصبهاني وهو :

شفائي أن تختصّي بكراهةٍ   وتدرأ عني الكاشحين الأعاديا

فنقله الأستاذ فايبرت محرفاً كما جاء في طبعة كتاب الزهرة[٥٦] ، ثم نقله الدكتور خليل محرفاً ايضاً[٥٧] . والبيتُ بهذه الرواية يبرأ شطره الأول من شطره الثاني ، والصواب :

شفائي أن تختصني بكرامة   وتدرأ عني الكاشحين الأعاديا

وشتان الكراهة والكرامة .

---

(٥٦) ديوان الراعي النميري : ٢٨٩

(٥٧) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣٠ ج ١ : ٤٠٩

(٤)

ونتجاوز استدراك الدكتور خليل الثالث ، إذ لا شيء يؤكد أن البيت المستدرك للراعي النميري ، ونقف عند الاستدراك الرابع . يقول الدكتور خليل : « وفي سنة ١٩٨٢ م صدر الجزء الأول من (رسائل أبي العلاء المعري) بتحقيق الدكتور احسان عباس ، وفيه أن الراعي كان يشبّب بامرأة يقال لها هند . وفيها يقول :

ألا يا هند هند بني عمير أرثٌ حبلُ وصلك ام جديدُ
زكا لكِ صالحٌ وخلاكِ ذمٌّ وصبَّحكِ الأيامنُ والسعودُ
وأبغضُ من وضعتُ اليه فيه لساني معشرٌ عنهم أذودُ[٥٨]
ولستُ بسائل جارات بيتي أغيّابٌ رجالك ام شهودُ

ويبدو أن المعري انفرد برواية هذه الأبيات ، فلم أعثر عليها في مرجع آخر . ولم يقع عليها فايبرت في المراجع التي اعتمدها[٥٩] » .

والنص كما أورده الدكتور خليل موهم . فالحقُّ الذي لامرية فيه أن المعري أورد البيت الثاني من الأبيات الأربعة في رسالته الإغريضية قال : « أقول لك ما قال أخو بني نمير لفتاة بني عمير :

زكا لكِ صالح وخلاكِ ذمٌّ وصبَّحكِ الأيامنُ والسعودُ » .

وجاء في التعليق الذي يُظَنُّ أنه للمعري : « ع : أخو نمير : الراعي الشاعر ، واسمه عبيد بن حصين .... وفتاة بني عمير : امرأة كان يشبّب بها يقال لها هند . وفيها يقول :

ألا يا هند هند بني عمير أرثٌّ حبلُ وصلكِ أم جديدُ »[٦٠] .

(٥٨) جاء في طبعة الرسائل : « اليه فيه » . ونقله الدكتور خليل دون تصحيح . والصواب : « اليَّ فيه » .

(٥٩) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣٠ ج ١ : ٤٢٢ ـ ٤٢٣

(٦٠) رسائل أبي العلاء المعري (بيروت ـ ١٩٨٢ م) ١ : ١٩١ ، وانظر رسالة =

وأضاف الدكتور احسان عباس في ختام التعليق : [قلتُ : لا وجود للبيت ولا أثر للقصيدة في المجموعات الأربع التي قام بها جامعو ديوانه] .

ثم قال شارح الرسالة الإغريضية أبو عبد الله محمد البكراباذي : « أخو بني نمير : لعله أراد النميري الشاعر .... وأظن هذا البيت من القصيدة التي منها :

وأبغضُ من وضعت اليَّ فيه لساني معشرٌ عنهم أذودُ
ولستُ بسائلٍ جارات بيتي أغُيّابٌ رجالك ام شهودُ »[٦١]

وهذا النص قاطع الدلالة في أن البيتين الأخيرين انما ساقهما أبو عبد الله البكراباذي في شرحه ، ظناً منه أنهما من القصيدة التي أورد المعري في رسالته بيتاً منها ، وذكر في شرحه بيتاً آخر منها فحسب .

ولعل هند بني عمير التي شبب بها الراعي النميري هي هند بني سعد التي قال فيها :

تذكر هذا القلب هند بني سعد سفاهاً وجهلاً ما تذكر من هند[٦٢]

فقد ذكر ابو الفرج أن راعي الابل جاور بني سعد بن زيد مناة بن تميم ، فنسب بامرأة منهم من بني عبد شمس[٦٣] .

ويذكر النسابون في كتبهم : عمير بن عبشمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم[٦٤] . ويبقى أن نضيف أن أبا الفرج حين تحدث عن هذه

= الاغريض وتفسيرها ، لأبي العلاء المعري ، تح الدكتور السعيد السيد عبادة (القاهرة - ١٩٧٨ م) : ٦٦ - ٦٧

(٦١) رسائل ابي العلاء المعري (بيروت - ١٩٨٢ م) : ١٩١ - ١٩٢

(٦٢) ديوان الراعي النميري : ٧٤ ، الأغاني ٢٤ : ٢١٤

(٦٣) الأغاني ٢٤ : ٢١٣

(٦٤) جمهرة النسب لابن الكلبي ١ : ٣٣٤ ، ٣٥٤ ، جمهرة انساب العرب لابن حزم :

المرأة السعدية التي تغزل بها الراعي النميري ، وأنها من بني عبد شمس ، أشار ايضاً الى انها من بطن يقال له بنو وابش (او بنو وابشي) من بني عبد شمس . ولم تذكر كتب الانساب ومعجمات اللغة التي بين أيدينا صلة بني وابش (او بني وابشي) ببني عمير بن عبشمس بن سعد[٦٥] .

وأما قول الدكتور خليل : « ويبدو أن المعري انفرد برواية هذه الأبيات فلم أعثر عليها في مرجع آخر » ففيه مقال . جاء في حماسة أبي تمام : « وقال عقيل بن عُلَّفَة :

تناهوا واسألوا ابن أبي لبيد   أأعتبه الضبارمةُ النجيدُ
ولستم فاعلين إخالُ حتى   ينال أقاصي الحطب الوقودُ
وأبغضُ من وضعت اليَّ فيه   لساني معشرٌ عنهم أذودُ
ولستُ بسائلٍ جارات بيتي   أغيَّابٌ رجالكِ أم شهودُ
ولستُ بصادرٍ عن بيت جاري   صدور العَيْر غمَّره الورودُ
ولامُلْقٍ لذي الودعات سوطي   الاعبهُ وريبته أريدُ »[٦٦]

وقد شرح الامام المرزوقي الأبيات وفسّر معانيها ولم يزد على ذلك شيئا . أما الإمام التبريزي فقد أضاف : « قال أبو رياش : البيتان الأخيران لابن أبي نمير القتالي من بني مرة . جاء بها أبو تمام صلة في هذه الأبيات وليسا منها »[٦٧] .

والقتالي : نسبة الى قتال بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان[٦٨] .

(٦٥) انظر جمهرة ابن دريد وتكملة الصغاني ولسان العرب وتاج العروس (مادة / وبش) .

(٦٦) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١ : ٤٠٠ ـ ٤٠٣

(٦٧) شرح التبريزي ١ : ٢١١

(٦٨) جمهرة ابن الكلبي ٢ : ١١٣

وروى ابو عبد الله النمري البيتين السادس والخامس . وقدّم للبيت الخامس بقوله : « ويروى فيها :

ولستُ بصادر عن بيت جاري   صدور العير غمّره الورود »(٦٩)

(٥)

ومن مستدركات الدكتور خليل :

هم الذروة العليا وكاهلها ومن   سواهم هم الاظلاف والزمع والختلُ

وقد استمده من كتاب : الفوائد المحصورة في شرح المقصورة لابن هشام اللخمي . ثم اضاف : « والبيت في عمل فايبرت (ص ١٥٦) مع اختلاف »(٧٠) . والبيت الذي أشار اليه الدكتور خليل في جمع فايبرت هو قول الراعي في مديح قومه القاطنين بالشام حين نزع اليهم ، وأحب الخروج للمقام بينهم :

قومٌ هم الذروة العليا وكاهلُها   ومَنْ سواهم هم الأظلاف والزَّمَعُ

ولا بدّ لي من بعض التعقيب :

إن شروح المقصورة لابن هشام اللخمي التي وصلت الينا تختلف فيما بينها . وهذا الاختلاف يتصل بالزيادة والنقص حيناً ، وتباين العبارات وتنوع الصيغ حيناً آخر .

ومن أمثلة هذا الاختلاف البيتُ الشاهد . فقد أورد محقق الفوائد المحصورة البيت في متن الكتاب ، ثم أشار في الحاشية الى ان نسختي المدينة من شرح ابن هشام اللخمي أوردتا للراعي بيتاً بديلاً هو :

قومٌ هم الذروة العليا وكاهلها   ومَنْ سواهم هم الأظلافُ والزَّمَعُ

(٦٩) كتاب معاني أبيات الحماسة لأبي عبد الله النمري : ٨٦ - ٨٧

(٧٠) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣٠ ج ١ : ٤٢٣

وتدلُّ القراءة المتأنية للتعليقات والحواشي التي أثبتها الأستاذ المحقق أن نسختي المدينة أدقُّ وأصحُّ من المخطوطة التي اتخذها الأستاذ المحقق اصلا .

كذلك فقد طبع شرح المقصورة لابن هشام اللخمي طبعة ثانية . وقد اجتمع للأستاذ المحقق تسع نسخ لشرح ابن هشام ، اختار منها للمقابلة والتحقيق ست نسخ[٧١] . وقد أطبقت النسخ المخطوطة كلها على الاستشهاد ببيت الراعي الذي أوردته نسختا المدينة[٧٢] .

ثم اني عدتُ الى مخطوطتين من مخطوطات شرح ابن هشام في دار الكتب الظاهرية بدمشق : المخطوطة ذات الرقم ٣٣٤٥ ، والمخطوطة ذات الرقم ٧٤١٠ ، فوجدتها لاتذكران إلا قول الراعي :

قوم هم الذروةُ العليا وكاهلها ومن سواهم هم الأظلافُ والزَّمَعُ

والبيت المذكور من قصيدة أورد منها صاحب منتهى الطلب (٣٤) بيتاً[٧٣] .

أما البيت الذي أورده الدكتور خليل (على رويّ اللام) فقد ترجح لديّ أنه هو هو بيت الراعي الذي جاء على روي العين ، ثم اصابه التحريف على ايدي النساخ . وليس هو إلا الظن . وان الظن لا يغني من الحق شيئا .

٨ ـ أحببت أن اختم فقرة الاستدراكات على شعر الراعي بفوائد التقطتها من تعليقاتي على هامش نسختي من ديوان الراعي النميري :

---

(٧١) ابن هشام اللخمي وجهوده اللغوية ... لمهدي عبيد جاسم (بيروت ـ ١٩٨٦ م) : ١٠٥ ـ ١١٢

(٧٢) ابن هشام اللخمي : ٣١٠

(٧٣) ديوان الراعي النميري : ١٥٥ ـ ١٥٩ (البيت ١٢) ، شعر الراعي النميري : ١٢٨ ـ ١٣٣ (البيت ١٢) .

(١)

قال الراعي في رثاء عثمان بن عفان رضي الله عنه :

عشيـــة يـــدخلـون بغير اذن ... على متـوكلٍ أوفى وطـــابـــا
خليـــل محمـــد ووزير صـــدْقٍ ... ورابـع خير من وطئ الترابـــا[٧٤]

والبيتان لم يردا في مجموعات أشعار الراعي .

وفي معنى قـول الراعي أن عثمان رضي الله عنـه هـو خير النـاس بعـد النبي ﷺ وصـاحبيـه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، قـال الـوليـد بن عقبة بن أبي معيط (أو نائلة بنت الفرافصة زوج عثمان) :

ألا إن خير النـــاس بعـد ثـلاثـة ... قتيلُ التجوبيّ الذي جاء من مِصْرِ
ومـــــالي لا أبكي وتبكي قرابتي ... وقد غُيبت عنا فضول أبي عمرو[٧٥]

(٢)

جاء في معجم البلـدان (سروج) : « .... وقيل لأبي حيـة النميري : لِمَ لا تقول شعراً على قافية الجيم ؟ فقال : وما الجيم بأبي أنتم ؟ فقيل له : مثل قول عمك الراعي : ماؤهن يعيج[٧٦] . فأنشأ يقول :

---

(٧٤) جاء البيتان في تاريخ مدينـة دمشق لابن عسـاكر (ترجمة عثمان بن عفـان) ، والبـدايـة والنهايـة لابن كثير ـ انظر مجلـة مجمع اللغـة العربيـة بـدمشـق ، مج ٦٢ ج ٤ (١٩٨٧ م) : ٦٧٠ ـ ٦٧١

(٧٥) انظر مـا قيـل حـول البيتين وصـاحبها في كتـاب القصيـدة الـدامغـة : ٤٠٠ ، والقاموس المحيط (مادة ت ج ب ، ج و ب) ، وتـاج العروس للزبيـدي (مـادة ت ج ب ، ج و ب) ، والصحاح للجوهري (مادة ج و ب) ، ولسان العرب (مـادة ج و ب) ، وفصل المقـال في شرح كتـاب الأمثـال لأبي عبيـد البكري : ٤١٤ ـ ٤١٥ ، ونسب قريش للمصعب الزبيري : ١٠٥ ، ومروج الـذهب للمسعودي ٢ : ٣٥٥ ، والاصـابـة لابن حجر (كنـانـة بن بشر / ٣ : ٣١٨ ، الـوليـد بن عقبـة / ٣ : ٦٣٨) ، ومجمـل اللغـة لابن فـارس (مـادة ت ج ب / ١ : ١٤٥ ـ ١٤٦) ، والأغاني ١٦ : ٣٢٤

(٧٦) صوابها : ماؤهن مجيج ، كما يأتي بعد .

ولما رأى أجبالَ سنجار أعرضت يميناً وأجبالاً بهنّ سروجُ
ذرى عبرة لو لم تفض لتقضقضت حيازيمُ محزون لهنّ نشيجُ » .

ولعلّ في عبارة ياقوت بعض الوهم والخلل نتداركه مما جاء في كتابي القوافي وحِلْية المحاضرة .

روى ابو الحسن الأخفش الاوسط في مقدمة كتابه القوافي : « وقالوا لأبي حية : أنشدنا قصيدة على القاف قال :

كفى بالنأي من أسماء كافِ وليس لحبها اذ طال شافِ

ولم يعرف القاف »[٧٧] .

وروى أبو علي الحاتمي في حِلْية المحاضرة ، قال : « أخبرنا النوفلي قال : اخبرنا ابن أبي طاهر قال : قيل لأبي حية النميريّ : أتعرف مثل قول أبي ذؤيب :

سقى أمَّ عمرو كل آخر ليلة حناتمُ سودٌ ماؤهنّ ثجيجُ[٧٨]

فأنشد لنفسه :

ولما رأى أجبال سنجار أعرضت يميناً وأجبالاً بهن سروجُ
ذرى عبرة لو لم تفض لتقضقضت حيازيم محزونٍ لهن نشيجُ

قال ابن ابي طاهر : وهذا المعنى مما سبق اليه أبو حية ، فلم يشاركه فيه أحد .... »[٧٩]

---

(٧٧) كتاب القوافي لأبي الحسن الأخفش ، تح الأستاذ احمد راتب النفاخ (بيروت ـ ١٩٧٤ م) : ٤ ، لسان العرب (مادة ـ قفا) .

(٧٨) ديوان الهذليين (القاهرة ـ ١٩٤٥ م) ١ : ٥١ ، شرح أشعار الهذليين (القاهرة ـ دار العروبة) ١ : ١٢٨

(٧٩) حلية المحاضرة للحاتمي (بغداد ـ ١٩٧٩ م) ٢ : ٤٥ ، والبيتان وردا في شعر أبي حية النميري (دمشق ـ ١٩٧٥ م) : ١٢٥ ، نقلاً عن معجم البلدان .

(٣)

جاء في معجم البلدان (فيحان) : « .... وفَيْحان : موضع في بلاد بني سعد . وقيل : واد . قال الراعي :

أورعلةٌ من قطا فيحان حلأها   من ماء يثربة الشبّاك والرّصَدُ

. . . .

حيث التقى السهلُ من فَيْحان والجَلَدُ

والجلد : الارض الصلبة » .

ذكر ياقوت بيت الراعي ، وهو من قصيدته الدالية الشهيرة في مديح عبد الملك بن مروان[٨٠] . ثم وليه في معجم البلدان بياض ، جاء عقبه عجز بيت ، هو في وزن البيت السابق وعلى رويّه ..

لم استطع أن أهتدي الى صدر البيت ، ولم أعرف صاحبه . وانما أثبتُّه مؤمّلاً أن يوفّق احد العلماء الباحثين لمعرفة ماعسر عليّ والتوى .

(٤)

جاء في كتاب القصيدة الدامغة : « ... ويدل على ذلك قول عبيد الراعي وقد مدح خالد بن عبد الله القسري :

فما سنّها من حميريّ متوّج   ولا من معدّ حين عدت فضولُها

سواك الى ان كنت انت سننتها

كذاك لكم عرض البلاد وطولُها »[٨١] .

وأنا في شكٍّ من نسبة البيتين الى الراعي النميري .

ثالثاً ـ الاستدراك على شعر القحيف العقيلي

جُمع شعرُ القحيف العقيلي ثلاث مرات :

(٨٠) ديوان الراعي النميري : ٥٤ ـ ٦٦

(٨١) القصيدة الدامغة : ١٠٩ ـ ١١٠

الجمع الأول : قام به الأستاذ الدكتور فريتس كرنكو ، ونشره في مجلة المجمع الأسيوي البريطاني (نيسان ـ ١٩١٣ م) .

والجمع الثاني : نهض به الأستاذ العلامة حمد الجاسر ، ونشره في مجلته الغراء : العرب (١٩٦٧ م) .

والجمع الثالث : تولاه الأستاذ الدكتور حاتم الضامن ونشره في مجلة المجمع العلمي العراقي (١٩٨٦ م)[٨٢] .

ويبدو أن الأستاذ النجار لم يطلع إلا على الجمع الأول[٨٣] . ولذلك استدرك ما استدرك ، وبلغت مستدركاته (٢٩) بيتاً . ولو أتيح له أن يطلع على الجمعين الثاني والثالث لتبين أن ماجاء به قليل في جنب ما جاء به الجامعان الفاضلان : الأستاذ العلامة حمد الجاسر ، والأستاذ الدكتور الضامن .

١ ـ أورد الأستاذ الباحث أربعة أبيات مطلعها :

خليليَّ ما صبري على الزفرات وماطاقتي بالشوق والعبراتِ[٨٤]

وذكر أن البيتين الثالث والرابع لم يردا في الديوان الذي جمعه كرنكو ، فاستدركهما الأستاذ من كتاب الزهرة لأبي بكر محمد بن داود الاصفهاني .

لقد جاءت هذه المقطوعة التائية من شعر القحيف خمسة أبيات في الجمعين الثاني والثالث . والبيت الخامس هو :

إذا مِسْنَ قُدّام البيوت عشيّةً قصار الخطا يرفلن في الحبراتِ[٨٥]

(٨٢) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٦٢ ج ٣ (١٩٨٧ م) : ٦١٥ ـ ٦٢٩ ، وقد ذكر الأستاذ عبد الجبار عبد الرحمن في كتابه : ذخائر التراث العربي الاسلامي (١٩٨٣ م) ٢ : ٧٥٢ ، جمع الأستاذ كرنكو فقط .

(٨٣) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣١ ج ٢ : ٤٤٠

(٨٤) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣١ ج ٢ : ٤٥٧

(٨٥) مجلة العرب (س١ ، ج ٥) : ٤١٠ ـ ٤١١ ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج ٣٧ : ٢٣٤ ـ ٢٣٥

٢ ـ أورد بيتين أولهما :

متى ما تُحط خبراً بنا ياابن عاصم تجد لي رجالاً من بني العمّ حُسَّدا[٨٦]

والبيتان قد جاءا في الجمعين الثاني والثالث[٨٧] .

٣ ـ استدرك الأستاذ الباحث قصيدة من ثلاثة وعشرين بيتاً ، مطلعها :

ديـــار الحيّ تضربهـــا الطـلالُ من الخـافي بهـا أهـلٌ ومـالُ[٨٨]

وذكر أن ثمانيـة أبيـات منهـا وردت في الـديـوان الـذي جمعـه الأستـاذ كرنكو .

إن القصيدة قد وردت في الجمع الثاني للأستاذ العلامة حمد الجاسر ، وفي الجمع الثالث للأستاذ الدكتور الضامن ، وقد بلغ عدد أبياتها في جمع الأستاذ الضامن خمسة وعشرين بيتاً[٨٩] .

٤ ـ يوضح هـذا العرضُ أن الأستـاذ البـاحث لم يستـدرك على شعر القحيف المجموع شيئـا . بـل إن الجمعين الثـاني والثـالث قـد أوردا مـا لم يورد . وإنما كان استدراكه منصبّاً على الجمع الأول ، وهو جمع قـد مضى عليـه زهـاء خمسة وسبعين عـامـا (كان الجمع الأول في عـام ١٩١٣ م ، كما ذكرنا آنفا) .

٥ ـ وكنتُ تحدثتُ عن القحيف العقيلي ومجموعات شعره[٩٠] ، وبيّنت أن أبياتاً من تـائيـة القحيف التي يفخر فيهـا بيوم النشّاش قـد اختلطت

(٨٦) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣١ ، ج ٢ : ٤٥٧

(٨٧) مجلة العرب (س١ ، ج ٥) : ٤١٢ ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج ٣٧ : ٢٣٧

(٨٨) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣١ ، ج ٢ : ٤٥٨ ـ ٤٥٩

(٨٩) مجلة العرب (س١ ، ج ٦) : ٥٥٣ ـ ٥٥٥ ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج ٣٧ : ٢٤٢ ـ ٢٤٧

(٩٠) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٦٢ ، ج ٣ (١٩٨٧ م) : ٦١٥ ـ ٦٢٩

بأبيات من شعر بشار بن برد العقيلي بالولاء . وذكرتُ بعد ذلك قول بعض الأدباء ان بشاراً أغار على بيت للقحيف ، وضمّه الى ميميته الشهيرة[٩١] .

ثم اني الحقتُ بالأبيات التائية التي افتخر فيها القحيف بيوم النشاش بيتاً رابعاً استقيتُه من كتاب أنساب الأشراف للبلاذري ، وهو قوله :

تشكُّ نميرٌ بالقنا صفحاتهم وكم ثَمّ من نَذْرٍ لها قد أحلّتِ[٩٢]

لقد قال الأستاذ الباحث في مطلع مستدركاته : « .... واليوم تجمعت لي مجموعة من أبيات الشعر ومقطوعاته وقصائده ، لشاعر أو أكثر ، صنعت دواوينهم ، وطبع بعضها عدة مرات . وقد خلت هذه الدواوين من هذا الشعر الذي عثرت عليه في كتب التراث المخطوطة التي خرجت لترى النور .... لم أكتف بالنظر في طبعة واحدة من طبعات ديوان هذا الشاعر أو ذاك ، ولكن أتتبع جميع طبعات ديوانه إن أمكنني ذلك ، وإلا نظرتُ في أكثرها وأحدثها ، لعلمي أن الطبعة الجديدة تستوعب الطبعات السابقة ، وتَستدرك عليها .... »[٩٣] .

ولكن الأستاذ الكريم لم يقو على النهوض بهذا العبء الثقيل .

(للبحث صلة)

---

(٩١) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٦٢ ، ج ٣ : ٦١٧ ـ ٦١٨

(٩٢) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٦٢ ، ج ٣ : ٦٢٦

(٩٣) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣٠ ج ١ : ٢٩٦ ، ٢٩٩ ـ ٣٠٠

آراء وأنباء

الأستاذ محمد أحمد دهمان

(١٨٩٩ ـ ١٩٨٨ م)

الدكتور شاكر الفحام

الأستاذ محمد أحمد دهمان ، رحمه الله وأسبغ عليه واسع رضوانه ، وجهٌ مشرقٌ من وجوه هذه الجمهرة الكريمة من علماء دمشق الذين تفتحت نفوسُهم لمبادئ النهضة العربية التي دعا اليها الروادُ الأوائل وعملوا لها وضَحَّوْا من أجلها .

نشأت هذه الجمهرةُ الفتية في ظلال الدعوة العربية : يملأ الايمانُ قلوبهم ، وتعمر الحماسةُ صدورهم ، ومضوا يبشرون بفجر العروبة الذي طال تطلعُهم اليه ، وعمل كلٌّ منهم في الميدان الذي يُسّرَ له ، ليعود للعروبة مجدُها الزاهر ، وللعرب حضورُهم في ساحة التاريخ ، ومشاركتُهم في صنعه .

ولد الأستاذ محمد دهمان سنة ١٨٩٩ م (١٣١٧ هـ) في حارة الشطي بحي العمارة بدمشق،فرعاه والده الشيخ أحمد دهمان (١٨٤٤ـ ١٩٢٧م)، وكان من قراء دمشق وعلمائها ، قد أتقن القراءات العشر ، وعُني بالتعليم ، وافتتح مكتبا لتعليم الأولاد في المدرسة العادلية الصغرى[1] .

وتعلم الأستاذ دهمان القراءة والكتابة وهو في نحو الثامنة من عمره ،

☆ ألقيت هذه الكلمة في حفل تأبين الأستاذ محمد أحمد دهمان الذي أقامته وزارة الثقافة في مكتبة الأسد مساء يوم السبت ٢٣ / ٤ / ١٩٨٨ م (٦ رمضان ١٤٠٨ هـ) .

(١) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري ١ : ٤٠٦ ـ ٤٠٨

فألحقه أبوه بمكتب الشيخ عبد القادر المبارك (١٨٧٨ ـ ١٩٤٥ م)[٢] ، فأمضى فيه سنتين ، لينتقل الى المدرسة الجقمقية فيقضي فيها أربع سنوات ، أهّلته ليقرأ بعد ذلك على شيوخ عصره في حلقاتهم العلمية .

ويذكر الأستاذ دهمان من شيوخه الذين أفاد منهم الشيخَ أبو الخير الميداني (١٨٧٥ ـ ١٩٦١ م)[٣] الذي تعلم على يديه في المدرسة الجقمقية ، والشيخَ محمد القطب (ت ١٩٢٧ م)[٤] الذي قرأ عليه بعد عهد الطلب . أما الشيخُ الذي ترك في نفسه أبلغ الأثر فهو الشيخ عبد القادر بدران (١٨٤٨ ـ ١٩٢٧ م) مهذّب تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، ومؤلف كتاب منادمة الأطلال ومسامرة الخيال[٥] .

عرف الشيخ بدران بالعلم الواسع والعقل النير وحب الاصلاح . دعا الى العدالة الاجتماعية ، وندد باستئثار أصحاب الاقطاع بخيرات الأرض وحرمان الفلاحين المنتجين من حقهم فيها ، وعانى في سبيل ذلك ، وتحمل الأذى ، والنفي من بلدته (دوما) . وقد غرس في نفس تلميذه دهمان البذور الطيبة العلمية والاصلاحية لتنبت أحسن نبات وأنماه .

ولكنّ الأستاذ دهمان لم يكتف بما حصّل ، وأكبَّ على القراءة والمطالعة حتى غدت ديدناً له وعادة ، فألِفَ الكتبَ وأحبَّها ، وواصل الدرسَ والقراءة ، « واتكأ على نفسه ، لبيلغ بثقافته المستوى الذي كان يتشوف له ، وشقّ طريقه الصعب وحده ، ينهلُ من الينابيع ، يحرّقه لاستكمال المعرفة ظمأٌ لا يرتوي »[٦] .

---

(٢) تاريخ علماء دمشق ٢ : ٦٠٥ ـ ٦٠٨

(٣) تاريخ علماء دمشق ٢ : ٧٢٠ ـ ٧٣٢

(٤) تاريخ علماء دمشق ١ : ٤٢٩ ـ ٤٣٠

(٥) تاريخ علماء دمشق ١ : ٤٢٢ ـ ٤٢٤

(٦) مقدمة كتاب علم الساعات : ٤ م

وتنوعت ثقافة الأستاذ دهمان واتسعت معارفه لكثرة قراءاته وشدة تتبعه وتدقيقه : اطلع على العلوم الدينية وعلوم العربية ، وتعلق بعلم التاريخ ، وشغفته مدينة دمشق بآثارها وأوابدها ومساجدها ومدارسها ومكتباتها وجبلها قاسيون : « كانت دمشق ومازالت كل دنياي »(٧) فعُني بها ووقف لها كثيراً من جهده ووقته .

واذا تتبعتَ ماقام به الأستاذُ دهمان راعك فيه هذا النشاط والدأب ، لاتعرفُ همّتُه التعبَ ولا الكلال ، ولا يَهِنُ عزمُه أمام الصعاب والعقبات . تراه متفائلا أبدا ، جاداً مندفعاً لايتوقف . وتستطيع أن تتبين أن أعماله تدور حول قطبين يرتبط أحدهما بالآخر :

أولهما : نشرُ العلم والمعرفة ، وإحياءُ التراث الأصيل ، والكشفُ عن مآثر الحضارة العربية .

والثاني : دعوةٌ الى التقدم ، واستشفاف روح المستقبل ، ومحاربة الخرافة والبدع ، والعمل على اجتثاث التخلف والجمود .

تصدّى في مطلع شبابه مع أصدقائه الذين يشاطرونه الرأي لتلك الدعوة المسمومة التي نادت بهجر المدارس ومحاربة العلوم ، فكتب في الصحف وخطب منددّاً مسفّهاً ، ودعا الطلابَ الى بيته يعلّم ويوجّه ، وناله في سبيل ذلك من الأذى مانالَه . ولم ير بدّاً من أن يتابع طريقه ، فأصدر مجلة (المصباح) منبراً لآراء دعاة العلم والاصلاح ، وكتب في مجلة التمدن الاسلامي ، ومجلة مجمع اللغة العربية (مجلة المجمع العلمي العربي آنذاك) .

وأسس مكتب الدراسات الاسلامية في المدرسة العادلية الصغرى ،

---

(٧) في رحاب دمشق : ٧

وأخذ هو وطائفةٌ من كبار رجال الفكر والثقافة والآداب يلقون محاضرات في الأدب العربي والثقافة الاسلامية[٨] ، كذلك فقد حاضر في ردهة المجمع العلمي العربي .

ورأى من الوسائل المجدية لمحاربة الخرافة والجمود نشرَ الكتب الأصول محققةً مقرّبةً الى الناشئة ، فأصدر :

١ ـ كتاب النشر في القراءات العشر لابن الجزري (دمشق ١٣٤٥ هـ) .

٢ ـ وكتاب مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي (دمشق ١٣٤٧ هـ)[٩]

٣ ـ وكتاب سنن الدرامي (دمشق ١٣٤٩ هـ)

٤ ـ وكتاب البدع والنهي عنها لمحمد بن وضاح القرطبي (دمشق ١٣٤٩ هـ)

٥ ـ وكتاب المقنع في مرسوم مصاحف أهل الأمصار مع كتاب النقط لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (دمشق ١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠ م) .

ثم ألّف في هذا الباب كتابه : دراسات في الثقافة الاسلامية (دمشق ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م) تناول فيه علوم القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وعلم التوحيد والكلام ، وأصول الفقه ، بأسلوب سهل ميسّر واضح ، فقرّبها الى القراء ، وأخذ بيدهم ليمضوا في الطريق اذا شاؤوا الاستزادة .

---

(٨) دراسات في الثقافة الاسلامية : ٥ ـ ٦

(٩) كتاب منهاج القاصدين للامام عبد الرحمن بن الجوزي ، اختصره من كتاب إحياء علوم الدين للغزالي . ثم اختصر ابنُ قدامة المقدسي كتاب منهاج القاصدين لابن الجوزي .

وتوفر الأستاذُ دهمان على دراسة التاريخ ، وتاريخ دمشق خاصة ، وجعل ذلك همّه وشغله الشاغل ، فحقق وألّف كتباً جوّدها وأتقنها حتى كانت الغاية في الدقة . « إنه يقف في طليعة أولئك العلماء العارفين بتاريخ دمشق وخططها ، يتمثل صورتها القديمة ، ويعايش أحداثها وتاريخها ، ويقصُّ عليك من أنباء آثارها وماضيات أيامها حديث المتقن الفطن الذي جهد واستقصى ، وأوعب واستوفى »[١٠] .

مما حققه من المؤلفات التي عرضت لتاريخ دمشق فقدمها ميسرة سائغة للواردين :

١ ـ مدارس دمشق للإربلي (دمشق ١٩٤٧ م)[١١]

٢ ـ المروج السندسية (الفسيحة) في تلخيص تاريخ الصالحية لابن كنّان (دمشق ١٩٤٧ م)

٣ ـ القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية لابن طولون الصالحي (دمشق ١٩٤٩ ـ ١٩٥٦ م)

٤ ـ المجلدة العاشرة من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (دمشق ١٩٦٣ م)

٥ ـ إعلام الورى بمن ولي نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى لابن طولون الصالحي (دمشق ١٩٦٤ م) .

٦ ـ رحلة الأمير يشبك الدوادار (دمشق ١٩٨٦ م) (العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك) .

وتحقيقاتُ الأستاذ دهمان وتعليقاته التاريخية والأثرية تجلو لك صورته حقا ، إنها صورة الأستاذ المحقق المؤرخ النقادة النافذ البصيرة ،

---

(١٠) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٥٥ ص ٨٤٤ .

(١١) أدرج الكتاب بعد ذلك في كتابه (في رحاب دمشق) .

يستحضر الماضي بكل جوانبه ، ويتمثل ناسه بعواطفهم وأفكارهم ومطامحهم ، ويتقصى ويتدبر وهو يتحرى الكشف عن الأسباب والدوافع . مازلتُ أذكر ماأحسستُ به وأنا أطالع كتاب القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية لمحمد بن طولون الذي حققه . وكان مما قلته آنذاك في كلمة لي : « ..... وتبدّى لي الشيخُ رائعاً حقاً ، بدقته وغزارة علمه وكثرة مراجعه وإحاطته بموضوعه ومعرفته بدمشق ومواضعها القديمة حتى لكأنها بين يديه يتخيّلها بأسواقها وناسها وحركتها الدائبة وقصورها وجوامعها وأبوابها وأنهارها وكل مايحيط بها . يَضُمُّ الى ذلك رؤيةً بصيرة ناقدة تتبين روح العصر ، وتؤمن بالتقدم ، وترنو الى المستقبل . إنه شديد الحرص على الآثار الروائع ، يؤذيه مأأصابها من إهمال ، فهو يدعو لحفظها وصونها من عبث العادين عليها ، ولا يتمالك أن ينال بوخزاته اولئك المرائين المتظاهرين بالورع ، يخفون في أنفسهم من الجشع مالا يبدون ، وأن يُندّدَ باولئك المقصرين في واجبهم لايبالون المصير الذي يتهدد أوابد دمشق وتحفها الخالدات ... »[١٢] .

وقد شَفَع الكتابَ المحقَّقَ بمخطّط الصالحية ومواقعها الأثرية ، وهذا وحده من روائع المنجزات التي تدلّ على ماينطوي عليه الأستاذ دهمان من حب المعرفة ، وإيثارها ، وما يبذل من الطاقة والجهد ، وما يتحلى به من الصبر والدأب لتحقيق مايطمح اليه من الدقة وبلوغ الحقيقة ، ووضع لبنة جديدة في صرح تاريخ دمشق وصالحيتها .

لقد كان رحمه الله متأنّياً ، يروّي في عمله ، لايتسرع ولا يعجل ، ولا يصدر الحكم إلا بعد طول تأمل . قضى في تحقيق القلائد الجوهرية ووضع المخطط زهاء عشر سنوات فأعطى من بعدها العطاء الكريم .

---

(١٢) مقدمة كتاب علم الساعات : ٤ ـ ٥ م

ويضمُّ الأستاذُ دهمان في أغلب الاحيان الى تحقيقاته وتعليقاته الدقيقة مقدماتٍ تحلّل مضمون الكتاب ، وتكشف عن مراميه ، وتدلُّ على موقعه من الكتب التي تماثله ، وتبرز مكانة مؤلّفه العلمية . ويضيف الى ذلك حيناً نصوصا نادرة تكمل موضوع الكتاب وتسدُّ نقصه . ومن أوضح الأمثلة لهذه الخطة التي ارتضاها الاستاذ دهمان في التحقيق كتابُه رحلة الأمير يشبك الدوادار .

فقد عرَّف بالمخطوطة والمؤلِّفِ محمد بن محمود الحلبي ، ثم وطّأ للنص المحقق بتمهيد ذكر فيه تاريخ الإمارة الدلغادرية (ص ١٩ ـ ٣٠) ، وأضاف للكتاب المحقق عدة نصوص تعينُ على فهم الرحلة وتكشف عن مقصد صاحبها ، وتجيب القارئ عن كثير من الأسئلة التي تطرحها الرحلة . (ثورة شاه سوار/ص ٣١ ـ ٦١ ، طمع الدول المجاورة بالمماليك/ص ١٦١ ـ ١٧٧ ، تردي العلاقات بين المماليك والعثمانيين/ص ١٧٩ ـ ٢٠٠ ، تحسن العلاقات بين الدولتين المملوكية والعثمانية/ص ٢٠١ ـ ٢٢٦ ، النزاع بين المماليك والعثمانيين ص ٢٢٧ ـ ٣١٠) .

والى جانب تحقيقات الأستاذ دهمان وتعليقاته الرائعة المفيدة فقد كتب وحاضر في تاريخ دمشق التي استهوته واستفرغت جُهْدَه ووُكْدَه ، وحبَّر مقالاتٍ قيمةً في وصف مساجدها ومدارسها وقبابها ومحلاتها وتُربها وآثارها ، كما تحدث عن جوانب من حياتها العلمية ونظمها الادارية ...

وقد ضم كتابُه : في رحاب دمشق (دمشق ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م) جزءاً من هذا النشاط العلمي .

أما الجامعُ الأموي فقد بذل له من اهتمامه ماجعله يفرده بكتابٍ على حدة .

وخصَّ الاستاذُ دهمان عصرَ المماليك في دمشق بعناية خاصة ، فقد

أدرك ماالهذا العصر من أهمية بالغة تتطلب الدراسة والتحليل[١٣] ، وألف في ذلك كتابه : ولاة دمشق في عهد المماليك (دمشق ١٣٨٣ هـ/١٩٦٣ م) واستهلَّ الكتابَ ببحث ضافٍ تحدث فيه عن المماليك وجهاز حكومتهم في القاهرة ودمشق[١٤] .

وتتجلى في كتابات الأستاذ دهمان صفاتُ المؤرخ النزيه الثقة ، ذي النظرة الثاقبة النافذة . يقول : « من ينابيع المعرفة التي نهِلْتُ منها في ظلال دمشق كان عطائي العلمي . فما أعطتني إياه هذه المدينةُ الخالدة من علم وتجارب وصور ، قدمتُهُ دراساتٍ وبحوثاً لم أتوخَّ منها إلا أن تكون مرآة صادقة لتراث دمشق وتاريخ دمشق ونذرت نفسي للتعريف العلمي الصادق بدمشق ... »[١٥] .

وكان له الموهبة الفذة في استحضار صورة الماضي حيةً ، واستشفاف الأسباب الخفية العميقة التي كانت تحرك الأحداث ، والتعرف الى الدواعي التي تكمن وراء نسج الاساطير وحوك الخرافات وأحاديث الأسمار .

يتحدث عن جبل قاسيون وما حيك حوله من أساطير ، وما وُضع له من أحاديث ، فيفسر الأسباب النفسية العميقة التي تستتر وراء هذه الأساطير وتلك الأحاديث ، والتي تشفُّ عما كان يخالج أهل دمشق من حب عميق لبلدهم ، وتعلق شديد بوطنهم ، يدفعهم للمفاخرة به ، والاستماتة في الذود عنه ، وتشويق الناس لزيارة أرضهم المقدسة التي

---

(١٣) إعلام الورى : ٥ ـ ٧ ، مجلة الثقافة الاسلامية ، ع ١٥ (١٤٠٨ هـ) : ٢٨٢ ـ ٢٨٤

(١٤) ولاة دمشق في عهد المماليك : ٦

(١٥) في رحاب دمشق : ٧

ضمت من الفضائل ما جعلها رابع المدن المقدسة[١٦] .

ويذكر وصية الملك الظاهر بيبرس أن يدفن على الطريق السابلة قريباً من داريا ، ولكن الملك السعيد يأبى ذلك ، ويبتاع دار العقيقي ليجعلها مدفناً لأبيه .

لم يمرّ المؤرخُ الفطن النقادة بهذا الخبر مروراً عابراً ، بل وقف يحلّله ، ويكشف عن بواعثه الخفية التي جعلت الملك السعيد يخالف وصية أبيه ، ثم يجلو لك ما يستتر وراء هذه المخالفة . إنها رغبةُ الملك السعيد ورغبة المماليك جميعا أن يظهروا في عيون الناس أنهم أصحاب الحكم الشرعيون ، وأنهم ورثةُ الأيوبيين ، لا مماليكُ اغتصبوا السلطة من أسيادهم دون وجه حق ، بل إن لهم من شرعية الملك وأبهته ما لهؤلاء الملوك الأيوبيين . ومن هنا أراد الملكُ السعيد أن يدفن أباه في بقعة تحيط بها قباب أعاظم الملوك الأيوبيين : السلطان صلاح الدين الأيوبي والملك العادل والملك الأشرف[١٧] .

ومن نشاط الأستاذ دهمان في التاريخ العام توفُّرَه على تحقيق كتاب (إنباء الغمر بأنباء العمر) لابن حجر العسقلاني نشر جزأه الأول (دمشق ـ ١٣٩٩ هـ) مع مستدركات عبد الباسط الحنفي ومحمود العيني ، واستطاع بما بذل من جهد أن يجلو الكتاب أقل خطأ وتصحيفا[١٨] .

ومن نشاطه كذلك إشرافه وتعليقاته المفيدة على ترجمة كتاب الدول الاسلامية (دمشق ١٩٧٣ ـ ١٩٧٥ م) لستانلي لين بول ، مع اضافات بارتولد وخليل أدهم . والكتابُ ثبت قيّم سرد فيه صاحبُه الدولَ

---

(١٦) في رحاب دمشق : ١١ ـ ١٢

(١٧) في رحاب دمشق : ١١٥ ـ ١١٦

(١٨) أنباء الغمر ١ : ١١ م

الاسلامية مستفيداً من النصوص التاريخية ، ومن الكتابة على المسكوكات النقدية . وهو في ذلك يشابه في بعض الوجوه معجم الأنساب لزامباور .

ويُضَمُّ الى ذلك النشاط كتابُه معجم الألفاظ التاريخية ، وقد عرض فيه للألفاظ التي شاعت في نظم الادارة وكتب التاريخ في عصر المماليك ، وفسرها ، وذكر أصولها ومآخذها[١٩] .

ويتفرد الأستاذ دهمان رحمه الله بعمل فذّ هو تحقيقه لكتاب علم الساعات والعمل بها لرضوان بن محمد الساعاتي . لم يكتف بتحقيق الكتاب على جلالة ذلك ، بل سارع كعادته في نِشْدان الكمال ، فذيَّله بمقالاتٍ لارشميدس وسواه في الساعات ، ثم قدَّم له بمقدمة ضافية تبلغ نحو مئة صفحة ، تحدث فيها عما قام به العرب والمسلمون في صناعة الساعات ، وَوَصَف جملةً من الساعات العربية ، وذَكَرَ المشهورين من المهندسين الميكانيكيين العرب .

لقد كان الاستاذ دهمان في حياته ومسلكه قدوة ومثلاً . كان واسع الأفق ، حرَّ التفكير ، دعا الى التفلت من إسار الجمود والتخلف ، ووقف نفسه للعلم والتعليم زهاء سبعين عاما . كان متفائلاً أبدا ، تطالعك في بُرْدتيه عزيمةٌ لاتعرف الكلال ، وصبرٌ لاتخالطه السأمة . لم تلن قناته يوم زحفت اليه الأسقام ، وضعف بصره ضعفاً شديداً ، بل ظلَّ كالعهد به ، يتحدث اليك عن أعماله ومؤلفاته ، وعما أنجزه وما يزمع إنجازه من مشروعات ملكت عليه نفسه ، واستأثرت بجهده واهتمامه ، فتنفذ كلماتُه الى قلبك بصدقها ، وتُكْبر فيه هذه الحماسة ، وهذا التصميم .

لقد نذر نفسه للعمل الجادّ النافع ، دأب عليه في صمت وتواضع عرف بها ، وقدَّم لبلده خير ما عنده .

---

(١٩) مجلة الثقافة الاسلامية ، ع ١٥ (١٤٠٨ هـ) : ٢٨٢ ـ ٣٠١

ولقد شعر بالرضا كلّ الرضا ، وبالتقدير أجمل التقدير يوم أقامت وزارة الثقافة له ولصحبه الثلاثة في الرابع والعشرين من كانون الثاني ١٩٨٣ م حفل تكريم ، ومنحوا أوسمة الاستحقاق السورية من الدرجة الاولى ، مشفوعة بكلمة السيدة وزيرة الثقافة التي جاء فيها : « لتكن هذه الأوسمة بعضاً من تقدير هذه الأمة لمفكريها ، وبعضاً من التكرمة والوفاء من هذا الشعب لمؤرخيه » .

وأجاب الاستاذ دهمان بلسان الشكر : « كم أطيبُ اليوم نفساً بهذه البادرة الكريمة في حفل تكريم رعاه قلبُ قائد عظيم : الرئيس حافظ الأسد ، فقد عَرَفَ قدرَ العلم فكرّمَ أهلَه ، فكان لي من ذلك أسمى الفخر .... »[٢٠]

وظل الأستاذ دهمان الفارسَ المُعْلِمَ في الساحة ، لم يترجَّلْ حتى وافاه اليقين في يوم الاثنين ٧ / ٣ / ١٩٨٨ ، فجزاه الله خير الجزاء وأوفاه . إنما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب .

---

(٢٠) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٥٨ (١٩٨٣ م) : ٦٣٧ - ٦٤١

فقيد المجمع

الدكتور أحمد عبد الستّار الجواري

رسمه الأخير

الدكتور أحمد عبد الستار الجواري(*)

العضو المراسل في مجمع دمشق

١٩٢٥ ـ ١٩٨٨ م

بقلم

د . عدنان الخطيب

لقد نعمت بصحبة فقيد العربية **أحمد عبد الستار الجواري** ، في المؤتمرات السنويّة لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، لعدة سنوات خلت . كان الفقيد اثناءها خير إنسان يصادق ، وخير رفيق يصاحب ، وخير زميل يعاشر إذا ما أوينا إلى الفندق نستجم فيه . تتحدث معه فيفيدك حديثه ، وتتحدث إليه فتراه مصغياً إليك بكل جوارحه ، وإذا حدثك فألفاظه منتقاة تخلو من الحشو والابتذال ، وإذا حدثته أبدى البشاشة والتلهف لسماع بقية الحديث ، يجامل محدثه ، على أنه ينفر من الغلو في المجاملة ، وإذا جرّ الحديث إلى النقد ، رأيته ينتقد برفق ولين مبتعداً عن الغيبة والتجريح .

وأنا لست أدري ما الذي ذكّرني **بموقف أحمد شوقي من حافظ إبراهيم** عندما نُعيَ **إليّ الصديق أحمد عبد الستار الجواري** ؟!

كان شاعر النيل حافظ إبراهيم أصغر سنا من أمير الشعراء أحمد شوقي . غير أن رحمة الله استأثرت بحافظ قبل شوقي ، فرثى أمير الشعراء

(*) نعى إلينا المجمع العلمي في القطر العراقي الشقيق العضو العامل فيه الدكتور أحمد عبد الستار الجواري العضو المراسل في كل من مجمعي دمشق وعمان ولما كان الفقيد عضواً عاملا في مجمع القاهرة ، أقام له مجمعها حفل تأبين بتاريخ ٢ / ٣ / ١٩٨٨ وكلف الزميل الدكتور عدنان الخطيب تأبينه فألقى الخطاب المنشور أعلاه .

زميله حافظا بقصيدة استهلها بقوله :

قد كنت أوثر أن تقول رثائي يا منصفَ الموتى من الأحياءِ

لكن سَبَقْتَ ، وكلُّ طولِ سلامةٍ قدرٌ وكل منيّةٍ بقضاءِ

الحقُّ نادى فاستجبتَ ولم تزل بالحقّ تحفِلُ عند كلِّ نداءِ

☆ ☆ ☆

وقبل عامين ، وفي إحدى جلسات مؤتمر الدورة الثانية والخمسين لمجمع اللغة العربية ، وقف الدكتور أحمد عبد الستار الجواري على منصة المجمع ، مع ثلة من العلماء ممثلين لعدد من الأقطار العربية ، وكنتُ بينهم الأخير ، **وقفنا يكرمنا المجمع بإعلان ضمنا إلى صفوف رجاله** المناضلين عن الفصحى الذائدين عن لغة الذكر الحكيم .

ووقف الأستاذ الجليل **عبد السلام هارون الأمين العام للمجمع** يقول باسمه : « ليس كنزاً واحداً هذا الذي تقدمه إلى مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وإلى دنيا التقدير والتكريم ، إنه عِقْد من الكنوز لا يقدره الثمن ، ولا يقاربه التعداد والإحصاء لما حواه من درّ ، واشتمل عليه من ركاز ... »

☆ ☆ ☆

وقبل أن تندمل جراحنا بوفاة كبير المكرّمين الدكتور حسني سبح رئيس مجمع دمشق ، فجأنا من ينعى الدكتور أحمد عبد الستار الجواري . لقد كان فقيدنا الجديد ، فقيد مجمعنا الخالد بجهود أعضائه العاملين ، ثانيَ المكرَّمين في الدورة قبل الماضية ، تلبية لدعوة الحقّ إلى لقائه ، رحمها الله وحفظ الآخرين ذخراً للعربية ، إنه خير مسؤول .

☆ ☆ ☆

إن وفاة عالم من العلماء خسارة كبيرة للعلم وأهله ، فإذا كان العالم من المرموقين المتضلعين من العلم فالخسارة أجلُّ من أن تقدّر ، لذا كانت خسارة العربية بوفاة الدكتور أحمد عبد الستار الجواري جسيمة جسيمة .

لقد كان فقيدنا أحمد واحداً من عصبة من العلماء الأجلاء الذين عقد مجمع اللغة العربية على جهودهم الآمال العِراض في خدمة العربية والذود عن الفصحى ، تحدوهم إلى ذلك عروبتهم الأصيلة ، إلى جانب إيمان راسخ بأن لغة شرفها الله بالذكر المبين **الحفاظ عليها واجب ديني ، والدفاع عنها سبيل إلى الشهادة .**

لقد استأثرت رحمة الله ، بأحمد عبد الستار الجواري يوم الجمعة في الثالث من جمادى الآخرة من عام ١٤٠٨ المصادف للثاني والعشرين من كانون الثاني (يناير) من سنة ١٩٨٨ فجاءة وهو يتهيأ لأداء فريضة الجمعة ، وكان في أوج عطائه الفكري وكامل نشاطه الذهني .

وكان فقيدنا قد ولد في مطلع شهر المحرم سنة ١٣٤٤ للهجرة الذي يصادف يوم الثاني والعشرين من شهر تموز - يوليو - سنة ١٩٢٥ للميلاد ، فيكون يوم وفاته في الثانية والستين وستة أشهر من العمر ، تغمده الله بالرحمة والرضوان .

ولد الفقيد بمحلة الكرخ أشهر أحياء بغداد القديمة ، العريقة بيوتاتها ، الأصلية في انتمائها العربي ، ولد في بيت من تلك البيوتات المشهود لها بالتقوى والورع والتمسك بأهداب الشريعة الإسلامية والتحلي بالأخلاق العربية المحمودة من حمية ووفاء ودماثة خلق ، واستقامة وصراحة ومودة وتآزر وتعاون على البرّ والمعروف .

أتم الفقيد دراسته الابتدائية والثانوية في الكرخ من بغداد ، ثم التحق بدار المعلمين العالية ، وتخرج فيها على أيدي قدامى شيوخها : طه

الراوي ومهدي البصير وعبد الوهاب عزام وزكي مبارك ، كما تابع العلم على شيوخه يومئذ في بغداد أمثال : قاسم القيسي وحمدي الأعظمي .

وحاز الفقيد في تخرجه بدار المعلمين العالية على مرتبة الشرف ، فأوفدته وزارة المعارف بعثة علمية إلى كلية الآداب في جامعة القاهرة ، فتابع فيها تحصليه العالي ، حتى حاز درجة (الإجازة) مع الامتياز سنة ١٩٤٥ ثم على درجة (الماجستير) بمرتبة الشرف سنة ١٩٤٧ حاملاً تقدير كبار أساتذته في مصر : طه حسين وأحمد أمين ، وأحمد الشايب ومصطفى السقا وأمين الخولي وأندادهم .

☆ ☆ ☆

وعاد فقيدنا إلى بغداد فعيّن مدرساً للنحو في دار المعلمين العالية ، ومع التدريس انتسب إلى كلية الآداب في القاهرة مجدداً للحصول على شهادة (الدكتوراه) ، فلما نال هذه الدرجة بمرتبة الشرف سنة ١٩٥٣ ، عاد إلى التدريس في بغداد ، حتى إذا ما نجحت ثورة تموز (يوليو) سنة ١٩٥٨ عُيّن مديراً عاماً لوزارة التربية فمارس وظيفته الجديدة دون أن ينقطع عن التدريس وإلقاء المحاضرات ، ثم عين عميداً لكلية الشريعة وأستاذاً في كلية التربية حتى عام ١٩٦٢ يوم انتخب نقيباً للمعلمين في الجمهورية العراقية .

وأسهم الفقيد بالحركة السياسية التي قامت بثورة الرابع عشر من رمضان في شباط ـ فبراير ـ سنة ١٩٦٣ فصار وزيراً للتربية والتعليم حتى شباط ـ فبراير ـ سنة ١٩٦٤ . وفي عام ١٩٦٨ انتُخب للمرة الثانية نقيباً للمعلمين ، وفي تموز (يوليو) من السنة نفسها عين من جديد وزيراً للتربية حتى أوائل عام ١٩٧٠ إذ عيّن وزيراً لشؤون رئاسة الجمهورية . ثم

نقل وزيراً للتربية حيث بقي حتى سنة ١٩٧٥ ، ثم عيّن وزير دولة فوزيراً للأوقاف حتى سنة ١٩٧٩ .

اشترك الفقيد بحكم المناصب التي كان يتولاها في كثير من الندوات والمؤتمرات العربية والدولية ، وأسهم في أعمالها وتحرير توصياتها حتى غدت له مكانة مرموقة في المحافل والهيئات العربية ، معروفاً بخلقه القويم وتمسكه بالمبادىء التي يحث عليها الإسلام ، وبحرصه الشديد على الالتزام بأهداف الأمة العربية ومصالحها .

☆ ☆ ☆

وانتخب المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٦٥ الفقيد أحمد عبد الستار الجواري عضواً عاملاً فيه ، ثم انتخبه كل من مجمع اللغة العربية بدمشق والقاهرة عضواً مراسلاً ، وفي سنة ١٩٨٥ انتخبه مجمع القاهرة عضواً عاملا فيه بعد أن ظل سنوات عديدة يشارك في مؤتمراته السنوية ، وقد استقبله الأستاذ الجليل عبد السلام هارون في الجلسة الثامنة من جلسات مؤتمر الدورة الثانية والخمسين .

وكان ممثلو معلمي الأقطار العربية قد اختاروا الفقيد سنة ١٩٦٩ رئيسا لاتحاد المعلمين العرب وظلوا يجددون انتخابه حتى نهاية عام١٩٨٢ .

إن للفقيد عدداً من المؤلفات والأبحاث مطبوعة ومنشورة كما أنه اشترك مع نفر من زملائه في تحقيق بعض كتب التراث وفي وضع عدد كبير من المصطلحات في مختلف العلوم .

☆ ☆ ☆

إن نظرة واحدة في ماتركه الفقيد من مؤلفات ، وكلها قيم مفيد ، تعطينا فكرة واضحة عن عمق تفكيره وسعة أفقه وشدة إيمانه وعظم

جرأته في مخالفة علماء النحو العمالقة ، وبين يدي الآن كتابه « **نحو القرآن** » وهو خير شاهد على ما أقول .

ذكر الفقيد وهو يقدم كتابه إنه ثمرة من ثمرات التأمل والإمعان في العبارة القرآنية على مدى زمن غير قصير ، كان بدأ بممارسة ما كتبه ابن هشام في شرحه على الألفية وفي كتابه مغني اللبيب ، من دقة العبارة واستبعادٍ للفضول في الأسلوب وفي القاعدة النحوية ، حتى تكشفت له حقائق تثبت تقصير النحاة عن استقصائها والرضوخ لها ، مما دفعهم إلى وضع قواعد النحو مستندين إلى مالايرقى إلى المألوف الجيد بله الرفيع من الكلام ، كما استندوا إلى القياس والاستنتاج الذي لا يقوم على أساس موضوعي .

وانتهى الفقيد بعد كل هذا ، إلى القول : « كان **خليقاً** بمن وضعوا **النحو وأسسوا قواعده أن تكون المادة القرآنية أهم ما يقيمون عليه تلك القواعد ويستندون إليه في وضع النحو** » .

وقد يسر الله لفقيدنا الكبير ، بتشجيع من زملاء رأوا في أفكاره أموراً جديرة بالبحث والدراسة ، مما حمله على اصدار كتابه الملمع إليه ، عالج فيه أحد عشر مسألة من مسائل النحو العويصة في أحد عشر فصلا ، بدأها بمسألة المبتدأ والخبر لأنها عمادُ التركيب وأحد أصوله وصورة الإسناد فيهما بينة ولا خلاف على وجوب ذكر طرفيها بالفعل أو بالقوة ، فإن حُذف أحدهما ، أوجب النحاة تقديره حتماً حتى يقوم ركنا الجملة في الكلام .

وضرب الفقيد أمثلة كثيرة مستشهداً بآيات من القرآن الكريم ، ذاكراً إعراب النحاة للجمل الاسمية فيها مع تقديرهم لأحد ركنيها إذا وجدوه محذوفاً تمسكاً بجزأي الجملة في القواعد التي وضعوها للجملة

الاسمية . إلى أن قال : إن « تقدير مالم يذكر منها ، وتأويل الكلام بحيث تذهب روعته ، ويضمحل أثره في النفس » فالزمخشري لما أراد إعراب قوله تعالى في سورة يونس : ﴿ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ لا يُفلِحُونَ ☆ مَتَاعٌ في الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرجِعُهُم ...[1] ﴾ قال ، « أي افتراؤهم **هذا منفعةٌ قليلة في الدنيا** » .

وينهي الفقيد تعليقاته بذكر حقيقة ذات طرفين هما :

الأول : إن بعض الأسماء التي يُؤتى بها في حالة الإسناد تكون مشحونة بالمعنى والإيماء بحيث لا تحتاج إلى ما يوضحها أو يصفها أو يُسند إليها .

الثاني : الاكتفاء بمجمل ما يدلّ عليه السياق من معنى الوصف والإسناد دون التقيد بورود لفظ يشار إليه بضمير أو نحو ذلك .

وفي فصل عقده الفقيد لبحث مسألة (**حذف القول**) مما يكثر وروده في القرآن الكريم ، وهو أشبه ما يكون بلوحة أُسقط منها مالا حاجة به من خطوط ابتغاء التنويه بجوهر الموضوع ، وهو أيضاً ضرب من ضروب الانقطاع الذي يحمل السامع أو القارئ على توقع أمر ذي بال . ولو اتصل الكلام لما أثار قدْراً من الانتباه والاهتمام مثل الذي يثيره الانقطاع ، تأمل قوله تعالى في سورة الشعراء : ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَونُ فِي المَدَائِنِ حَاشِرِينَ ☆ إِنَّ هؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ☆ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴾

قال الزمخشري في كشافه (ج ٣ ص ١١٥) : « إنّ هؤلاء محكي بعد قول مضمر » يقول الفقيد أحمد عبد الستار الجواري تعقيباً :

---

(١) سورة يونس آية ٦٩ ـ ٧٠

« إن في هـذا الأسلـوب الجميـل اكثرُ من مظهر واحـد من مظـاهر الفنيـة التعبيريـة ، فهـو مركب من الحـذف النحـوي والايجاز والفصل لشبه الانقطاع والالتفات .

وكثرة وروده في العبارة القرآنية أمر يدعو إلى التـأمل فقـد عددتُ أكثر من عشرين موضعـا لم يرد فيهـا فعل القول بلفظـه أو بمعنـاه ، على الوجـه الـذي وضع النحـاة حـدوده حين بحثـوا مسـألـة (إنّ) المفسرة . وشيوع هذا الأسلوب ينقض قواعدهم في الحكاية ومقول القول ...

أليس في ما يسبق القول المحكي من الكلام ما يوحي به ؟

هـذا أمر تنبـه لـه غير واحـد من البـاحثين في مسـائل النحو ونقـد مناهجه ، ولعلّ أولهم في عصرنـا هـذا المرحوم الأستـاذ إبراهيم مصطفى في كتابه الجليل (إحياء النحو) »

☆ ☆ ☆

إنّ موت أحمد عبد الستـار الجواري فجأنـا وآلمنـا وإنّـا على افتقـاده لمحزونون ، ونرجو أن يتغمده الله برحمتـه ورضوانـه ﴿ وَمَـا عِنْـدَ اللهِ خيرٌ وأبْقى ﴾ سائليه عزّ وجلّ أن يعوّض العربيةَ ومجمعَ اللغـةِ خيراً ، إنّـهُ خيرُ مسؤول .

﴿ وَقُلِ اعْمَلـوَا فَسَيَرى اللهُ عَمَلَكُم وَرَسُولُـهُ والـمُـؤْمِنُـونَ وسَتُرَدُّونَ إلَى عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

انتخاب لجنة الأصول

نظر مجلس المجمع في جلسته العاشرة المنعقدة في (١٨ / ٩ / ١٤٠٨ هـ - ٤ / ٥ / ١٩٨٨ م) في لجنة الأصول وأقر تأليفها على النحو الآتي ذكره :

الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

الأستاذ أحمد راتب النفاخ

ومن ترى اللجنة أن ينضم إليها من الخبراء من خارج المجمع .

مدة اللجنة سنتان قابلة للتجديد بدءاً من تاريخ صدور القرار .

(قرار السيد نائب رئيس المجمع رقم ٣٥ / ن تاريخ ١٠ / ١٠ / ١٤٠٨ هـ - ٢٦ / ٥ / ١٩٨٨ م)

المؤتمر الإقليمي

للإعلامية والتعريب(*)

يحيى ميرعلم

شهدت السنوات المُنْصَرِمة من العقد الجاري تطوّراً كبيراً في مجال معالجة اللغة العربية بالحاسوب ، وذلك لأهمية تطبيقاتها وتعدُّدها من جهة ، وللتطوّر الذي حقّقته معالجة اللغات الأجنبية محكيّةً ومكتوبةً من جهة أخرى ، يؤكّد هذا انعقاد بضعة مؤتمرات علمية دولية تناولت العلاقة بين اللغة والحاسوب في صورها المختلفة ، مثل بعض ملتقيات المدرسة العربية للعلوم والتكنولوجيا : الحلقة الخريفية الأولى للسانيات التطبيقية ومعالجة الإشارة والمعلومات (الرباط من ٢٦ أيلول إلى ٥ تشرين الأول ١٩٨٣) ، والمدرسة الصيفية السابعة للمعلوميات واللسانيات العربية التطبيقية (الزبداني ٢٣ ـ ٣١ تموز ١٩٨٥) . وندوة استخدام اللغة العربية في الحاسب الآلي (الكويت ١٤ ـ ١٦ نيسان ١٩٨٥) ، والملتقى الرابع للسانيات العربية والإعلامية (تونس ٩ ـ ١٢ تشرين الثاني ١٩٨٧)[1] ، والندوة الدولية لنقل تكنولوجيا الحاسوب إلى اللغة العربية (عمّان ٢٢ ـ ٢٥ تشرين الثاني ١٩٨٧) ، والمؤتمر الإقليمي للإعلامية والتعريب (تونس ٩ ـ ١٢ آذار ١٩٨٨) وهو موضوع المقال ، ومؤتمرات أخرى عربية وأجنبية ذات صلة بما تقدّم .

قام على تنظيم هذا المؤتمر المعهد الإقليمي للعلوم الإعلامية والاتصالات عن بعد في تونس ، وقصد من وراء ذلك استعراضَ ما تمّ

(*) شارك الكاتب في أعمال هذا المؤتمر بتقديم بحث (نظام التحليل الصرفي العربي بالحاسب) نيابة عن فريق العمل المؤلّف من مروان البواب ويحيى ميرعلم ومحمد حسان الطيان ، والمشرف الدكتور محمد مراياتي .

(١) انظر مقالة عنه للكاتب في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج٦٣، ج٢، ص٣٤٦.

التوصّل إليه في مجال المنتوجات الإعلامية ، وتقديمَ ما أُنجز من أعمال في مراكز البحث العربية والعالمية ، فكان بذلك منتدى للباحثين ورجال الصناعة ، ممّا سمح للمشاركين بتبادل الآراء والتفكير في التوجهات المستقبلية لمثل هذه الدراسات التطبيقية وانعكاساتها على عالم الصناعة ، وأتاح لهم فتح سبلٍ للتعاون فيما بينهم وصولاً إلى تحقيق اكتساب التكنولوجيا ، وتوثيق الخبرات والبحوث التي جرى تقديمها . وكان مِمّا جعل ثمار نتائج هذا المؤتمر يانعة دانية القطاف ما وفّره لها المعهد المذكور من أسباب النجاح علمياً ومادياً ومعنوياً ، خصوصاً اعتماده ثلاث لغات لساناً للمناقشات والبحوث وهي (العربية والانكليزية والفرنسية) ، وذلك باعتماد الترجمة الفورية إلى تلك اللغات ، جاءت أوفى ما تكون دِقّةً وجودةً ، تمكّن من خلالها جميع المشاركين عرباً وأجانب من الإفادة على أفضل وجه .

جرى في المؤتمر تقديم ما يربو على عشرين بحثاً وثمانية عروض تبيانية ، قدّمها باحثون ومتخصّصون ينتمون إلى جامعات ومراكز علمية ومؤسسات تجارية وصناعية من عشرة بلدان عربية وأجنبية ، في إحدى عشرة جلسة اشتملت كل واحدة منها على ثلاثة بحوث ، تندرج تحت تطبيقات الذكاء الاصطناعي واستخدامات الحاسوب في معالجة اللغة العربية ، وفيما يأتي ثَبَت بأسماء البحوث والعروض المقدّمة في المؤتمر موزّعةً على محاورها الأساسية (الجلسات) ، وقد شفعتُ كل بحث باسم مُقدّمه إمّا كان واحداً ، وبأسماء منفّذيه إمّا تعدّدوا ، وأتبعتُ ذلك باسم الجهة التي يعملون فيها ، وفي هذا توثيق للبحوث بنسبتها إلى ذويها والجهات التي تعود إليها ، وتلبية لحاجة المتخصصين والفنيين الذين لا تقلّ عنايتهم بصاحب البحث وجهته عن عنايتهم باسمه .

١ ـ النشر المدعوم بالحاسوب :

١ ـ منهج لصوغ أنظمة النشر « داسك توب »

مراد طائلي ـ عبد الله السلامة ـ أحمد الطائي

معهد علوم الكمبيوتر والبيانات ـ جامعة الملك سعود ـ الرياض .

٢ ـ من معالجة النص إلى التأليف الالكتروني .

حياة محمود . المركز القومي للإعلامية ـ تونس

٣ ـ معالجة النص والنشر الالكتروني بالأحرف العربية واللاتينية .

د . هاينز بيترسن . جامعة التكنولوجيا ـ آخن ، المانيا

٢ ـ نظام إدارة قواعد البيانات :

٤ ـ استرداد البيانات العربية ، ما هي وكيف ؟

د . نبيل علي . العالمية للتكنولوجيا المتطورة ـ القاهرة .

آمال الشامي . مؤسسة البراجية بالعالمية ـ الكويت .

٥ ـ تجربة تعريب نظام لإدارة قواعد البيانات .

محمد القاسمي . جامعة الدول العربية ـ تونس .

٦ ـ البحوث المصطلحة واستخدام بنوك المعلومات .

ليلى المسعودي . كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ المغرب .

٣ ـ عرض تبياني :

أ ـ التعرف الشامل على الحروف العربية واللاتينية .

ماهر خماخم . المعهد الإقليمي للعلوم الإعلامية والاتصالات عن بعد ـ تونس .

ب ـ قواعد صورية لتحليل تراكي آلي وتطبيقات أخرى .

أفرهارد ديترز . كلية الآداب ـ الجامعة الكاثوليكية ـ هولندا .

جـ ـ الرسم الطيفي الرقمي .

آمال بن سليمان . الشاذلي الفهري . المعهد الإقليمي ... ـ تونس .

د ـ من معالجة النص إلى التأليف الالكتروني .

حياة محمود . المركز القومي للإعلامية ـ تونس .

٤ً ـ معالجة اللغات الطبيعية :

٧ ـ نظام فهم اللغة العربية الطبيعية .

حسني المحتسب . محمد الخياط . جامعة الملك فهد ـ السعودية

٨ ـ نظام لفهم اللغة العربية الطبيعية .

د . الحجازي .و د . العابد . وحمادة

المركز المصري للبحوث ـ القاهرة .

٩ ـ نظام التحليل الصرفي العربي بالحاسب .

مروان البواب . يحيي مير علم . محمد حسان الطيان . د . محمد مراياتي (مشرفاً) .

مركز الدراسات والبحوث العلمية ـ دمشق .

١٠ ـ كورتاكس : نظام مراجعة وتصحيح رسم النصوص العربية .

عبد الجيد بن حمادة ـ كلية العلوم والتصرف ـ صفاقس ـ تونس .

٥ً ـ التدريس المدعوم بالحاسوب :

١١ ـ نظم التدريس المبنية على المعرفة .

د . ناصر الشيخ ـ جامعة الملك فهد ـ السعودية

١٢ ـ كيف ننتج برمجيات تعليمية .

د . محمد رجب الجابري ـ وزارة التربية ـ الأردن .

١٣ ـ صياغة نظام معلومات للتدريس (نظام الصرف العربي بالحاسوب) .

العيد البوزيدي . المعهد الوطني للإعلامية ـ الجزائر .

٦ ـ نُظُم ومحطات العمل :

١٤ ـ تصنيف غامض لمستخدمي الكمبيوتر العربي كشرط أساسي لصوغ البرامج المركزة للمستخدمين .

د . منصف قلالة . د . واينفورد بالن . جامعة رادنغ ـ انكلترا .

١٥ ـ مجمع متفاعل لبرنامج باسكال العربي .

د . أحمد محجوب . حسن مذكور . معهد علوم الكمبيوتر والبيانات ـ السعودية .

١٦ ـ نظام ملان .

منصف ملوكة . فتحي عمارة . المعهد الوطني للبحوث الإعلامية ـ فرنسا .

١٧ ـ ملاءمة نظام عامل للغة العربية .

عقيل سيد علي . المعهد القومي للإعلامية ـ الجزائر

٧ ـ عرض تبياني :

أ ـ محيط يونكس / عربيكس .

أندري بلوتي . إ . م . ت . نيوجرسي ـ أمريكا .

ب ـ جورج أنستاسيديس . تاكساس أنستريمنتس ـ لوبي ـ فرنسا

ج ـ التعريب والشفافية

محمد عز الدين ، مؤسسة سيموس ـ باريس

د ـ د . ناصر عبد الله . جامعة الملك سعود ـ الرياض .

٨ ـ تعرُّف الحروف :

١٨ ـ قارئة عناوين مبنية على نظام التعرف البصري للحروف البريدية العربية .

د . عدنان نوح . ن . علا . معهد الهندسة ـ جامعة الملك سعود ـ الرياض .

١٩ ـ تعرُّف الحروف العربية في الكتابة المتصلة الأحرف .

د . سياد حيدر . علي خواجة . معهد علوم الكمبيوتر والهندسة ـ الظهران

٢٠ ـ تعرُّف الحروف العربية واللاتينية الشامل بالبرمجة الدينامية .

ماهر خماخم . المعهد الاقليمي للعلوم الإعلامية .. ـ تونس .

٢١ ـ تعرُّف الحروف العربية بالهندسة التراتبية .

د . نور الدين اللوز . المدرسة القومية للمهندسين ـ تونس .

كريم بوحليلة . المركز القومي للإعلامية ـ تونس .

٩ ـ المعالجة الآلية للكلام :

٢٢ ـ تركيب الكلام العربي باستخدام جزئيات من مقاطع صوتية .

د . يوسف الإمام . مركز الكويت للعلوم لمؤسسة إ ، ب . م ـ الكويت .

٢٣ ـ نظام عربي للانتقال من النص إلى الكلام .

د . الشافعي . د . أحمد . د . المرزوق . جامعة الملك فهد ـ السعودية .

١٠ - علم المصطلح :

٢٤ - إشكالية المصطلح العربي بين الوضع والاستعمال

عبد اللطيف عبيد . معهد بورقيبة للغات الحية - تونس .

- التقييس المصطلحي دولياً وعربياً ووطنياً .

زهير المراكشي . المعهد القومي للمواصفات والملكية الصناعية - تونس .

١١ - التعاون الاقليمي في مجال التكنولوجيات الحديثة :

محمد عبد اللطيف . وزارة المالية - الإمارات العربية المتحدة .

(د . سمير فخرو . د . محمد رجب الجابري . عبد اللطيف عبيد) .

إن أهمية انعقادِ مثل هذه المؤتمرات العلمية ، وإنجازِ مثل هذه البحوث الهامة ، والاستمرارِ فيها = ينبع جميعُ ذلك من حاجة العربية المُلِحَّة إلى هذه الدراسات التطبيقية التي تجتمع في نهاية المطاف لتكوّن قاعدةَ معلومات أو نظاماً خبيراً يشتمل على قواعد العربية : الصرفية ، والنحوية،والصوتية ، والدلالية ، والتركيبية ، والمعجمية ، والإحصائية ... ، فتلحق بركب ثورة المعلوميات التي وسمت هذا العصر بطابعها . وحين يتحقّق هذا فإن كثيراً من التطبيقات اللغوية ستغدو واقعاً ملموساً بعد أن كانت مجرد أحلام تداعب خيال الفنيين واللغويين ، من مثل : الترجمة الفورية العالية بين لغتين أو عدّة لغات ، وفهم الكلام ، وتحليله ، وتركيبه ، (تحويل النصوص المكتوبة إلى أصوات محكية ، وتحويل الأصوات المحكية إلى نصوص مطبوعة كما في الآلات الراقنة الذكية التي ستخرج على الناس قريباً) ومثل صناعة المعاجم العامّة والمتخصّصة ، وتعليم العربية ، واكتشاف أخطاء اللغة والتشكيل والصرف وتصحيحها ، وفهرسة الكتب ، واختزال النصوص ، والاسترجاع

الذكي للمعلومات الهائلة ، وتطبيقات لغوية مُحْتَمَلة ستُمليها الحاجة وقادمات الأيام ، لم تأخذ طريقها اليوم إلى أفكار الناس وأحلامهم .

وأحسب أن تحقيق ما تقدَّم أو بعضه لن يكون على وجهه إلاّ إذا انعقدت مصاهرة علمية بين اللغويين والفنيين (مهندسي المعلوميات) فيشدّ كلٌّ منهم عَضُدَ الآخر ، وهو ما تتكرّر الدعوة إليه في مثل هذه المؤتمرات .

من مخطوطات

كتاب المجمل في اللغة لابن فارس
في مكتبات ايران

عبد العزيز الطباطبائي

١ ـ مخطوطة في مكتبة الامام الرضا عليه السلام في مشهد رقم ٣٦٨٦ ، كتبت سنة ١٠٦٣ في نهايتها بلاغ بالمقابلة والقراءة والتصحيح .

٢ ـ مخطوطة كاملة في المكتبة المركزية لجامعة طهران رقم ٢١٤ ، كتبها بابا علي بن حاج حمزة بن خليل بابا الحنفي برسم قامع البدع محمود بن خضر أحمد قاضي مدينة سيدي هارون ، وفرغ منها غرة رجب ٨٦٥ ، وصفت في فهرسها ٢ / ٤٤٧ .

٣ ـ المجلد الاول الى حرف الصاد من مخطوطات القرن السابع ، بخط ثلثي مشكول في ٢٣٤ ورقة في مكتبة البرلمان السابق رقم ٤٦٨٢ ، ذكرت في فهرسها ١٣ / ٦٤ .

٤ ـ المجلد الثاني من حرف الضاد للنهاية من مخطوطات القرن السابع كتبه أبو سعيد نصر بن محمد بن علي بن سلم بواسط العراق ، من مخطوطات مكتبة الامام الرضا عليه السلام في مشهد برقم ٧٨٩٧ ، واظنه متمم المجلد الاول المتقدم الذي في مكتبة البرلمان لتشابههما في الخط والحجم وغير ذلك .

٥ ـ قطعة في مكتبة البرلمان السابق ، من مخطوطات القرن السادس رقم ٣٩٨١ ، معروضة في معارضها .

٦ ـ المجلد الثاني من حرف الفاء للنهاية في المكتبة المركزية لجامعة

طهران رقم ٢٠٣ في ٢٥٧ ورقة ، ذكر في فهرسها ٢ / ٤٤٧ ، كتبه هبة الله بن حسين بن أحمد القصيري وفرغ منه في شهر رمضان سنة ٤٧٩ ، وبأوله تملك أبي الخير نصر بن علي بن نصر بن الحسين الازدي .

٧ ـ المجلد الثاني من حرف الضاد للنهاية في ٢٥٣ ورقة في مكتبة ملك الاهلية العامة في طهران رقم ٣٤٦ ، كتبه محمد بن موسى الخوئي في مدينة سلماس بخط نسخي مشكول ، وفرغ منه يوم الخميس غرة صفر سنة ٤٥٧ ، والنسخة مقابلة على نسخة مقروءة على المؤلف ومقروءة أيضاً على الشريف عزيز الهاشمي البصري ، وعليها خط محمد بن حمزة الطالقاني بشرائه لها في نيسابور في محرم سنة ٥٤٦ .

٨ ـ مخطوطة في مكتبة الأستاذ مجتبى المينوي في طهران ، كتبت في القرن الرابع ، وعليها قراءة علي بن عبد الرحيم بن الحسن بن عبد الملك السلمي على اسماعيل بن أبي منصور الجواليقي سنة ٥٣٨ .

وقراءة سعيد بن صالح بن عبد الله الجمالي عليه أيضاً ، فرغ من قراءتها عليه في مستهل شعبان سنة ٥٥٩ .

وعليها قراءة الحسن بن محمد بن الحسن بن حمدون عليه أيضاً في سنة ٥٧٣ .

الكتب والمجلات المهداة

لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الثاني من عام ١٩٨٨

محمد مطيع الحافظ ـ غزوة بدير

أ ـ الكتب العربية

ـ **بيوت عمّان الأولى** ـ الجامعة الأردنية ـ د . طالب الرفاعي ، المهندسة ربا كنعان ـ عمان ١٩٨٧ .

ـ **التنبيه على سبيل السعادة** ـ الفارابي ـ تحقيق ودراسة د . سحبان خليفات ـ عمان ١٩٨٧ .

ـ **تاج العروس من جواهر القاموس (الجزء الرابع والعشرون)** ـ محمد مرتضى الزبيدي ـ تحقيق مصطفى حجازي ـ الكويت ١٩٨٧ .

ـ **تدبير الإكسير الأعظم** (أربع عشرة رسالة في صنعة الكيمياء) ـ جابر بن حيان ـ تحقيق بيير لوري المعهد العلمي الفرنسي للدراسات الشرقية دمشق ١٩٨٨ .

ـ **تطور التعليم في البحرين** في الفترة من ٨٣ / ١٩٨٤ ـ ٨٥ / ١٩٨٦ ـ قسم التوثيق التربوي ، وزارة التربية والتعليم في دولة البحرين ـ البحرين ١٩٨٦ .

ـ **تقارير عن شرقي الأردن عام ١٩٣٤** ـ الجامعة الأردنية ـ إعداد وجمع وتحرير د . محمد عبد القادر خريسات ـ تقديم د . محمد عدنان البخيت ـ عمان ١٩٨٧ .

- **تقارير عن شرقي الأردن عام ١٩٣٥** ـ الجامعة الأردنية ـ إعداد وجمع وتحرير د . محمد عبد القادر خريسات ـ تقديم ـ د . محمد عدنان البخيت ـ عمان ١٩٨٦ .

- **تقريب التهذيب في علم المنطق** ـ محمد التقي الحسيني الجلالي ـ النجف الأشرف ١٤٠٠ هـ .

- **تكنولوجيا الكهرباء** ـ المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني في المملكة العربية السعودية ـ روبرت أرنولد ١٩٨٥ .

- **تكنولوجيا المركبات الآلية** ـ المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني في المملكة العربية السعودية ـ عدد من المؤلفين ـ ١٩٨٥ .

- **تكنولوجيا ميكانيكا الآلات** ـ المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني في المملكة العربية السعودية ـ عدد من المؤلفين ـ ١٩٨٥ .

- **ثَبَت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي** ـ دراسة وتحقيق د . عبد الله العمراني ـ بيروت ١٩٨٣ .

- **الجداول الفنية للكهرباء** ـ المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني في المملكة العربية السعودية ـ آلويس شيللر ـ ١٩٨٥ .

- **الجداول الفنية للمركبات الآلية** ـ المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني في المملكة العربية السعودية ـ هـ . جيرشلر ـ ١٩٨٥ .

- **الجداول الفنية للمعادن** ـ المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني في المملكة العربية السعودية ـ هيرمان جوتر وإدوارد شاركوس ـ مراجعة رولف لوبيرت ـ ١٩٨٥ .

- **الجوهرتين العتيقتين المائعتين الصفراء والبيضاء** ـ لسان اليمن الحسن بن أحمد الهمداني ـ أعده للنشر بإيضاح بعض غوامضه وإعداد فهارسه وإضافة بحث عن التعدين والمعادن في جزيرة العرب الأستاذ حمد

الجاسر ـ الرياض ١٩٨٧ .

ـ **الحساب الفني للكهرباء** ـ المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني في المملكة العربية السعودية ـ هيرمان كراتو وجان رولف ريرينك ـ ١٩٨٥ .

ـ **الحساب الفني لميكانيكا الآلات** ـ المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني في المملكة العربية السعودية ـ عدد من المؤلفين ـ ١٩٨٥ .

ـ **الحساب الفني لميكانيكا المركبات الآلية** ـ المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني في المملكة العربية السعودية ـ فيلهيام ولف ورودي كيرجر ـ ١٩٨٥ .

ـ **الدلائل** ـ الحسن بن البهلول ـ تحقيق د . يوسف حبي ـ مراجعة د . محمد عبد الهادي أبو ريدة ـ معهد المخطوطات العربية ـ الكويت ١٩٨٧ .

ـ **ديوان ابن فُركون** ـ تقديم وتعليق محمد بن شريفة ـ الدار البيضاء ١٩٨٧ .

ـ **رجال النجاشي** ـ أحمد بن علي النجاشي الأسدي الكوفي ـ قم ١٤٠٧ هـ .

ـ **الرسم الفني للكهرباء** ـ المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني في المملكة العربية السعودية ـ عدد من المؤلفين ١٩٨٥ .

ـ **الرسم الفني للمركبات الآلية** ـ المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني في المملكة العربية السعودية ـ عدد من المؤلفين ١٩٨٥ .

ـ **الرسم الفني للهندسة الميكانيكية** ـ المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني في المملكة العربية السعودية ـ عدد من المؤلفين ١٩٨٥ .

ـ **ساطع الحصري رائد المنحى العلماني في الفكر القومي العربي** ـ تيخو نوفا ـ موسكو ١٩٨٧ .

- **طبيعة الحياة** - فرانسيس كريك - ترجمة د . أحمد مستجير - مراجعة د . عبد الحافظ حلمي الكويت ١٩٨٨ .

- **العلامة الدكتور عمر فروخ** - لجنة تكريم العلامة الدكتور عمر فروخ - تقديم وجمع وتحقيق د . حسان حلاق - بيروت ١٩٨٨ .

- **فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة** - محمد بن أيوب بن الضريس البجلي - تحقيق غزوة بدير - دمشق ١٩٨٨ .

- **فهرس مجاميع المدرسة العمرية في دار الكتب الظاهرية** - ياسين محمد السواس - معهد المخطوطات العربية - الكويت ١٩٨٧ .

- **الفيزياء الكلاسيكية والحديثة** (٢ - ٣) - كينيث و . فورد مجمع اللغة العربية الأردني - عمان ١٩٨٥ .

- **كيم ايل سونغ** (المؤلفات) (الجزء الثاني) - بيونغ يانغ - كوريا ١٩٨٠ .

- **مرض القلق** - د . دافيد . ف . شيهان - ترجمة د . عزت شعلان - مراجعة د . أحمد عبد العزيز سلامة - الكويت ١٩٨٨ .

- **معالم من حضارة وادي الرافدين** - د . خليل سعيد - الدار البيضاء - ١٩٨٤ .

- **المعاني الكبير في أبيات المعاني** - الدينوري - (دراسة تحليلية اعداد د . أبو الحسن عبد الله الخطيب - القاهرة ١٩٨٥ .

- **معلمة الملحون** (القسم الثاني من الجزء الأول) - محمد الفاسي - الرباط ١٩٨٧ .

- **مقالات يحيى بن عدي الفلسفية** - دراسة وتحقيق د . سحبان خليفات - عمان ١٩٨٨ .

- **مقاليد علم الهيئة** - لأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني - تحقيق

وترجمة ماري تيريز دي بارنو ـ المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات الشرقية ـ دمشق ١٩٨٥ .

ـ ندوة مناهج اللغة العربية في التعليم ماقبل الجامعي ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية ـ الرياض ـ ١٤٠٥ هـ .

ـ نظرة عامة في مباحث الكيمياء الحيوية ـ هاربر تأليف عدد من المؤلفين ـ ترجمة د . أحمد محمد خير كرزة ـ حلب ١٩٨٣ .

ب ـ المجلات العربية

ـ مجلة جامعة دمشق	٣	١٩٨٧	دمشق
ـ عالم الذرة	٦	١٩٨٨	دمشق
ـ المجلة البطريركية	٧٤ ـ ٧٥	١٩٨٨	دمشق
ـ المعرفة	٣٠٦ ـ ٣٠٧	١٩٨٨	دمشق
ـ المعلم العربي	١	١٩٨٨	دمشق
ـ صوت فلسطين	٢٤٤ ، ٢٤٥	١٩٨٨	دمشق
ـ الثقافة الباكستانية	١٠	١٩٨٨	دمشق
ـ الهند	١٠٠	١٩٨٨	دمشق
ـ الضاد	١ ، ٢ ، ٣ ، ٤	١٩٨٨	حلب
ـ مجلة بحوث جامعة حلب	٨	١٩٨٦ ـ ١٩٨٧	حلب
ـ نشرة اتحاد مجالس البحث العلمي العربية	كانون الثاني ـ شباط	١٩٨٨	بغداد
ـ الضاد	١	١٩٨٨	بغداد
ـ سومر	٣٨	١٩٨٢	بغداد
ـ العلم والتكنولوجيا	١٢	١٩٨٨	بيروت
ـ تاريخ العرب والعالم	١١١ ـ ١١٢	١٩٨٨	بيروت
ـ الأبحاث	٣٥	١٩٨٧	بيروت
ـ الفكر العربي	٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩	١٩٨٧	بيروت
ـ الفكر العربي	٥٠	١٩٨٨	بيروت

ـ الشراع	٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥	١٩٨٨	بيروت
ـ مجلة المعجمية	١	١٩٨٥	تونس
	٢	١٩٨٦	تونس
ـ المجلة العربية للعلوم	١٠	١٩٨٧	تونس
ـ الحياة الثقافية	٤٨ ، ٤٩	١٩٨٨	تونس
ـ الوثائق العربية	٩ ـ ١٢	١٩٨٣ ـ ١٩٨٧	تونس
ـ نشرة المعلومات	٣٥	١٩٨٧	تونس
ـ المنتدى	٥٥	١٩٨٨	دبي
ـ العرب	١ ، ٢	١٩٨٨	الرياض
ـ عالم الكتب	١	١٩٨٨	الرياض
ـ الدارة	٤	١٩٨٨	الرياض
ـ الفيصل	١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦	١٩٨٨	الرياض
ـ دراسات	٤، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢	١٩٨٧	عمان
ـ دراسات	١	١٩٨٨	عمان
ـ المكتبة	١٠٤	١٩٨٧	عمان
ـ المكتبة	١٠٥	١٩٨٨	عمان
ـ نشرة مكتبة مجمع اللغة العربية الاردني	٦	١٩٨٨	عمان
ـ مجلة مجمع اللغة العربية الاردني	٣٣	١٩٨٧	عمان
ـ اليرموك	٢٢	١٩٨٨	عمان
ـ المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية	٦٢	—	القاهرة
ـ ديوجين	٧٦	١٩٨٧	القاهرة
ـ رسالة اليونسكو	٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢	١٩٨٧	القاهرة
ـ الثقافة العالمية	٢٥	١٩٨٥	الكويت
ـ حوليات كلية الآداب	٤٦	١٩٨٧	الكويت
ـ حوليات كلية الآداب	٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤	١٩٨٨	الكويت
ـ أخبار التراث الإسلامي	١٢	١٩٨٧	الكويت
ـ نشرة أخبار التراث العربي	٣٥	١٩٨٨	الكويت

ـ دراسات أدبية ولسانية	٤	١٩٨٦	المغرب
ـ دعوة الحق	٢٦١	١٩٨٦	المغرب
ـ دعوة الحق	٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧	١٩٨٧	المغرب
ـ دعوة الحق	٢٦٨	١٩٨٨	المغرب
ـ مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية	١٣	١٩٨٧	المغرب
ـ الكتاب المغربي	٤	١٩٨٦	المغرب
ـ الوحدة	٤١ ، ٤٢ ، ٤٣	١٩٨٨	المغرب
ـ الأكاديمية	٤	١٩٨٧	المغرب
ـ المناهل	٣٦	١٩٨٧	المغرب
ـ اللقاء	٢	١٩٨٨	ألمانيا
ـ فكر وفن	٤٦	١٩٨٧	ألمانيا
ـ الثقافة الإسلامية	١٦	١٩٨٨	ايران
ـ الدراسات الإسلامية	١	١٩٨٨	باكستان
ـ بناء الصين	٤ ، ٥	١٩٨٨	الصين
ـ الصين المصورة	٣ ، ٤	١٩٨٨	الصين
ـ البعث الإسلامي	١ ، ٢	١٤٠٨	الهند

جـ ـ باللغات الأخرى

- La Santé publique , Corée , 1983.
- Livres et Revues d'Italie 1 - 2 , 1986.
- Littérature Chinoise, 2, 1988.
- Comptes Rendus de L'Académie Bulgare des Sciences 2,3,4 , 1988.
- Bulletin d'Etudes Orientales , XXXVII , XXXVIII , 1985 - 1986.
- La Nouvelle Revue Internationale , 3 , 1988.
- Coree , 3 , 1988.

- La Chine, 1,2,3, 1988.

* * *

- Science in China, 2,3,4, 1988.
- Hamdard Islamicus, 1, 1988.
- The Muslim World, 3-4, 1987.
- The Image of al - Ma^{c}arri as an Infidel among Medieval and Modern Critics, Tahir K. AL - Garradi, 1987.
- Western Humanities Review 3 - 4, 1987.
- New Times, 18, 1988.
- Studies in the language of Qoheleth, Bo Isaksson, 1987.
- Abstracts, 3,4, 1987.
- Peasant Studies, 3, 1987.
- Studies in Islam, 3,4, 1981.

* * *

- Lettera dall'Italia, 9, 1988.
- Gjuha Jonë, 3,4, 1987.
- Studime Gjeografike, 2, 1987.
- Boletin de la Asociacion Española de Orientalistas XXIII, 1987.
- Folia Orientalia, XXIV, 1987.
- Sprawozdania z posiedzeń komisji. Naukowych, 1 -2, 1985.
- Rocznik Oddzialu Pan W Krakowie za Rok, 1985.
- Studime Filologjike, 2,3, 1987.

- Studime Historike , 2,3,1987.

- Studia Albanica , 2, 1987.

- Wissenschaftliche Zeitschrift der Humboldt - Universität zu Berlin, 8,9,10,1987, 1,2, 1988.

فهرس الجزء الثالث من المجلد الثالث والستين

(المقالات)		الصفحة
إنها مخطوطة زاد الرفاق	الأستاذ حمد الجاسر	٣٧١
سطوة الشاعر ولغة الشعر	الدكتور إبراهيم السامرائي	٣٨٧
ظاهرة وقف الكتب في تاريخ الخزانة المغربية	الدكتور أحمد شوقي بنبين	٤٠٩
نواة لمعجم الموسيقى (القسم الرابع)	الدكتور صادق فرعون	٤٣٧
الصيد: تاريخه، مصطلحاته، كتبه	الدكتور صادق آئينه وند	٤٥٤
(التعريف والنقد)		
المستدرك على دواوين شعراء العرب المطبوعة	الدكتور شاكر الفحام	٤٩٥
(آراء وأنباء)		
الأستاذ محمد أحمد دهمان (١٨٩٩ـ ١٩٨٨ م)	الدكتور شاكر الفحام	٥٢٧
الدكتور أحمد عبد الستار الجواري العضو المراسل في مجمع دمشق	الدكتور عدنان الخطيب	٥٣٨
انتخاب لجنة الأصول		٥٤٧
المؤتمر الإقليمي للإعلامية والتعريب	الأستاذ يحيى ميرعلم	٥٤٨
من مخطوطات كتاب الجمل في اللغة	الأستاذ عبد العزيز الطباطبائي	٥٥٦
الكتب والمجلات المهداة لمكتبة المجمع خلال الربع الثاني من عام ١٩٨٨		٥٥٨
الفهرس		٥٦٧

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٣

- مشيخة ابن طهمان — تح د . محمد طاهر ملك
- سفر السعادة وسفير الافادة ج ١ — تح محمد أحمد الدالي
- شعر دعبل بن علي الخزاعي (ط ٢) — صنعة د . عبد الكريم الأشتر
- الثقافة الاسلامية في الهند (ط ٢) — لعبد الحي الحسني
- شرح الكافية البديعية لصفي الدين الحلي — تح د . نسيب النشاوي
- رسالة اسباب حدوث الحروف لابن سينا — تح طيان وميرعلم
- نظرات في ديوان بشار بن برد — للدكتور شاكر الفحام
- التوفيق للتلفيق للثعالبي — تح ابراهيم صالح
- فهرس مخطوطات الظاهرية (التصوف) ج ٣ — وضع محمد رياض المالح
- فهرس مخطوطات الظاهرية (الأدب) ج ٢ — وضع مراد وسواس
- نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات — الدكتور حسني سبح
- فهرس مخطوطات الظاهرية (علوم القرآن الكريم) ج ١ — وضع صلاح الخيمي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٤

- فهرس مخطوطات الظاهرية (المجاميع) ق ١ — وضع ياسين السواس
- سفر السعادة وسفير الإفادة ، ج ٢ ، ٣ — تح محمد أحمد الدالي
- نوح العندليب لشفيق جبري
- فهرس مخطوطات الظاهرية (علوم القرآن الكريم) ج ٢ ، ٣ — وضع صلاح الخيمي
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (السيرة النبوية) ق ١ — تح نشاط غزاوي
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (أحمد بن عتبة ـ أحمد بن محمد) — تح عبد الغني الدقر
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عثمان بن عفان) — تح سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٥

- شعر عمرو بن معدي كرب — جمعه ونسقه مطاع الطرابيشي
- معرفة الرجال ليحي بن معين ، ج ١ — تح محمد كامل القصار
- معرفة الرجال ليحي بن معين ، ج ٢ — تح حافظ وبدير
- الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ج ١ — تح عبد الإله نبهان

الجزء الرابع . المجلد الثالث والستون

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

صفر ١٤٠٩ هـ

تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٨٨ م

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً

ص . ب ٣٢٧

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي	في القطر العربي السوري ٤٠ ليرة سورية في جميع الأقطار العربية ٦ دولارات أميركية وفي سائر الأقطار ٨ دولارات أميركية

وإذا طلب إرسال المجلة بالبريد الجوي تضاف أجرته إلى قيمة الاشتراك

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

- البحوث والمصطلحات التي ينشرها الكُتّاب في هذه المجلة تعبر عن آرائهم الشخصية .
- ترتيب البحوث يخضع لاعتبارات فنية .
- إن خطة المجلة التي تلتزمها أن تنشر لكتابها المقالات الأصيلة التي يخصونها بها ويقصرونها عليها . وإن للكتّاب الحق في إعادة نشر مقالاتهم بعد ذلك أينما شاؤوا شريطة أن يشيروا إلى النشر الأول في مجلة المجمع .
- ينبغي أن تكون المقالات المرسلة إلى المجلة مكتوبة بخط واضح ، أو مضروبة على الآلة الراقنة .
- المقالات التي لا تنشر لا ترد إلى أصحابها .

الجزء الرابع　　　　　　　　　　　　المجلد الثالث والستون

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق

«مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً»

صفر ١٤٠٩ هـ
تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٨٨ م

شعر بشر بن أبي خازم الأسدي

في مخطوطة عُمَانية كانت مجهولة

الأستاذ حمد الجاسر

وصف المخطوطة :

هي مخطوطة أخرى مشابهة للمخطوطة التي وصفها الأستاذ محمد جبار المعيبد ، ونشر عنها « ديوان عدي بن زيد العبادي » سنة ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) - الحلقة الثانية - من (سلسلة كتب التراث) التي تصدرها (وزارة الثقافة والإرشاد) العراقية[١] .

وهذه المخطوطة تحوي :

١ - قطعة تقع في ١٧ صفحة من مقدمة « جمهرة أشعار العرب » تبتدىء من : « ذكر ما حُكِيَ عن الشعراءِ أيُّهُمْ أجودُ شعراً : خبرُ زُهيرِ بنِ أبي سُلْمَى ، قال الذينَ قَدَّمُوا زهيرا »[٢] إلى : « وهذا أول ما افتككنا من أشعارهم التسع والأربعين ، وهو سِمْطُهُ ، ونسبه : امْرُؤُ القيس بن حُجْرٍ » ، وساق نسبه إلى هود النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم بياض في آخر الصفحة - من ص ١ الى ص ١٧

٢ - يبدأ الكلام هكذا : (وقال امْرُؤُ القيس بنُ حُجْرٍ) - وبعد سياق نسبه إلى قحطان وتعليلِ اسمِ مَذحِجَ : (قال أبو سعيد الحسن بن الحسين السُّكَّري[٣] ، قرأتُ شِعْرَ امرىء القيس على أبي جعفرٍ محمدِ بن حَبيب ،

---

(١) ص ٢٢ / ٢٣ مقدمة الديوان - وانظر مجلة « العرب » س ٢٢ / ٨٤٨ - ٨٤٩

(٢) في مطبوعة (جامعة الإمام محمد بن سعود) من « الجمهرة » من ص: ١٨٦ إلى ٢٣٧

(٣) في الأصل (اليشكري) خطأ .

وأبي يوسف يعقوب بنِ السِّكِّيتِ ، وإسحاق بن إبراهيم الزِّيادي ، وأبي حاتِمٍ السِّجستانِي ، وأبي الحسن الطُّوسي ، وكان يقال لامرئ القيس المَلِكُ الضِّلِّيلُ ، وماتَ بأنقِرَة في بلاد الروم منصرِفاً من عند قَيْصر ، وهو الأول من الطبقة الأولى من الجاهلية ، قال أبو سعيد الحسنُ بنُ الحسين السكري[٣] : قرأتُ قصيدةَ امرئ القيس هذه على أبي حاتمٍ والزِّياديِّ وعبدِ الرحمن بنِ أخي الأصمعي ، وأولها :

قِفا نَبْكِ مِنْ ذِكْرىَ حَبيبٍ ومَنْزِلِ

ـ المعلقة المعروفة ـ كاملة في (٩١) بيتاً وبعدها : (وقال أبو سعيدٍ الحسنُ بنُ الحسين السكري[٣] : قرأتُ قصيدَة امرئ القَيْس على المَرزُبانِيِّ وعلى أبي حاتم وأولها :

أَلاَ انْعِمْ صَباحاً أيُّها الطَّلَلُ البالي وهل يَنْعِمَنْ مَن كان في العُصُرِ الخالي ؟

ثم بعد هذه القصيدة يَرِدُ شعرُ امرئ القيس ، مبثوثَةٌ في ثناياه أَخْبَارُهُ ، وفي مقدمة أكثر القصائد ذِكْرُ رواتها مع الإشارة إلى اختلافهم فيها .

وآخره ـ ص ٧٦ ـ : قال أبو سعيد : أخبرني أبو حاتم قال : مما زَعَمَ أبو عُبَيْدة أنَّهُ محمولٌ على امرئ القيس قصيدةٌ قرأتُ منها أربعة عشر بيتاً في صفة الخيل ، وهي ثلاثون بيتا ولم يُثْبِتها الأَصْمَعِيُّ أولها :

صَحَا القلبُ عن ذكرى لَميسَ فأقصرا وجُنَّ بها ما جُنَّ ثُمَّتَ أبصرا

وقرأت عليه سبعة أبيات زعم أنها مما يُحْمَل على امرئ القيس أولها :

الخيرُ ما طلَعَتْ شَمْسٌ ومَا غربَتْ مُعَلَّقٌ بَنواصي الخَيْلِ مَعْصُوبُ

وقرأتُ عليه ثمانيةَ أبياتٍ من واحدةٍ زعم أنها مما يُحْمَلُ عليه وهي ثلاثون بيتا أولها :

صَرَمَتْكَ بَعْدَ تَواصُلٍ دَعْدُ وبدا لِدَعْدٍ بعضُ ما يَبْدُو

وقرأتُ عليه خمسة أبياتٍ من واحدةٍ على الباءِ ، زعم أنها مما يُحْمَلُ

عليه ، وهي ثلاثون بيتاً أولها :

لِمَن الــدِّيــارُ(٤) تَعَفَّتْ ذُو حُقُبْ بِجَنُــوبِ القَــوِّ أقــوَتْ فَــالْخَرِبْ

وقرأتُ عليه خمسةَ عشر بيتاً من واحدة على اللام مما يُحْمَلُ عليه يقول فيها :

وغَيْثٍ مِنَ الْـوَسْمِيِّ جُنَّتْ تِـلاعُهُ وَأبْرَزَ عَنْ نَـوْرٍ كَتَـوشِيَـةِ الرَّقْمِ

وقرأتُ عليه ستة أبيات من واحدة على(٥)مما يُحْمَلُ عليه ، يقول فيها :

وقَـدْ أغْتَـدِي قَبْـل ضَـوْءِ الصَّبَـاح بِمُنْجَرِدِ الشَّــــدِّ مُسْتَجْمِـــع

قال أبو عُبَيْدَة : ويُرْوَى لاِمْرِئ القيس قصيدةٌ مصنوعَةٌ زعم النـاس أنهـا لِحَمَّاد ، أولها :

ذَكَّرتَ نَفْسَــكَ مَــالَنْ يَعُـودَا(٦) فَهَــاجَ التَّــذَكُّرُ قَلْبـاً عَمِيـدَا

قال أبو حاتم : ومـا يُحْمَلُ على امْرِئ القيس مِنَ الشعر أكْثَرُ من الصحيح فنـون المحمـول(؟) عليـه قـال : أهـل الكوفـة مثـل حمـاد وجنـاد وابن الخصاص(٧) ، قال : أفْسَدُوا شِعْرَهُ ، ومما يُحْمَل عليـه وليس لـه فيا زعموا منه إلاّ بيت واحد :

إنَّ الشَّقَـاءَ عَلَى الأشْقَيْن مَصْبُوب

وهو شعرٌ حسنٌ ليس له منه إلا هذا البيت ، لاشك أنه لـه ، ومـا أثبتَ

(٤) لعل الصواب : (الدار) .

(٥) لعل الصواب : (على حرف العين) .

(٦) دخله الخرم ، وفي ديوانه (أذكَّرتَ) .

(٧) كلمة (مثل) ليست واضحة . وجنـاد قـال عنـه يـاقوت في « معجم الأدبـاء » : « جناد بن واصل الكوفي » : .. لاعلم له بـالعربيـة ، كان يُصَحِّـف ، ويكسر الشعر . ولا يميّز بين الأعاريض المختلفـة .. من علمـاء الكوفـة القـدمـاء ، وكان كثير الحفـظ ، في قيـاس حمَّادٍ الراوية . انتهى ، والجصاص ـ لم أميز اسمه هل هو بالجيم أو الحاء أو الخاء . وهل هو بـالصـاد المهملة أو الضاد المعجمة ،فَضْلاً عن معرفته .

أبـو عُبَيـدة لامرئ القيس ولم يجىء[٨] الأصمعي ، قـال أبـو عبيـدة قـال [ ][٩] :

أَبْلِـغْ بَنِي زَيْـدٍ إذَا مَـالَقِيتَهُمْ وأَبْلِـغْ بَنِي لُبْنَى وأَبْلِـغْ تُمَـاضِرَا
وأَبْلِـغْ وَلاَ تترِكْ بني ابنـةِ مِنقَرٍ أُفَقِّرَهُمْ إنّي أُفَقِّرُ جـابرَا
أَحَنْظَـلَ لَـوْ كُنْتُمْ كراماً صَبَرْتُمْ وحُطتم ولا تَلْقى التَّمِيمِيَّ صَـابرَا

قال أبُو سعيد قال : أخبرنا أبو حاتم قال : حدثنـا محمـد بن عبـد الله قـال حـدثني محمـد بن جعفر ـ رجل من أهل الحـديث ـ قـال : كان امرؤ القيس رجـلاً[١٠] مُفَرَّكاً ، فتزوج امرأةً من طيِّئ[١١] فلمـا [[١٢]] سبـق إلى قلبها ما كان يسبق منه إلى قلوب النساء فأيقظته من نومتـه ، وقـالت : يافتى الفِتْيَان أَصْبَحْتَ فاغدُه ، فقام فإذَا الليلُ على حـالِـهِ مُعْتَكِرٌ ، فلما وضع جنبه قالت : يافتى الفِتْيان أصبحتَ فاغْـدُهُ ، فقـام فـإذا الليلُ على حـالِـهِ ، فعلم أنّ ذالـك ضجر منهـا فجعل يقول : أَصْبحْ لَيْلُ . فلمـا برق الفجرُ قـال لهـا : قـد رأيتُ مـا صَنَعْتِ مُـذ الليلـة ، فـأنت الطـلاق ، فأخبريني ما كرِهْتِ منّي ، قالت : كرهتُ والله منكَ ثِقَلَ صدركَ وخِفَّةَ عَجُـزِكَ ، وأنّـكَ سريـعُ الهَرَاقـة ، بطيءُ الإفـاقـة . قـال بلى[١٣] أخبُرَكِ عَنْكِ ؟ قالت : بلى [[١٤]] ما أعفيتني قال : أنتِ والله النّـاتئـةُ الجَبْهـة ، الحديدةُ الرُّكبَة ، الواسعة الثُّقْبَة ، السريعة[[١٤]] فجعل يقول لها : لعنك

(٨) في الأصل (سحى) مهملة من النقط .
(٩) كلمة غير واضحة .
(١٠) في الأصل (رجل) .
(١١) في الأصل (طى) .
(١٢) كلمة غير واضحة ، ولعلها (زُفّتْ) .
(١٣) كذا ولعل الصواب : (أفلا أخبرك) .
(١٤) كلمة غير واضحة .

الله ، وتقول له : لعنك الله ـ تمّ ماوجدته من ديوان امرئ القيس ، والحمد لله حق حمده ، وصلواته على خير خلقه محمد ... ـ من ص ١٩ الى ص ٧٧ ـ

٣ ـ بعد البسملة : (وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت ، قال أبو يوسفَ يعقوبُ بن السِّكِّيتِ قال : كان حديثُ طرفة) ثم ساق نسبه الى عدنان ، وأورد طرفاً من أخباره مشوباً بشعره ، مَبْدوءًا بقوله : (قال أبو عبيدة : ليس في العرب أربعة إخوة أنجب ، ولا أعدل ، ولا أكثر فرسانا من بني ثعلبة) واسترسل في سرد الأخبار ، تتخللها أشعار كثيرة لطرفة ، ثم بدأ يسرد القصائد أولها :

لَوْ كانَ في أملاكنا أحدٌ يَعْصِرُ فينا مثلَ ما نعصرُ

وقد يشير في أول القصيدة إلى الاختلاف في روايتها كأن يقول : (لم يروها الأصمعيُّ ، وأثبتها أبو عُبيدة وأبو عَمْرو) أو أن يقول : (ولم يروها الأصمعيُّ ولا أبو عُبيدة ، ولا أبو عَمْرو) .

وآخر الشعر ، هذه القصيدة التي قال عنها : (وقال طرفة ، ولم يروها الأصمعيُّ ولا أبو عبيدة ، ولا أبو عَمْرو) :

ألا أيّها الغادي تَحَمَّل وصيَّةً إلى خالدٍ مِنّي وَإنْ كان نائِيَا

في (٢٢) بيتا ـ وتبدو فيها آثارُ الصنعة ـ وبعدها (آخر شعر طَرَفَة بن العبد في جميع الروايات ، والحمد لله حق حمده) ـ من ص ٧٨ الى ص ١١٧ ـ .

٤ ـ وفي آخر ـ ص ١١٧ ـ بعد البسملة : (قال زُهيرُ بن أبي سُلْمَى) وبعد سياق نسبه ، إلى نزار بن معدّ بن عدنان المُرّي الغطفاني[١٥] ، يمدح

---

(١٥) كذا وليس زهير مُرّيّاً ولا عطفانياً ـ بل مُزَنِيٌّ ـ كما ورد فيما ساق من نسبه .

الحارث بن عوفٍ وهَرِمَ بنَ سِنان المُرِّيَّيْن :

أمِنْ أمِّ أوفَى دِمْنَــــــةٌ لَمْ تَكَلَّمِ ـ المعلقة ـ

ثم شعر زهير مسروداً بدون ترتيب على الحروف ، وليس فيه ما يشير الى جامعه ، وقد ورد في مقدمة إحدى القصائد ـ ١٥٦ ـ : (قال زُهير يعاتبُ أمَّ كعب امرأته وهي كَبْشَه بنت عمَّار من عبد الله بن غطفانَ لم يَرْوِهَا المُفَضَّلُ وهي من كتاب حماد [(١٦)]

فيمَ لَحَتْ إنْ لَــوْمَهَـــا ذَعِرُ ؟ أحميت لَــوْمـــا كأنـــهُ الإبَرْ

وآخره : (قال زهير لبني الصَّيداء :

ولقـــــدْ نَهيتُكُمْ وقلتُ لكم : لا تَقْرَبُنَّ فــوارسَ الصَّيْـــدَاءِ

ثم ثلاثة أبيات ، بعدها : (تمّ ديوانُ زهير بن أبي سُلمى المُزني ـ بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وصلواته على خير خلقه محمد النبي وآلـه وسلم تسليما كثيرا ـ) ـ من ص ١١٧ الى ص ١٦٠ ـ .

٥ ـ بعد البسملة والاستعانة : (وقال النابغة الذُّبياني يمدح النُّعمان بن امرئ القيس بن النعمان بن المنذر ، ويعتذر إليه ، والنابغة اسمه زياد بن معاوية ـ ثم سياق النسب إلى نزار ـ :

يا دارَ مَيَّةَ بالعَلَياء فالسَّنَدِ أقوتْ فطال عليها سالِفُ الأمَدِ

بعدها أخبارٌ تتعلق بالنابغة عن أبي عَمْرو ، وابنِ الأعرابي ، وأبي عُبيدة تتخلَّلُها أشعارٌ كثيرة له ، وتنتهي بما هذا نصه : (وقال يعتذر إلى النعمان وهم بنو الشقيقة بنت أبي ربيعة بن ذُهْل بن شيبان ، وزعموا أنه هجا الملك في قوله :

خَبِّروني بَنِي الشَّقِيقَـــة مــايمـــنَـعُ فقعـــاً بقَرْقَرٍ انْ يَــزُولا

(١٦) كلمة غير واضحة .

ثم ستة أبيات وينقطع الكلام ببياض الصفحة - من ص ١٦١ الى ص ١٩٩ - .

٦ - بعد البسملة : (وقال الأعشى واسمه ميمون - وبعد سياق النسب إلى عدنان - قال يمدح الأسود بنَ المنذر - أخو النعمان بن المنذر - أم الأسود من تيم الرِّبَابِ ، وكندة يزعمون أنه الأسود الكندي ثم أحد بني الار ... :[١٧]

مـا بُكَـاءُ الكبيرِ بـالأطـلالِ ؟ . . . .

يتبعها الشعرُ خالياً من الأخبار والشروح ، أو الإشارة إلى جامعه ، سوى إيرادِ خبر يوم (سَاتِيـدَمَـا) ومَسِيرِ قَيْصَرَ إلى كِسْرَى أَنُوشِرْوانَ ، وذِكْرِ مدحِ الأعشى إياسَ بنَ قبيصةَ الطائيَّ بالقصيدة التي مطلعها :

مَـــاتَعِيفُ اليــومَ في الطيرِ الرَّوَحْ ... من غُرابِ البينِ أو تيْسٍ بَرَحْ

وفيه أخبار منسوبةٌ إلى أبي عُبَيدَةَ ذاتُ ارتباطٍ ببعضِ القصائد .

وفي مقدمة إحدى القصائد : (لم يَرْوِهَا أبو عُبيـدَةَ ولا ابنُ حَبيب ، ورواها أبو عَمْرٍو)

وفي مقـدمـة أخرى : (رواهـا أبـو عُبَيْـدَةَ وأبـو عمرٍو ، وخـالـدُ بن كلثوم) .

وآخر الشعر : (قال أبو عُبيدة : أنشـدنـا أبوعمرو بْن العلاءِ للأعشى بيتين يعتذر فيهما في مدحه شيبانَ :

مَتى تَقْرِنْ أَصَمَّ بِحَبْـــــلِ أعْشَى ... يلحـــا في الضـلالـــةِ والخســارِ

فَلَسْتُ بِمُبْصِرٍ شَيْئـــــاً يراهُ ... وليس بســـامـعٍ منّي حِـواري

وقال الأعشى :

لقـــــد أَذُمُّ أصحـــــابي ... وقـــد يُصْبِـحُ بـــــالقي[١٨]

(١٧) كلمة غير واضحة وقد تكون (الأرقم) .

(١٨) كذا ولم أجده في ديوانه المطبوع بتحقيق الدكتور م محمد حسين .

ثم بياض مقدار سطر كتب في وسطه (لعله مُنقطع) وتحته : (آخرُ شعر الأعشى . والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآلـه وسلم تسليما كثيرا ـ من ص ٢٠١ إلى ص ٣٣٨ ـ .

٧ ـ بعد البسملة : (وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت ، قال لَبيدُ بنُ رَبيعة) ـ وسياق نسبه إلى عدنانَ ثم معلَّقَتُهُ ، ثم شعره خالياً من الأخبار والتعليقات التي تفصح عن جامعه وآخره القصيدةُ التي آخرها :

وَجَـدتٌ الجَـاهَ والآكَـال فينـا وعـــادِيّ المـــآثِرِ والأرُومِ

في ثلاثة وعشرين بيتا ثم (تَمَّ ، آخرُ ماوجدته من شعر لَبيدِ بن ربيعة ، والحمد لله رب العالمين) ـ من ص ٣٣٩ الى ص ٤٠٣ ـ .

٨ ـ بعد البسملة : (وما توفيقي الا بالله العلي العظيم ، قال بشرُ بن أبي خازم) وسأفصِّلُ عنه الحديث بَعْدُ ـ من ص ٤٠٥ إلى ص ٤٥٧ ـ .

٩ ـ بعد البسملة : (وبه ثقتي ، وقال عَبيـدُ بن الأبْرَصِ الأسـديُّ بن جُشَمِ بن عامر بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دُودَان بن أسَدِ بن خُزَيْمة ـ ويقال : إنه كان يَخْطُبُ بهذه القصيدة في الجاهلية ، في عروض النوع الأول من البسيط :

إنْ بُـدِّلَتْ من أهلهـا وُحُـوشـاً وغيَّرتْ حَـــالَهـــا الخُطُـــوبُ

أقفرَ من أهلـــهِ مَلْحُـــوبُ فـالقُطَّبيِّـاتُ[١٩] فَـالـذَّنُـوبُ

ثم سرد أشعار عَبيدِ خالية من الإضافات ومن ذِكر جامعها . وآخرها : قال محمد بن عمرو الشيباني : كان من حديث قتل عبيـدِ : أنَّ المنـذرَ بنَ ماءِ السماءِ بَنَى الغريَّيْن ، وآخر الخبر : (وأبَى أن ينشِدَهُمْ شيئاً فأمر به فَقُتِل . آخر شعر عبيد بن الأبرص ، تَمَّ ما وجدته) ـ من ص ٤٥٨ الى ص ٤٧٩ ـ .

---

(١٩) في الأصل : (فالقطنيات) ، وكذا ورد هذا البيت ثانياً ، وعلَّةُ الأول .

١٠ ـ بعد البسملة : (وبه ثقتي وهو حسبي وقال عدي بن زيد) ـ وسياق نسبه الى عدنان ـ ثم شعره على مانشر الأستاذ محمد جبار المُعَيْبد ـ من ص ٤٨٠ الى ص ٥٠٤ ـ ، وفي آخره : (وجدتُ في النسخة مكتوباً أنّ جميع الزيادات المضافات على هذا الشعر قد اختار المؤلف ما صح معه أنهن لهم ، وطلع من المضافات والله أعلم ، تمت الدواوين بعون الله .... وكان تمامه على يد العبد الفقير لله تعالى ربيعة بن هلال بن ربيعة بن هلال بن رجب بن عريمة في ضحى الاثنين لتسع ليال خلت من شهر شعبان سنة اثنتين وسبعين سنة من هجرة الرسول عليه السلام لمالك قرطاسه الملك الأعظم .... فلاح بن المحسن بن سليمان بن مظفر بن سليمان بن نبهان ....) باختصار .

وآل نبهان هاؤلاء من سلاطين عُمان في القرن العاشر الهجري ، وفلاحٌ هذا على ماذكر العلامة ابن حُمَيْدٍ السالميُّ في « تحفة الاعيان »[٢٠] تولّى الحكم من سنة (٩٧٣) الى سنة (٩٨٠) ، ومن هنا يَتّضحُ أن تاريخ الكتابة هذه هو سنة (٩٧٢ هـ) ، فهل هذا تاريخ نسخ هذا القسم من هذه المجموعة ، سيأتي ما يؤيده ـ وقد أُلحق بالمجموعة من الأوراق ما تُشبهُ كتابتُه كتابتها ـ من ص ٤٨٠ الى ص ٥٠٤ ـ تحوي :

١١ ـ قصائد لا رابط بينها سوى ورودها في جمهرة أشعار العرب ، منها اثنتان من (المنتقيات) هما :

قصيدة المُرقّشِ بن ربيعة بن سعد :

أَمِنْ رَسْمِ دارٍ دمعُ عينكَ يَسْفَحُ ؟ غَدَا من مقامٍ أَهْلُهُ فَتَرَوَّحُوا

وقصيدة دُريد بن الصّمّة :

أَرَثَّ جَدِيدُ الحَبلِ من أُمِّ مَعْبَدِ ؟ بعاقبةٍ وأخلفتْ كُلَّ مَوعِدِ

(٢٠) ج٢ص٣٣٦ ـ الطبعة الأولى .

وثلاث من (المذهبات) :

قصيدة حسان بن ثابت مقدمة بجملة : (وقال حسان بن ثابت ـ وهذه المذهبات ـ :

لَعَمْرُ أبيكَ الخيرِ حقّا لَمَا نَبَا   عليّ لساني في الخُطُوبِ وَلاَ يَدِي

وقصيدة عبد الله بن رَوَاحة :

تذكّرَ بعدما ما شَطَّتْ نجودا   وكانت تَيَّمَتْ قلبي وَليدا

وقصيدة قيس بن الخَطِيم :

أتعرفُ رَسماً كاطراد[٢١] المذاهِبِ   لِعَمرَةَ قَفْراً غير موقف راكِبِ

ثم : وقال الشجوي (؟) :

مراضَى نحنُ ليس لنا طَبيبُ   ومَهْجُورينَ ليس لنا حَبيبُ

في احد عشر بيتا ، فبياض شمل ثلثي الصفحة الـ (٥١٣)

ثم لامية العرب « المعروفة للشَّنْفَرَى[٢٢] ، وهي آخر هذه المجموعة ـ والقصائد هذه من ص ٥٠٥ إلى ص ٥١٧ ـ .

وآخر المجموعة كتاباتٌ تتضمن أسماء بعض مالكيها ومنها : (هذا لخادم إمام المسلمين بَلْعَرَب بن سلطان بن يوسف أعزه الله تعالى ورضي عنه ، وهو الخادم الأقل سعيد بن عبد الله بن محمد بن ماجد بن أحمد بن سليمان ، كتبه سعيد بيده) .

وهذه الكتابة حديثة بالنسبة لكتابة المخطوطة ، وتحتها كتابةٌ قد رُمِجَتْ ، لم يتضح منها سوى التاريخ (نهار الأحد عشر ليال خلون من شهر جمادى سنتين وستين سنة وألف سنة من الهجرة) تتعلق باسم احد مالكي النسخة .

---

(٢١) في الأصل : (باطراد) .

(٢٢) مصدرة بـ (وقال الشاعر الأديب المشغر (؟) بن مالك الأزدي) .

إن اسم بَلْعَربِ بن سلطان يُؤيِّدُ أن تاريخ الكتابة هو ماتقدمت الإشارة اليه ، سنة اثنتين وسبعين وتسع مئة ، لأن بَلْعرب هذا من حكام عُمان المشهورين ، الذين تولّوا الحكم بعد بني نَبْهان الذين كُتبت النسخة باسم أحدهم فلاح بن محسن ، وقد ذكر الشيخ عبد الله بن حميد السالمي في « تحفة الاعيان »[٢٣] أن بلعرب بن سلطان بويع في ١٦ ذي القعدة سنة احدى وتسعين وألف (١٠٩١) ، فكأن هذه النسخة من المخطوطة توارثها اثنان من حُكّامِ عمان فلاح بن المحسن سنة (٩٧٢) ثم بَلْعَربَ بن سلطان .

وقد بقيتْ في عُمان حتى استقرت الآن في (دار المخطوطات والوثائق) في مدينة مسقط ، تحمل الرقم ١٣٣٢ / ٢ ز .

وقد اطّلَعْتُ عليها حين زرتُ هذه الدار في يوم الأربعاء ١٠ / ٣ / ١٤٠٧ هـ ، وطلبتُ من أخي الأستاذ يحي البشر ـ الملحق التعليمي لبلادنا ـ طلبت منه المساعدة في تصويرها ، فكان أن اتصل بالسيد الجليل فيصل بن علي بن فيصل ـ وزير التراث القومي والثقافة ـ في سلطنة عمان ، فأَفْضَلَ زاده الله فضلا وتوفيقا بصورة منها ، ومن كتاب « مختصر معجم الأدباء » للتكريتي .

وهذه المخطوطة تقع في (٥١٧) صفحة ، في الصفحة (٢٠)سطرا ، والخط نسخيٌّ حسن ، والكلمات مشكولة بالحركات ، ولكن الناسخ لا يبصر موضعَ قدمه ، فهو كثيراً مايصحف الكلمات والأسماء المعروفة .

وفي بعض الصفحات بياضٌ يدل على أنه قد ينقل عن أصل ناقص ، أولم تتضح له الكتابة ، وقد يشير في بعض الهوامش إلى نقص النسخة التي ينقل عنها ، وقد يفسر بعض الكلمات في الهامش[٢٤] .

(٢٣) ج٢ ص٤٦ .

(٢٤)انظر ص (٤٩٦) .

ومع ما تقدم ففي الدواوين التي ضَمَّتْها هذه المجموعة ما هو جدير بالدراسة .

وهذه المخطوطة أقدم من المخطوطة التي وصفها الأستاذ محمد جبار المعيبد في مقدمة « ديوان عَدِي بن زيد » التي هي في المكتبة العباسية لأسرة آل باش أعيان في البصرة ، وقد يستفاد بمقابلة المخطوطتين فيما يراد التثبت منه من محتوياتها .

ولقد كتب الأستاذ محمد جبار المعيبد في مقدمة « ديوان عدي » في وصف تلك المخطوطة التي اطلع عليها ، وفيها ديوان بشر بن أبي خازم - ما نصه[٢٥] : (هذه النسخة من ديوان بشر تختلف عن الديوان الذي طبعه الدكتور عزت حسن بزيادة (١٣) قصيدة ، مما يستوجب إعادة طبع الديوان) .

وكان الأستاذ الدكتور عزة حسن قد طبع ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي عام (١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م) ، ثم أطلعه الأستاذ محمد جبار المعيبد على زيادات نسخة آل باش أعيان في البصرة ، فألحقها الدكتور عزة حسن في آخر الديوان حين أعاد طبعه بدمشق (ص ٢٨٥ - ٢٩٨) .

وقد بلغ عدد ما ألحقه ست قصائد وثلاث مقطعات ونتفة ، عدةُ أبياتها جميعا خمسة وخمسون ومئة بيت .

- وقد قابلت ديوان بشر (الطبعة الثانية) بالنسخة المخطوطة التي تحويها المجموعة العمانية ، فاتضح لي أن في المخطوطة أشعاراً تزيد على ما جاء في طبعة الديوان الثانية ، التي أضافها ووجدت مقدمات لبعض القصائد في المخطوطة لا ذكر لها في مطبوعة الأستاذ المحقق الدكتور عزة حسن .

---

(٢٥) ص٢٣ هامش .

ويلاحظ أن تلك المقطوعات والقصائد ملحقةٌ بديوان الشاعر بِشْرٍ ، بصيغة تدل على أن الديوان من عمل انسان لم تثبت لديه تلك الزيادات ، أو أنه لم يطلع عليها ، فقد جاء في آخر الديوان الذي يبتديء من الصفحة الـ (٤٠٥) وينتهي بالصفحة الـ (٤٥٧) ، جاء في الصفحة الـ (٤٤٣) مانَصُّهُ : (هذا آخرُ شعرِ بشرٍ في رواية أبي العباس ، وما يجيءُ بعدَ هذا من غير روايته) ، ثم أورد قصائد ومقطوعاتٍ ورد منها في مطبوعة الدكتور عزت حسن خمسٌ هي ذوات الأرقام : (٢٧ / ٢٨ / ٣٤ / ٤٣ / ٤٥) .

ولا بُدّ من التساؤل عن (أبي العباس) هذا الذي روى شِعْرَ بشرٍ ، ليس في هذا الديوان مايوضح المَعنيّ به ، ولكنه يروي عن ابن الأعرابي إذ يقول في مقدمة القصيدة الـ (٢٦) من الديوان المطبوع ص ١٢٣ - في المخطوطة ص ٤٣٨ - : (وقال بشر بن أبي خازم ولم يَعْرِفْها ابنُ الأعرابي ، وأبو عمرو يرويها لبشر ، وغيرُ أبي عمرٍو يدخِلُها في كتاب أوس ، وإذا دخلتْ في شعر أوس فهي أتم وأكثر) ويرد اسم الأخفش والمُفَضّل في سياق بعض الأخبار المتعلقة بالشعر ، فهل أبو العباس هذا هو أحمد بن يحيى المعروف بثعلب (٢٠٠ / ٢٩١ هـ) لقد عمِلَ ثعلبٌ قطعة من دواوين العرب على ماذكر ياقوت[٢٦] ، ومنها « ديوان عدي بن الرقاع العاملي » الذي حققه الأستاذان الجليلان الدكتور نوري حَمُّودِي القيسي ، والدكتور حاتِم صالح الضامن ، ونشره (المجمع العلمي العراقي) . ولكن عمل ثعلب لا يقتصر على إيراد الشعر ، بل يضيف إليه إيضاحَ غوامضه ، فهل جرَّده من الشرح أحد نُسَّاخ شعرِ بشر ؟ ! .

(٢٦) « معجم الادباء » لياقوت : ٥ص ١٤٤ .

ويلاحظ أنَّ مطبوعة الدكتور عزة حسن تزيد سبع مقطوعات[٢٧] أبياتها (٤٩) ، كما أن في بعض القصائد أبياتاً كثيرة لم ترد في المخطوطة ، التي تزيد فيها بعض القصائد أبياتاً يسيرة . وأضاف الدكتور أبياتاً عثر عليها في مصادر ذكرها وهاهو ما ورد في المخطوطة العُمَانية من الشعر ومقدماته مما لم أرَهُ في المطبوعة :

(١)

وغزا بشرٌ طَيِّئاً ثم بَنِي نبهان فَجُرِحَ فأُثقِلَ جريحاً ، وهو يومئذ يحمي أصحابه ، وإنما كان في بني والبة ، فأسرتْهُ بنو نبهان فخبأته كراهة أن يبلغ أوساً ، فبلغ أوساً أنه عندهم فكتموه ، فقال : والله مايكون بيني وبينكم خيرٌ أبداً حتى تدفعوه إليّ ، وهم يكرهون أن يقتُلَه ، فلما أبوا عليه أعطاهم مِئتي بعير ، وأخذه فجاء به فأوقد له ناراً ليحرقه ، وكان آلى إنْ قَدرَ عليه أن يحرقه ، قال الأخفشُ : فحدثني بعضُ بني أسدٍ فقال : لم تكن ناراً ، ولكن أدخله في جِلْدِ بَعير حين سلخه ويقال : في جلد كَبْشٍ ثم تركه حتى جفَّ عليه ، فصار فيه كأنه عصفور ، وبلغ ذالك أمَّ أوسٍ وهي سُعْدَى بنت حصين ، وكانت سيدةَ قومِها ، وقدْ أسَنَّتْ فخرجَت إليه فقالت : ماتريد أن تصنَع ؟ قال : أُحرِقُ هذا العدو لله الذي شتمنا . قالت : قَبَّحَ اللهُ رَأيَك ، وقَبَّحَ أقواماً يُسَوِّدُونَك أو يقتبسون من رَأيك !! واللهِ لكأنما أخذت به رَهْدَناً[٢٨] أما تعلمُ منزلَته في قومه ؟ خَلِّ سبيلَهُ ، وأكْرِمه ، فإنه لايَرْحضُ عنك ماقدْ قال فيك غيره ، وايمُ اللهِ لو فَعَلْتَ مااستقلتهم أنتَ ولا قومك أبدا ، فحبسه عنده ، وداوى جِراحه ،

---

(٢٧) هي ٦ / ٩ / ١٢ / ١٣ / ١٤ / ١٩ / ٤٢ .

(٢٨) الرهدن : نوع من الطيور أصغر من العصفور .

وكتمه مايريد أنْ يصنعَ به فقال : ابعثْ إلى قومِكَ لِيفْدُوك ، فإنّي قدْ اشْتَرَيْتُكَ بمئتي بعير . فأَسَلَ بِشْرٌ إلى قومِهِ ، فهيَّؤوا فِداءه وبادَرَهُمْ أوسٌ فكساه من كسوة اليمنة ، وغير ذالك ، وحمله على نَجيبِهِ الذي يركب عليه ، وسار معه حتى بلّغه أرضَ غطفان ، فجعل بِشرٌ يَمْدَحُ أَوْساً وأهلَ بيته ، مكان كُلِّ قصيدة هجاهم بها قصيدة يمدحه بها ، وقال بشر بن أبي خازم يمدح أوسا :

كفى بالنَّأْيِ مِنْ أسماءَ كافي ... وليس لحُبِّها إذْ طالَ شافِي(٢٩)

(٢)

وقال بشر بن أبي خازم :

تنكّرتِ المنازِلُ من سُلَيمى ... برامَةَ فالْكَثيبِ إلى برامِ
فَسَفْحِ ضَرِيَّةٍ فَخَلِيفِ صُبْحٍ ... فَنَخْلِ الكَعْبَتَيْنِ إلى سَمامِ
عفَاها كلُّ مُنْسَكِبٍ هزيمٍ ... كأنَّ رَبابَهُ رُبْدُ النَّعامِ
دياراً قد تَحِلُّ بها سُلَيمى ... كأنّ مُجَاجَها صفوُ المُدامِ
فَسَلِّ الهَمَّ عنكَ بِذَاتِ لَوْثٍ ... مُوَثَّقةٍ من النُّجُبِ السَّوامِ
سَبُوحِ المِرْفَقَيْنِ إذا اسْبَطَرَّتْ ... عُذافِرَةٍ تَخَيَّلُ في الزِّمامِ
كأن البِرْسَ يَنْفُخُ في بُراها ... إذا ابتلَّ الجَديلُ من اللُّغامِ
كأنَّ الرحْلَ مِنْها فوقَ جأْبٍ ... أَقبِّ البَطْنِ من وحشِ السِّقامِ
مُضَبَّرَةٍ كأنَّ الرَّحْلَ منها ... على ذي عانَةٍ نَعِرِ الغَرامِ
يشجُّ بها الحُزُونَ وتَتَّقِيهِ ... بِسُمْرٍ كالمَداكِ من السِّلامِ
لهُ زَجَلٌ إذا اسْتَذْكَى عَلَيْها ... كأنَّ سَحِيلَهُ شكْوى غُلامِ

(٢٩) القصيدة التاسعة والعشرون في الديوان ـ ١٤٢ ـ ونقل المحقق عن « مختارات ابن الشجري » : ٢ / ٢٦ قال أبو محمد الأخفش : مدح بشر أوساً وأهل بيته مكان كُلِّ قصيدةٍ هجاهُمْ بها قصيدةً ، وكانَ هجاهم بخمس ، فمدحهم بخمس ، فمن ذلك قوله : كَفَى بالنَّأي ـ .

يُرَجِّــعُ في الصُّــوَى بِمُهَضَّماتٍ بجين الصدر (؟) من قَصَب الْكلام
فَدَعْ ذَا عَنْكَ واعْمِدْ في قَوافٍ مُحَبَّرةٍ إلى شَرِّ الأنــــام
إذا مــاقيــلَ: أينَ لئــام طَيٍّ أشــارَتْ بــالأكُفِّ إلى ابْنِ لأمِ
لعَمْرُكَ إنَّ حــارِثَــةَ بْنَ لأمٍ ضَعيفُ الرُّكْنِ من قومٍ لئــامِ
فَبِئْسَ مُنَــاخُ ضِيْفــانٍ جيــاعٍ إذا انْتــابُوهُ في غَلَسِ الظــلامِ
أتوعِدُني بقَومِك يابن سُعْدَى وَمَــابَيْنِي وَبَيْنَــكَ من ذِمــامِ
وأنتَ أذلُّ مَنْ يَمشي عليهــا إذا مَــاالْحَرْبُ شُبَّتْ للضِّرامِ
متى مــاأدْعُ في أَسَــدٍ تُجِبْني على خَيْــلٍ مُسَــوَّمَــةٍ كِرامِ
تَعَــادَى نحوَ دَاعِيهــا سِراعــاً كما انْسَلَّ الْفَرِيــدُ مِنَ النِّظــامِ
جَنَبْنــاهــا إلى الأعْــداءِ شُعْثــاً فصــارت بعد بُدْنٍ كَــالْخَلامِ
هُمُ تَرَكــوا عُتَيْبَــةَ مُسْلَحِبّــاً عليــه العَــاكِفَــاتُ من الْهَــوَامي
وَيَــوْمَ هَــوَازِنٍ أَشْرَعْنَ فيهمْ بِطَعْنٍ مِثْــلِ تَشقيــقِ الهِــدامِ
وعُتْبَـــةَ أوْجَرُوهُ ذاتَ خِرْصٍ كَأنَّ بصَــدْرِه شِعَــلَ الضِّرَامِ
وأَقْلَتَ حــاجِبٌ تحت العَــوَالي على شَقَّــاءَ يَطْعَنَّ في اللِّجــامِ
وجَمْــعَ بَني كِــلابٍ أَلْصَقــوهُمْ بــأطرافِ المطــانِبِ والخِيَــامِ

(٣)

وقــال بشرٌ يمدحُ عَمْرو بن إيــاس ، وأمُّ إيــاس بنتُ عـوف بن مُحَلِّم بن ذُهْلِ بن شيبان ، وأمها أمامة بنتُ كِسْرِ بنِ كعْب بن زُهَيْرٍ التغلبي ، زَوَّجَتْها من عمرو بن حُجْرٍ آكِلِ المُرارِ الكِنْدِي ، وكان أبوها غائباً فولدتْ له عَمْرو بنَ المنذر بن ماءِ السماء ، فأراد بِشْرٌ عَمْراً هذا ابنَ هند ، وهو ابن المنذر :

إنَّ الفُؤادَ بِآلِ كَبْشَةَ مُدنفٌ ... قطعَ القرِينَةَ غُدْوَةً مَنْ تَألَّفَ[٣٠]

(٤)

كان غلامٌ من الأبناءِ، والأبناءُ وَائلةُ ومُرَّةُ ومازنٌ وغاضِرةُ وسَلُولُ بنو صعصعة ، وكُلُّ وَلَدِ صعصعة غير عامرٍ يسمون الأبْنَاء ، وأمَّا سَلُولَ فإنها سلولُ بنت شيبان بن ذهل بن ثعلبة تزوجَها مُرَّةُ بن صعصعة فولدتْ له عَمْرًا ، فغلبتْ عليهم سلول، فرمَى الغلامُ الأبناويُّ بِشْرًا بسَهْمٍ فأثخنَهُ ، والغُلامُ من بني وائلة بن صعصعة ، وانَّ بشراً أَسَرَ الغُلامَ الوائليَّ وعرفَ بشرٌ أنه مَيِّتٌ ، فاتى (؟) بشرٌ الغلامَ في بعض الطريق فأطلقه ، وقال : انْطلِقْ فأخْبِرْ أهْلَكَ أنك قَتَلْتَ بِشْرَ بن أبي خازم ، فسار الغلام وبلغ . وقال بشر بن أبي خازم :

أسَائِلَةٌ عُمَيْرَةُ عن أبيها ... خِلالَ الجيشِ تَعترِفُ الرِّكابا[٣١]

(٥)

قال : وغزا بشر بن أبي خازم أرض اليمامة ، وقد كانوا (؟) بني حنيفة أَسَروا سُمَيْراً أخاه ، فأطلقوه وأكرموه ، فلما دنا من أرض اليمامة قالت بنو أسَدٍ : اغزُ بني حَنِيفة ! فقال : إنَّ لهم عندي يداً ، ماكنتُ

---

(٣٠) القصيدة الحادية والثلاثون من الديوان - ١٥٢ - وانظر ص ٣٣ حيث تجد للمحقق الدكتور عزت حسن كلاما طويلا حول عَمْرو بن أمِّ إياسٍ ممدوح بشرٍ في هذه القصيدة ، وفي القصيدة السابعة ، بدون الإشارة إلى هذه المقدمة التي لَمْ تَخْلُ مِنَ الغُموض ، إذ كيف يكون الزَّوجُ عمرو بنَ حُجْر ، والابنُ المدوحُ عَمْرو بنَ الْمُنْذِرِ ؟ وإنَّما ابنُها من عمرو الحارِثِ الملكِ - انظر « جمهرة النسب » لابن الكلبي ج٢ ص ٢٠٨ - تحقيق العظم - .

(٣١) القصيدة الخامسة في الديوان - ٢٤ - وقد نقل المحقق في الحاشية عن « مختارات ابن الشجري » ٢ / ٣١ - نَحْوَ ما تقدم ، وزاد الأمر إيضاحاً بتسمية القاتل من عِدَّةِ مصادر - .

لأغـزُوَهُمْ وأغـارَ على بني يشكُر ، وبني ذُهْـلِ بن ثعلبـة ، وبني قيس بنِ ثعلبة ، فغَنِمَ وأصابَ من بني قيسِ بنِ ثعلبة ، وقال بشر بن أبي خازمٍ في ذالكَ :

جَنَّبْتُهـا قُرّانَ إنّ لأهلهـا عليَّ هَـدِيًّا أوْ أمـوتَ فـأُقْبَرا[٣٢]

(٦)

وقد كان بشر قال في مَنَّةِ بني حَنِيفـة على أخيـه سُمَيْرٍ ، ولقي عنـد رجل من بني حنيفة ناساً من بني حنيفة ؟ يطلبون في أسَارى لهم فطلبَ فيهم بشْر حتى فداهم ، وقال بشر بن أبي خازم في ذالك :

لقـدْ دافَعت عَلْقَمـةَ بنَ عَمْرٍو تُجاهَ البـابِ مُجْتَمَعَ الخُصُومِ[٣٣]

(٧)

وكان من حـديثِ يـومِ قُـلابَ أنَّ بِشْرَ بنَ عمرٍو مَرثَـد بن سعـد بن مـالـك ، أخـو بني سعـد بن ضُبَيْعـةَ بن قَيْسِ بن ثعلبـة بن أبي قيس بن ثعلبة ، ومعه عمْرو بن عبد الله مُسانـدة ويـدعى ذا الكَفّ الأشَلّ ، لأنـه كان أشَلّ ، وكان بِشْرٌ سَيِّدَ بني مَرْثَدٍ يومئذ وقد كان أصـابَ في بني عـامرٍ فملأ يديه ، فلمـا دَنَوا من قُلاب - وقُلابُ جَبَل - قـال لـه عمرو بن عبـد الله : إنّي أراك تأخذها كأنّك تريد أن تَعتَسِف الناس ؟ قال : أُريـد أن أجتَزِعَ قُلابَ ، حتى أخرج في نـاحيـة أرض بني تميم ، فـإنـه أقرب قـال : فإنّ وراء هذا الجبل بني أسَـدٍ ، قـال : مـاأبـالي من لقيت !! وكان رجلاً عظيمَ الكِبْرِ ، فنهاه فأبى ، فقال عمرو : إني مـائلٌ نحو اليامـة فـال ومعـه بنو سعد بني ضبيعة ، وخرج بشر بن عمرو في بني قيس بن ثعلبة ، ومعه

(٣٢) وهي القطعة العشرون في الديوان - ٩٨ - .

(٣٣) القطعـة الرابعـة والأربعون في الـديوان - ٢١٧ - ولم يشر المحقق الكريم الى سبب قولها .

ثلاثـةٌ من ولـده ، وكانـوا فرسـانـاً ، ومعـه نـاس من بني مرثَـدٍ وغيرهم ، وكانت عقـابٌ تَجِيء وتقع على خيل بني أسـد ، فتصيح صيحتين ، فقـال كاهن بني أسد : إنها تبشركم بغنيمة باردة فلم يعلم بنو أسد حتى هجم عليهم بشر ، وقد مَلأ يَدَيه من نَعَمِ بني عامر ، فثارتْ إليه بنو أسـدٍ برمـاحهم ، فقتلوا بِشْراً وثلاثةً من بنيه ، صـابَرُوا معـه ، وقتلوا رهطـاً من بني مَرْثَـد وغيرهم ، وهزموهم وأصابوا ماكان في أيديهم . وقال بشر بن أبي خـازم في ذالك :

ألا هل أتاها كيف ضارَبَ قومُهـا ... بِجَنْبِ قُلابٍ إذ تَـدانى القَبـائِلُ(٣٤)

(٨)

قال وكان بشر جعل على نفسه ألاَّ يَنْبأ بغريبة من بني أسد الـدهر ، إلا طلبهـا حتى يردهـا ، فـابتنى (؟) بـامرأة من بني أسـدٍ لم يَـدْرِ مـاصنعَتْ ، ولم يَـدْرِ مَنْ ذهبَ بها حتى طرقَ ليلة من الليـالي أنـاسٌ ؟ لايعرفها فلم يزل بهم الذكْرُ ؟ حتى قالت ، انا والله الذي ذكرت ، قـال : أفـلا تنطلقين ؟ فبـاتَتْ وقـالت كيف أذهبُ وأَدَعُ ولـدي ؟ ، فقـال في ذالك ـ ولم يعرفها ابنُ الأعرابي :

أجـارَتنـا إنْ جَـدَّ ذالـك فـارْتَعي ... يُـوَدِّعْـكِ مِنّـا وامِـقٌ لَمْ يُـوَدَّعِ
أَبَعْـدَ ليـالينا بِـذِي النُّعْفِ نلتقي ... وبعــدَ مَصيفٍ بـالثَّاني ومَرْبَـعِ
وأعجَبهـا عنـدَ ابْنِ عَجْلان هَجْمَـةٌ ... مُعَـاوِدَةٌ أكل العِضــاهِ الْمُقَطَّـعِ
وعلي يُضِيء بـالمتـان كأنّهـا (؟) ... يغالب موتى جلدها لم يمزع (؟)

(٩)

يوم اتقتنـا عُقَيْلٌ بـالحريش هَوى ... كُـلُّ الفريقين مَحروبٌ ومَسْلُـوبُ(٣٥)

(٣٤) المقطوعة السابعة والثلاثون في الديوان : ١٧٥ .

(٣٥) البيت الأخير من المقطوعة الثامنة ـ في الديوان ٤٠ ـ .

هذا آخر شعر بشر، في رواية أبي العباس، ومايجيء بعد هذا من غير روايته .

قال : أنفذَ أوس بن حارثة لأخذِ بشرٍ عمرو بن كُرَيبٍ أحَدَ مصابيح الظلام، فأخذه وأقبل به إلى أوس، قال : يابِشْرُ غَنِّنا بما قلتَ فإنه[٣٦] سيغني بما هو مفعولٌ به، فأنشد بِشرٌ يقول[٣٧] :

(١٠)

وقال بشر بن أبي خازم :

ولقد تَمنَّانا عُتَيْبةُ فاصْطَلَى ... من حرْبِها بِسَعِيرِها الْمُتَضَرِّمِ
إذْ غادَرَتْهُ الخَيْلُ عندَ مَجَالِها ... في صَدْرِهِ قِصَدُ القَنَا الْمُتَحَطِّمِ
ولقد حَبَوْنا عامِراً منْ خَلْفِهِ ... يَوْمَ النِّسَارِ بطَعْنَةٍ لَمْ تُكْتَمِ
كانا له عاراً وَشَيْناً باشْتِهِ ... أبْقَتْ بها ضَخْماً كشِدْقِ الأغْلَمِ
ونَجَا طُفَيلٌ في الغُبارِ وما حَمَى ... ماخَلْفَهُ مِنْ مُجْحَرٍ مُسْتَلْحِمِ
وابْنُ الشَّرِيدِ قَدِ اسْتَمَرَّ بِطعنةٍ ... بِمُجَرَّبٍ صافي الحديدةِ لَهْذَمِ
كانتْ جوًى في جَوفِهِ حتَّى قَضَى ... مِنْهَا فَدُلِّيَ في قَليبٍ مُظلِمِ

---

(٣٦) كذا ولعل الصواب : وظن بأنه الخ .

(٣٧) قطعة الرجز الـ ٤٣ ـ في الديوان ٢١٥ ـ فرد عليه عمرو بن كريب :

إنَّكَ يابِشْرُ لفي وَهْمٍ وَهَمْ ... بِزَجْرِكَ الطَّيْرَ على إثْرِ النَّدَمْ
فاصبِرْ على شَرِّ شآبيبِ الرِّهَمْ ... وقَطْعِ كفَّيْكَ وثَنِّى بالقَدَمْ
وباللِّسانِ بَعْدَها وبالاشَمْ ... إنَّ ابْنَ سُعْدَى ذُو عِقابٍ ونِقَمْ
مِثْلَ الحَرِيقِ في الأبْناءِ الْمُضْطَرِمْ ... يُهْدَى إليه من مواهِيبِ القِسَمْ
كُلُّ أمُونٍ ذاتَ لَوْثٍ وَعَقَمْ

وأشار المحقق الكريم إلى خبر هذه المساجلة اذ نقل ـ ص ٢١٥ ـ عن « مختارات ابن الشجري » : ٢ / ٢٥ بعض هذا الرَّجَز بعد رَجَز بشر .

وَزَرٌّ حَبَاهُ بهـا ولـولا سـابـحٌ — نَجَّـاهُ من طعن الصِّمِلِّ الهَيْضَمِ
لَثَوَى مع الهُلاَّكِ غيرَ مُوَسَّدِ — يَنْتابُ شِلْوَهُ كُلُّ سَبْعٍ شِدْقَمِ
وَسَمَتْ لِحُجْرٍ قَبْلَ ذاك جُموعُنا — بالسَّمْهَرِيِّ وكُلِّ عَضْبٍ مِخْذَمِ
بأكُفِّ كُلِّ مُعَاوِدٍ يومَ الوَغَا — حَامٍ حَقيقَتَهُ كريمِ المُقْدَمِ
يرْمونَهمْ بِلبانِ كُلِّ طِمِرَّةٍ — مَحْبوكَةٍ مِثْلِ الهَرَاوَةِ صِلْدِمِ
وبكلِّ أجْرَدَ سابحٍ ذي مَيْعَةٍ — مُتَنَخَّلٍ من آل أعْوَجَ يَنْتمي
[كانت](٣٨) إذا خَضَبَ الدِّماءُ نُحورَها — شَكَتِ الجِراحَ إليهمُ بتَحَمْحُمِ
وجَرَت على مكرُوهِها فتقدَّمتْ — عاداتُها الأولى وقيلَ لها : اقدمي
وهَوى ابْنُ أمِّ قطامِ بين رِماحِنا — يكبو صَريعاً لليدين ولِلْفَمِ
[فأزال](٣٨) عنهُ ملكَهُ وأقادَهُ — حَيْنٌ بِمنْزِلَةِ الأذَلِّ الألأمِ
وأخابني قَيْسٍ طَعَنَّا طَعْنَةً — بِشْرَ بْنَ عَمْرٍو، نَضْحُها كالعَنْدَمِ
[قد](٣٨) زارنا بقُلابَ في مَلْمومَةٍ — يَمشونَ في حلَقِ الحديدِ المُحْكَمِ
فأبرزن(٣٩) جمعَ بني ضُبَيْعَةَ كُلَّهمْ — وسَقَتْ بني عِجْلٍ بِمُرِّ العَلْقَمِ
رَجَعوا بِكَبْشِهِمُ رَجيعاً مُثْبَتاً — قَدْ زَوَّدوهُ طَعْنَةً في المِخْزَمِ
تَركوا عَميدَ بَني لُجَيْمٍ ثاوِياً — رَهْنَ الضِباعِ وكُلِّ نَسْرٍ قَشْعَمِ
فُجِعَتْ بِهِ طُرًّا لُجَيْمٌ كُلُّها — وبكَتْ عليه بالعيونِ السُّجَّمِ
وابنُ الجُديعَةِ كان كاهِنَ قومِهِ — قد قلَّدوه كلَّ أمْرٍ مُعْظَمِ
يَغْزو بِتَيْمِ اللاتِ لا يَعْصُونَهُ — شيئاً فَيَرْجِعُ جيشُهُم بالمَغْنَمِ
فَقَتَلْنَ سَيِّدَهُم وأدْبَرَ جَمْعُهُمْ — لا يَدْفَعونَ لمرهقٍ عن مَحْرَمِ
حتى أطاعوهُ فأوهنَ جَمْعَهُمْ — يومَ اللِّقاءِ بكل وَرْدٍ ضَيْغَمِ
وكذاكَ نَسْقي السُّمَّ كُلَّ قَبيلَةٍ — قِدْماً ويَقْتُلُ ذو اللِّواءِ المُعْلِمِ

(٣٨) ما بين المربعات [...] لم يتضح في التصوير .
(٣٩) كذا ولعل الصواب : فأبْرَنَ .

ويَلِيْنُ جانِبُنا لأهلِ ودادِنا وإذا أتانا جارِمٌ لم يُسْلَمِ
حتى يُدافِعَ مالُنا وبِلادُنا عنه فَيَرْجِعَ وافراً لمْ يُكْلَمِ

(١١)

وقال بشر يمدح بني ثُمامة بن أُثال بن أبي حبيبة ، وذالك لأنهم كانوا أسروا أخاه فأنعموا عليه :

لما أتى قرّان أسْلَمَ ودقه وثوى ودامْ[٤٠]

(١٢)

قال : وغزَتْ بنو أسَدٍ هَوازنَ ، ثم بني جُشَمٍ وسَعْدِ بن بكر ، فصبرت لهم جُشَمُ وسَعْدُ ، فقاتلوهم قتالاً شديداً ، حتّى أصيبَ في بني جُشَمٍ وبكرٍ ، وأصابتْ بنو أسَدٍ لهم إبلاً . وقال بِشرٌ بن أبي خازم :

لم تَرَ عَيْني ولم تَسْمعْ بِمِثْلِهِمُ حَيًّا كَحَيٍّ لَقِيناهُمْ بِبُسْيَانا[٤١]

(١٣)

أورد المحقق الفاضل في زياداته قصيدة بشر الرائية (الديوان : ٢٩٧ - ٢٩٨) ، وفي المخطوطة ثلاثة أبيات سقطت من المطبوعة . أولها :

سار بالجيش فاستباح بني كعـ ـبِ على رغمهم وحلّ الديارا

ويقع بين البيتين السابع والثامن في المطبوعة .

أما البيتان الآخران فهما :

وتسامت كماتها لضرابٍ وأثارت مع العجاج غبارا
لهف نفسي على سمير اذا ما ركب الخيل أدرك الاوتارا

وموضعها بين البيتين ١٥ ، ١٦ في المطبوعة .

---

(٤٠) القطعة (٩) من الزيادات في الديوان (ص ٢٩٦ - ٢٩٧) ، دون اشارة إلى خبرها .

(٤١) القطعة الـ (٤٥) ص٢١٨ في الديوان - بدون اشارة الى خبرها .

الاختلاف بين المخطوطة والمطبوعة :

هناك اختلاف بينهما في ترتيب القصائد ، فالمطبوعةُ مرتبةٌ على الحروف بخلاف المخطوطة ، وفي ترتيب بعض أبيات القصائد ، وفي ورود بعض أبيات أخرى في إحداها وخلو الثانية منها ، والكثير من ذالك في المطبوعة ، إذ يظهر أن المحقق الكريم أضاف مَن الكتب أبياتاً كثيرة .

ومن أمثلة الاختلاف أبيات وردت في القصيدة الـ (٢٣) من المطبوعة ص (١٠٩) فيها إقْواءً ، وقد وردتْ في المخطوطة (٤٥١) باعتبارها قطعة منفصلة ، لاصلة لها بتلك القصيدة .

وقد ذكر الأستاذ المحقق المقطوعة في زياداته (الديوان ص ٢٩٦ رقم ٧) دون أن يشير الى ان أبياتها قد اختلطت بالقصيدة الـ (٢٣) .

أما القصيدة الـ (١٦) في المطبوعة ص (٨٠) فقد وردت في المخطوطة (٤١٢) ولكنَّ كثيراً من أبياتها ترك الناسخ لها بياضا ، قد يكتب صدر البيت أو عجزه ويترك باقيه ، ومن أمثلة الاختلاف في هذه القصيدة بعد البيت الـ (١٦) ص (٨٤) :

أبو صِبيةٍ شُعْثٍ تُطيفُ بِشخْصهِ كوالِحُ أمْثالُ اليعاسيبِ ضُمَّرٌ

بعد هذا في المخطوطة :

فأرسلَها حتى إذا كِدْنَ رَدَّها عَن [ثم بياض]

فَعَضَّ على إبْهامِهِ وتَقاذَفَتْ بِه أربعٌ لم توتِهِ حينَ يَحْضُرُ

البيتان لم يردا في المطبوعة .

وفي المطبوعة البيت الـ (١٩) ص (٨٥) :

فلو كنتَ إذ خفتَ الضياعَ أسرتَه بقادم عصرٍ قبلما هُوَ مُسْرُ ؟

وقال المحقق في الحاشية (مسر : هكذا رسمت هذه الكلمة في الأصلين المخطوطين ولم نعرف ماهي) .

أما في المخطوطة فنصه :

ولو كنت إذ خفت الضياع أَسَرْتَـه بِقَـــادِمِ عَيْرٍ قبلَما هُـــوْ مُسَيَّرُ

وعلى الياء شدة ويستقيم الوزن باسكان واو (هو) .

ومن الاختـلاف أيضـاً القطعـة الـ (٩) ص (٤١) في المطبـوعـة : لاتـوجـد في المخطـوطـة ولكن فيهـا قطعـة تتفـق معهـا في المعنى والـوزن والقـافيـة ، وتزيـد عليهـا بيتـا واحـداً . وقـد أوردهـا الأستـاذ المحقق في زياداته (الديوان ص ٢٨٧) ولم يشر الى هذا الاتفاق بينها وبين سابقتهـا في المطبوعة وزناً وقافية ومعاني .

وسـأكتفي بـذكر الاختلاف في الكلمـات بين المخطـوطـة والمطبـوعـة مُشيراً إلى أنَّ المحقق الكريم نقل عن كتـاب « مختـارات ابن الشَّجَري » في الحـواشي فـأكثر النقـل عن الاختـلاف بين مـاورد في هـذا الكتـاب وبين مـاورد في المخطوطـة التي اعتبرهـا أصلاً لمطبوعتـه هـذه . ويظهر انَّ ابن الشَّجَري اعتمد على أصلٍ ممـاثل للأصل الـذي نُقِلَتْ عنـه المخطوطـة اذ كل الكلمات التي أوردها المحقق الكريم عن ابن الشجري مخـالفـة لأصلـه تتفق مع ماورد في هـذه المخطوطـة ، لـذالـك اكتفيت بمـا نقلـه المحقق في تلـك الكلمات .

كما أنني لم أُشِرْ إلى مـاظهر لي أنـه من أخطـاء النـاسـخ ـ ومـا أكثر أخطاءه !! ـ مما خالف به مـاورد في المطبوعـة ، وانمـا نقلتُ مـااتَّضَحَ لي عدمُ الخطأ فيه ، ومنه مانقله المحقق في الحاشية ، واشَرْتُ بـالرقم الأول إلى صفحة المطبوعة ، والرقم الثاني إلى رقم البيت من الشعر :

	المخطوطة	المطبوعة
٨/٨	وما ضَمَّ أجْمَادُ الحُوار	وما ضم أجوازَ الجِواء
١٤/١٠	بادي الضغينة	بادي الظعينة
١٥/١٠	وينصره.. الى الرَّوع	وينصرنا.. الى النصر
٢٤/١٢	نَصْرٌ من يتغيب	لَوْمٌ من يتغيب
٢٥/١٢	أباتوا لسرحِان	أباتوا بسَيْحان
٢٨/١٢	والدّما تتصَبَّبُ	والدّماءُ تَصبَّبُ
١٤/١٧	جَرْيَ المُنْقيات	جَرْيَ المُبْقيات
١٥/١٧	تذكر منّا	تذكر منها
١٦/١٧	يشوب[٤٢]	يثور
١٩/١٨	تفزعُ من خَوف	تفرأ من هول
٢١/١٩	مستبطِنو البيض	مُسْتَحْقِبو البيض
٣/٢٥	وأنّ أباك قد لاقاه قِرنٌ	فإن أباك قد لاقى غلاما
٤/٢٥	لم يكن نكسا لغابا[٤٣]	لم يكن يكسى لغابا
١/٣٣	فَيَثْقَبُ	فَمِثْقَبُ
٤/٣٥	تَكَفْكَفُ	تكفأ[٤٤]
١٦/٣٨	ضاحية	ضامزة
٢٣/٣٩	قُطّب	شُزّب
١٨/٤٦	مال أو نجاح	مالي أو صلاحي

(٤٢) وفوقها : (خ : يثور) .

(٤٣) وفوقها : (معابا) .

(٤٤) وأشار المحقق إلى أن (تكفكف) تصحيف .

	المخطوطة	المطبوعة
٢/٤٩	ولم يَغْبَر بِجوّ الدار[٤٥]	وليس مُبينٌ في الدار
٢/٤٩	مَباءةُ ظاعِنٍ	مَبيتُ ظعائنٍ
٤/٤٩	في نَحرِي	مُنْهَمِرٌ
٦/٥٠	اللجاجة..وقلبك..شحيح	الصبابة..وقبلك..سجيح
٨/٥٠	كَجَثْوِ النمل	كَجَثٍّ النمل
١٠/٥٠	ارتفع	ارتفد
١١/٥١	بِأُبارَيَاتِ[٤٦]	بِأُرَينبَاتِ
١٣/٥١	كلاب أبي دُجانة	يخبُّ بها جَداية
١٢/٦٤	عَشيًّا	ومحض
١٦/٦٥	الظُّوارُ	الصوار
٢٢/٦٦	وطول الحبس	طوال الدهر
٢٥/٦٧	وشب لطَيّئِ الجبلين حَرْبٌ	وشبت طَيِّئَ الجبلَيْنِ حربا
٢٧/٦٨	كجادع أنفه	كهادم عزه
٣١/٦٩	وانزل قومه سعد بن عمرو	وأنزلَ خوفُنا سعداً بأرض
٣١/٦٩	بخرجٍ لاثمار ولا تجار	هنالك إذْ تجير ولا تجار
٣٢/٧٠	صُحَارٌ فالقضية	عُقَيْلٌ بالمرانة
٣٤/٧٠	ضَمَرَتْ بحرِّتِها سليم كما ضمر	ضمزت بِجِرِّتِها سُلَيْمٌ كما ضمز
٢/٨١	تزلُّ الطير.. بأرجائه	يزل الغفر.. بحافاته
٤/٨١	هي الهم.. أعسر	هي العيش.. أعصر

(٤٥) (نعر نحو) بدون نقط .

(٤٦) أباريات : موضع لايزال معروفا بقرب رمل عالج (النفود الكبير ، حيث مَرَبُّ حُمُرِ الوحش) انظر الاسم في « المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية » ـ قسم شمال المملكة ـ .

	المخطوطة	المطبوعة
٥/٨٢	إذْنات عنك دارها	إنّ ليلى وشأنها
٥/٨٢	وقد يعتدى للمرء ما	وإن وعدتك الوعد لا
٦/٨٢	بعوجاء مرقال تروح وتبكر	إذا لم يكن فيه لذى اللب معبر
٧/٨٢	لَيَاحٌ أخو قَفْرٍ يُراح ويمطر	بِحَرْبَةَ مَوْشيٌّ القوائم مُقْفِرُ
١٠/٨٣	أسيل كأنه	عروق كأنها
١٢/٩١	لاقَيْتَ	لَلَقِيْتَ
١٤/٩٢	.. عيينة يوم خرص	عتيبة ذات خرص
١٥/٩٢	المساعر من نمير	المشاعب من نمير
١٥/٩٢	فما جعلوا على كعب	وقد هَتّكْنَ منْ كعب
١٦/٩٢	.. فما حلبوا بها	غداة أَتَيْنَهُمْ
١٧/٩٢	فَنُشْنَاهُمْ	شَجَرْناهُم
١٧/٩٢	تدق نساؤهم منها النُّحُورا	مثقفة بها نفري النُّحُورا
١/٩٤	مِنْ حَفير	بالجفير
٢/٩٤	تلعبت.. بها ومنها	تلاعبت.. الموج منها
٤/٩٥	وُشم النواشِرُ	وُشم الرواهش
٨/٩٥	يَسَرٍ يَسيرٌ	يَسَرٍ يَسُورُ
٩/٩٦	الشقيقة يوم كِير	الشعيبة يوم كير
١٢/٩٦	طلب.. شفانا	نقض.. شفاها
٤/٩٨	عند اللقاء	عند الجدود
٨/١٠١	بِسُرْبَةَ	بِحَرْبَة
١٠/١٠٢	الَمحَارِ يثيرها	الصناع قرائن
١٠/١٠٢	إثارة نَبَّاش	إثارة مِعْطاش.

	المخطوطة	المطبوعة
١١/١٠٢	وباقي نَصِيٌّ	ونبذ خصال
٢٠/١٠٤	عشوة	شعلة
٢١/١٠٤	الفنيق الفادر	الفنيق الجافر
٣/١٠٧	مع النجم حَمَّاءُ	مع النسر فتخاءُ
١٠/١١٠	نبوا كما نبأ المفرح باليفاع	نتوءاً اذا ما الآل خفَّقَ لارتفاعِ
١٤/١١١	زهته الريح من	مرته الريح في
١/١١٣	رسمها	ربعها
١١/١١٥	لم يمنحوك.. واسع	لم يمنعوك.. نافعُ
١٦/١١٧	سهل المباءة	عند التفاضل
٨/١١٩	حُوٌّ في الخدور	من بين الخدور
٦/١٢٤	مثل الهلال	شبها للبدر
٥/١٣٠	فالطلول	فالطلوع
٦/١٣٠	بأكناف الديار قَطاً	بعرصتها حماماتٌ
٧/١٣١	وكثرة ذكرها	ولا ذكراكها
٩/١٣١	تُجِنُّ هَمّاً	نَجِيّ هَمٌّ
١٠/١٣١	بلوى حُنَيٍّ	بلوى حُبَيٍّ
١٤/١٣٢	من عيدان.. النعام	من غمدان.. البغال
١٧/١٣٣	حين يقرَعُها	حين يفزعها
١٩/١٣٣	سلوا عنا القبائل من معد	فسائل عامرا وبني نمير
٣/١٣٧	حزمي واهب	حزمي واحف
٨/١٣٩	فوق العماية	خلف المناطق
١٢/١٤٠	كصليف القدح	كصليف القدّ

	المخطوطة	المطبوعة
٥/١٤٣	ينوش الغض	ينشن الغصن
١١/١٤٥	وخَلّة آلف.. هجرا	وحاجة آلف.. صرما
٢٤/١٤٨	أو بشرج.. في كهاف	أو بشوط.. ذي كهاف
٢٧/١٤٩	تغنيه	يغنيه
٢/١٦١	تنكر.. فشرح	تغير.. فشرق
٥/١٦٢	ولم تنعق	ولا مدت
٩/١٦٩	وحُبٌ	وحق
١٢/١٦٩	مُسْلَحِبٌ	مُتْلَئِبٌ
٥/١٧٢	خَضِل	خاضل
١٢/١٧٣	بصقيل	بغموس
١/١٧٥	ضارب	ناوأ
٥/١٧٦	والعلي	منهم
١٩/١٩١	نعاما بوَجْرَة.. ترد	نعاما بخطمة.. تطعم
٦/١٩٣	واطلاؤها	وأولادها
٦/١٩٣	أمثال الخُدَاري	أمثال خُدَارَى
٧/١٩٤	جفر ابن ضمضم	جفر يهم
٢٣/١٩٨	وقد نقب	وقد بلي
٢٥/١٩٨	قام حرباء	صام حرباء
٢٨/١٩٩	برحلي أمامها	برحلي أمامه
٢٤/٢٠٧	برقة عيهم	برقة عيهل
٤/٢١٨	للرحمن دَرُّهُم.. جي	لله أُمُّكُم.. جمع
١٧/٢٢٣	طيِّئٍ عَدَّتْ	عَدٌّ من عمرو

علماء قفصة

في عصر ابن راشد

الأستاذ ابو القاسم محمد كرو

عاش الشيخ الامام أبو عبد الله محمد بن راشد القفصي بين القرنين السابع والثامن الهجريين .. وعلى التحديد من منتصف القرن السابع إذ يرجح انه ولد في العقد الخامس منه الى وفاته سنة ٧٣٦ هـ / ١٣٣٦ م . فهو اذن من المعمرين اذ عاش زهاء التسعين سنة .

ومن حسن حظ ابن راشد أن هذه المدة التي عاشها - وهي زهاء القرن - قد كانت من أكثر العهود أمنا واستقرارا .. لا في بلده قفصة فقط بل وفي افريقية (أي تونس) بوجه عام .

وذلك باستثناء الحملة الصليبية الثامنة على تونس بقيادة لويس التاسع عام ٦٦٩ هـ / ١٢٧٠ م ، وبعض الفتن الداخلية وأخطرها حركة ابن مرزوق الدعيّ الذي زعم أنه الفضل بن يحي الواثق الحفصي ، فاستولى على السلطنة الحفصية بعض الوقت ، زاحفا من الجنوب وقادما من طرابلس حيث ظهرت فيها دعوته ، وتمكن من الاستيلاء على العاصمة نفسها (٦٨١ هـ / ١٢٨٣ م) ، بعد أن بايعته معظم المناطق والمدن ، بما فيها مدينة قفصة وتوابعها . الا انه بعد القضاء عليه عام ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م عاد الأمن والاستقرار ليشمل البلاد من جديد وليمتد ظله الى آخر أيام ابن راشد .

ولكن من سوء حظ ابن راشد أن هذه المدة نفسها قد كانت بداية

الانحدار والتدهور في حياة هذه المدينة ، لا في الميادين الاقتصادية والاجتماعية فقط ، بل في الميادين العلمية والأدبية أيضاً . وذلك خلافا لما كانت عليه تلك الميادين نفسها ، في هذا العصر ذاته ، بتونس العاصمة وبعض المدن البحرية الأخرى ، التي ازدهرت فيها الصناعة والتجارة ، وشهدت نهضة علمية وأدبية كبيرة بفضل هجرة الأندلسيين اليها ، وبفضل عائداتها المالية من الصادرات والمبادلات التجارية ومن القرصنة كذلك .

ومعلوم أن هذه المدينة قد أخذ نجمها في الأفول منذ تولى أمرها الموحدون في منتصف القرن السادس . ولا سيا بعد أن هدم سورها التاريخي الحصين أبو يعقوب يوسف المنصور عام ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م .

وكنت تحدثت عن هذه النكبة عام ١٩٨١ م - في ملتقى ابن منظور السادس - وكان مما قلته آنذاك : إن أي مدينة بلا سور - في تلك العصور - هي مدينة بلا حياة !

وحقاً فان حضارة هذه المدينة ، بكل مظاهرها ، قد أخذت في التراجع والانحطاط مع مطلع القرن السابع ، ولم ينته هذا القرن حتى أصبحت مدينة قفصة قرية زراعية همُّ أهلها أن يعيشوا في سكون ومذلة ، خشية طمع الطامعين ونقمة السلطة المركزية ، هذه السلطة التي لم يكن يعنيها شيء سوى الجباية واستنزاف الخيرات .

وهذه الحقيقة يؤكدها لنا وجود حامية عسكرية دائمة وحاكم قويّ ، غالباً ما يكون أحد أبناء السلطان الحفصي نفسه .

ولئن أعيد بناء السور أكثر من مرة بطريقة عشوائية وبسيطة ، إن هدمه وتخريب الواحة - وهي المصدر الوحيد للرزق والحياة - كان دائما

سياسة الوعيد والعقاب والاذلال من كل الغزاة والثائرين وحتى من ممثلي السلطة المركزية نفسها .

وهكذا كان القرن السابع قرن التراجع والتدهور في حياة هذه المدينة ، وبالتاكيد كانت القرون التالية اكثر سوءاً واستمراراً في الهبوط والتخلف .

يقول شاهد عيان ، وهو الحسن الوزان المعروف بـ (ليون الافريقي) الذي زارها بعد ثلاثة قرون من نكبتها ، يقول : « وعاد اليوم عمران قفصة كاملا ، لكن ليس فيها سوى بناءات متواضعة باستثناء بعض المساجد . أزقتها واسعة جدا وكلها مرصوفة بالحجر الاسود كنابلي وفلورنس ، والسكان متحضرون لكنهم فقراء ، لأنهم مثقلون بالإتاوات من قبل ملك تونس[1] » .

وهكذا يمكننا ان نستخلص حقيقتين كبيرتين واضحتين في حياة ابن راشد وحياة هذه المدينة في عصره .

الحقيقة الأولى : تراجع المدينة المتواصل في شتى مظاهر الحياة والحضارة ، وبالخصوص الحياة العلمية والأدبية .

الحقيقة الثانية : ما عاناه ابن راشد من ضيق وتنغيص لحياته الشخصية في هذه المدينة ، بعد ان عاد اليها ـ بعزم ثابت على الاستقرار ـ اواخر القرن السابع ، عاد اليها عالماً كبيرا وقاضيا يمثل السلطان والشريعة في ربوعها .

فقد وجد الفرق شاسعاً بين ما كانت عليه حياتها العلمية والأدبية في طفولته وفجر شبابه بها منتصف القرن نفسه وبين ما آل اليه أمرها مع

نهاية القرن عندما عاد اليها مزهوّاً بعلمه ، متطلعاً الى الاشعاع والعطاء .

ومن يقرأ الرائع الأخاذ لربوع بلده وماتميزت به هذه الربوع من جمال في الطبيعة وتنوع في الثمار والخيرات - مما ينم ويعبر بصدق عن حب ابن راشد لمدينته وشغفه بها وحنينه الدائم اليها ، من يقرأ هذه المشاعر الزاخرة بالحب والفياضة بالاعجاب يستغرب ، غاية الاستغراب ، من تحول ذلك كله الى ضيق وكآبة في بلده ، وتوجع وشكوى من أهله .. بلغت به الى حد قول الشعر والاستشهاد به في وصف الحالة ، وكأنها كارثة أو محنة ليس لها مخلص أو نهاية .

بلد الفلاحة لو أتاها جَرْوَلٌ   أعني الحطيئة لاغتدى حراثا
تصدا بها الأفهام بعد صقالها   وترد ذكران العقول اناثا[1]

والحق أن الشاعر - سواء اكان ابن راشد او غيره - قد صوّر فعلاً ، في هذين البيتين ، مأساة التاريخ في هذه المدينة ، أو قل ، ان شئت ، مأساة هذه المدينة مع التاريخ .

فهذه المدينة التي كانت مركز علم واشعاع ونور .. قد اصبحت بؤرة ظلام وجهل وجمود .. وبعد أن كانت مصنع العلماء والادباء والابطال .. صارت مزرعة متخلفة يعيش رجالها كالنساء في مستوى عقولهم (نساء القرون الوسطى - طبعا) لاهمّ لهم سوى التناحر وخدمة المتسلط والاستسلام الكامل الى الجهل والخوف والاستخذاء .

[(1) البيتان لأبي تمام الطائي من قصيدته التي مدح بها مالك بن طوق ومطلعها :
قف بالطلول الدارسات عُلاثا   أمست حبالُ قطينهنّ رِثاثا
انظر ديوان أبي تمام بشرح التبريزي ج ١ ، ص ٣١٤ - ٣٢٥ / المجلة] .

والواقع ان التاريخ - في عصر ابن راشد - لم يحدثنا عن حياة هذه المدينة بشيء أفضل من ذلك .

واذا قلنا ان ابن راشد هو آخر العلماء والأدباء الافذاذ والكبار الذين أنجبتهم هذه المدينة طوال القرن السابع وما بعده فاننا لا نكون قد ظلمنا احدا او تجاوزنا الحقيقة .

وبالطبع فإننا نستثني عالما واحدا هو العلامة الموسوعي أحمد بن يوسف التيفاشي الذي توفي عام ٥٦١ هـ / ١٢٥٣ م ، أي عندما أبصر ابن راشد النور في هذه المدينة ، وبدأ يحبو فوق ترابها . لكن التيفاشي القفصي كان عندئذ قد هاجر هو الآخر من هذه المدينة بعد أن تولى فيها القضاء وعزل منه ، تماماً كما حدث لابن راشد بعده بنصف قرن .

ومن المفارقات الأخرى أن التيفاشي قد كان في الثالثة من عمره عندما حلت نكبة الموحدين الكبرى بهذه المدينة عام ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م . وان شفاعة أبيه القاضي يوسف التيفاشي هي التي أنقذت سكان المدينة من الابادة ، وإن لم تنقذ سورها الحصين وغابتها الشاسعة الرائعة من الدمار والاتلاف .

لقد أنجبت هذه المدينة (قفصة) في القرن السابع عالمين كبيرين : التيفاشي وابن راشد ، تميز كل منهما بالنبوغ والتفوق ، وبالعلم الغزير والشهرة الواسعة .

فقد بلغت مؤلفات ابن راشد ستين مجلدا .. شملت ما يقرب من عشرين عنوانا وموضوعا .. عرفنا منها احد عشر عنوانا توزعت بين الفقه والاصول والتفسير والأدب والعربية وتعبير الاحلام الذي هو احد فروع علم النفس الحديث .

اما مؤلفات التيفاشي فقد بلغت زهاء الخمسين مجلدا بينها موسوعته البالغة اربعين مجلدا .. ولكن لم يصلنا منها سوى مجلدين تحت اسم جديد وضعه لها ابن منظور بعد ان اختصرها في عشر مجلدات بعنوان « سرور النفس بمدارك الحواس الخمس »[٢] .

كما وصلتنا خمسة كتب أخرى للتيفاشي .. واحد منها في « الاحجار والمعادن النفيسة » واثنان في الطب والحياة الجنسية والرابع في الطب النبوي والخامس في الموسيقى والرقص .

لكن مدينة التيفاشي وابن راشد ، رغم النكبات والتراجع المستمر لم تصب أبداً بالعقم او المحل في حياتها العلمية والادبية ، وهذا ما يعكس صورة اخرى أجمل وأدق من صورة الفلاحة والعقم التي عبر عنها ابنُ راشد في حالات غضبه على أهل بلده .

ولئن لم تنجب قفصة أفذاذاً من طراز ابن راشد والتيفاشي طوال القرنين السابع والثامن ومابعدهما . إنها أنجبت عشرات آخرين منذ القرن السابع وحتى نهاية القرن الثالث عشر .

ويجب الاعتراف هنا بأن مستوى هؤلاء جميعا كان دائما متوسطا او دون المتوسط .

والظاهرة الثانية التي تميز بها جميع من جاء بعد ابن راشد من العلماء والادباء هي النزوح عن هذه المدينة وعدم البقاء فيها الا اضطرارا . والاستثناء الوحيد الذي يذكر في هذا السياق هو نبوغ عدة أجيال من أسرة واحدة ، هي أسرة ابن عقيبة التي أنجبت عددا من العلماء والأدباء كانت لهم مكانة مرموقة في عصرهم ، وتفوقوا في الأدب والتصوف وعلوم الشريعة وفي الرياضيات ، وكان بينهم شعراء .

وبما أننا حددنا الامتداد الزمني لموضوعنا بعنوان (علماء قفصة في

عصر ابن راشد) فاننا سنقتصر على :

اولا ـ ضبط قائمة بأسمائهم على مدى القرنين السابع والثامن ، بحيث تشمل كل من عاش ولو مدة قصيرة من حياته في هذين القرنين . وسيشمل هذا كل من ولد في السادس ومات في السابع كالتيفاشي ، وكل من ولد في الثامن وتوفي في التاسع كابن عقيبة والمخزومي .

ثانيا ـ سنشير بايجاز واقتضاب كاملين الى ذوي الشهرة والمكانة الكبيرة منهم ، على أمل العودة اليهم بالتفصيل في مناسبة قادمة ، أو في الكتاب الموعود عن علماء قفصة وشعرائها .

ثالثا ـ ان معظم الذين سأذكرهم لم تصلنا معلومات واسعة او مفصلة عنهم . بل ان عددا لايقل عن نصف القائمة الآتية لم يرد عنه في المصادر الموثوق بها سوى سطر او سطرين ، وفي أحسن الظروف نسب له بيت أو بيتان من الشعر .

رابعا ـ الكثير منهم لم نصل الى ضبط تاريخ ميلاده أو وفاته .. واحيانا لم نعرف الا القرن الذي عاش فيه .. وقد نستنتج ذلك من القرائن فقط .

والآن .. سنبدأ مع مطلع القرن السابع .. وعلى التحديد بمن كانت وفاتهم في بدء هذا القرن ، وهم :

١ ـ أبو الحجاج يوسف القفصي الشافعي (٦٠٣ هـ / ١٢٠٧ م)

٢ ـ ابراهيم بن محمد بن أبي بكر بن هراوة الشافعي (٦٠٩ هـ / ١٢١٣ م)

٣ ـ أبو علي الحسن بن ابراهيم بن عمران القفصي (٦١٠ هـ / ١٢١٤ م)

٤ ـ محمد الشقراطيسي (٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م)

٥ ـ الجمال بن القفصي (٦٢٥ هـ / ١٢٢٨ م)

٦ ـ عبد الله القفصي (ق ٧ هـ / ١٣ م)

٧ ـ أحمد بن يوسف التيفاشي (٦٥١ هـ / ١٢٥٣ م)

٨ ـ محمد بن عبد الله الهواري (٦٧٠ هـ / ١٢٧١ م)

٩ ـ محمد بن أبي بكر بن أبي زكريا البلوي (٦٧١ هـ / ١٢٧٢ م)

١٠ ـ القفصي التبي (ق ٧ هـ / ١٣ م)

١١ ـ أبو إسحاق إبراهيم القفصي المحدث (ق ٧ هـ / ١٣ م)

١٢ ـ عبد اللطيف القفصي الشاعر (كان حياً ق ٧ هـ / ١٣ م)

١٣ ـ أبو بكر بن حرز الله بن حجاج (ق ٧ هـ / ١٣ م)

١٤ ـ القفصي المغربي = كان من اكابر العلماء (ـ ؟ ـ)

١٥ ـ الامام العالم فخر الدين علي بن القفصي (ق ٧ هـ / ١٣ م)

١٦ ـ الفقيه الأديب علي بن عسيلة (٧٣٥ هـ / ١٣٣٥ م)

١٧ ـ محمد شمس الدين بن سليمان القفصي (٧٥٣ هـ / ١٣٥٢ م)

١٨ ـ محمد بن يوسف بن الصالح الدمشقي شمس الدين القفصي

(٧٠١ـ٧٧٤هـ/١٣٠١ـ١٣٧٢م)

١٩ ـ عبد الله بن عبد الرحمن القفصي المالكي (٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م)

٢٠ ـ محمد بن محمد بن سليمان القفصي والد علم الدين الآتي

(٧٨٤هـ / ١٣٨٢ م)

٢١ ـ أبو مدين شعيب العمراوي القفصي (٨٠١ هـ / ١٣٩٨ م)

٢٢ ـ ابنته فاطمة (ـ ؟ ـ)

٢٣ ـ ابنه علي (ـ ؟ ـ)

٢٤ ـ البرهان إبراهيم القفصي (كان حيا ٨٠١هـ / ١٣٩٨ م)

٢٥ ـ محمد بن مسافر القفصي (٨٠٤ هـ / ١٤٠١ م)

٢٦ ـ ابو بكر عبد الله السني (كان حيا ٨٠٥ هـ / ١٤٠٢ م)

٢٧ ـ علم الدين محمد بن محمد القفصي ـ قاضي قضاة المالكية بدمشق

(٧٥٠ ـ ٨٠٥ هـ / ١٣٤٩ ـ ١٤٠٢ م)

٢٨ ـ محمد بن مسافر العامري القفصي (ق ٩ هـ / ١٥ م)

٢٩ ـ أبو يحيي أبو بكر بن عقيبة (٧٥٠؟ ـ ٨٢٨ هـ / ١٣٥٠ ـ ١٤٢٥ م)

٣٠ ـ محمد القفصي المخزومي المحدث (٧٧٦ ـ ٨٤٢ هـ / ١٣٧٤ ـ ١٤٣٨ م)

هؤلاء ثلاثون علما من أعلام قفصة طوال القرنين السابع والثامن .. وهو عدد ليس قليلا بأي حال وعلى أي مستوى كان . ومع أن أيّ واحد منهم لم يبلغ مكانة ابن راشد في الفقه والاصول ، أو مكانة التيفاشي في الطب أو الادب او التاريخ او الجغرافيا او البلاغة او العلوم الاخرى فإن أكثرهم كان في مستوى أمثاله في ذلك العصر . كما ان عددا منهم قد تولى مناصب التدريس والافتاء والقضاء ، ليس في مدينة قفصة بل في القاهرة ودمشق وحلب وحماة وغيرها من مدن الشرق . وبينهم كذلك شعراء ومؤلفون في الفقه والحديث والتصوف ، وفي اللغة والنحو والصرف وتفسير القرآن .

ولايتسع المجال لأن نتعرف عليهم أو نعرف بهم جميعاً ولو بايجاز .. لذلك سأكتفي بتقديم عدد قليل منهم نماذج عن الباقين :

مع مطلع القرن السابع نلتقي باثنين من علماء الحديث القفصيين .. ترجم لهما أكثر من واحد من مؤلفي كتب الطبقات .

وعلم الحديث ، رواية وتأليفا وتدريسا ، عريق لدى علماء قفصة ... فقد ابتدأ مع الحارث بن أسد القفصي (تلميذ الامام مالك) في القرن الثاني الهجري واستمر الى الشيخ تاج الآجري في القرن الثالث عشر ، بل والى الحسين بن المفتي من أعلام القرن الرابع عشر .

اما العالمان المعنيان هنا .. فهما :

١ ـ أبو الحجاج يوسف القفصي

٢ ـ أبو اسحاق ابراهيم القفصي

وقد ترجم لكليهما عبد العظيم المنذري في كتابه الرائق « التكملة لوفيات النقلة » . كما ترجم لكل منهما الذهبي وأبو شامة والعيني وابن الفرات والمقريزي .

ولئن شكك المنذري في ان أبا الحجاج القفصي لم يحدث بشيء .. لقد ترجم له مجاراة لغيره من المؤلفين .. فقال :

« وفي الثامن من صفر (٦٠٣ هـ / ١٤ / ٩ / ١٢٠٦ م) توفي الفقيه الأجل ابو الحجاج يوسف القفصي الشافعي المنعوت بالفخر بمصر .

ومولده في سنة سبع او ثمان وخمسين وخمسمائة (١١٦١) تفقه على مذهب الامام الشافعي وحصل منه طرفاً جيداً . وولي التدريس بالمدرسة السيفية التي بسوق الغزل بمصر[٣] .

واجتمعتُ معه . وما علمته حدث بشيء . وكان فاضلا بارعا نبيلا .

وقفصة بفتح القاف وسكون الفاء مدينة بقرب القيروان حدث من اهلها غير واحد[٤] .

والمنذري (ت ٦٥٨ هـ) من الرواة والمؤرخين الثقات لأهل الحديث .

وقد ترجم ايضا لمعاصره الآخر الذي لقيه في دمشق وهو أبو اسحاق ابراهيم القفصي فقال عنه ما يلي :

« وفي احد الربيعين (سنة ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م) توفي الشيخ الفقيه أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن أبي بكر بن هراوة القفصي الشافعي بدمشق »[٥] .

لم يفصل المنذري شيئا عن مشاركة أبي اسحاق القفصي في الحديث ، وان كان قد تبسط في ذكر مشايخه الذين التقاهم وأخذ عنهم في مصر وبغداد ودمشق حيث استقر نهائيا واشتغل مدرسا للحديث والفقه الشافعي الى وفاته بها .

وبوسعنا أن نضيف الى معلومات المنذري عن صاحبنا أن بعض مشايخه في دمشق قد أدركهم أيضاً ابو العباس احمد بن يوسف التيفاشي . ولا نشك ايضا في أن التيفاشي قد اجتمع بأبي اسحاق القفصي في دمشق مع مطلع القرن السابع ، وذلك لان التيفاشي أدرك بدمشق الشيخ تاج الدين الكندي (٦١٣ هـ) وأخذ عنه . ولعل ابا اسحاق كان ايضا من شيوخ التيفاشي في الوقت نفسه .

والأهم من هذا كله هي الآثار الحديثية التي سجلها أبو اسحاق وسمعها عنه تلامذة في دمشق .. ثم انتقلت الى الشيخ علي النوري الصفاقسي (١١١٨ هـ) وبقيت محفوظة في مكتبته بصفاقس الى العصر الحاضر ، وآلت الآن الى دار الكتب الوطنية .

فقد أفادني الصديق البحاثة الشيخ محمد محفوظ (حفظه الله) قبل نقل المكتبة الى تونس - في مراسلات قديمة بيننا - أنه توجد في مكتبة الشيخ النوري سماعات حديثية كتبت وسمعت من الشيخ أبي اسحاق القفصي في مدرسة الحنابلة بسفح قاسيون بظاهر دمشق . وان آخرها مؤرخ باليوم الثاني من ربيع الاول عام (٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م) ، ا هـ .

اما شافعية هذين الشيخين فيمكن اعتبارها ناتجة عن ظروف التعليم المشرقي او اقتناصاً للمناصب حيث كان المذهب الشافعي هو السائد والمؤهل لمناصب التدريس والقضاء وذلك الى النصف الثاني من القرن

السابع اذ أنه كان المذهب الرسمي الوحيد لدولة الأيوبيين . ومن منتصف هذا القرن أحدثت مناصب متوازية للمذاهب السنية الاربعة وخاصة للمالكي ، سواء في التدريس أو القضاء . وكثير من المغاربة المهاجرين الى الشرق كانوا ينقلبون الى المذهب الشافعي لضمان وظائف لهم . لكننا سنلاحظ ان القفصيين اللاحقين قد بقوا على مالكيتهم بل وتقلدوا وظائف التدريس والقضاء على مذهبهم المالكي في كل من القاهرة ودمشق وغيرهما من مدن الشرق.

٣ ـ عبد اللطيف القفصي الشاعر .

في نهاية القرن السابع الهجري كان قفصيّ آخر يعيش في القاهرة ..، وكان الشيخ تقي الدين محمد بن دقيق العيد من أشهر علمائها وفقهائها .. وهو الآخر من المهاجرين اليها ، اذ كانت نشأته بقوص (عاصمة الصعيد) .

وفي سنة ٦٩٥ هـ تولى ابن دقيق العيد منصب قاضي القضاة الشافعية .. وبقي في منصبه الى وفاته سنة ٧٠٢ هـ . وكان ـ على جلالة علمه وهيبة منصبه ، عطوفا بشوشا مع الجميع بمن فيهم من أصحاب اللسان الخبيث والهجائين من الشعراء .. وكان بين هؤلاء شاعر قفصي لم نعرف من أخباره وأشعاره سوى بيت واحد استهل به قصيدة في هجاء قاضي القضاة ابن دقيق العيد المذكور . وقد روى لنا القصة كاملة الشيخ كال الدين الادفوي في كتابه : « الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد » . وكان صديقا للشاعر فنقل عنه مباشرة الحكاية التالية :

« وقال عبد اللطيف بن القفصي : هجوته مرة (أي ابن دقيق العيد) فبلغه ، فلقيته بالكاملية فقال : بلغني أنك هجوتني ، أنشدني ،

فانشدته « بليقه » اولها :

قـاضي القضـاة عـزل نفسـه   لمـا ظهر للنـاس نحسـه

الى آخرها ، فقال : هجوت جيدا »[٦] .

ولـلاسف لم نجـد بـاقي القصيـدة ولا أي خبر أو معلـومـة أخرى عن شـاعرنـا القفصي . ولولا هـذه الحـادثـة وتسجيل الادفوى لهـا وارتبـاطهـا بمنصب قـاضي القضـاة ، لما أمكن ان نعرف لا اسم الشـاعر ولا بتـاريـخ شعره . ويمكن القـول ان شـاعرنـا قـد كان بقيـد الحيـاة في آخر سنـوات القرن السـابع ، ولا نعلم متى توفي ، ولعلـه كان في سن كمال الـدين مؤلف الكتاب لانه كان صديقا له . وتوفي كمال الدين عـام ٧٤٨ هـ . وان كونـه صديقا له ومعاصراً لابن دقيق العيد ويـذهب الى المـدرسـة الكامليـة التي هي من أهم المدارس الايوبية وأشهرها ، كل هـذا يشير الى مكانـة الشـاعر العلمية والأدبية في مكانه وزمانه .

٤ ـ أبو الحسن علي بن عسيلة .

في سنة ٧٣٥ هـ / ١٣٣٥ م أي سنـة واحـدة قبيل وفـاة ابن راشـد ، يفيدنا ابن القنفذ في وفياته بأن عـالمـا قفصيـاً آخر معـاصرا لابن راشـد ، وربما كان من منافسيه أو مزاحميه على منصب قـاضي المـدينـة ، قـد توفي بقفصة . ولكنـه لم يعطنـا أي بيـانـات ولا تفـاصيل عن حيـاة الرجل او مكانته أو مؤلفاته ، ان كانت له مؤلفات .

وقد يعود ذلك الى نوع التـأليف الواردة فيـه الوفـاة ، اذ أن خطـة المؤلف تقوم على ترتيب الوفيات وضبطها بالعقود والسنوات دون الترجمـة لأصحابها . غير أنه نعت صاحبنـا الجـديـد ببعض النعوت التي تشير ـ بلا ريب ـ الى أن الرجـل كان من كبـار العلمـاء والادبـاء .. وهـذه الإشـارة

لا تؤخذ فقط من ادراج الرجل بين كبار المشاهير والعلماء المنسقين في الكتاب ... بل ومما عبر عنه المؤلف من صريح النعوت والمراتب حيث قال عنه ما يلي :

« وفي التي تليها (أي تلي سنة ٧٣٤ هـ) توفي الشيخ الفقيه الأديب ابو الحسن علي بن عسيلة بقفصة »(٧)

اذن .. صاحبنا فقيه وأديب ومدرج بين كبار العلماء والادباء ، ووفاته كانت بقفصة ، فهو لم يهاجر من بلده .

وفي السياق نفسه ، كتب ابن القنفذ مباشرة عقب حديثه عن ابن عسيلة ، كتب عن ابن راشد ما يلي :

« وفي سنة ست وثلاثين وسبع مئة توفي الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن راشد البكري القفصي بتونس . وأخذ عن شهاب الدين القرافي وغيره في العشرة الثامنة من المائة السابعة وله مصنفات ، منها شرحه لمختصر ابن الحاجب في الفقه ومنها الفائق في الاحكام والوثائق في سبعة أسفار وغير ذلك »(٨) .

ترون معي أنه زاد ابن راشد اسمين من كتبه ، ولكنه خص ابن عسيلة بالاديب ، أما الفقه فكلاهما فقيه .

ونجد اسم ابن عسيلة يرد في كتب الوفيات الأخرى بنفس الصيغة والأوصاف .. وقد أضيف له مرة نعت القاضي . ولعلنا نعثر يوماً على المزيد من المعلومات عنه . على انني اكاد اجزم بانه ليس اقل من ابن راشد ادبا وفقها ، وان لم يصل الينا شيء من آثاره .

٥ ـ شمس الدين القفصي

بعد ابن عسيلة وواحات قفصة ومحيطها نعود الى الهجرة والنزوح

مرة اخرى .. فعلماء قفصة كلهم تقريبا - الا النوادر - يحبون الرحلة والاغتراب . وكمثال جديد على ذلك . نمضي مع الزمن عشرين سنة اخرى ، وبالتحديد الى سنة ٧٥٣ هـ / ١٣٥٢ م ونختار هذه المرة مدينة دمشق ، وهي ثالثة العواصم التي كانت تجذب ، على الدوام ، أبناء هذه المدينة بعد القاهرة ومكة .

يقول ابن حجر في كتابه « الدرر الكامنة »[٩] ما يلي :

« محمد بن سليمان بن أحمد القفصي شمس الدين المالكي . قدم من المغرب ، وله فضيلة تامة ، فسكن دمشق وناب في الحكم . وكان تفقه بمصر ورحل الى دمشق في آخر صفر سنة عشرين وسبع مئة . وصار بصيرا بالأحكام . مات في شوال سنة ٧٥٣ هـ / ١٣٥٢ م » .

ونيابة الحكم تعني هنا أنه كان يتولى منصب قاضي قضاة المالكية بالنيابة . وهذا المنصب بالذات تولاه قفصيون آخرون من بعد شمس الدين وارتقى بعضهم الى منصب قاضي القضاة مثل الشيخ علم الدين القفصي المتوفى بدمشق ايضا عام ٨٠٥ هـ .

على ان عبارة ابن حجر توهم أن شمس الدين لم يتولّ منصبه الا بعد العشرين والسبع مئة ، بينما هو يريد أن يوضح فقط ان شمس الدين كان دائم التنقل بين القاهرة ودمشق ، ثم انقطع في دمشق من سنة عشرين . وتفيدنا مصادر اخرى ، ولا سيا الذهبي والنعيمي الدمشقي ، أن شمس الدين القفصي قد ناب في حكم المالكية من سنة تسع عشرة وسبع مئة .

والجدير بالذكر هنا ان الرحالة المغربي الشهير ابن بطوطة قد اجتمع به في دمشق وأكد لنا أنه كان يباشر القضاء في المدرسة الصمصامية[١٠] .

٦ ـ محمد القفصي

سنبقى في دمشق مدة أخرى ، ونمشي مع الزمان واحدا وعشرين عاما حيث نلتقي مع قفصي آخر تولى هو أيضاً نيابة الحكم المالكي بها ، ولكنه كان الى ذلك من أهل الحديث ، بل ومن كبار المحدثين حتى تأهل لأن يتولى مشيخة الحديث بالمدرسة السامرية بدمشق .

ومشيخة الحديث لم تكن من المناصب العلمية الصغيرة ، اذ لا تسند الا لكبار العلماء الذين بلغوا درجة عالية من العلم والنزاهة والمقدرة الفائقة على التبليغ والتعليم .

وصاحبنا الجديد هو محمد بن محمد بن يوسف بن الصالح الدمشقي القفصي ، ويلقب ايضاً بشمس الدين .

لا نعلم اين ولد ، واكبر الظن ان أباه هاجر من قفصة الى دمشق ، وولد هو بها عام ٧٠١ هـ / ١٣٠١ م وكانت وفاته بها ايضا في ربيع الأول من عام ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م عن ثلاث وسبعين سنة ، كما سجلت لنا ذلك مصادره(١١) .

وكالعادة لا تمدنا هذه المصادر باكثر من ذلك فليس لنا ـ والحالة هذه ـ ان نجتهد او نفترض .. اذ لا اجتهاد بدون وثيقة .

٧ ـ عبد الله القفصي

نقترب أكثر من حدود تونس، ونمكث قليلا بالقاهرة لنسجل حضور أحد علماء قفصة بها ، وانتصابه في محاكمها ومساجدها ومدارسها مفتياً ومدرساً وموقعاً لدى قضاتها . أي مسجلا لمحاضرها وعقودها . ولا شك انه كان على درجة كبيرة من العلم والفقه والتدين حتى صار مرجعا يعتمد عليه المسلمون المعاصرون له في شؤون دينهم ودنياهم .

ولئن لم يترك ـ على ما يبدو ـ مؤلفات أو آثاراً علمية من أي نوع ، إن عناية ابن حجر والسيوطي وغيرهما من المؤرخين به ، لها ـ بدون شك ـ دلالة واضحة على اهمية الرجل ومكانته في عصره . قال عنه اكثرهم :

« عبد الله بن عبد الرحمن القفصي المالكي .. كان مشهورا بالعلم منصوبا للفتوى . وكان يوقع عند الحكام . مات في ثالث رمضان سنة ٧٧٦ هـ / ١٣٧٥ م »[١٢] واثنى عليه ابن حجر في الدرر[١٣] .

٨ ـ ابن عقيبة

أبو يحي أبو بكر بن عقيبة القفصي المتوفى بقفصة عام ٨٢٨ هـ / ١٤٢٥ م .

الحديث عن ابن عقيبة بايجاز واختصار يكون فيه اجحاف وعقوق ، لان التفاصيل عنه كثيرة والمصادر متعددة ، وله أشعار وبحوث كثيرة في الفقه والنحو واللغة وتفسير القرآن ، يمكن ضبطها والاستفادة منها في الترجمة له والتعريف به على أوفى صورة ممكنة . يضاف الى ذلك اننا وثقنا أسماء خمسة آخرين من أسرته ، كان لهم أيضا دور في الحياة العلمية والادبية على مدى قرن ونصف قرن من الزمان .

لذلك نترك الحديث عنه وعنهم جميعا الى بحث مستقل في مناسبة اخرى .

ونشير فقط الى ظاهرة ممتازة اختصت بها هذه الأسرة ، وهي أنهم جميعا مكثوا في قفصة ، ولم يغتربوا عنها الا للتعليم بتونس . ثم كانوا يعودون لمدينتهم . فكانوا لذلك اكثر تعلقا بارضهم ، واشعاعاً بين أهلهم وعشيرتهم

ونضيف هنا أن جدهم الاعلى كان معاصرا لابن راشد .. وولد أبو يحي ـ صاحب الضريح والمزار المعروف بقفصة ـ منتصف القرن الثامن ، أي بعد نحو عشرين عاما من وفاة ابن راشد .

الاحالات والتعاليق

(١) وصف افريقيا ص ١٤٤

(٢) طبع الأول في الاستانة عام ١٢٩٨ ، بعنوان « نثار الازهار » ، وأعيد الطبع مع الجزء الثاني في بيروت عام ١٩٨٠

(٣) مصر : يقصد بها عاصمتها القاهرة .

(٤) ج ٢ ص ٩٨ ـ ٩٩ ط٣

(٥) ج ٢ ٢٤٧ ط٣ بيروت ١٩٨٤ م

(٦) الطالع السعيد ص ٥٨٦ والوافي جـ ٤ ص ٢٠٦

(٧) وفيات ابن القنفذ ص ٥٥

(٨) المرجع نفسه ص ٥٥

(٩) ج ٤ ص ٦٧ ، وانظر المقريزي (السلوك ٢ / ٨٨٥)

(١٠) مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالين المسلمين ، [رحلة ابن بطوطة ١ : ٥٧ ط القاهرة ١٩٣٨ م / المجلة]

(١١) شذرات الذهب ج ٦ ص ٢٣٦ ، والدارس في تاريخ المدارس ح ١ ص ٧٢ ـ ٧٤

(١٢) حسن المحاضرة ج ١ ص ١٩٦ . ذيل الديباج ص ١٤٨ ، شذرات الذهب ٦ / ٢٤٢

(١٣) ج ٢ ص ٣٧٥

مشروع

معجم مصطلحات الآثار

الأستاذ يحيى الشهابي

كان مكتب تنسيق التعريب بالرباط قد بعث الى مجمع اللغة العربية بنسخ من :

(١) مشروع معجم مصطلحات الجغرافيا

(٢) مشروع معجم مصطلحات الاقتصاد

(٣) مشروع معجم مصطلحات القانون

(٤) مشروع معجم مصطلحات الآثار

(٥) مشروع معجم مصطلحات الموسيقى

لابداء الرأي فيها قبل عرضها على مؤتمر التعريب السادس .

وقد أحال المجمع مشروعات المعاجم على الأساتذة الخبراء المتخصصين ، وتلقّى تقاريرهم التي وافى بها مكتب تنسيق التعريب ، كي تكون في متناول الأساتذة المتخصصين المجتمعين في مؤتمر التعريب السادس لمناقشة مشروعات المعاجم المذكورة آنفاً واقرارها .

وقد رأت لجنة المجلة أن تنشر جانباً من هذه التقارير ، لتفسح المجال للأساتذة المتخصصين كي يدلوا بدلوهم في مبحث من أدقّ المباحث ، يتصل باختيار المصطلح الملائم .

واننا نبدأ بتقديم الملاحظ التي سطرها الأستاذ يحيى الشهابي حول مصطلحات الآثار .

[لجنة المجلة]

الملاحظات وفق أرقام مصطلحات مشروع المعجم

٤ـ قالوا : دير ، ونفضل لها كلمة بيعة ، وندع كلمة دير له COUVENT . ABBAYE

١٩ـ قالوا : تمثال بدون رأس ونفضل كلمة « جِلّف » (البدن لا رأس له) فنقول : تمثال جلف ، ولا نكتفي بالشرح ACE'PHALE

٣٤ـ ذكروا انها ظلة التمثال ولم أجد لها ذلك وانما هي بناء ثانوي ، بناء صغير EDICULE

٥٣ـ عرفوها : الساحة العامة في المدينة اليونانية . ساحة الندوة عند اليونانيين ، ونفضل تعريبها « أغورة » ولها أيضاً كلمة عُقْر ، او رحبة AGORA

٦٥ـ قالوا : حنية . قلنا هي القبة او القبوة او الحجلة وهي فرجة ضمن جدار كانت العرب في الاندلس تجعل فيها سرير العروس . اما الحنية فهي VOUSSURE . ALCOVE

٧٣ـ ذكروا انها : سبيكة . ومن البديهي انها : مزج وخلط وأشابة ، أما السبيكة فهي LINGOT ALLIAGE

٧٩ـ قالوا : ارجواني . ونرى انها القطيفة ويدعونها في دمشق : سالف العروس ، ولاتمت بصلة الى الأرجوان فهو GAINIER ، و ARBRE DE JUDE'E AMARANTE

١٦٩-	ذكروا انها : بائكة ، عقود ولم نجد للبائكة هنا معنى وهي ليست عقوداً ، ونحبذ لها كلمة طاق .	ARCADE
١٧٠-	طاق معمّى ، بدلاً من بائكة جدارية كما ذكر .	ARCADE AYEUGLE
٢٢٨-	اقرّوا لها ضجة العقد ، والأقرب : فقرة العقد .	VOUSSOIR
٢٤٣-	قالوا : أرمة وشعار ورنك ، ونفضل حذف كلمة رنك لأنها تقابل كلمة BLASON	ARMOIRIES
٢٤٩-	قالوا : مزغل ، وهي دارجة . ولكن المرمى هو الأعم .	MEURTRIE`RE
٢٧٧-	ذكروا أنها : جرّة كبيرة ، وهي ليست جرّة بمعناها المتداول ، وانما هي حقّة الزيت . وهي عبارة عن وعاء زجاجي ضيق الرقبة كروي البطن .	ARYBALLUS
٢٨٥-	قالوا : رمح قصير . قلنا هي المزراق . وهي أيضاً زج الرمح . والمزراق هو الرمح القصير .	SAGAIE
٣٠٩-	اقروا لها كلمة مخرز اطلاقاً ، ونفضل كلمة منقاش تخصيصاً فهي المخرز لحفر الأختام وقوالب سكّ النقود .	POINÇON
٣١١-	قالوا : بلطة بحدّين ، البلطة	BIPENNE

المـزدوجـة ، الطبر المـزدوج . وقلنـا : هي الحدأة ، اي الفأس ذات الرأسين ، ويستحسن الأخذ بها بدلاً من البلطـة HACHE ، أمـا الطبر فهو المفرد من الحدأة .

٣٢٥ـ ذكروها معرّبة : بلداكين (أي الحرير البغـدادي) ، وهي أيضـاً وهـو الأهم : مظلة الكاهن ومظلّة العرش . BALDAQUIN

٣٢٧ـ قالوا : عرّادة (آلة حربية) . والعرّادة منجنيق صغير لرمي الحجارة . اما الكلمة هنا فلها منجنيق السهام . BALISTA

٣٦٣ـ قالوا : نقش قليل البروز ، نحت بارز . وهي فعلاً كذلك ، ورأينا لها كلمة نحيتة ، ومنحوتة ، لأنها في واقعها لوح حجري نحتت عليه أشكال ناتئة . BAS-RELIEF

٣٧٢ـ قالوا : أسكوب ، رواق ، بلاطة ، المسافة بين الأعمدة . ونرى الاكتفـاء بـالمسـافـة بين عارضتين . TRAVE'E

٤١٢ـ جعلوا لها كلمة نصل . والأصح القول حـافـة كحـافـة مسيل الابريـق ، وترك كلمـة نصل لـ LAME ، وكلمة DARD لنصل الحاجز ، وهي زخـارف على شكل السهـام تثبت في أعلى الحاجز . LIMBE

٤١٤ـ قالوا : حصن صغير . ونرى BLOCKHOUSE

أن تُخَصّ بكلمة المنعة ، ونترك مصطلح حصن صغير لـ FORTIN

٤٢١- ليست ازاراً لحائط سفلي كما وردت في مشروع المعجم ، وانما هي نتوء مسطح مستطيل تحت قواعد الأعمدة . والانكليزية فيها BOARD-BASE أي اطار القاعدة ، او إزار القاعدة ، والأفضل القول : نعل القاعدة . PLINTH

٤٢٩- قالوا : مدماك (في البناء) ، رباط . ولها على ما نرى رباط فقط ووثاق اما المدماك فله ASSISE . LIEN, ATTACHE

٤٤٠- قالوا : كابولي . والكابول : حِبالة الصائد ، واختيارنا : وصلة حاملة ، ومسند ناتئ . CORBEAU

٤٤١- جاءت : كتيفة جدارية . ونضيف لها : حاملة . CONSOLE MURALE

٤٤٣- في المعجم : نحاس أصفر وهي فعلاً نحاس أصفر والمقابل المفضل : صفر وشَبَه . LAITON

٥٠٢- قالوا : يقطين . واليقطين هو : الثمر . أما هنا فلها : طاسة قرع ، أو دُبّاءة . وهذه أصح لأنها القرعة تجفف لأغراض شتّى . CALEBASSE

٥٢١- قالوا : ظلة العرش او السرير . قلنا الظلّة هي المظلة الضيقة ، او ما يستظل به من حرّ أو برد . اما السديل وهو ما اخذنا DAIS (D'UN TRÔNE)

بـه لـ DAIS فهو مـا أسبل علي الهودج او نحوه ، وهو ستر حجلة المرأة ، فالسديل هنـا أقرب الى المراد .

٥٤٣ـ ذكروا انها مدماك القمة في الجدار . ومعناها في العمارة طنف يقي الحائط وقع المطر ويسهل عملية انسياب الماء وهو : الزّيف . CHAPERON

٥٥٠ـ قالوا : عقيق احمر . قلنا هي البهرمان ، أو الياقوت الارجواني وردت في نخب الـذخـائر لـلانصـاري ، وتحقيـق الأب الكرملي . ESCARBOUCLE

٥٥٦ـ هو العقيق الأحمر ، وله بالعربية : يَنَع وهو معروف . CORNALINE

٥٩٤ـ في المعجم : حيوان خرافي (برأس وصـدر انسـان وجسم الفرس) اي انهم جعلـوا التعريف بدل المصطلح ونرى تعريب الكلمـة : قنطور ، قنطورس ثم شرحها . CENTAURE

٦٠٢ـ قالوا : خوذة حديدية . ونفضل إحياء كلمة : تَرْكـة ، وهي الخوذة من حـديـد تخصيصاً ، فثمة أسماء عديدة للخوذة ولها أنواع . CERVELIERE

٦٠٩ـ ذكروا انها : حاجز (في الكنيسة لجوقة المرتلين) ، قلنـا : عرفت معربـة بـ كـورس وخوروس لدى القساوسـة ، وتطلق ايضـاً على سدة الكورس وليست حاجزاً . CHOEUR

٦١١- ذكروا انها غمد السيف ، غطاء . ولم نجدها بهذا المعنى ، فلها معان عديدة أهمها بالنسبة لنا غِفَارة وهي رداء الكاهن . اما الغمد فله طبعاً FOURREAU و GAINE . — CHAPE

٦٣٠- قالوا : كائن خرافي ، الوهم . وهو اسم اطلق على حيوان خرافي له رأس السبع وجسم العنز وذنب التنين فلم لا نسميه « شمير » مثلاً . — CHIMERE

٦٦٢- جاءت : درابزين حجري . ونرى ان نقرر لها كلمة « تصوينة » المولّدة ، فهي دارجة ومعروفة في المشرق العربي ولعلها كذلك في المغرب العربي . — CLAUSTRA

٦٩٥- قالوا : هبوط ، سقوط ، قلنا : الخسف هنا أقرب الى المراد . — AFFAISSEMENT

٧٣٦- كرروا استعمال كلمة : كابولي ولم أجدها في اي مرجع الا الكابول : حبالة الصائد ، ونرى للكلمة هنا : دعامة حلزونية . اما كلمة CONSOLE الانكليزية هنا فهي بالفرنسية تعني حاملة . — AILERON

٨١٦- وردت : حلية صورتها الجانبية موجيّة . ونفضل لها : زخرف مموّج . — CIMAISE

٨٢٥- وردت : رمحيّ الشكل ، وهو زخرف سهمي الشكل فله : زخرف سهمي . — DARD

٩٠٧ـ جاءت : ثنائية العمود . ويخشى DISTYLE
هنـا الالتبـاس فمعنى الكلمـة ذو العمودين ، اي
البناء او المعبد لهما في الجبهة عمودان .

٩٥٣ـ قالوا : كاهن (عند قدماء الانكليز) ، DRUIDE
ونرى اضـافـة وعنـد الغـاليين والارلنـديين
وتعريب الكلمة : درويد .

٩٥٧ـ قالوا : سكن الكهف ، والصواب : ساكن TROGLODYTE
الكهوف .

٩٦٣ـ قالوا : سدّ ترابي ، ومقترحنا : سطح ، TERRASSE
رصيف .

٩٧٣ـ قالوا : وجه ملكي على العملة ، EFFIGIE
وليس من الضرورة ان تـدل على وجـه ملكي
فهي صورة شخص تكون غـالبـاً على العملـة
والأوسمة والمداليات . فالأوْلَى : صورة .....

٩٩٢ـ قالوا : مزغل ، ونرى انها EMBRASURE
الكوّة والفرجة .

١٠٦٩ـ عرّفوها بانها جرّة ذات وجه بشري ، URNE À FACE HUMAINE
والجرة الجوفاء لحفظ رماد الموتى . والجرّة كما
هـو معروف انـاء لـه بطن كبير وعروتـان
والأصح هنـا استعمال كلمـة : مرمـدة ، ولهـا
أيضاً : قارورة وإجّانة .

١٠٧٥ـ قالوا : سيف قصير معقوف . FALICHON
قلنا : لها كلمة « مِشْمل » وهو سيف صغير .

١٠٩٠- عرّفوها بمثوى قديس . CHÂSSE
والأفضل ان نقول « مذخّر » لأنها تـدل على علبة الذخائر المقدسة ، وفيها رماد أو بقـايـا القديس .

١٠٩٩- جاءت : تمثال صغير . ونرى FIGURINE
وضع المصطلح ثم الشرح وهذه تـدل فعلاً على تمثال صغير فهي الدمية .

١١٤٧- قالوا : المدماك الأول السفلي EMPATTEMENT
قلنا : هي « الرِّهْصُ » ، وهو من الحائط أول صف منه .

١١٦٦- وردت على انها نافورة . FONTAINE
وهي السبيل والمنهل والينبوع والعين الـخ ..
وكلها لها والنافورة درجت لـ JET D'EAU

١١٧٦- ذكروا انها نقش شبكيّ ، ويضاف FRETTE
لها معنى آخر : طوق حديدي ، حزام .

١١٨٥- جاءت على انها القوصرة . وهذه FRONTON
لغة وعاء من قصب ، والكلمة تدل على جبهة البناء أو ناصيتـه ، وتكون على اشكال مثلثـة ومنحنية ومنكسرة . ورأينا لها : جبهة البناء وناصيته .

١١٩٤- قالوا : حلية مدورة ، GODRON, CANNEAU
وهي ليست كـذلـك ، وانمـا هي نـوع من الزخـارف ليست مـدورة تخصيصـاً والأفضـل

لها : زخرف مفصص وجمعها مفصصات .

١٢٠٢ـ قالوا : عقيق يشبه الياقوت . GRENAT
قلنـا : هو البنفش ، والبجـاديّ ، وهـو حجم كريم رمانيّ اللون .

١٢١٠ـ حقيقي كما ذكروا . نفضل لها AUTHENTIQUE
أصلي وأصيل .

١٢٣٥ـ قالوا : تزجيج . GLAÇURE, VITRIFICATION
والأفضل الفصل ، فـالأولى : تمويـه بـالمينـا ، والثانية : تزجيج .

١٢٤١ـ قالوا : ميل المزوّلة . انها المزولة بدون ميل GNOMON

١٢٤٤ـ وهي التجويف في النحت ، وليست طوق العمود . GORGE
وليست طوق العمود .

١٢٥٢ـ قالوا تحبب . والأفضل : حبحبة . GRANULATION

١٢٦١ـ ذكروا انها مصبّعات ، وهي في واقعها GRILLAGE
شبكـة من شريـط أو نحـوه على النـوافـذ وغيرها ، ولها بـالعـاميـة الـدارجـة في المشرق « شعرية » . امـا حـالـة وضع هـذا الشـريـط فهي تشبيك .

١٢٦٢ـ ليست مرحاة . وانما حجر الرحى والطاحون ايضاً . MEULE

١٢٦٦ـ قالوا : غريب الشكل (زخرف) . MARMOUSET
قلنا لعل تثبيت مسخ أو مسيخ أوفق مع الشرح .

١٢٨٩ـ قالوا : قيثار . وكان العرب في الاندلس HARPE
يطلقون عليها اسم سنطور وسنطير .

١٣١٢- يضاف الى تعريفها : الكتابة الهيراطية ، HIRATIQUE
معناها الآخر الأهم وهو كهنوتي ، مقدس .

١٣٣٦- ذكروا انها وقاء ، غطاء الرأس . TABLIER
والكلمة الفرنسية تدل على سطح أو سطيح الجسر وعلى صدار يتخذ للوقاية من الوسخ . والأصح لها : سطيح الجسر وصدار .

١٣٤٣- قالوا : تفاوت في اللون والواقع انها فروق NUANCE
بسيطة في اللون ولها كلمة « شية » وهي كل لون يخالف معظم لون الشيء وجمعها شيات .

١٣٥٠- قالوا : بهو أعمدة (مسقوف) ، والأصح بهو معمّد . HYPOSTYLE

١٣٩٦- تفاريج (المسافة بين عمودين) ENTRECOLONNEMENT
وردت بالجمع وهي تفرجة للمفرد .

١٤١٤- قالوا انه اليشب والصحيح « اليشم » JADE
وهو حجر كريم ابيض ضارب الى الخضرة أما اليشب فهو JASPE .

١٤٢١- هو اليشب لا اليشم وهو نوع من الحجر الخلقيدوني JASPE
تكثر فيه الحمرة .

١٤٢٥- قالوا : كهرمان اسود والواقع انه « السَبَج » ، JAIS
وهو مادة قيرية صلبة لامعة قابلة للالتهاب .

١٤٣٠- قالوا : ربط جانبي (للسطوح) ولم اجد AFFRONTE'E

لها هذا المعنى وانما هي تقابل ، تجابه ، تناظر .

١٤٣٢ـ ذكروا انها تعشيق : وهي ربط ووصل وتركيب اما التعشيق فلها EMBREVEMENT . ASSEMRLAGE

١٤٣٣ـ جعلوها رافدة ، وهي خشبة معترضة في في هيكل البناء فلها عارضة . اما الرافعة فهي POUTRELLE . SOLIVE

١٤٥١ـ قالوا : مفتاح العقد ، وهي « الغلق » حجر يجعل في وسط العقد او القبة . CLE' DE VOÛTE

١٤٥٦ـ يضاف اليها معنى آخر : مِنقاش POINÇON

١٥١٨ـ جاءت : رمح ثلاثي الرأس ، وهي مذراة ثلاثية أو شوكة ثلاثية وليست رمحاً وهي رمز نبتون إله البحر . TRIDENT

للبحث صلة

قضية إعجاز القرآن

عند الجاحظ

الدكتور وليد قصاب

ولدت علوم العربية حول القرآن الكريم ؛ فقد كان نزوله - معجزة عقليةً خالدة على محمد صلى الله عليه وسلم - مبعث نهضة فكرية لم يعرف العرب مثيلاً لها . وكأنما كان هذا الكتاب العظيم الجذوة التي أوقدت في النفوس روح البحث والتأمل ، وخفرتها الى النظر والتأليف . فبدأت توضع العلوم ، وتتقعّد القواعد ، خدمةً للقرآن الكريم ، وإمعاناً في تفهّمه ، ومعرفة أحكامه ، ورغبةً في استكناه أسراره ودقائقه . ثمّ راحت شُعَب البحث تضرب في كلّ اتجاه ، وتتسرب إلى كل غاية . يقول ابن خلدون - وقد ذكر أن علم البيان حادث في الملّة بعد علم العربية واللغة ! « واعلم أن ثمرة هذا الفنّ إنما هي في فهم الإعجاز من القرآن ؛ لأن إعجازه في وفاء الدّلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال[1] .. »

وكان من أبرز ماتجهت إليه عناية المسلمين من شأن القرآن البحث في روعة بيانه ، وسحر بلاغته ونظمه ، بعد أن وقع عليهم التحدي ، وأقرّوا بهذه العظمة ، وهو ماعُرف بإعجاز القرآن . وكان المتكلمون - وعلى رأسهم المعتزلة - من أبرز الطوائف التي بحثت في قضية الإعجاز ؛ فقد أخذت هذه الطائفة على نفسها مهمّة الدفاع عن الإسلام ، والردّ على خصومه ومعارضيه ، وكانت هذه المهمة تقتضي منهم أن يعرفوا كتاب

---

(١) مقدمة ابن خلدون : ٧٦٢

الله - الذي هو مادة هذه العقيدة - معرفة عميقة ، ليردّوا عنه شُبَه الخصوم من ناحية ، وليُظهروا مافيه من وجوه التفوّق والرفعة التي جعلته معجزاً خارجاً عن طَوْق البشر من جهة أخرى . وكان الجاحظ المعتزليّ واحداً من هؤلاء ، ومن أبرزهم ، وأسبقهم إلى الكلام المنظم في مسائل القرآن الكريم وبلاغته وإعجازه ، وقد ترك عدداً من الكتب في هذا المجال . منها كتاب (نظم القرآن) وكتاب (آي القرآن) وكتاب (خلْق القرآن) وكتاب (المسائل في القرآن) ولكنّ هذه الكتب جميعها - باستثناء قطعة من كتاب (خَلْق القرآن) نُشرت ضمن رسائل الجاحظ - مفقودة للأسف الشديد ، ولانكاد نعرف عنها شيئاً ، ولو وصلتنا - أو بعض منها على الأقل - لتوقّعنا من أبي عثمان حديثاً ذا شأن في هذه القضية المهمة .

ولكن الجاحظ قد ترك لنا في تضاعيف مؤلفاته التي وصلتنا - طريقته في الاستطراد - عدداً لابأس به من الآراء والنظرات التي تتصل بقضية إعجاز القرآن ، وقد حاولنا لملمة شمل هذا الشتات المبعثر من آراء الجاحظ ودراسته وتقويمه للخروج بفكرة عن تصوّره للإعجاز .

القرآن حجّة للرسول : أعلن الجاحظ أن القرآن الكريم حجّة من حجج النبوة ، وهو إحدى معجزات محمد عليه السلام ، وهو معجزة بلاغية عقلية ، وهو المعجزة الرئيسية الكبرى التي وقع بها التحدي ، وإنما كان على هذه الصفة بالذات لأنّ سنة الله في الكون قد جرت أن تكون معجزات أنبيائه - وهي في العادة أمور تخالف السُّنن الكونية ، وتشذ عن النواميس الطبيعية - أموراً من جنس ماالستحكم في زمانهم ، وغلب على خاصتهم ، حتى يكون ذلك أعمق في الحجة ، وأبلغ في الدليل ، وأبعد عن أن يتخذ المبطلون منه سبيلاً إلى اختداع الضعفاء . كانت معجزة موسى -

عليه السلام ـ إبطال السحر ؛ لأنـه « كان أعجبُ الأمور عنـد قوم فرعون السحرَ ، ولم يكن أصحابه قطّ في زمان أشدّ استحكاماً فيـه منهم في زمانه ... وكـذلـك زمن عيسى ـ عليـه السلام ـ كان الأغلبُ على أهلـه ، وعلى خاصـة علمـائـه الطبّ ، وكانت عوامُّهم تعظِّم على ذلـك خواصَّهم ، فأرسله الله ـ عزّ وجلّ ـ بإحيـاء الموتى ؛ إذ كانت غـايتهم علاجَ المرضى ، وأبرأ لهم الأكمه إذ كانت غـايتهم علاجَ الرمـد[٢]..». وكانت معجزة محمد ـ عليـه السلام ـ في ميـدان البلاغـة والبيـان ؛ وذلـك في دهر « كان أغلبُ الأمور عليهم ، وأحسنُها عنـدهم ، وأجلُّهـا في صـدروهم ، حسنَ البيـان ، ونظمَ ضروب الكـلام ، مـع علمهم لـه ، وانفرادهم بـه ، فحين استحكمت لفهمهم ، وشاعت البلاغة فيهم ، وكثر شعراؤهم ، وفاق الناسَ خطباؤهم ؛ بعثة الله ، عزّ وجلّ ، فتحداهم بمـا كانوا لايشكّون أنهم يقـدرون على أكثر منه[٣] .. »

وقد راح محمد ـ عليـه السلام ـ يتحـدّاهم بـه منـذ أول لحظـة ، ثمّ أن يـأتوا بسورة واحـدة من مثلـه ، وراح يقـول لقريش خـاصّـة ، وللعرب عـامّـة « مـع مـافيهما من الشعراء والخطبـاء والبلغـاء والـدُّهـاة والحُكَماء ، وأصحاب الرأي والمكيدة ، والتّجارب والنظر في العاقبـة : إن عـارضتموني بسورة واحدة فقد كـذبتُ في دعوايَ ، وصـدقتم في تكـذيبي[٤] » ولم يكن القوم الـذين ينـازلهم محمد ـ عليـه السلام ـ قومـاً عـاديين ، إنهم شكِسون خصِمون ، لايسكتون على ضيم ، ولا ينـامـون على مَـوْجِـدَة ، وقـد هبّـوا ينـازعـونـه من كل سبيـل « هَجَـوْه من كلّ جـانب ، وهـاجَى أصحـابَـه

(٢) حجج النبوة ، ضمن رسائل الجاحظ : ٣ / ٢٧٩
(٣) المصدر السابق وصفحته
(٤) المصدر السابق : ٣ / ٢٧٣

شعراءهم ، ونازعوا خطباءهم ، وحاجُّوه في المواقف ، وخاصموه في المواسم ، وبادَوْه العداوة ، وناصبوه الحرب ، فقتل منهم ، وقتلوا منه[٥] » ولكنهم - على ذلك كلّه - لم يعارضوا القرآن ، ولم يتكلّف ذلك خطيب ولا شاعر ، مع أن ذلك أهون من الحرب والقتال والإخراج من الديار . لجؤوا إلى الأشقّ العسير ، وسكتوا عما هو من بضاعتهم ، سكتوا عن المعارضة ، والكلامُ صنعتهم « وهو سيد عملهم ، فقد فاض بيانهم ، وجاشت به صدورهم ، وغلبتهم قوّتُهم عليه عند أنفسهم ، حتى قالوا في الحيات والعقارب ، والذباب والكلاب ... وكلّ مادبٍّ ودَرَج ، ولاح لعين ، وخطر على قلب ، ولهم بعدُ أصنافُ النظم ، وضروب التأليف ، كالقصيد ، والرجز ، والمزدوج ، والمجانَس ، والأسجاع ، والمنثور[٦] .. »

ماالسر في سكوت العرب عن المعارضة وقد صكّ التحدي أسماعهم بإلحاح وشدة ؟ إن هذا أمر قد شغل بال الجاحظ كثيراً ، وسيشغل بال كثيرين بعد ذلك . وما كان يمكن الجاحظ المعتزليّ الجدِل أن يتجاوزه ، مع أن التاريخ يحدّثنا - كما أشار الجاحظ نفسه إلى ذلك - أنه قد جرت بعض المعارضات[٧] ، وأن العرب لم يسكتوا سكوتاً مطلقاً . ولكنْ لعل أبا عثمان كان يحسّ أنها لم تبلغ حجم التحدي ، ولم تبذل العرب فيها مابذلته في الأشقّ الأصعب ، وهو الحرب والقتال ، ولذلك راح يلتمس للأمر مسوّغاً ، وقد وقع على احتمالين اطمأن إليهما . أحدهما أن يكون القوم قد أدركوا ميزة القرآن البلاغية ، وعظمة نظمه وتأليفه ، وأنه لاقِبَل لهم به وإن جهِدُوا ، فأدركوا عجزهم « وأن مثل ذلك لايتهيّأ لهم ،

---

(٥) المصدر السابق : ٣ / ٢٧٤

(٦) المصدر السابق : ٣ / ٢٧٣

(٧) انظر الإتقان : ٤ / ١١، وإعجاز القرآن : ٣٢ بعض من حاولوا المعارضة

فرأوا أن الإضراب عن ذكره ، والتغافل عنه في هذا الباب ، وإن قرّعهم به أمثلُ لهم في التدبير ، وأجدر ألا يتكشّف أمرهم للجاهل والضعيف ، وأجدر أن يجدوا إلى الدعوى سبيلاً[٨] » فيزعموا أنهم كانوا قادرين ـ لو شاؤوا ـ على أن يأتوا بمثله ، وهو ماحكاه تعالى عنهم بقوله : « وإذا تُتلى عليهم آياتُنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا) [الأنفال : ٣١] ، والاحتمال الثاني أن يُطبقوا على ترك معارضته وهم يقدرون عليها ، وهو أمر مرفوض لمن كان لديه أدنى مسكة من عقل ؛ « لأنه لايجوز على العدد الكثير من العقلاء والدُّهاة والحُكماء ـ مع اختلاف عِللهم ، وبُعْد هِممهم ، وشدة عداوتهم ـ الإطباقَ على بذل الكثير ، وصون اليسير[٩] » أي اللجوء إلى الحرب والقتال ، وترك المعارضة والمضاهاة وهما مما يحسنون . وإذن فلم يبقَ إلا الاحتمال الأول ، وهو أن القوم قد أدركوا علوّ كعب القرآن الكريم في البلاغة والنظم ، وأحسوا بعجزهم التام عن الإتيان بمثله ، أو بسورة واحدة من مثله ، فسكتوا إيثاراً للسلامة ، وحتى لاينكشف أمرهم أمام الناس .

الجاحظ والصرفة : ولقد كان يمكن الجاحظ أن يتوقّف عند هذا الحدّ ، وألا يتورّط بعد ذلك في حديث زائف عن فكرة ظاهرة الفساد ، وهي (فكرة الصرفة) مهما كان اتجاه حديثه عنها ، ولكن روح الجدل التي طبعت المعتزلة عامة والجاحظ خاصة ، حملته على ضرب من التفلسف الفكريّ إن صحّ التعبير ، فأحسّ ـ أو وَقَرَ في نفسه أن أحداً قد يحسّ ـ أن التعليل السابق لسكوت القوم عن المعارضة لايكفي وحده لتسويغ هذا الأمر المهم ؛ فقد يكون الأدنى إلى التصور أن تكون لأهل

---

(٨) حجج النبوة : ٣ / ٢٧٥

(٩) حجج النبوة ٣ / ٢٧٦

الفصاحة والبيان محاولات جادة في مضاهـاة القرآن الكريم ، وأن يحـاولوا أن يماروا فيها بعد ذلك ، ويـدّعوا ـ إفكاً ـ أن لهـا ميزة وفضلاً ، وهـذا ـ فيا نقدّر ـ فضلاً على تأثر الجـاحـظ بـأستـاذه النظّـام الـذي كان أول من تَحـدّث عن الصرفـة ، هو الـذي حملـه على أن يتبنّى هو الآخر الحـديث عنها ، وأن يجد فيها مَفْزِعاً يعينه على حلّ المعضلة السابقة

على أن الفرق بعيد بين مفهوم الصرفـة عنـد النظـام ومفهومهـا عنـد تلميـذه الجـاحـظ ، فقـد زعم النظـام « أنـه ليس في نظم القرآن وتـأليفـه إعجاز ، وأنه يمكن معارضته ، وإنما صُرفوا عنـه ضربـاً من الصرف[١٠] » . فـالإعجـاز في الصرفـة « أي أن الله صرف العرب عن معـارضتـه ، وسلب عقـولهم ، وكان مقـدوراً لهم ، لكنْ عـاقهم أمر خـارجي ، فصـار كسـائر المعجـزات[١١] » وعنـده أن الحجـة في القرآن مـافيـه من الإخبـار عن الغيوب[١٢] .. وهو رأي فاسد واضح التهـافت لم يشـايع النظـامَ عليـه إلا طائفة من المعتزلة كعباد بن سليمان ، وهشام الفُوَطي[٦] . وكان الجاحـظ أوّل من نقضه ، وبيّن فساده ، وكان أحد الأسبـاب التي حملتـه على وضع كتابـه (نظم القرآن) كما سنوضح بعـد قليل ، ولكن الجـاحـظ لم يستطع أن ينجو من تـأثير فكرة الصرفـة الزائفـة هـذه ، ولعلـه وجـد فيهـا ـ كما ذكرنا ـ حلاً لمعضلة سكوت القوم عن معارضة القرآن ، فإذا كانت صرفـة النظام ترى أن العرب كانوا قادرين على الإتيان بمثلـه لولا أن صُرفوا عن ذلك بأمر خارجيّ ، فـإن صرفـة الجـاحـظ ترى أن القرآن الكريم في قمة لا يبلغهـا أحـد ، وهـو معجـز من نـاحيـة نظمـه وتـأليفـه ، وهـو حجـة

(١٠) إعجاز القرآن : ٦٥

(١١) الإتقان : ٤ / ٧

(١٢) فضل الاعتزال : ٧٠

[(٦) كان أبو محمد بن حزم، وهو ظاهري المذهب، من القائلين بالصرفة / المجلة] .

للرسول - ﷺ - من هذه الناحية ، وإنما سكت العرب عن معارضته عجزاً ، وإذا كان العجز وحده لايكفي مسوّغاً للسكوت المطلق فإن ذلك يحمله على أن يرى أن الله قد صرفهم عن هذه السبيل ، وذلك لمصلحتهم . فالصرفة عنده ضرب من التدبير الإلهي ، والعناية الربانية ، جاءت لخير المسلمين ، ولدفع الشُّبه والشكوك التي يمكن أن تنتشر بينهم من جراء معارضة لاقِبَل لهم بها ، إذ لايعدم الأمر أناساً جهالاً ، أو متشككين معاندين ، أو ضعفاء العقول أغراراً ، تنطلي عليهم بعض مزاعم أهل الزيف والضلال ، فيُلقون في أوهامهم أنهم قد عارضوا القرآن ، أو جاؤوا بسورة من مثله ، فتنتشر البلبلة والرِّيَب في النفوس المريضة .

تلك هي الصرفة وغايتها عند الجاحظ . يقول : « ومثل ذلك مارَفَع من أوهام العرب ، وصرف نفوسَهم عن المعارضة للقرآن ، بعد أن تحدّاهم الرسولُ بنظمه ، ولذلك لم نجد أحداً طمع فيه ، ولو طمع فيه لتكلّفه ، ولو تكلّف بعضُهم ذلك فجاء بأمر فيه أدنى شبهة لعظُمت القضية على الأعراب وأشباه الأعراب ، والنساء وأشباه النساء ، ولألْقَى ذلك للمسلمين عملاً ، ولطلبوا المحاكمة والتراضي ببعض العرب ، ولكثُر القيل والقال[١٣] » ويذكر هذا المفهوم للصرفة في موضع آخر من الحيوان فيقول : « وذكرنا من صَرْفِ أوهام العرب عن محاولة معارضة القرآن ، ولم يأتوا به مضطرباً ، ولا مُلفَّقاً ، ولا مستكرَهاً ، إذ كان في ذلك لأهل الشغب متعلق[١٤] »

ويستشهد الجاحظ لرأيه هذا بما أحدثه مسيلمة حين عارض بعض آيات القرآن الكريم من تشكيك في نفوس الجهلة ، فيقول : « فقد رأيتَ

(١٣) الحيوان : ٤ / ٨٩

(١٤) الحيوان : ٦ / ٢٦٩

مسيلمة وأصحاب ابن النوّاحة إنما تعلّقوا بما ألّف لهم مسيلمة من ذلك الكلام الذي يعلم كلّ من سمعه أنه إنما عدا على القرآن فسلبه ، وأخذ بعضه ، وتعاطى أن يقارِنه ، فكان لله ذلك التدبير الذي لايبلغه العباد ولو اجتمعوا له(١٥) »

ومن الواضح أن كلام الجاحظ لايخلو من تناقض واضطراب ، فها هو ذا يعترف أن بعض العرب قد حاول معارضة القرآن ، وفي هذا دليل على زيف فكرة الصرفة ، ومهما يكن من أمر فإن فكرة الصرفة على هذا النحو الذي رآه أبو عثمان لاتنفي مايتميّز به القرآن من عظمة الأسلوب ، وروعة النظم والتأليف ، ولا تنفي أنه معجز لايستطيع أحد - مهما أوتي من علم - أن يأتي بسورة من مثله ، فهي ليست بديلاً لهذا الإعجاز البياني ، ولا مناقضة له ، وإنما هي إعجاز آخر ، وإن كان المعجز عندئذ هو المنع أو المانع ، وقد يكون هذا سبباً في أن بعض من تحدث في قضية إعجاز القرآن قد جعل الصرفة واحداً من عناصر هذا الإعجاز(١٦) .

القرآن معجزة بيانية : أكّد الجاحظ ، أكثر من مرة ، وفي غير ما موضع ، أن القرآن الكريم قمّة سامقة في البيان ، وبهذا الجانب دون غيره وقع التحدي ، فالقرآن معجزة عقلية بلاغية وفي هذا إشعارٌ بفضل البيان ، وخطر الفصاحة ، يقول الجاحظ : « ولفضل الفصاحة ، وحُسن البيان ، بعث الله تعالى أفضل أنبيائه وأكرم رسله من العرب ، وجعل لسانه عربياً ، وأنزل عليه قرآنه عربياً ، كما قال الله تعالى : ﴿ بلسان عربي مبين ﴾ فلم يَخَصَّ اللسانَ بالبيان ، ولم يُحمد بالبرهان إلا عند وجود الفضل في الكلام ، وحسن العبارة عند المنطق ، وحلاوةِ اللفظ

(١٥) الحيوان : ٤ / ٨٩

(١٦) انظر بعض الآراء حول ذلك في الإتقان : ٤ / ١٣

عند السمع[١٧] .. »

ومن أجل ذلك كانت معرفة إعجاز القرآن ، وإدراك سرّ عظمته وتفوّقه ، وتميّزه من ألوان القول الأخرى جميعها لاتتأتّى إلا لمن كان خبيراً بفنّ الكلام ، مميّزاً حسنه من رديئه . إن الحكم في إعجاز القرآن هم أهل الخبرة ، أصحاب الفصاحة والبلاغة « فليس يعرف فروق النظم ، واختلاف البحث والنثر إلا من عرف القصيد من الرَّجز ، والمخمَّس من الأسجاع ، والمزدَوِج من المنثور ، والخطب من الرسائل ... فإذا عرف صنوف التأليف عرف مباينة نظم القرآن لسائر الكلام ، ثم لا يكتفي بذلك حتى يعرف عجزه وعجزَ أمثاله عن مثله ، وأنّ حكم البشر حكمٌ واحد في العجز الطبيعيّ ، وإنْ تفاوتوا في العجز العارض[١٨] .. » .

والقرآنُ جارٍ على أسلوب العرب وبلغتهم ، وعلى طرائقهم في الأداء والتعبير ، ومن ثَمّ كانت معرفة هذه الطرائق ، والتضلع منها أمراً لا مندوحة عنه لمن يريد أن يعرف إعجاز القرآن ، أو يتصدّى للبحث عن أسراره ودقائقه ، أو يأخذ على عاتقه مهمة تأويله وتفسيره . يقول الجاحظ : « فللعرب أمثالٌ واشتقاقات وأبنية وموضعُ كلام يدلّ عندهم على معانيهم وإرادتهم ، ولتلك الألفاظ مواضعُ أُخَر ، ولها حينئذٍ دَلالات أُخر ، فمن لم يعرفها جهِل تأويل الكتاب والسُّنّة[١٩] .. » .

والجاحظ بعد ذلك يرى أن أقلّ مايُعْجَز عنه من القرآن الكريم السورةُ الواحدة ـ قصيرةً كانت أم طويلة ـ أو ماكان في مقدارها ، مصداقاً لقوله تعالى فى التحدي : ﴿ وإن كنتُم في ريبٍ ممّا نزّلنا على

---

(١٧) تفضيل النطق على الصمت، ضمن الرسائل : ٤ / ٢٣٧

(١٨) مقالة العثمانية، الرسائل : ٤ / ٣١

(١٩) الحيوان ١ / ١٥٣ ـ ١٥٤

عبدنا فأتُوا بسورةٍ من مثله ﴾ [البقرة ، ٢٣] وقوله : ﴿ قل فأتُوا بسورةٍ مثلِه وادعوا من استطعتم من دون الله ﴾ [يونس ، ٣٨] ولم يقع التحدي في الحرف والحرفين ، والكلمة والكلمتين ؛ لأن هذا في طوق البشر ، وهو جارٍ في طبائعهم ، وإنما العبرة بتشكيل الكلام لتأليف سورة واحدة تضاهي سور القرآن ، وهو مايعجز عنه البشر ، مهما أُوتوا من ضروب الفصاحة والبيان . يقول الجاحظ في كتابه حجج النبوة : « لأن رجلاً من العرب لو قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة - طويلةً أو قصيرةً - لتبيّن له في نظامها ومَخرجها ، وفي لفظها وطبعها ، أنه عاجز عن مثلها . ولو تحدّى بها أبلغَ العرب لظهر عجزه عنها . وليس ذلك في الحرف والحرفين ، والكلمة والكلمتين . ألا ترى أن الناس قد كان يتهيأ في طبائعهم ، ويجري على ألسنتهم أن يقول رجل منهم : الحمد لله ، وإنّا لله ، وعلى الله توكّلنا ، وربُّنا الله ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وهذا كلُّه في القرآن ، غير أنه متفرّق غير مجتمع ، ولو أراد أنطقَ الناس أن يؤلّف من هذا الضرب سورة واحدة - طويلة أو قصيرة - على نظم القرآن وطبعه ، وتأليفه ومخرجه لما قَدَر عليه ، ولو استعان بجميع قحطان ومَعدّ بن عدنان[٢٠] » .

إعجاز القرآن في نظمه : والعبارة السابقة التي نقلناها من كتاب حجج النبوة تضع أيدينا على سرّ إعجاز القرآن الكريم كما يراه الجاحظ ، إنه النظم العجيب ، والتأليف الخاص على نسق معين لايتأتى لأحد من الناس ، فالقرآن يستعمل لغة العرب وألفاظهم ، وقد يستعمل عبارات يتداولونها ، ولكنه يصوغها صياغة معجزة متميّزة ، وينظمها في سياق من التأليف نظماً لايقدر على سورة من مثله أحد . والجاحظ - فيما

(٢٠) حجج القرآن، الرسائل : ٣ / ٢٢٩

نظن ـ أول من أشار إلى أن إعجاز القرآن في نظمه ، وأول من استعمل هذا المصطلح الذي سيشيع بعد ذلك ، وسيقلده فيه كثيرون . وقد ردّد الجاحظ أكثر من مرة أن سر الإعجاز هو النظم والتأليف ، ويبدو أن هاتين الكلمتين كانتا مترادفتين عنده ، يقول : « .... وأنه تحدّى البلغاء والخطباء والشعراء بنظمه وتأليفه في المواضع الكثيرة ، والمحافل العظيمة ، فلم يَرُمْ ذلك أحد ولا تكلّفه ، ولا أتى ببعضه ، ولا شبيهٍ منه ، ولا ادّعى أنه قد فعل(٢١) .. » .

وقال في الحيوان : « وفي كتابنا المُنْزَل الذي يدلُّنا على أنه صدقٌ نظمه البديع الذي لايقدر على مثله العباد ، مع ماسوى ذلك من الدلائل التي جاء بها مَنْ جاء به(٢٢) ... » .

ولم يكتفِ الجاحظ بالحديث عن النظم هذا الحديث المقتضب في العبارة والعبارتين ، ولكنه وضع في ذلك كتاباً خاصاً سمّاه (نظم القرآن) ومما يؤسف له أن هذا الكتاب لم يصل إلينا ، وليست بين أيدينا نقول عنه ، أو وصف مستفيض له في أحد المصادر . يقول الباقلاني عنه هذه العبارة المقتضبة : « وقد صنّف الجاحظ في نظم القرآن كتاباً لم يزد فيه على ماقاله المتكلمون قبله ، ولم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى(٢٣) . » . ولا يُستبعد أن تكون العصبية المذهبية قد حملت الباقلاني على الحيف في حكمه على الكتاب ، إذ نجد في مقابل ذلك أبا الحسين الخياط المعتزلي يقول : « ولا يُعرف كتاب في الاحتجاج لنظم القرآن ، وعجيب تأليفه ، وأنه حجة لمحمد على نبوته غير كتاب

(٢١) المصدر السابق : ٣ / ٢٥١

(٢٢) الحيوان : ٤ / ٩٠

(٢٣) إعجاز القرآن : ٦

الجاحظ[٢٤] » . وقد وصف الجاحظ نفسه كتابه وصفاً مستفيضاً في فصل من صدر كتابه في خلق القرآن ، فقال مخاطباً من كتب إليه الكتاب : « وقلت : اكتب إليّ كتاباً تقصِد فيه إلى حاجات النفوس ، وإلى صلاح القلوب ، وإلى معتلِجات الشكوك ، وخواطر الشُّبهات ، دون الذي عليه أكثر المتكلّمين من التطويل ، ومن التعمُّق والتعقيد ، ومن تكلّف ما لا يجب ، وإضاعة ما يجب . وقلتَ : كن كالمعلّم الرفيق ، والمعالج الشفيق ، الذي يعرف الداء وسبَبه ، والدواء وموقعه ، ويصبر على طول العلاج ، ولا يسأم كثرة التّرداد . وقلت : اجعل تجارتك التي إياها تؤمّل ، وصناعتك التي إياها تعتمد ، إصلاحَ الفاسد ، وردَّ الشارد . وقلت : ولا بدّ من استجماع الأصول ، ومن استيفاء الفروع ، ومن حسم كلّ خاطر ، وقمع كلّ ناجم ، وصرف كلّ هاجس ، ودفع كلّ شاغل ، حتى تتمكّن من الحجّة ، وتتهنّأ بالنعمة ، وتجد رائحة الكفاية ، وتَثْلَج ببرد اليقين ، وتُفْضيَ إلى حقيقة الأمر ، إن كان لابد من عوارض العجز ، ولواحق التقصير ، فالبرّ لها أجل ، والضرر علينا في ذلك أيسر . وقلت : ابدأ بالأقرب فالأقرب ، وبكلّ ما كان آنقَ في السمع ، وأحلى في الصدر ، وبالباب الذي منه يؤتى الريِّض المتكلّف ، والجسور المتعجرف ، وبكلّ ما كان أكثر علماً ، وأنفذ كيداً . وسألتني بتنقيح الاستبداد ، والعجلة إلى الاعتقاد ، وصفة الأناة ومقدارها ، ومقدّمات العلوم ومنتهاها . وزعمتَ أن من اللفظ ما لا يُفهم معناه دون الإشارة ، ودون معرفة السبب والهيئة ، ودون إعادته وكرّه ، وتحريره واختياره . وقلت : فإن أنت لم تصوّر ذلك كلّه صورة تغني عن المشافهة ، وتكتفي بظاهرها عن المراسلة ، أحوجتنا إلى لقائك ، على بُعْد دارك ، وكثرة أشغالك ، وعلى

(٢٤) الانتصار : ١٥٥

ماتخاف من الضّيعة ، وفساد المعيشة .

فكتبتُ لك كتاباً أجهدتُ فيه نفسي ، وبلغتُ منه أقصى مايكن مثلي في الاحتجاج للقرآن ، والرّد على كل طعّان . فلم أدع فيه مسألة لرافضيّ ، ولا لحديثيّ ، ولا لحشْويّ ، ولا لكافر مُبادٍ ، ولا لمنافق مقموع ، ولا لأصحاب النّظّام ، ولمن نَجَمَ بعد النّظّام ، ممن يزعم أن القرآن خَلْق ، وليس تأليفُه بحجة ، وأنه تنزيل وليس ببرهان ولا دَلالة . فلما ظننتُ أني قد بلغت أقصى محبّتك ، وأتيتُ على معنى صفتك ، أتاني كتابك تذكر أنك لم تُرد الاحتجاج لنظم القرآن ، وإنما أردت الاحتجاج لخَلْق القرآن، وكانت مسألتك مبهمة، ولم أك أن أُحدث لك فيها تأليفاً، فكتبت لك أشقّ الكتابين وأثقلهما ، وأغمضهما معنى وأطولهما[٢٥] .. » .

هذا خير وصف لكتاب (نظم القرآن) وإنما نقلت هذا الكلام بطوله ؛ لأنه يعطينا فكرة لابأس بها عن طبيعة الكتاب ومنهجه وطريقته ؛ فهو في الاحتجاج لنظم القرآن ، وروعة تأليفه ، وتميّزه الذي جعل منه حجة لاتُدفع . وهو ـ في جانبه الآخر ـ دحض لشبهات الخصوم أهل الزيغ والضلال ، وردّ على شكوكهم وريبهم ، كالروافض والحشوية والكفار والمنافقين ، والنظّام صاحب الصرفة الزائفة ومن شايعه عليها . وقد توخّى الجاحظ فيه السهولة ، وحسن الإفهام ، وعرض المسائل من أقرب طريق دون تعقيد أو فلسفة أو غموض على طريقة بعض المتكلمين ، بحيث لايحتاج قارئه إلى سؤال أو استفسار ، مشفوعاً ذلك كله بالأدلة الدامغة ، والحجج القاطعة التي تبطل رأي الخصم ، وتنير له السبيل .

وللحديث عن الإعجاز القرآني عند الجاحظ وجهان متكاملان

(٢٥) من كتابه في خلق القرآن، ضمن رسائله : ٣ / ٢٨٥ ـ ٢٨٧

بطبيعة الحال ، يتم أحدهما الآخر . أولهما الحديث المباشر عن نظم القرآن وسموه ، ومرتبته في الرفعة والتميز ، والآخر التوقف عند ماأثاره الملاحدة والمتشككون من شبهات ومطاعن لدفعه وإبطاله ، وتوجيهه التوجيه الصحيح الذي يسقط زيف المدعين .

فأما الحديث المباشر عن نظم القرآن ، وروعة تأليفه وبلاغته فما تبقى لدينا من آراء الجاحظ المبعثرة في كتبه المتعددة نرى أنها تعالج المسائل التالية :

أ ـ اللفظ القرآنيّ : لاحظ الجاحظ وهو يتحدّث عن بعض أوجه النظم القرآني مايتمتع به اللفظ في كتاب الله من خصائص بلاغية ممتازة . وعلى رأس هذه الخصائص جميعاً دقة اختيار الألفاظ ، وحسن انتقائها ، وإيراد ماهو أحقّ بالمعنى ، وأجدر بالاستعمال ، فقد يشترك لفظان أو أكثر في التعبير عن معنى واحد ، ولكن أحدهما أدق من الآخر في الدلالة ، وأدخل في المعنى ، وأقدر على التعبير ، وكأن الجاحظ يشير إلى أن الكلمة المرادفة لأخرى لايمكن أن تقوم مقامها ، وذلك لوجود فروق دقيقة بينهما في المعنى ، وهي فروق تغيب عن العامة ، وكثير من الخاصة ، ولكن القرآن يلاحظها بدقة متناهية ، ويوقع كلاً منها في مكانه الملائم بحيث لايمكن أن يُستبدل بها غيرُها ، يقول في البيان والتبيين : « قد يستخفُّ الناس ألفاظاً ويستعملونها وغيرها أحقّ بذلك منها . ألا ترى أن الله ـ تبارك وتعالى ـ لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب ، أو في موضع الفقر المدقِع والعجز الظاهر . والناس لايذكرون السَّغَب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة . وكذلك ذكر المطر ؛ لأنك لاتجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام . والعامة وأكثر الخاصة لايفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث . ولفظ القرآن

الذي عليه نزل أنه إذا ذكر الأبصار لم يقل الأسماع ، وإذا ذكر سبع سماوات لم يقل الأرَضِين . ألا تراه لايجمع الأرض أرَضين ، ولا السمع أسماعاً . والجاري على أفواه العامة غير ذلك ، لايتفقّدون من الألفاظ ماهو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال . وقد زعم بعض القرّاء أنه لم يجد ذكر لفظ النكاح في القرآن إلا في موضع التزويج[٢٦] .. » وهكذا يشير الجاحظ إلى فكرة طريفة سوف يتوسع اللغويون في طرحها عند الحديث عن الترادف ، وهي أن مايُطلق عليه اسم المترادف من الألفاظ لايمكن أن تكون دلالته واحدة ، وإنما هنالك فروق دقيقة بينها لاتغيب عن النظم القرآني كما ذكرنا ، ولكنها قد تغيب كثيراً عن العامة « التي ربما استخفّتْ أقلّ اللغتين وأضعفها ، وتستعمل ماهو أقل في أصل اللغة استعمالاً وتدع ماهو أظهر وأكثر[٢٧] » .

وفي ألفاظ القرآن الكريم دقة وإيجاز ، فاللفظ القليل يجمع المعاني الكثيرة ، وهو غنيّ بالإيحاء ، يؤدي مالا تؤديه العبارات الطويلة . من ذلك مثلاً قوله تعالى : ﴿ قُلْ أُحِلّ لكمُ الطيّباتُ وما علّمْتُم من الجوارحِ مكلّبينَ ﴾ [المائدة : ٤] فانظر إلى الدقة والإيجاز في قوله : (مكلّبين) فقد « اشتقّ لكل صائد وجارح كاسب من بازٍ ، وصقرٍ ، وعُقاب ، وفهد ، وشاهينٍ ، وزرّقٍ ، ويؤيؤ ، وباشق ، وعَناق الأرض ، من اسم الكلب . وهذا يدل على أنه أعمُّها نفعاً ، وأبعدها صيتاً ، وأنبهها ذكراً[٢٨] .. »

ومن ذلك لفظ (طيبات) في قوله تعالى : ﴿ كُلُوا من طيباتِ مارَزَقْناكُمْ ﴾ وقوله : ﴿ لاتُحَرِّمُوا طيباتِ ماأحلّ اللهُ لكم ﴾ يقول :

---

(٢٦) البيان والتبيين : ١ / ٢٠

(٢٧) المصدر السابق وصفحته .

(٢٨) الحيوان : ٢ / ١٨٧ ـ ١٨٨

« وقوله تعالى (طيبات) تحتمل وجوهاً كثيرة ، يقولون : هذا ماء طيب ، يريدون العذوبة ... ويقولون : فم طيّب الريح ، وكذلك البُرّ ، يريدون أنه سليم من النَّتْن ... ويقولون : حلال طيّب ، وهذا لايحلّ لك ، ولا يطيب لك ، وقد طاب لك : أي حلّ لك ... قال طويسٌ المغني لبعض ولد عثمان بن عفان : لقد شهدت زِفاف أمك المباركة إلى أبيك الطيّب . يريد الطهارة ... وقد يخلو الرجل بالمرأة فيقول : وجدتها طيبة ، يريد طيبة الكَوْم لذيذة نفس الوطء . وإذا قالوا : فلان طيب الخُلُق ، فإنما يريدون الظَّرْف والمِلْح[٢٩] ... » وأورد الجاحظ معاني أخرى كثيرة تحملها لفظة (طيبات) مما يدل على حسن اختيار النظم القرآني لها ، لما تحمل من وفرة الدلالات .

وفي قوله تعالى يحكي قول بنت شعيب في موسى بن عمران : ﴿ ياأبتِ استأجِرْهُ إنّ خيرَ من استأجرتَ القويُّ الأمينُ ﴾ جمع جميع مايحتاج إليه في الكلمتين[٣٠] .

ولاحظ دقة الألفاظ القرآنية وإيجازها في قوله عزّ وجل : ﴿ والأرضَ بعد ذلك دَحَاهَا ، أخرجَ منها ماءَها ومرعَاها ﴾ ، « ... فجمع بقوله : ﴿ أخرج منها ماءها ومرعاها ﴾ النجم والشجر ، والمِلْحْ واليقطين ، والبقل والعشب . فذكر مايقوم على ساق وما يتفنَّن وما يتسطَّح ، وكل ذلك مرعى . ثم قال على النسق : ﴿ متاعاً لكم ولأنعامكم ﴾ فجمع بين الشجر والماء والكلأ والماعون كلّه ؛ لأن الملح لايكون إلا بالماء ، ولا تكون النار إلا من الشجر[٣١] .. » .

---

(٢٩) الحيوان : ٤ / ٥٧ ـ ٥٨

(٣٠) من كتاب الوكلاء، ضمن الرسائل : ٤ / ١٠١

(٣١) البيان والتبيين : ٣ / ٣٣

وتحدّث عن هذه الميزة أيضاً في قوله تعالى يصف خمر أهل الجنة : ﴿ لايُصَدَّعون عنها ولا يُنْزِفُون ﴾ فهاتان الكلمتان قد جمعتا جميع عيوب خمر أهل الدنيا[٣٢] ، وكأنه تبارك وتعالى قال : لاسُكر فيها ولا خُمار[٣٣] .

وقال تعالى يذكر فاكهة أهل الجنة : ﴿ لامقطوعةٍ ولا ممنوعةٍ ﴾ فجمع بهاتين الكلمتين جميع تلك المعاني[٣٤] .

ومن الواضح من هذه الأمثلة التي سقنا نماذج منها أنها جميعاً مما أطلق عليه البلاغيون بعد ذلك اسم (إيجاز القِصَر) وهو التعبير عن المعنى الكثير في اللفظ اليسير ، ويبدو أن الجاحظ قد وضع كتاباً جمع فيه آياً من القرآن الكريم اتسمت بالإيجاز ، وأراد أن يوضح الفرق بين إيجاز النظم القرآني والإيجاز الذي يرد في كلام البشر . يقول : « وقد ذكرنا أبياتاً تُضاف إلى الإيجاز وقلّة الفُضول . ولي كتابٌ جمعت فيه آياً من القرآن ؛ لتعرف بها فصل مابين الإيجاز والحذف ، وبين الزوائد والفُضول والاستعارات ، فإذا قرأتها رأيت فضلها في الإيجاز ، والجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة على الذي كتبته لك في باب الإيجاز وترك الفضول[٣٥] .. » . وما ندري على وجه التحديد أيّ كتاب هذا الذي يشير إليه الجاحظ ؟ أهو كتاب (نظم القرآن) نفسه ، أم هو كتاب آخر ؟

وإذا كان الإيجاز سمة بارزة في التعبير القرآني فإن هذا لايعني أنه يطّرد دائماً ، وذلك لأنه يرتبط بقاعدة مهمة وهي (مراعاة مقتضى الحال) وما يجب في كلّ مقام من مقال . إن اللجوء إلى الإيجاز أو غيره

(٣٢) الحيوان : ٣ / ٨٦

(٣٣) من كتابه في المعلمين، ضمن رسائله : ٣ / ٤٣

(٣٤) الحيوان : ٣ / ٨٦

(٣٥) الحيوان : ٣ / ٨٦

من أساليب القول تستدعيه حالة المخاطبين ، والمقام الذي يَنشأ فيه الكلام ، ولذلك يخرج النظم القرآني أحياناً إلى الإطناب ، ويخرج في أحيان أخرى إلى الإيجاز على حسب نوع المخاطب ، فقد لاحظ الجاحظ أن القرآن الكريم إذا اتجه بخطابه إلى العرب الفصحاء أوجز واقتضب لبلاغتهم وسرعة فهمهم ، وإذا اتّجه إلى اليهود أو حكى عنهم أطال وأسهب يقول : « ورأينا الله - تبارك وتعالى - إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مُخرج الإشارة والوحي والحذف ، وإذا خاطب بني إسرائيل ، أو حكى عنهم ، جعله مبسوطاً ، وزاد في الكلام[٣٦] .. » .

وأشار إلى ارتباط التعبير القرآني بمراعاة مقتضى الحال من حيث إيجازه وإطنابه عندما تحدّث عما ورد في القرآن الكريم من الترداد والتكرار في القصص فقال : « وجملة القول في الترداد أنه ليس فيه حدّ يُنْتَهَى إليه ، ولا يؤتى على وصفه ، وإنما ذلك على قدر المستمعين ، ومن يحضره من العوامّ والخواصّ . وقد رأينا الله عزّ وجلّ - ردّد ذكر قصة موسى وهود ، وهارون وشعيب ، وإبراهيمَ ولوطٍ ، وعاد وثمودَ . وكذلك ذكرَ الجنة والنار وأمور كثيرة ؛ لأنه خاطب جميع الأمم من العرب وأصناف العجم ، وأكثرهم غبيّ غافل ، أو معاندٌ مشغولُ الفكر ، ساهي القلب[٣٧] .. » .

ومن مزايا التعبير القرآني التي لاحظها الجاحظ أن الألفاظ يُراعى فيها عند التأليف أن يكون بينها نوع من التقارب والتجانس ، وأن توحّد بينها صلة ما ، فتبدو عندئذٍ مؤتلفة مؤتنسة ، لاتنافر بينها ولا تباعد ولا جفوة ، فبعض ألفاظ القرآن تأتي متصاحبة لاتكاد تفترق

---

(٣٦) الحيوان : ١ / ٩٤

(٣٧) البيان والتبيين : ١ / ١٠٥

« مثل الصلاة والزكاة ، والجوع والخوف ، والجنة والنار ، والرغبة والرهبة ، والمهاجرين والأنصار ، والجن والإنس[٣٨] » . وقد سمّى البلاغيون هذا فيما بعد باسم (مراعاة النظير)

ب ـ القرآن نظم متفرد : والقرآن أسلوب فريد في النظم ، ونمط متميّز من التأليف ، لم تعرفه العرب من قبل ، ولم يكن لها عهد بهذا الضرب من الكلام ، وهم أهل الفصاحة والبيان ، وفرسان البلاغة والقول ، فهو خارج على جنس ماعرفت من ضروب الشعر والنثر ، والخطب والأمثال . وقد أشار الجاحظ إلى هذا الضرب من وجوه النظم عندما رأى ناساً يرون مافي القرآن من إيقاع ووزن فيحسبون ذلك شعراً ، أو يرون التزامه في بعض المواطن برويّ واحد ، أو فاصلة متشابهة ، فيهيأ لهم أن بينه وبين السجع صلة ، قد نفى الجاحظ أن يكون القرآن على أي ضرب من ضروب الكلام التي عرفها العرب ، واصطلحوا عليها في كلامهم ، يقول : « ولابدّ من أن نذكر فيه أقسام تأليف جميع الكلام ، وكيف خالف القرآن جميع الكلام الموزون والمنثور ، وهو منثور غير مقفّى على مخارج الأشعار والأسجاع ، وكيف صار نظمه من أعظم البرهان ، وتأليفه من أكبر الحجج[٣٩] .. » .

ولكن في القرآن الكريم آيات جاءت على بعض أوزان الشعر المعروفة عند العرب ، وقد جعل هذا بعض الجهلة يحسبها شعراً ، ويأخذ في الطعن على القرآن زاعماً أنه شعر ، فينفي الجاحظ ذلك بشدة ، ويبيّن أن للشعر حدوداً معينة ، ومقداراً خاصاً ، فليس أيّ كلام اتفق له وزن خاص شعراً ؛ لأن الناس ـ في أثناء حديثهم العادي ـ قد يخرج شيء من

---

(٣٨) البيان والتبيين : ١ / ٢١

(٣٩) البيان والتبيين : ١ / ٣٨٣

كلامهم ـ دون اتفاق أو عمد ـ على وزن معين ، فهل يسمّى ذلك شعراً ؟ وهل يسمّى أصحابه شعراء ؟ أثار الجاحظ هذه القضية من خلال تعرض بعضهم لقوله تعالى : ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ طاعناً فيه ، زاعماً أنه شعر ، لأنه في تقدير (مستفعلن مفاعلن) فيقول الجاحظ عندئذٍ مبيّناً حدّ الشعر ، دافعاً أي صلة بينه وبين القرآن الكريم : « اعلم أنك لو اعترضت أحاديث الناس وخطبهم ورسائلهم لوجدت فيها مثل مستفعلن مستفعلن كثيراً ، ومستفعلن مفاعِلن ، وليس أحد في الأرض يجعل ذلك المقدار شعراً ، ولو أن رجلاً من الباعة صاح : من يشتري باذنجان ؟ لقد كان تكلم بكلام في وزن مستفعلن مفعولات . وكيف يكون هذا شعراً وصاحبُه لم يقصد إلى الشِّعر ؟ ومثلُ هذا المقدار من الوزن قد يتهيّأ في جميع الكلام ، وإذا جاء المقدار الذي يُعلم أنه من نتاج الشِّعر والمعرفة بالأوزان والقصد إليها كان ذلك شعراً[٤٠] .. »

وهكذا يعلن الجاحظ تفرّد القرآن بنظم معين لم تعرفه العرب ، وهو في هذا يذكرنا بقول الوليد بن المغيرة من قبل عندما استمع إلى القرآن ، وسألته قريش عنه فقال : « والله مافيكم رجلٌ أعلمُ بالشعر مني ، ولا برجزه ، ولا بقصيده ، ولا بأشعار الجن ، والله مايشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو ولا يُعلى عليه[٤١] » .

ولقد تبنّى الباقلاني بعد ذلك فكرة الجاحظ هذه ، وجعل تفرّد القرآن بنظم عجيب معين خالف فيه مألوف العرب في كلامهم أمراً رئيسياً في الإعجاز ، فقال : إن « نظم القرآن ـ على تصرف وجوهه ،

(٤٠) المصدر السابق : ١ / ٢٨٨ ـ ٢٨٩

(٤١) الإتقان : ٤ / ٥

وتباين مذاهبه - خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم ، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم ، وله أسلوب يختصّ به ، ويتميّز في تصرفه عن أساليب الكلام[٤٢] .. » ، ثم يستفيض الباقلاني في شرح الفكرة مستفيداً من ملاحظات الجاحظ العابرة ، كما التقط الباقلاني حديث الجاحظ عن حدّ الشعر ، وإشارته لمسألة الشعر في القرآن ، فتوسّع في ذلك ، وعقد فصلاً خاصاً (في نفي الشعر من القرآن[٤٣]) وكأن الأمر محتاج إلى دليل .

ج - الصور البلاغية في القرآن : عرض الجاحظ لكثير من الآيات القرآنية ، ولاسيا في كتاب الحيوان ، فبيّن ماشتملت عليه من ألوان البلاغة ، وشرح وجه الجمال فيها . وهو - وإن لم يفرّق بين ألوان البلاغة المختلفة ، ولم تتمايز ألوان البيان عنده من ألوان البديع أو المعاني كما سيفعل البلاغيون المتأخرون - كان متنبّهاً إلى الفروق الدقيقة الموجودة بينها ، وكان على إدراك تام بمدلول كلّ منها . كانت ألوان البلاغة تتداخل عنده ، وقد يطلق عليها جميعها بياناً ، أو بديعاً ، أو براعة ، أو فصاحة ، أو غير ذلك ، ولكنه - خارج نطاق المصطلحات التي لم تستقر على أيدي البلاغيين إلا في زمن متأخر - كان مدركاً لمضمون كلّ منها ، وما تعبّر عنه إدراكاً واضحاً متميّزاً .

عرض لبعض التشبيهات التي وقعت في آي الذكر الحكيم ، فأوضح المشبّه والمشبه به ، وكشف عن الصلة أو وجه الشبه بينهما ، وبيّن دلالته وجماله . توقف طويلاً عند قوله تعالى ﴿ إنها شجرةٌ تخرجُ في أصل الجحيمِ ● طلْعُها كأنّه رؤوسُ الشياطينِ ﴾ الذي طعن فيه بعض

---

(٤٢) إعجاز القرآن : ٣٥

(٤٣) المصدر السابق : ٥١

المتشككين بسبب خفاء المشبه به فيما يزعمون ؛ فإن الناس لم يروا شيطاناً قط ، ولم يشاهدوه ، حتى يُشَبَّه به . وقد ردّ أبو عبيدة على ذلك من قبل رداً لغوياً بأن ذكر أن هذا الاستعمال وارد في كلام العرب ، وهو من أساليبهم في التعبير ، وهو على نحو قول امرىء القيس :

ومسنونةٌ زُرْقٌ كأنياب أغوالِ

وكانت هذه الآية ، وما أثير حول التشبيه فيها سبباً في وضع أبي عبيدة لكتابه (مجاز القرآن) ولكن الجاحظ لم يعجبه هذا التفسير اللغوي ، وذهب يفصّل القول في وجه الشبه ، مبيّناً سر جماله ، فأوضح أنه منتزع من غير ماهو مدرك بالحسّ اعتماداً على ثبوته في الإدراك ، عن طرق العرف والعادة ، وتناقل الناس له ، فالشيطان عند الناس - وإن لم يروه - مرتبط بالقبح والاستهجان ، وعلى صورته في نفوسهم بُني التشبيه - يقول : « وليس أن الناس رأوا شيطاناً قطّ على صورة ، ولكن لما كان الله تعالى قد جعل في طباع جميع الأمم استقباحَ جميع صور الشياطين ، واستسماجه وكراهته ، وأجرى على ألسنة جميعهم ضربَ المثل في ذلك ؛ رجع بالإيحاش والتّنفير ، وبالإخافة والتفزيع ، إلى ماقد جعله الله في طباع الأوّلين والآخرين وعند جميع الأمم على خلاف طبائع جميع الأمم . وهذا التأويل أشبه من قول من زعم من المفسرين أن رؤوس الشياطين نبات ينبت باليمن[٤٤] .. » .

ولعل قول بعض المفسرين إن رؤوس الشياطين نبات ينبت باليمن نوع من محاولة رد الشبهة عن التشبيه ؛ لأن المشبه به عندئذٍ أمر مدرك معلوم ، ولكن الجاحظ يرفض ذلك . ولا يعتدّ به . وقد عرض لهذه الآية في موضع آخر من الحيوان ، ففصّل القول في دلالة التشبيه ،

(٤٤) الحيوان : ٤ / ٣٩ - ٤٠

وأوضح جوانب أخرى من جماله ، وكرّر مرة ثانية رفضه لتفسير أهل الظاهر ، وحملهم رؤوس الشياطين على غير محملها الحقيقي ، يقول : « ... فزعم ناس أن رؤوس الشياطين ثمر شجرةٍ تكون ببلاد اليمن ، لها منظر كريه . والمتكلمون لايعرفون هذا التفسير ، وقالوا : ماعنَى إلا رؤوس الشياطين المعروفين بهذا الاسم ، من فَسَقَة الجن ومَرَدَتهم . فقال أهل الطعن والخلاف : كيف يجوز أن يضرب المثل بشيء لم نره فنتوهَّمه ، ولا وُصفت لنا صورته في كتاب ناطق ، أو خبر صادق . ومخرجُ الكلام يدل على التخويف بتلك الصورة ، والتفزيع منها . وعلى أنه لو كان شيءٌ أبلغَ في الزجر من ذلك لذكره . فكيف يكون الشأن كذلك ، والناس لايفزعون إلا من شيء هائل شنيع ، قد عاينوه ، أو صوّره لهم واصف صدوقُ اللسان ، بليغٌ في الوصف ، ونحن لم نعاينها ، ولا صوّرها لنا صادق ... قلنا : وإن كنا نحن لم نر شيطاناً قط ، ولا صوّر رؤوسَها لنا صادق بيده ، ففي إجماعهم على ضرب المثل بقبح الشيطان ، حتى صاروا يضعون ذلك في مكانين : أحدهما أن يقولوا : لهو أقبحُ من الشيطان ، والوجه الآخر أن يُسمّى الجميل شيطاناً على جهة التطيُّر له ، كما تسمى الفرسُ الكريمة شوهاء ... ففي إجماع المسلمين والعرب وكلٌّ من لقيناه على ضرب المثل بقُبح الشيطان دليلٌ على أنه في الحقيقة أقبح من كلّ قبيح . والكتاب إنما نزل على هؤلاء الذين قد ثبت في طبائعهم بغاية التثبيت[٤٥] » وهكذا يصرّ الجاحظ على رفض المدلولات المادية للتشبيه على نحو ماأراده أهل الظاهر ، لأنها لاتثير في الخيال ماتثيره كلمة (الشيطان) من الخوف والرعب ، وكأن مهمة التشبيه القرآني إثارة الخيال عن طريق استدعاء تلك الصورة المخيفة ،

(٤٥) الحيوان : ٦ / ٢١١ ـ ٢١٣

وهي صورة الشيطان . وقد عُرف هذا النوع من التشبيه ، عند البلاغيين المتأخرين فيما بعد ، باسم التشبيه الوهمي ، وهو من التشبيه العقلي(٤٦) .

وتعرض للتشبيه في قوله تعالى : ﴿ واتلُ عليهم نبأَ الذي آتيناهُ آياتِنا فانسلخَ منها فأَتْبَعَه الشيطانُ فكان من الغاوين ● ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخْلَدَ إلى الأرضِ واتَّبع هواه فمَثَلُه كمثلِ الكلبِ إن تحملْ عليه يلهثْ أو تتركْهُ يلهثْ ذلك مَثِلُ القومِ الذين كذّبوا بآياتِنا ﴾ وقد طعن في هذا التشبيه أيضاً بعض المعترضين ، وزعموا أنه ليس بين المشبه والمشبه به صلة واضحة ، أو علاقة قوية ، وأن هذا المثل لايجوز أن يضرب لهذا المذكور في صدر هذا الكلام ؛ لأنه قال : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ﴾ فما يُشَبَّه حالُ من أعطي شيئاً فلم يقبله ـ ولم يذكر غير ذلك من حال المشبه ، غير عرض الآيات عليهم ، وعدم قبولهم إياها ، بالكلب الذي إن حملت عليه نبح وولّى ذاهباً ، وإن تركته شدّ عليك ونبح . مع أن قوله : يلهث ، لم يقع في موضعه ، وإنما يلهث الكلب من عطش شديد ، وحرّ شديد ، ومن تعب ، وأما النباح والصياح فمن شيء آخر .. وفي دفاع الجاحظ عن هذا التشبيه بيّن قصر نظر المعترض ؛ لأنه لم يلمح من حال المشبه إلا صورة عرض الآيات عليهم ، ورفضهم لها ، مع أننا أمام صورة فنية أعمق من ذلك ، وأبعد دلالة ؛ فقد شبّه القرآن الكريم الذي أُعطي الآيات بالكلب في حالتين مختلفتين ، أو من وجهين اثنين : فهو من حيث حرصه على الآيات ، وطلبه لها ، كالكلب في حرصه على مايريد ، وطلبه له ، إذ يبذل كلّ مايستطيع في سبيل ذلك ، وهذا الذي أوتي الآيات فرفضها ، ولم يذعن

(٤٦) انظر الإيضاح : ٣٣٦

لها ، بعد طول حرص ، وكثرة جهد ، هو كذلك ـ من الناحية الأخرى ـ كالكلب الذي راح ينبح بعد طردك له. يقول: «فليس ببعيد أن يشبّه الذي أوتي الآيات والأعاجيب والبرهانات والكرامات ، في بدء حرصه عليها ، وطلبه لها ، بالكلب في حرصه وطلبه ؛ فإن الكلب يُعطي الجدّ والجُهد من نفسه في كلّ حالة من الحالات . وشبّه رفضه وقذفه لها من يديه ، وردّه لها ، بعد الحرص عليها ، وفرط الرغبة فيها ، بالكلب إذا رجع ينبح بعد إطْرادك له . وواجبٌ أن يكون رفض قبول الأشياء الخطيرة النفيسة في وزن طلبها ، والحرص عليها . والكلب إذا أتعب نفسه في شدة النُّباح مقبلاً إليك ، ومدبراً عنك ، لهث واعتراه مايعتريه عند التعب والعطش[٤٧] .. »

وقد يسمي الجاحظ التشبيه مثلاً . وقد أشار في الحيوان إلى عدد من أمثال القرآن الكريم فبيّن دلالتها ، وتحدّث عن وجه الشبه فيها . ذكر الله البعوضة في قوله : ﴿ إن الله لايستحيي أن يضربَ مثلاً مابعوضة فما فوقها ﴾ فقلّلها وحقّرها ، وضرب المثل بها في الحقارة . وضرب مثلاً على عجز الإنسان وضعفه بقوله تعالى : ﴿ ياأيها الناسُ ضُرب مثلٌ فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذبابُ شيئاً لايستنقذوه منه ضعف الطالبُ والمطلوبُ ﴾ فقد قرّع الطالب في هذا الموضع بإنكاره وضعفه ، إذ عجز ضعفه عن ضعف مطلوب لاشيء أضعف منه ، وهو الذباب . وضرب مثلاً على الوهن والضعف بالعنكبوت في قوله تعالى : ﴿ وإن أوهن البيوت لبيتُ العنكبوت ﴾ فدلّ ـ بوهن بيته ـ على وهن خَلْقه ، فكان هذا القول دليلاً على التصغير والتقليل . وضرب المثل بالكلب في قوله :

(٤٧) الحيوان : ٢ / ١٦ ـ ١١٧

﴿ فمثلُه كمثل الكلب إن تحمِلْ عليه يلهثْ أو تتركْه يلهث ﴾ فكان في ذلك دليل على ذم طباعه ، والإخبار عن تسرّعه وبذائه ، وعن جهلِه في تدبيره ، وتركه وأخذه . وضرب مثلاً بالذَّرّة في قوله : ﴿ فمن يعملْ مثقال ذرّة خيراً يَرَهُ ومنْ يعملْ مثقالَ ذرّةٍ شراً يَرَهُ ﴾ من حيث أنه من الغايات في الصغر والقلة ، وفي خفة الوزن ، وقلة الرجحان . وذكر الحمار فقال : ﴿ كمثل الحمار يحمل أسفاراً ﴾ فجعله مثلاً في الغفلة والجهل ، وفي قلة المعرفة ، وغلظ الطبيعة . وذكر القردة والخنازير في قوله : ﴿ وجعل منهم القِرَدَةَ والخنازيرَ ﴾ فجعلها مثلاً في القبح والتشويه ، ونذالة النفس[٤٨] ..

وتوقف الجاحظ عند المجاز في القرآن الكريم، فأشار إلى عدد من الأمثلة ، وكان يطلقه أحياناً على جميع الصور البيانية إذا لم يذكر الاستعارة أو التشبيه ، وقد أوضح أكثر من مرة أن النظم القرآني جارٍ على طرائق العرب وأساليبهم في استعمال مختلف الصور البيانية ، لأنه خاطبهم بما يفهمون . أشار إلى ماورد في القرآن من المجاز والتشبيه بالأكل ؛ فالعرب تقول : النار تأكل وتشرب على المثل ، وعلى الاشتقاق ، وعلى التشبيه ؛ لأن النار في الحقيقة لاتأكل ولا تشرب . وقد قال تعالى : ﴿ الذينَ قالُوا إنَّ اللهَ عَهِدَ إلينا أن لانؤمنَ لرسولٍ حتى يأتيَنا بقربانٍ تأكُلُهُ النارُ ﴾ فاستعمل مجاز الأكل في النار . يقول الجاحظ : « علمنا أن الله ـ عزّ وجلّ ـ إنما كلّمهم بلغتهم[٤٩] »

---

(٤٨) الحيوان : ٤ / ٣٧ ـ ٣٨، وانظر أمثلة أخرى في الحيوان : ٢ / ٢٥٥، ٣ / ٣٨٣، ٤ / ٣٩٠ وغيرها .

(٤٩) الحيوان : ٥ / ٢٣

ومن مجاز الأكل أيضاً قوله تعالى : ﴿ إنّ الذين يأكلون أموالَ اليتامى ظلماً ﴾ ، وقوله : ﴿ أكّالونَ للسُّحْتِ ﴾ وقد لاحظ أن المجاز يكتسب في العادة دلالة معينة ، فأكل المال تعني أخذه بغير حق ، ولذلك يطلق الأكل « وإن شربوا بتلك الأموال الأنبذة ، ولبسوا الحلل ، وركبوا الدوابّ ، ولم ينفقوا منها درهماً واحداً في سبيل الأكل » ومثله قوله تعالى : ﴿ إنما يأكلون في بطونهم ناراً ﴾ فهذا مجاز آخر(٥٠) ..

وتحدث عن مجاز الذوق ، فبيّن أن من أساليب العرب قول الرجل ـ إذا بالغ في عقوبة عبده : ذقْ ، وكيف ذقته ؟ وكيف وجدت طعمه ؟ وعليه قوله ـ عزّ وجلّ ـ : ﴿ ذُقْ إنك أنتَ العزيزُ الكريمُ(٥١) ﴾ .

وكما يجري في كلام العرب أن يقولوا : ذقتَ ماليس بطعم ؛ قالوا : طعِمْت ، لغير الطعام . قال العرجي :

وإن شئت حرّمتُ النساءَ سواكُمُ   وإنْ شئت لم أطعمْ نُقاخًا ولا بَرْدَا

وعليه قوله تعالى : ﴿ إن اللهَ مُبْتَلِيْكُمْ بنَهَرٍ فمنْ شرِبَ منه فليسَ مني ومنْ لم يطْعَمْهُ فإنه مني ﴾ يريد : لم يذق طعمه(٥٢) .

وتوقف الجاحظ عند بعض مجازات القرآن الكريم يردّ عنها شبهاً أثارها بعض المتشككين والملحدين ، لجهلهم بطرائق العرب ـ الذين نزل القرآن بلسانهم ـ في التعبير ، وعدم بصرهم « بوجوه اللغة ، وتوسع العرب في لغتها ، وفهم بعضها عن بعض ، بالإشارة والوحي(٥٣) .. » ومن ذلك طعنهم في قوله تعالى في النحل : ﴿ يخرج من بطونها شرابٌ ﴾ وعندهم أن الشمع « شيء تنقله النحل ، مما يسقط على الشجر ، فتبني بيوت

(٥٠) الحيوان : ٥ / ٢٥
(٥١) الحيوان : ٥ / ٢٨
(٥٢) الحيوان : ٥ / ٣٢
(٥٣) الحيوان : ٥ / ٤٢٣

العسل منه ، ثم تنقل من الأشجار العسل الساقط عليها .. إلا أن مواضع الشمع وأبدانه خفيّ ، وكذلك العسل أخفى وأقل . فليس العسل بقَيْء ولا رجْع ، ولا دَخَلَ للنحلة في بطن قط[٥٤] .. » ويوضح الجاحظ أن القرآن قد سمّى العسل شراباً ، وهو ليس بشراب ، على المجاز ؛ لأنه « شيء يُحوَّل بالماء شراباً ، أو بالماء نبيذاً ، فسمّاه - كما ترى - شراباً ، إذ كان يجيء منه الشراب . وقد جاء في كلام العرب أن يقولوا : جاءت السماء اليوم بأمر عظيم . وقد قال الشاعر :

إذا سقط السماءُ بأرضِ قومٍ رعَيْنَاهُ وإنْ كانُوا غِضَابا

فزعموا أنهم يرعون السماء ، وأن السماء تسقط . ومتى خرج العسل من جهة بطونها وأجوافها فقد خرج في اللغة من بطونها وأجوافها . ومن حمل اللغة على هذا المركب ، لم يفهم عن العرب قليلاً ولا كثيراً . وهذا الباب هو مفخر العرب في لغتهم ، وبه وبأشباهه اتسعت ، وقد خاطب بهذا الكلام أهل تِهامة ، وهذيلاً ، وضواحيَ كِنانة ، وهؤلاء أصحابُ العسل ، والأعراب أعرف بكل صَمْغة سائلة ، وعَسلة ساقطة ، فهل سمعتم بأحد أنكر هذا الباب ، أو طعن عليه من هذه الحجة[٥٥] .. » .

وتحدّث الجاحظ عن الاستعارة في بعض الآيات ، فبيَّن وجه الشبه فيها ، ولاحظ في تعريفها أنها قيام كلمة مقام أخرى لوجود علاقة أو صلة بينهما ، أو تسمية الشيء بغير اسمه لوجود هذه العلاقة . ففي قوله تعالى : ﴿ وإنْ تَدْعُهُمْ إلى الهُدَى لايهتَدُوا وتراهم ينظرون إليك وهم لايُبصرون ﴾ وقوله : ﴿ ولا تكونوا كالذين قالُوا سمِعْنا وهُم لا يسمعونَ ﴾ وقوله : ﴿ إنّ شرَّ الدوابِّ عند الله الصُّمُّ البُكْمُ الذين لا يعقلونَ ﴾ يقول الجاحظ : « ولو كانوا صماً بُكماً وكانوا هم لايعقلون لما

(٥٤) الحيوان ٥ / ٤٢٣ - ٤٢٤

(٥٥) الحيوان : ٥ / ٤٢٥ - ٤٢٦

عيّرهم بذلك ، كما لم يعيّر مَنْ خلقه معتوهاً كيف لم يعقل ، ومَنْ خلقه أعمى كيف لم يبصر ، وكما لم يَلُم الدوابّ ، ولم يعاقب السّباع . ولكنه سمّى البصير المتعاميَ أعمى ، والسميع المتصامِم أصمّ ، والعاقل المتجاهل جاهلاً[٥٦] .. » .

كما توقف عند قوله تعالى : ﴿ فإذا هي حيةٌ تسعى ﴾ رادّاً على من زعم أن السعي لايكون إلا بالأرجل ، موضحاً أيضاً أن هذا جهلٌ بطرائق العرب في التعبير ، فهذا من باب التشبيه والبدل ، فهو كقول القائل : ماهو إلا كأنه حيّة ، أو كأن مشيته مشية حيّة ، « ومن جعل للحيات مشياً من الشعراء أكثر من أن نقف عليهم . ولو كانوا لايسمون انسيابها وانسياحها مشياً وسعياً لكان ذلك مما يجوز على التشبيه والبدل ، وأن قام الشيء مقام الشيء أو مقام صاحبه ، فمن عادة العرب أن تشبّه به في حالات كثيرة . وقال الله تعالى : ﴿ هذا نُزُلُهم يومَ الدين ﴾ والعذابُ لايكون نُزُلاً ، ولكنه أجراه مُجرى كلامهم ، كقول حاتم حين أمروه بفَصْد بعير ، وطَعَنَه في سنامه ، وقال : هذا فَصْدُه . وقال الآخر :

فقلتُ يـــاعمرو اطْعِمَنّي تَمْرَاً فكان تمري كَهْرَةً وَزَبْرا[٥٧]..»

وعلى تأويل قوله : (هذا نُزُلُهم يومَ الدِّينِ) قوله تعالى : ﴿ جهنّم يصلَوْنَها فبئسَ المهادُ ﴾ وقوله : ﴿ حتى إذا جاؤوها فُتِحتْ أبوابُها وقال لهم خَزَنَتُها ألم يأتِكم رسلٌ منكم يتلُون عليكم آياتِ ربّكم ﴾ « فجعل للنار خزائن ، وجعل لها خزنة ، كما جعل في الجنة خزائن وجعل لها خزنة . ولو أن جهنم فُتِحت أبوابها ، ونُحّي عنها الخزنة ، ثم قيل لكلّ لصّ في الأرض ، ولكلّ خائن في الأرض : دونَك ، فقد أُبيحت لك لما

(٥٦) الحيوان : ٤ / ٢١١

(٥٧) الحيوان : ٤ / ٢٧٣ ـ ٢٧٤

دنا منها ، وقد جُعل لها خزائنٌ وخَزَنة ، وإنما هذا على مثال ماذكرنا . وهذا كثير في كلام العرب[٥٨] » .

وأورد في البيان والتبيين أمثلة أخرى على الاستعارة ، وشرحها مبيّناً دلالة التشبيه فيها . علّق على قوله تعالى : ﴿ هذا نُزُلُهم يومَ الدين ﴾ فذكر أن « العذاب لايكون نزلاً ، ولكن لما قام العذابُ لهم في موضع النعيم لغيرهم سمّي باسمه .. وقال الله ـ عزّ وجلّ : ﴿ ولهم رزقُهم فيها بكرةً وعشِيّاً ﴾ ، وليس في الجنة بكرة ولا عشيّ ، ولكن على مقدار البُكَر والعشيّات . وعلى هذا قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وقالَ الذينَ في النار لخزنةِ جهنّم ﴾ والخزنة : الحفظة ، وجهنم لايضيع منها شيء فيحفظ ، ولا يختار دخولَها إنسان فيمنع منها ، ولكن لما قامت الملائكة مقام الحافظ الخازن سميت به[٥٩] .. »

ردّ الشُّبَه عن النظم القرآني : توقف الجاحظ في كتاب الحيوان عند عدد من الآيات القرآنية التي طعن فيها بعض الملاحدة والمتشككين ، وأثاروا من حولها بعض الشُّبه في زعمهم ، فراح يردّ عنها ، ويبيّن إحكام النظم القرآني وتميّزه ، بحيث لايستطيع أحد أن يجد فيه مطعناً . وقد أوضح الجاحظ أكثر من مرة ـ كما مرّ معنا في ثنايا الكلام المتقدم ـ أن طعن الطاعنين مردّه إلى قلة المعرفة بأساليب التعبير العربي ، وضعف البصر بطرائق القوم ، وأنماط الكلام ، فمن لم يُؤتَ الخبرة بالبيان ، والقدرة على التمييز ، لم تستبن له روعة النظم القرآني ، وخفي عليه الكثير من أسراره ودقائقه وجماله .

وأشار الجاحظ إلى فضل المتكلمين ـ ولاسيما المعتزلة ـ في الباب ،

---

(٥٨) الحيوان : ٤ / ٢٧٨

(٥٩) البيان والتبيين : ١ / ١٥٣

وأشاد بقدرتهم على التصدي للملاحدة والمتشككين ، وذبّ التهم التي يوجهونها للقرآن الكريم فقال : « وليس هؤلاء ممن يفهم تأويل الأحاديث ، وأي ضرب منها يكون مردوداً ، وأيّ ضرب منها يكون متأوّلاً ... ولذلك أقول : لولا مكان المتكلمين لهلكت العوامُّ ، واختُطِفَتْ واستُرِقتْ ، ولولا المعتزلة لهلك المتكلّمون[٦٠] .. »

وقد مرّ معنا في سياق الكلام المتقدم نماذجُ من دفاع الجاحظ عن بيان القرآن الكريم ، وإيضاح جمال الصور البيانية التي خفي مدلولها على الطاعنين ، وفي الحيوان أمثلة كثيرة . توقف الجاحظ عند قوله تعالى : ﴿ واللهُ خلقَ كلَّ دابةٍ من ماء فمنهم من يمشي على بطنِه ، ومنهم من يمشي على رجلين ، ومنهم منْ يمشي على أربعٍ ، يخلُقُ اللهُ مايشاء ﴾ الذي طعن فيه بعضهم ، لأن جميع الحيوان عندهم أربعة أقسام : شيء يطير ، وشيء يمشي ، وشيء يعوم ، وشيء ينساح « وقد وَضَع الكلامَ على قسمة أجناس الحيوان ، وعلى تصنيف ضروب الخلق ، ثم قصّر عن الشيء الذي وَضَع عليه كلامه ، فلم يذكر مايطير وما يعوم ، ثم جعل ماينساح ـ مثل الحيات والديدان ـ مما يمشي ، والمشي لايكون إلا برجل .. » وقد ردّ الجاحظ عليهم مبيّناً عدم معرفتهم بطبيعة التعبير القرآني ؛ فالكلام غير قائم على استقصاء أصناف القوائم . فالقرآن يقول : ﴿ وَقُودُها النـاسُ والحجـارةُ ﴾ فيترك ذكر الشياطين مع أنهم من وقودها . ويقول : ﴿ خلقكم من ترابٍ ثمّ من نُطفةٍ ثم جعلكم أزواجاً ﴾ فيترك الاستقصاء أيضاً ، لأنه أخرج من هذا العموم عيسى بن مريم ، وقصد في مخرج هذا الكلام إلى جميع ولد آدم . وقال : ﴿ هل أتى على الإنسانِ حينٌ من الدّهر لم يكنْ شيئاً مذكوراً ﴾ فأدخل فيها آدم

(٦٠) الحيوان : ٤ / ٢٨٩

وحواء ، ثم قال على صلة الكلام : ﴿ إنّا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاجٍ نبتليهِ ﴾ فأخرج منها آدم وحواء وعيسى بن مريم « وحَسُن ذلك إذ كان الكلام لم يُوضع على جميع ماتعرفه النفوس من جهة استقصاء اللفظ[٦١] .. » وردّ على زعمهم بأن المشي لايكون إلا بالأرجل بأن أوضح أن ذلك محمول على التشبيه والبدل ، وقد توقفنا عند ذلك قبل قليل .

وأشار إلى طعن الطاعنين في قوله تعالى في الشهب وفي استراق الشياطين السمعَ : ﴿ ولقد زيّنّا السماءَ الدنيا بمصابيحَ وجعلناها رُجُوماً للشياطينِ ﴾ فقد زعم هذا الطاعن أن أحداً لم يجد قطّ كوكباً خلا مكانه ، من سكان الصحاري والبحار ومن يراعي النجوم للاهتداء ، وقد ردّ الجاحظ أيضاً طعن هذا الطاعن إلى الجهل بالتعبير العربي ؛ فقد يُطلق في أسلوب العرب الكلّ ويراد الجزء « قد يحرّك الإنسان يده ، أو حاجبه ، أو إصبعه ، فتضاف تلك الحركة إلى كلّه ، فلا يشكّون في أن الكلّ هو العامل لتلك الحركة . ومتى فَصَل شهابٌ من كوكب ، فأحرق وأضاء في جميع البلاد ؛ فقد حكم كلّ إنسان بإضافة ذلك الإحراق إلى ذلك الكوكبَ .. ولم يقل أحد إنه يجب في قوله : وجعلناها رجوماً للشياطين ، أنه يعني الجميع[٦٢] .. » .

ومن الواضح أن التصدي لردّ الشُبَه والمطاعن عن النظم القرآني هو جانب آخر من جوانب الحديث عن الإعجاز ؛ لأنه إشعار بخلو كتاب الله من أي مغمز أو مطعن ، وأنه في الذروة العليا من التأليف والبيان ، وأنه ليس في طوق البشر أن يأتوا بسورة من مثله ، بَلْهَ أن يجدوا فيه مطعناً أو نقيصة .

(٦١) الحيوان : ٤ / ٢٧١ - ٢٧٢

(٦٢) الحيوان : ٦ / ٤٩٧، وانظر أمثلة أخرى في الحيوان : ٤ / ١٠٠، ٦ / ٢٧٢ . وفي رسالة الرد على النصارى . ضمن رسائل الجاحظ : ٣ / ٣٠٣ وما بعدها .

وبعدُ ، فقد كان الجاحظ من السبّاقين إلى الحديث عن إعجاز القرآن الكريم ، وقد ردّ هذا الإعجاز ـ كما رأينا ـ إلى نظمه البديع ، وتأليفه العجيب ، وتميُّزه بأسلوب فريد ، لايقدر على مثله أحد من فصحاء العرب وبلاغييهم . وإذا كان كتابه الخاص بنظم القرآن لم يصل إلينا فقد حاولنا ـ من خلال ماتبقى لدينا من آراء متناثرة ـ أن نكوّن صورة عن فكرة الجاحظ عن الإعجاز ، ونظرته إلى نظمه البديع ، فوجدناه يتحدث عن تفرد القرآن بأسلوب جديد يخالف جميع طرائق التأليف التي عرفتها العرب ، فهو ليس شعراً ، ولا نثراً ، ولا مزدوجاً ، ولا سجعاً . ثم إن هذا النظم يتميز بحسن الصوغ ، وكمال الترتيب ، ودقة انتقاء الألفاظ ، وحسن اختيارها ، بحيث تكون أقدر على التعبير عن المعنى المراد ، ينبع ذلك من قدرة ، لايؤتاها أحد من البشر ، على التمييز بين دلالات الألفاظ المختلفة ، ومعرفة الفروق الدقيقة بين المترادفات منها . ومن ملامح التميز في هذا النظم القرآني جمال التصوير ، وروعة تشخيص المعاني في صور بيانية رائعة تبرزها وتجلّيها وتثير خيال السامع ، فيقع تحت تأثيرها وسحرها . وهو نظم لاخلل فيه ولا اضطراب ، ولا يستطيع طاعن ـ مهما جَهِدَ ـ أن يجد في هذا التأليف ثغرة .

ولسوف يسلك الحديث عن الإعجاز سبيل التطور ، وستكون فكرة النظم أبرز ماعرف في قضية الإعجاز ، وأكثره وجاهة ، وسبباً في وضع علم المعاني ، وطريقاً لعلم البيان ، وسيرتبط الحديث عنها بعبد القاهر الجرجاني ومن قبله القاضي عبد الجبار ، ولكن السبّاق الأول هو الجاحظ .

مصادر البحث

- الباقلاني
١ - إعجاز القرآن ، تحقيق أحمد صقر . دار المعارف بمصر : ١٩٦٣ م
- البلخي (أبو القاسم)
٢ - فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة
- الجاحظ
٣ - البيان والتبيين (١ - ٤) تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي بمصر : ١٩٧٥ م
٤ - الحيوان (١ - ٨) تحقيق عبد السلام هارون ، البابي الحلبي بمصر : ١٩٦٦ م
٥ - حجج النبوة ، ضمن رسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، بمصر : ١٩٧٩ م
٦ - خَلْق القرآن ، ضمن الرسائل
٧ - تفضيل النطق على الصمت . ضمن الرسائل
٨ - العثمانية . ضمن الرسائل
٩ - الوكلاء . ضمن الرسائل
١٠ - في المعلمين . ضمن الرسائل
١١ - الرد على النصارى . ضمن الرسائل
- الخياط (أبو الحسين)
١٢ - الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد ، تحقيق د . نيبرج ، القاهرة : ١٩٢٥ م
- ابن خلدون
١٣ - المقدمة ، دار الفكر ، بيروت : ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م
- السيوطي :
١٤ - الإتقان في علوم القرآن (١ - ٤) تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم .
الهيئة المصرية العامة بمصر : ١٩٧٤ م
- القزويني :
١٥ - الإيضاح ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت : ١٩٧٥ م

مكانة ضياء الدين بن الأثير

في تاريخ الأدب العربي

الأستاذ فريد جحا

مقدمة :

١ ـ تحدد مقالتنا هذه مكانة ضياء الدين بن الأثير في تاريخ الأدب العربي ، على أن نفهم الأدب ، كما فهمه الأجداد ، بالمعنى العام ، « أي الأخذ من كل علم بطرف » ، لأننا سنراه ، أديباً ، وناقداً ، وعالم بلاغة ، وهي ، على كل حال ، صفات ذات صلة بعيدة ، أو قريبة بالأدب ، بمعنييه العام والخاص .

وابن الأثير هذا هو أبو الفتح نصر الله بن محمد الذي اشتهر بلقبه (ضياء الدين) ، وهو ثالث إخوة يُعَدُّ كل منهم فخراً لأبيه وأسرته ، فكيف والثلاثةُ أبناءُ والدٍ واحد ، وأسرة واحدة ، وكل منهم كان مجلّياً فيما اشتُهر به . فالأول : أبو السعادات المبارك ابن أبي الكرم ، محمد بن محمد الملقب بمجد الدين بن الأثير (٥٤٤ ـ ٦٠٦ هـ) محدّث ومفسّر ، والثاني : أبو الحسن علي بن محمد الملقب بعز الدين (٥٥٠ ـ ٦٣٠ هـ) مؤرخ كبير ، أما الثالثُ ضياء الدين فهو الذي نخصّه بهذه الدراسة المفصلة .

٢ ـ ولد ضياء الدين أبو الفتح نصر الله عام ٥٥٨ هـ / ١١٦٣ م في جزيرة ابن عُمَر ، ولذلك ينسب إليها فيقال عنه (الجزريّ) ، وجزيرة ابن عمر : بلد فوق الموصل بينهما ثلاثة أيّام ، ولها رستاق مخصب واسع الخيرات ، ويرى ياقوت « أنّ أول من عمرها الحسنُ بن عمر بن خطاب

التغلبيّ ، وكان له إمرةٌ في الجزيرة وذكرٌ ، قرابة سنة (٢٥٠ هـ)[١] » أما ابنُ خلكان [٢] فيرجع التسمية الى عديدين بينهم ما اعتقد أنه الصوابُ وهو عبد العزيز بن عمرَ الذي بناها فأُضيفت إليه ... وتقع المدينة اليوم في تركية ، بين المدن العربية التي تنازل عنها الحلفاء لتركيا ، طمعاً في إيقاف الثورات التي اتقدت ضدهم في بلاد الشام والعراق في عامي ١٩١٩ و ١٩٢٠ م .

ولدُ ضياء الدين في هذه البلدة[٣] ، وتوفي في عام ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م ببغداد بعد أن عاش حياة نشاط متعدد الوجوه ، في مدن الشام والعراق ومصر .

انتقل به والده إلى الموصل ، حيث عمّق دراسته ، ولما شبَّ قصد السلطان صلاح الدين الأيوبي في دمشق سنة ٥٨٧ هـ (١١٩١ م) فجعله في خدمته بضعة أشهر ، ثم صار الى خدمة ولده الملك الأفضل نور الدين ، فاستوزره هذا الأخير ، ولما تُوفي صلاح الدين استقلّ الأفضلُ بمملكة دمشق ، واستقلّ ضياءُ الدين بالوزارة ، ورُدّت اليه أمور الناس .

وجرت للملك الأفضل وقائعُ مع أخيه العزيز صاحب مصر ، ومع عمه الملك العادل ، اللذين اتفقا على غزو دمشق واستنقاذها من يده ، وتم لهما ذلك سنة ٥٩٢ هـ (١١٩٥ م) فاستوليا عليها ، وأقطعا الملك

---

(١) معجم البلدان ، مادة (جزيرة ابن عمر) .

(٢) ابن خلكان ، وفيات الأعيان جزء ٢ ص ١٥٨ [انظر وفيات الأعيان (تح . الدكتور إحسان عباس) ٣ : ٣٤٩ - ٣٥٠ / ترجمة عز الدين ابن الأثير الجزري ، ٤ : ١٤٣ / ترجمة مجد الدين ابن الأثير الجزري / المجلة] .

(٣) تلتمس سيرة ضياء الدين في الكتب التي ترجمت له قديماً وحديثاً ، وأقدمها في وفيات الأعيان لابن خلكان ، جـ ٢ ص ١٥٨ وما بعد ، وأوسعها لدى زغلول سلام في كتابه عن ضياء الدين بن الأثير ، الجزء ٣٦ من سلسلة نوابغ الفكر العربي ص ٢٩ - ٤٨ .

الأفضل (صرخد) بدلاً عنها ، فصار إليها ، وأقام بها ، ولحق به ابن الأثير بعد أنْ فرّ من دمشق متخفيا .

ثم توفي العزيز صاحب مصر سنة ٥٩٥ هـ (١١٩٨ م) ، وخلفه ابنُه المنصور وهو في الثامنة من عمره ، فاستدعى رجالُ الدولة عمه نور الدين (الأفضل) من صرخد ليكون وصياً عليه ، ونائباً عنه ، فحضر وتبعه ابنُ الأثير بعد عام . نشبت الحرب بين نور الدين وعمه الملك العادل صاحب دمشق ، فاضطُر (الأفضل) إلى مغادرة مصر سنة ٥٩٦ هـ ، وتبعه ابن الأثير بعد ذلك الى سميساط ، وعمل في خدمته مدة ، ثم فارقه في عام ٦٠٧ هـ (١٢١٠ م) ، واتصل بأخيه الملك الظاهر غازي صاحب حلب ، فلم يطل مقامه عنده وخرج مُغَاضِبا . وعاد الى الموصل ، فلم يستقم حاله ، فورد إرْبِل ، ثم تركها الى سنجار ، ثم عاد الى الموصل ، واتخذها دارَ إقامة وكتب فيها لصاحبها ناصر الدين محمود بن الملك القاهر ، وبقي في خدمته حتى توفي في بغداد في أثناء رحلة ، سَفَر فيها له لدى الخليفة العباسي .

٣ ـ خلّفَ ضياء الدين عدّةَ مؤلفاتٍ ، نذكر منها[٤] :

آ ـ الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان .

ب ـ الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور .

جـ ـ رسائل ضياء الدين بن الأثير .

د ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر .

هـ ـ مجموع اختار فيه من شعر أبي تمام ، والبحتري ، وديك الجن ، والمتنبي .

---

(٤) استندنا في ذكرها الى ترجمة ضياء الدين ابن الأثير في وفيات الأعيان ، والى ما ذكره ابن الأثير في كتبه وفي رسائله .

و ـ الوشي المرقوم في حل المنظوم .

وأهمّ هذه الكتب كتابه المشهور المثل السائر ، وقد طبع عدة مرات في مصر وبيروت ، وكان أحسنَها تلك التي أشرف على طباعتها في أربعة أجزاء الدكتوران الحوفي وطبانة بين سنتي ١٣٨٠ ـ ١٣٨٤ هـ / ١٩٦١ ـ ١٩٦٥ م، وادعيا فيها التحقيقَ ، وليس فيها من ذلك إلاّ الشيء اليسير[٥] .

٤ ـ وضياء الدين بن الأثير متعدد الجوانب :

فهو أولاً سياسي وزر لطائفة من الملوك ، إلاّ أنه لم يوفق في سياسته ولا سيما في دمشق ، فقد « أساء العشرة مع أهلها وهمّوا بقتله ، فأخرجه الحاجب محاسن بن عجم مستخفياً في صندوق مقفل عليه[٦] » . وكان ذلك منه أيضاً في القاهرة ، فقد « خاف على نفسه من جماعة كانوا يقصدونه ، فخرج منها مستتراً » .[٧] كذلك لم تطل إقامته لدى الملك الظاهر صاحب حلب « لأن أمره لم ينتظم عنده ، فخرج مغضباً » .[٧]

ولقد ذكر من سوء سياسته مثلاً[٨] « أنه حسّن للأفضل أن يطرد أمراء أبيه ، وأكابر أصحابه ، ويستبدل بهم غيرهم ، ففارقه جماعة منهم ، وصاروا إلى الملك العزيز بالقاهرة ، فشملهم بالرعاية والاكرام . وكان من

(٥) مكتبة نهضة مصر بالقاهرة ١٣٨٠ ـ ١٣٨٤ هـ / ١٩٦١ ـ ١٩٦٥ م .

(٦) ابن خلكان ـ المصدر السابق ص ١٥٨ .

(٧) ابن خلكان ـ المصدر السابق ص ١٥٨ ، ويذكر ابن خلكان أنّ له رسالةً طويلة شرح فيها كيفية خروجه مستخفياً [وفيات الأعيان (تح الدكتور إحسان عباس) ٥ : ٣٩٠ ـ ٣٩١ / المجلة] .

(٨) مقال بطرس البستاني ، في دائرة المعارف لفؤاد افرام البستاني المجلد الثاني ص ٣٢٥ .

بينهم القاضي الفاضل ، الذي كان وسيطه للوصول الى صلاح الدين ، وتقديه له » . ولعلّ هذا ما حدا بأخيه عز الدين الى عدم ذكره في كتاب الكامل ، في جميع ما أورد من أخبار الملك الأفضل ، والملك العادل والملك العزيز[٩] .

٥ ـ كانت دراسة ضياء الدين متنوعة ، فاذا كنا لانعرف أحداً من أسماء شيوخه ، فاننا نعلم أنه درس في الموصل ، وكانت عامرةً بالعلماء ، وبالمدارس ، ونعلم أنه حفظ القرآن ، وكثيراً من الأحاديث النبوية ، وطرفاً صالحاً من اللغة والنحو والبيان ، وشيئاً غير يسير من أشعار العرب . ولقد ذكر في المثل السائر ، أنه وقفَ من الشعر على كل ديوان مطبوع وأنفد شطراً من العمر في المحفوظ والمسموع ، فألفاه بحراً لا يوقف على ساحله فاقتصر على ما تكثر فوائده ، واكتفى بشعر أبي تمام والبحتري والمتنبي ، فهؤلاء الثلاثة عنده « لاتُ الشعر وعُزّاه ومَناتُه » .[١٠] فروى لهم أكثر مما روى لغيرهم ، واستفاد من فصاحة أقوالهم وبلاغة معانيهم .

وليس ببعيد أن يكون قد تتلمذ على أساتذة أخيه المؤرخ وهم : « أبو الفضل خطيب الموصل ، وأبو الفرج يحيي الثقفي ، ومسلم بن على السيحي ، ومعهم ابن سويدة التكريتي ، وابن أفضل الزمان ، وابن رواحة ... وهم الذين درس المؤرخ عليهم الفقه والحساب واللغة والحديث والمنطق والهيئة وغيرها » .[١١] .

٦ ـ وهو كما رأينا مصنّف ، ومؤلفُ كتب ، ولقد خلّف لنا مؤلفاتٍ

---

(٩)مقال بطرس البستاني ، المصدر السابق ص ٣٢٦ .

(١٠) المثل السائر جـ ٢ ص ٣٦٨ .

(١١) عبد القادر أحمد طليمات ، ابن الأثير الجزري ، من سلسلة أعلام العرب ، الجزء ٨٣ ص ٢٠ و ٢١ .

كثيرة سميناها منذ قليل وهي مؤلفات تدل على معرفة واسعة ، وثقافة شاملة ، وعلى إلمامه بكل مايلزم العالم المصنف في زمانه ، من علوم اللغة والنحو والقرآن والحديث والأدب .

٧ ـ ولعل (المثل السائر) أهمُّ ما خلف لنا ابنُ الأثير من تراث ، وقد لقي ترحاباً وتقدا منذ أُمْلِيَ في حياةِ مؤلفه ، فلقد روى ابنُ خلكان « أنّه من التصانيف الدالة على فضله وتحقيق نبله ، وهو في مجلدين ، جمع فيه فأوعب ، ولم يترك شيئا يتعلق بفن الكتابة إلاّ ذكره ، ولما فرغ من تصنيفه كتبه الناس عنه ، فوصلت الى بغداد نسخةٌ منه » .[١٢]

يتضمن الكتاب [١٣] البحث في علم البلاغة والنقد لصناعة الكاتب والشاعر . وقد بني على مقدمة ومقالتين . فالمقدمة تشتمل على أصول علم البيان ، والمقالتان تشتملان على فروعه .

تقع المقدمة في عشرة فصول تناول فيها علم البيان وما ينبغي له من الأدوات ، وهي عنده ثمانية أنواع : معرفة الصرف والنحو ، ومعرفة المألوف استعماله في فصيح الكلام ، ومعرفة أمثال العرب وأيامهم ، والاطلاع على تآليف المتقدمين من أرباب هذه الصناعة ، ومعرفة الأحكام السلطانية ، ثم حفظ القرآن والتدرب على استعماله في مطاوي الكلام ، وحفظ ما يحتاج اليه من الأخبار الواردة عن النبيّ ، ثم معرفة العروض والقوافي .

---

(١٢) ابن خلكان ، الوفيات ص ١٥٩ [وفيات الأعيان (تح الدكتور إحسان عباس) ٥ : ٣٩١ / المجلة] .

(١٣) أفدنا من التلخيص المطول الممتاز الذي عرضه بطرس البستاني في دائرة المعارف لفؤاد افرام البستاني ، المجلد الثاني ، ص ٣٢٦ و ٣٢٧ .

وتبحث بعد ذلك في الحكم على المعاني ، ومعرفة أساليبها ، ثم في جوامع الكلم ، والحقيقة والمجاز ، والفصاحة والبلاغة ، وأركان الكتابة .

وتبحث المقالة الأولى في الصناعة اللفظية وهي على قسمين : الأول في اللفظة المفردة ، والثاني في الألفاظ المركبة . وجعل صناعة تأليفها على ثمانية أنواع : السجع ، والتجنيس ، والترصيع ، ولزوم ما لا يلزم ، والموازنة ، واختلاف صيغ الألفاظ واتفاقها ، والمعاظلة اللفظية ، والمنافرة بين الألفاظ في السبك .

والمقالة الثانية تبحث في الصناعة المعنوية ، وهي أيضاً على قسمين : الأول في الكلام على المعاني مجملاً ، والثاني في الكلام عليها مفصّلاً . والقسم الأول على ضربين أحدهما ما يبتدعه مؤلف الكلام من غير أن يقتدي بمن سبقه ، والآخر ما يحتذي فيه مثالاً سابقاً ومنهجاً مطروحاً .

والقسم الثاني ، بناه على ثلاثين نوعاً كالتشبيه ، والاستعارة ، والتجريد ، والالتفات ، والتقديم والتأخير ، والايجاز ، والاطناب ، والارصاد ، والكناية ، والسرقات الشعرية ، وسوى ذلك ... وهو كغيره من المتقدمين لم يفصل المعاني عن البيان ، ولا فصل البديع عنهما ، لأن التمييز بين هذه العلوم الثلاثة إنما تمّ مع ظهور كتاب (المفتاح) للسكّاكي .

٨ ـ وفي هذه المباحث شعرٌ ورسائلُ وآياتٌ وأحاديث ، وكثيراً ما يورد من وسائله مقاطع ، ويجعلها أمثلةً للبلاغة في النوع الذي يبحث فيه ، ويُعْنى بتحليل معانيها ، وتنبيه القارئ إلى النظر إليها فيقول مثلاً : « فتأمل ما أوردته ها هنا من هذين المثالين ، وانسج على منوالها فيما تقصده من المعاني التي تبني عليها كتبك ، فان ذلك من دقائق

الصناعة[١٤] » .

وقد يستشهد بأقوال غيره من الكتاب ليطعن فيها ويزدريها كما فعل بالحريري وابن نباته ، فانه عاب سجعهما الذي يكرر المعنى في الفقرتين ، ثم يورد من كلامه أمثلة من السجع كما ينبغي أن يكون قائلاً : « فانظر ايّها المتأمل إلى هذه الأسجاع جميعها وأعطها حق النظر ، حتى تعلم أنّ كلّ واحدة منها تختص بمعنى ليس في أختها التي تليها . وكذلك فليكن السجع وإلاّ فلا » .[١٥]

ويذكر في كلامه على البلاغة ، أقوالَ من تقدمه من علماء البيان ويظهر خطأها وضعف مدلولها ، وقصر نظرهم فيها . واذا ذكر أقواله أدلّ بها على غيره ، وزعم أنه استنبطها ، وفتح كنوزها ، ولم يُسبَق اليها .

ومثل هذه الأشياء كثيرة في (المثل السائر) ، تصور أدق تصوير كبرياء مؤلفه ، وتدل على علم صحيح ، وذكاء متوقد ، وقوة استنتاج . إلاّ أنه كان يفرط في المخالفة ، لما فيه من حب المعارضة ، والاعتداد بالنفس ، فما يأمن من الزلل .

٩ ـ شخصية ضياء الدين بارزة في إنشائه ، فأنت في الكثير من صفحات الكتاب ، تلقاه « محدثاً » عن نفسه ، ينبه إلى آرائه ، ويدل بصحة علمه وقوة استنباطه ، يقول : « وهداني اللهّ لابتداع أشياء لم تكن قبلي مبتدعة ، ومنحني درجة الاجتهاد التي لا تكون أقوالها تابعة ، وإنما هي متبعة . ولقد مارستُ الكتابة ممارسةً كشفت لي عن أسرارها ،

(١٤) المثل السائر جـ ٢ ص ١١٥ .

(١٥) فصل السجع من المقالة الأولى ، الجزء الأول ص ٣١٥ .

وأظفرتني بكنوز جواهرها ، إذ لم يظفر غيري بأحجارها[١٦] . »

ولم يسلم المتنبي ، ولا المعري من سلاطة لسانه فانتقدهما ، وكان تجاه الثاني قاسياً جداً ، لأنه (أي المعري) كان يتعصب لأبي الطيب ، فيقول مستطرداً أثناء نقده بيت المتنبي :

فلم يُبْرَم الأمرُ الذي هو حالِلٌ ولا يُحْلَلُ الأمرُ الذي هو يُبرم

« فياليت شعري ، أما وقف على هذا البيت المشار اليه ؟ ولكنَّ الهوى ، كما يقال ، أعمى ، وكان أبو العلاء أعمى العين خلقةً ، وأعماها عصبيةً ، فاجتمع له العمى من جهتين » .[١٧]

١٠ ـ هذا الكبر الذي وصل إلى حد الغرور كان آفته في حياته السياسية ، لأن الناس كرهوه فأرادوا قتله أكثر من مرة ، وكان سبب الهجوم القاسي عليه أدبيّاً ، فابنُ أبي الحديد يهاجمه في كتابه (الفلك الدائر على المثل السائر) مهاجمة سليطة اللسان ، دعت أنصاراً له إلى الرد عليه ، وتفضيل كتابه . فقد تعصب (للمَثَل) جماعةٌمن أكابر الموصل وفضلوه ، على كثير من الكتب المصنفة في هذا الفن ، وتلقاه أهل بغداد بالاعجاب وتداولوه ونقلوه .

وقامت معركة أدبية كان من نتاجها كتبٌ في الرد على ابن أبي الحديد ، وفي الانتصار له ، فصنّف بعضُهم (الروضَ الزاهر في محاسن المثل السائر) ، وصنف أبو القاسم السنجاري (كتاب نشر المثل السائر وطيّ الفلك الدائر) كما صنف صلاح الدين الصفدي (نصرة الثائر على

---

(١٦) مقال بطرس البستاني ـ المصدر السابق ص ٣٢٧ .

(١٧) مقال بطرس البستاني ـ المصدر السابق / الصفحة نفسها ، ولم يذكر الصفحة المقتبسة هذه الفقرة منها [أورد ضياء الدين ابن الأثير عبارته تلك في النوع الثامن : في المنافرة بين الألفاظ في السبك ـ انظر المثل السائر ١ : ٣٠٥ ـ ٣٠٦ (ط . محيي الدين عبد الحميد ـ القاهرة ١٩٣٩ م) / المجلة] .

المثل السائر) وصنف عبد العزيز بن عيسى رسالة (قطع الدابر عن الفلك الدائر)[١٨] .

ولم يلق واحدٌ من هذه الكتب مالقيَ المثلُ السائر من استحسان ، وضاع أكثرها في رمال النسيان ، وبقي المثل السائر علماً بين الكتب لأنه « لا يزال إلى أيامنا هذه في مقدمة كتب البلاغة التي يرجع اليها . فقد أوضح فيه ضياء الدين معالمها ، وأحكم الكلام على فنون الانشاء ، ورتب فصوله وأنواعه ، وبين أصوله وفروعه ، ودقق في جمال اللفظ المفرد والمركب ، فكان كتابه هداية لما أُلف بعده من الكتب في علم البيان ».[١٩]

١١ ـ والمثلُ السائر ، قَبل كل شيء ، كتابٌ بلاغي عرض فيه ابنُ الأثير لموضوع علم البيان بعد أن وسَّع معناه لصبح مرادفاً لمعنى كلمة البلاغة ، فتحدث عن البلاغة والفصاحة وما يلزم لمعرفتها ، وتحدث في المقالة الأولى عن الصناعة اللفظية في الكلمة المفردة ، والألفاظ المركبة ، وتحدث في المقالة الثانية عن الصناعة المعنوية وهو يكثر فيهما من ضرب الأمثلة والشواهد يقتبسها من القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والشعر العربي ، ورسائل الفصحاء ، وخطب الخطباء ، ومن رسائله هو بالذات ، معلقاً عليها ، ومبيناً فيها جوانب الجمال أو جوانب القبح .

فالمثل السائر بصفة عامة محاولةٌ لتنظيم ما كان البلاغيون قبله قد نثروه في كتبهم ، مع بعض التفريعات والنظرات الجديدة ، ومع العناية بفن الرسائل . وإذا ما بدا في تنظيه شيء من الاضطراب ، فان الكتاب يبقى على كل حال « خيرَ ما كُتِب منذ القرن السادس الهجري ، بعيداً

---

(١٨) مقال بطرس البستاني ـ دائرة المعارف لفؤاد افرام البستاني ، مج ٢ ص ٣٢٧ .

(١٩) مقال البستاني ـ المصدر السابق / الصفحة نفسها .

عن مدرسة عبد القاهر الجرجاني وتلاميذه ، ولما يتخلله من بعض لفتات جيدة » .[٢٠] « كذلك كان المثل السائر آخر الكتب التي يتمتع صاحبها بذوق أدبيّ ، ذلك أنّ علماء البلاغة تقيدوا بما كان السكاكي قد لخصه في (المفتاح) فانقلبت البلاغة الى قواعد جافة جامدة كقواعد النحو والصرف مع غير قليل من العسر والالتواء ، حتى لتوضع لها الشروح تلو الشروح » .[٢١]

١٢ ـ وابن الاثير ، في مثله السائر ناقد كبير تكلم فيه « عن المؤلف شاعراً وكاتباً ، وأثر تكوينه في عمله »[٢٢] ، فشبه الموهبة الكامنة لدى الشاعر الموهوب أو الكاتب المبدع بالنار الكامنة ، وتحدث عن النص الأدبي ، وفيه استغرق كل آرائه النقدية كغيره من علماء البلاغة ، وتكلم عن الصياغة من جوانبها المختلفة ، وعن موقفه الخاص بين النثر والشعر ، فلقد انتصرَ للكتابة ، وعللّ تفضيله لها بأسباب عديدة منها أنّ القرآن نص نثريّ ، وأن الإعجاز متصل بالنثر ، وأنّ الكتابة أصعبُ طريقاً ، وأن الكاتب أحدُ دعامتي الدولة التي تقوم على السيف والقلم .... وكان له كذلك موقفه من الكتاب والشعراء ، فحمل على الصابي ، وأبدى عدم إعجابه بكتابته ، كما حمل على الحريري في مقاماته ، وغمز من قناة صديقه القاضي الفاضل وأخذ عليه التقصير أحياناً .

أمّا موقفه من الشعراء فقد كان معجباً بأبي تمام والمتنبي لأنهما جمعا بين الفن والعقل ، أو بين الصنعة والطبع ، وأُعجب كذلك بالبحتريّ ، وبآخرين ولم يكن منحازاً ، في معركة القديم والحديث ، لأيٍّ من

---

(٢٠) شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ص ٣٣٤ ـ ٣٣٥ .

(٢١) شوقي ضيف ، المصدر السابق ص ٣٧٤ .

(٢٢) طليمات ، المصدر السابق ص٥٨ و ٥٩ و ٦٠ .

الفريقين بل كان يحكم على الشعر، قديمه وحديثه، بما له أو عليه، وإن كان أكثرَ ميلاً الى معاني المحدَثين وجمال صنعتهم[٢٣].

١٣ ـ ولابن الأثير فيما ترك لنا أسلوبان: أسلوبُه في رسائله وهو فيه ملتزمٌ السجعَ، والمحسنات البديعية، فهو يقول في وصف معركة: « ولما التقى الجمعان، اصطفت يمين وشمال، وزحفت جبال الى جبال، وكثرت النفوس على المنايا حتى كادت لاتفي بالآجال، وأقدمت الخيل إقدام فرسانها، واظلم النقع فلا تبصر الا بآذانها، ونالت النحورُ ثارَها من كعوب الرماح، واشتبكت فلا طريق بينها لمهب الرياح »[٢٤].

أمّا في المثل السائر فما نمر بسجع أو وَشْيٍ إلاّ عَرَضاً، فإنشاؤه فيه مطبوع سهل العبارة، واضحَ الاسلوب، بريء من التعقيد والإغراب، ويغلب عليه الاسهاب والتفصيل، فكأنه أستاذ يعنى بشرح درسه، ليجعله مفهوماً، قريباً من الأذهان[٢٥].

يقول مثلاً[٢٦]: « واما الإرداف فانه ضربٌ من اللفظ المركب، إلاّ أنه اختصَ بصفة تخصه، وهي أن تكون الكناية دليلاً على المُكْنَى عنه ولازمةً له، بخلافِ غيرِها من الكنايات، ألا ترى أنّ طول النجاد دليلٌ على طول القامة ولازم له، وكذلك يقال فلان عظيم الرماد، أي كثير إطعام الطعام، وعليه ورد قول الأعرابية في حديث أم زَرْع في وصف زوجها: له إبل قليلات المسارح، كثيرات المبارك، اذا سمعن صوت

---

(٢٣) طلبات المصدر السابق ص ٦٩ ـ ٧٠.

(٢٤) من رسالة له، سجلها طليات، المصدر السابق ص ٧٦.

(٢٥) مقال البستاني ـ المصدر السابق ص ٣٢٧.

(٢٦) المثل السائر ـ طبعة الحوفي وزميله جـ ٣ ص ٦٠ [٢ : ٢٠٠ ـ ٢٠١ / ط محيي الدين عبد الحميد / المجلة].

المزهر ، أيقنّ أنهن هوالك » .

١٤ ـ ابن الأثير ضياء الدين ،الأديب ، والناقد ، وعالم البلاغة ، شخصية فذة في تاريخ أدبنا العربي ، بما تركت من مؤلفات قيمة ، كان المثل السائر أرفعها قيمة وأسماها منزلة . ولقد كان للكتاب وصاحبه الأثرَ الذي يُذكَر فيشكَر . والشهرة الأدبية طغت على شهرته السياسية ، فعُرِف بعلوم البلاغة والبيان أكثرَ مما عرف بالوزارة والديوان . قال فيه استاذنا التنوخيُّ عِزُّ الدين علم الدين ، سيّدٌ من عَرَف البلاغة وعرّف بها في القرن العشرين ، في موسوعته المشهورة (تهذيب إيضاح القزويني) .

قال رحمه الله في المقالة التي كتبها في المجلد الخامس والثلاثين من مجلة المجمع [٢٧] تعريفاً بكتاب ابن الأثير (الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور) : « ولا أعرف أديباً له رأي في البيان وأساليبه ، الاّ وللمثل السائر أثرٌ مبين في تقويم أسلوبه ، وإرشاده الى وسائل الملكة العربية ، ففيه من أصول (فن الكتابة) ما يكتبه علماء الانشاء الغربيون للشداة في الكتابة ليبينوا لهم أخصر الطرق وأقرب الوسائل ، لتحصيل ملكة الكتابة في لغاتهم » .

---

(٢٧) عز الدين التنوخي ، مجلة المجمع العلمي العربي . المجلد ٣٥ سنة ١٩٦٠ ص ٦٦٦ ـ ٦٦٩ .

الألبانيُّون

عدة تسميات لأمة واحدة(*)

د . محمد موفاكو

ليست اللغة العربية هي الوحيدة التي تطلق على هذه الأمة تسميتين مختلفتين هما الأرناؤوط والألبانيون . ففي اللغات الأوربية ايضا ، ولا سيا في لغات البلدان المجاورة ، نجد عدة تسميات :هي : « ارفانيت » في اليونانية ، و« ارناوط » في التركية والبلغارية ، و« ارباناس » في اليوغسلافية » و« البانيون » في اللغات الغربية بالاضافة الى « شتشيبتار » في اللغة الالبانية . وهكذا يتضح أن الصيغتين المستعملتين عند العرب قد وردتا من اللغات الأخرى ، مع أن البعض قد حاول أن يجد لهما تفسيرا عربيا على أساس العلاقات العربية ـ الالبانية .

وتجدر الاشارة هنا الى أن آراء العلماء الاوربيين كانت مختلفة حول أصل التسميات التي أطلقت على الألبانيين كاختلافهم في أصل الألبانيين أنفسهم[1] . ولكن في المدة الأخيرة أصبحت نتائج البحوث المختلفة تؤكد

(*) يستعرض هذا المقال خلاصة النتائج الأخيرة للأبحاث المختلفة ، ولذلك فهو لايقلل من قيمة المحاولة السابقة التي نشرها الأستاذ محمود الأرناؤوط في جريدة « الثقافة الاسبوعية » قبل عدة سنوات تحت عنوان « الارناؤوط ـ هذه الكلمة من أين أتتنا وماذا تعني » . انظر :

محمود الأرناؤوط ، الكشكول الصغير ، بيروت ١٩٨١ ، ص ٦٤ ـ ٦٧ .

(١) كان العالم ثونمان Thunmann خلال القرن ١٨ أول من أطلق النظرية الأولى حول استمرارية الألبانيين في مناطقهم الحالية ، وبالتحديد حول انحدار الألبانيين من الاليريين الذين كانوا يسكنون هذه المناطق في العصر القديم . وقد أيد هذه النظرية لاحقاً عدد كبير

أكثر فأكثر صحة النظرية الأولى التي تقول بانحدار الالبانيين من الاليريين ، أي من السكان القدماء للبلقان[٢] . مما ساعد على حلّ بعض الاشكالات المتعلقة بأصول التسميات التي تطلق على الألبانيين .

وهكذا أصبح من المعروف الآن أن أقدم ذكر للالبانيين قد ورد لدى الجغرافي الاسكندراني بطليموس في القرن الثاني للميلاد . ففي الجزء الثالث من كتابه ، في القسم المتعلق بـ « الموقع الذي تحتله مكدونيا » ، يذكر بطليموس أنه « في أراضي الالبانيين Albanoi تقع مدينتهم البانوبوليس Albanopolis » ويحدد مكان هذه المدينة في الخط الذي يقطع الآن قلب ألبانيا الحالية ، وبالتحديد مابين مدينة ديبرا Dibra في الشرق ومدينة دورس Durrës في الغرب[٣] . الا ان البعض بقي يشكك في حقيقة ما ذكره بطليموس وفي قيمته ، الى ان اكتشفت في المدة الأخيرة الآثار التي تعود أيضا الى القرن الثاني للميلاد ، والتي تحدد وجود هذه المدينة كما سماها بطليموس[٤] . لقد أشار بطليموس الى الألبانيين على أنهم

= من العلماء البارزين كـ ميير Meyer ، وبدرسن Pedersen ، ويوكل Jokl ، وهامب Hamp الخ . وفي نهاية القرن ١٩ وبداية القرن ٢٠ ظهرت نظرية أخرى تقول بانتقال الألبانيين من قلب البلقان ، من مكان ما يتوسط التراقيين والرومانيين ، الى المناطق الحالية التي يسكنونها ، على امتداد البحر الادرياتيكي ، وذلك بالاستناد الى نوع من التقارب بين الألبانية والتراقية القديمة والرومانية الحالية .

(٢) مع أن يوغسلافيا ، حيث يعيش اليوم نصف الألبانيين تقريباً ، بقيت هي الساحة الكبيرة التي تتعارض فيها النظرية الأولى والثانية حول أصل الألبانيين ، فإن الطبعة الجديدة من « موسوعة يوغسلافيا » قد حسمت الأمر بالقول ان « الابحاث اللغوية والاتنولوجية والاركيولوجية وغيرها قد أصبحت تقود نحو الاصل الاليرى للغة الألبانية » :

Albanci, Enciklopedija Jugoslavije, II izdanje, zagreb 1984, s.1

(٣) كتاب « الجغرافيا » كما ورد في :

Ilirët dhe Iliria te autorët antikë, Prishtinë 1979, f. 268

(٤) B. Dragojević - josifovska, Ziva antika XXI - 2, Skopje 1971, s. 513-522

إحدى العشائر الاليرية ، التي كان عددها حينئذ يقترب من عشرين . ولكن مع الزمن تغلب الجزء على الكل ، وأصبح هذا الاسم (الالبانيون) يقصد به التشكّل الجنسي الجديد الذي أخذ يتبلور في مناطقه خلال القرون الوسطى .

ففي القرن الحادي عشر وخلال عدة سنوات (١٠٧٢ ـ ١٠٧٩) يتردد ذكر الألبانيين عدة مرات لدى الكاتبين البيزنطيين ميخائيل آتالياتي ، وآنا كومنينا : مرتين بالصيغة التي ذكرها بطليموس أي Alban-oi ، ومرة باسم اربانيتا Arbanita[٥] . ويلاحظ هنا أنه من ذلك الوقت سيصبح الجذر المشترك لكل التسميات اللاحقة : « الب » alb أو « ارب » arb اي بقلب اللام الى راء . وليس من المصادفة أن تتردد كثيراً التسميات المتعلقة بالألبانيين في المصادر الاوربية منذ ذلك الحين ، اذ أن ذلك يرتبط بزخم الاحداث التي تطورت في المناطق الالبانية حتى وصول العثمانيين ، أي حتى القرن الرابع عشر .

وهكذا نجد أن اللاتينية قد أخذت في بادىء الأمر (١١٦٦) بجذر « ارب » لتصوغ تسمية اربان والاربانيين Arbaneses . وفي الوقت نفسه (القرن ١٢) اعتمدت السلافية الجنوبية (الصربية) جذر « ارب » لتأخذ منه صيغة « اربانس Arbanas » إلا أن اللاتينية تحولت منذ القرن الثالث عشر الى الجذر الآخر لتشتق منه صيغة الباني وألبانيين ، تلك التي شاعت لاحقا في كل اللغات الأوربية الغربية . ويبدو أن طغيان جذر « الب »

---

(٥) تجدر الاشارة هنا الى أن الكاتبة آنا كومنينا تستعمل أيضاً تسمية « اربانون » Arbanun للدلالة على وطن الألبانيين ، وتعيّن بشكل تقريبي حدود هذا الوطن مابين مدينة دورس Durrës ونهر درين Drin ، أي على وجه التقريب في المجال الذي حدده بطليموس لعشيرة الألبانيين الاليرية :

Historia e Popullit Shqiptrë I, Prishtinë 1969, f. 159

قد جاء نتيجة للايحاء الذي كانت تتركه الكلمة اللاتينية « البوس » albus (ابيض)[٦] .

وفي الـوقت نفسـه ، الـذي اتسم ببروز الأمراء الالبـانيين المحليين الطـامحين الى المشـاركـة في الحكم أو في التفرد بـه عن بيزنطـة ، كان الألبانيون قد اخذوا لأنفسهم جـذر « ارب » ، وشـاعت منـذ ذلـك الحين عـدة صيـغ كانـوا يطلقـونهـا على أنفسهم : اربر « arbere » ، اربن « arbënë » ، اربرش « arbëreshë » ، اربنش « arbëneshë » وعلى بلادهم آربريا arbëria أو آربنيا Arbënia[٧] .

وهكذا في ذلك الوقت (القرن ١٤) الذي تعددت فيه التسميـات ، بدأ الاحتكاك بين الألبانيين والعثمـانيين الـذي انتهى بعـد قرن من الزمن إلى سيطرة العثمانيين على المناطق الألبانية . وقد مـال العثمـانيون حينئـذ الى الصيغـة اليـونـانيـة الحـديثـة « ارفـانيت » Arvanitai، التي كانت قـد تطورت من « اربـانيت » . ونتيجـة للابـدال بين حرفي n ,v ، وتحـول i الى u بسبب قوانين التنـاغم للغـة التركيـة أصبح العثمـانيون يطلقـون على الالبـانيين اسم Arnavud ، الـذي كان يكتـب بـالعثمـانيـة « ارنود . وكان العثمانيون قد كونوا وحدة ادارية جديدة في المنـاطق التي سيطروا عليهـا وسموها « سنجق ارفانيد » أو « سنجق ارنود »[٨] . وكما يبدو فـان الصيغـة

(٦) ان هذا الايحـاء يبـدو قـائمـا حتى القرن ١٨ . وهكـذا نجـد مثلا ان كنيـة البـابـا الألباني الأصل كلمنت الحادي عشر « ألبانو » Albano تترجم حرفيا الى « الابيض » :

Rexhep Ismaili, Emri i Shqiptarëve, jala, Prishtinë 15. X. 1985, f. 3

(٧) مع ترسخ هذه التسميات ، وخاصة مع بروز « امارة آربريا » في نهـايـة القرن ١٢ وخلال القرن ١٣ ، أصبح اسم الألبانيين يتردد كثيراً في المصادر الاوروبية المختلفة ، نظراً لتحور الكثير من الأحداث في مناطقهم .

(٨) حول هذا السنجق وأهميته انظر :

H. Inalcik, Hicri 835 tarihli suret - i defter - i Sancak - i Arnavud, Ankara 1954

العثمانية بقيت تصاحب في البداية الصيغة اليونانية « ارفانيت » الى ان بقيت وحدها في الاستعمال . ولكن فيما بعد ، مع التغيرات الادارية في المناطق الألبانية ، أخذ العثمانيون يستعملون صيغة جديدة « ارنود لك » للدلالة بشكل عام على المناطق التي يعيش بها الألبانيون ، وبغض النظر عن التقسيمات الادارية المتعاقبة[٩] .

وخلال العصر العثماني أخذ الالبانيون يميلون الى صيغة جديدة يطلقونها على أنفسهم : شتشيبتار shqiptarë ، أو شكيبتار shkiptarë ، وهي الصيغة التي حافظوا عليها الى اليوم . وكان جذر هذه التسمية الحديثة « شتشيب » shqip (الكلام بوضوح ، بفصاحة) قد استعمل في أول كتاب ألباني مطبوع (١٥٥٥) ثم توسع معناها ليشمل اللغة الألبانية عامة shqija . shqipe . وفي تطور لاحق أضيفت اللاحقة « تار » tar لتعني المتكلم بالالبانية أو الألباني shqiptar . ولقد وردت هذه التسمية لأول مرة في وثائق« المجلس الألباني » (١٧٠٣)[١٠] ، إلا أنها أخذت تنتشر تدريجيا حتى أصبحت خلال القرن ١٩ التسمية الوحيدة التي يطلقها الألبانيون على أنفسهم[١١] . وقد ترافق هذا مع تشكل وانتشار

(٩) أصبح الألبانيون فيما بعد يتوزعون على أربع ولايات عثمانية في البلقان : ولاية شكودرا ، وولاية كوسوفا ، وولاية مناستير ، وولاية يانينا ، مما كان يغذي مشاعر السخط ويدفع الحركة القومية للمطالبة بتوحيد هذه الولايات الأربع في ولاية واحدة (ارناودلك) تتمتع بحكم ذاتي . للتوسع حول هذا ، انظر :

د ١ انتوني سوريال عبد السيد ، الرابطة القومية الألبانية (١٨٧٨ ـ ١٨٨١) ، القاهرة ١٩٨٦

(١٠) Rexhep Ismaili, Gjuha e Kuvendit të Arbrit, prishtinë 1986

(١١) لقد تركت هذه التسمية انطباعاً خاصاً لدى الشاعر الانكليزي جورج بايرون . فخلال تجواله في غرب البلقان كان يحرص على ان يسأل السكان عن قوميتهم ، فكان لايسمع الا « مسلم » أو « مسيحي » ، بينما كان لايسمع في المناطق الألبانية الا « شتشيبتار » : No-li , Vepra 2 , Tiranë 1987 , F . 78

الصيغة الجديدة التي تحدد الوطن القومي للالبانيين : « شتشيبريا » Shqipëria أو « شتشيبنيا » Shqypnia[١٢] .

ومن المعروف ان العصر العثماني كان قد جمع العرب والالبانيين ، بالاضافة الى غيرهم من الشعوب ، في دولة واحدة لعدة قرون (ق ١٦ ـ ٢٠) . ومن الطبيعي في هذه الحالة أن يميل العربُ في البداية الى الصيغة العثمانية . « أرنود » ، التي أصبحت تكتب لاحقاً بأشكال مختلفة : « أرنوود ، أرناود ، أرناووط » . وعلى هذا الأساس أيضاً أخذ العرب بالصيغة العثمانية لتسمية المناطق الألبانية أرناودلك) : بلاد الأرنود ، أو بلاد الأرناووط . وفي وقت لاحق ، في النصف الثاني للقرن التاسع عشر ، أخذت الصيغة الأخرى ، ألبانيا والألبانيون ، تستعمل في اللغة العربية ، وبالتحديد في اللغة الحديثة التي بدأت تظهر في الصحف والمجلات . وفي هذا الاطار تجدر الاشارة مثلا الى دور مجلة « الجنان » اللبنانية ، التي عززت هذه الصيغة الجديدة بعد أن نشرت على حلقات كتاب باشكو فاسا « ألبانيا والألبانيون » خلال ١٨٨٢[١٣] .

هذا ، وقد بقيت الصيغة الأولى (الارناووط) هي الأكثر شيوعاً في العربية حتى نهاية العصر العثماني . وكان مما ساعد على شيوع هذه التسمية تعميمها كلقب على كل المهاجرين الألبانيين الذين استقروا في المشرق ، ولاسيما في مصر والشام خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن

---

(١٢) وبعبارة أخرى أن هذا ينفي الرأي الذي شاع فترة من الزمن عن ارتباط هذه التسمية Shqiponjë (النسر) وبالتالي اعتبار « شتشيبريا » بلاد النسور .

(١٣) تجدر الاشارة هنا الى أن المؤلف كان متصرف جبل لبنان في تلك المدة (١٨٨٣ ـ ١٨٩٢) ، وكان كتابه هذا قد صدر أولا بالفرنسية في باريس سنة ١٨٧٩ .

العشرين[١٤] . الا أن الصيغة الثانية (الألبانيون) شقت طريقها بسرعة في السنوات الأخيرة للعصر العثماني ، ولاسيا بعد أن أعلن الاستقلال الألباني (١٩١٢) ، وبعد أن استقر كيان ألبانيا دولةً منذ ١٩٢٠ .

ومع أن الصيغتين ، الأولى والثانية ، قد دخلتا الى العربية من بقية اللغات (التركية من ناحية ، والفرنسية والانكليزية من ناحية أخرى فإن بعضهم أراد أن يجد تفسيراً عربياً للصيغة الأولى (الأرناووط) بالاستناد الى التداخل الذي حصل بين العرب والألبانيين . وبعبارة أخرى لقد كان الاصل العربي للتسمية يفترض بدوره الاصل العربي للألبانيين . وهكذا فقد راجت في الجانب العربي خلال نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الآراء عن الأصل المشترك للعرب والألبانيين . وكان ممن روجوا لهذه الآراء المؤرخ أحمد بن زيني دحلان ، الذي يعرّف الألبانيين بأنهم « من عرب الشام من بني غسان ارتحلوا من الشام بعد ماأتى الله بالاسلام »[١٥] .

وبالاستناد إلى ذلك أصبح من الممكن القول ان كلمة « ارناووط » تعود في أصلها الى عبارة « عار أن نعود » ، التي تفوه بها العرب - الألبانيون بعد ان استقروا في وطنهم الجديد[١٦] .

---

(١٤) حول هذه الهجرة الى المشرق هناك تفصيلات في اللغة العربية :
د . محمد موفاكو ، الألبانيون في سوريا ودورهم في الحياة السورية ، المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام ، ج ١ ، دمشق ١٩٧٨ .

(١٥) احمد بن زيني دحلان ، الفتوحات الاسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية ، ج ٢ ، القاهرة د . ت ، ص ١٣٠

(١٦) لقد كان المؤرخ العزاوي ممن ذكروا ورفضوا هذه الرواية جملة وتفصيلا : عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، بغداد ١٩٤٩ ، ص ٤٨ - ٤٩ . ويمكن أن نضيف هنا أن ترويج هذه الرواية في بداية القرن ٢٠ كان له هدف سياسي ، الا وهو دعم تطلعات الملك فؤاد لمركز الخليفة بعد الغاء الخلافة في تركيا الكمالية سنة ١٩٢٤ .

ولقد كنا بيّنا في بحث لنا الوضع في الجانب الآخر (الألباني) ، الذي يتميز بوفرة الروايات المتعلقة بالأصل العربي للألبانيين وأهميتها . وبهذه المناسبة كنا قد توصلنا الى أن الشريعة الاسلامية في هذه الروايات نشأت في عصر متأخر ، وبالتحديد فوق شريحة مسيحية أقدم ، بينما يمكن تتبع الأصل الى الاسطورة المتعلقة بالأصل المشترك بين الفينيقيين والاليريين ، أي بين أجداد السوريين وأجداد الألبانيين(١٧) .

(17) Dr. muhamed mufaku, prania e shqiptarëve në botën arbe¨ gjatë shek. XVIII- XIX dhe në fillim të shek. XX, diser.i doktoratës, F. Filozofik, prishtinë 1986

التعريف والنقد
المستدرك
على دواوين شعراء العرب المطبوعة
(القسم الثاني)

الدكتور شاكر الفحام

رابعاً - الاستدراك على شعر بشار بن برد

أبو معاذ بشار بن برد من فحولة الشعراء وسابقيهم المجوّدين . كان غزير الشعر ، سمح القريحة ، كثير الافتنان ، قليل التكلف . ولم يكن في الشعراء المولّدين أطبع منه ، ولا أصوب بديعاً . قال فيه الجاحظ : « وليس في الأرض مولّد قرويّ يعد شعره في المحدث إلا وبشار أشعر منه » .

وكان ديوان بشار عزيز الوجود ، ولعل آخر من رآه ونقل عنه من العلماء المتقدمين الشهاب الخفاجي في شرحه على الدرة . ذكر ذلك الأستاذ الكبير عبد العزيز الميمني ، رحمه الله وأسبغ عليه واسع رضوانه ، في مقدمة كتاب : المختار من شعر بشار[1] .

وقد انتدب في العصر الحديث لجمع شعر بشار المبدّد المفرق في كتب الأدب والمحاضرات الأديبُ أحمد حسنين القرني ، وأصدر كتابه : بشار بن برد - شعره وأخباره (سنة ١٩٢٥ م) ، ثم جاء في أعقابه الأستاذ حسين منصور فألف كتاباً سماه : بشار بن برد بين الجدّ والمجون (سنة ١٩٣٠ م) .

● نشر القسم الأول من المقالة في مجلة المجمع ، مج ٦٣ ج ٣ ، ص ٤٩٥ - ٥٢٦

(١) المختار من شعر بشار : (ط) ، شرح درة الغواص في أوهام الخواص للخفاجي : ٤٣ .

وعُني الأستاذ محمد بدر الدين العلوي بتحقيق كتاب المختار من شعر بشار (القاهرة ـ ١٩٣٤ م) .

وكان من يُمن الطالع أن اشتملت خزانة كتب الأستاذ العلامة محمد الطاهر بن عاشور على جزء مهمّ من ديوان بشار يبدأ بحرف الهمزة وينتهي في أثناء حرف الراء . وقد نهض بعبء تحقيقه ، وأظهره للناس في ثلاثة أجزاء (القاهرة ١٣٦٩ ـ ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٠ـ ١٩٥٧ م)، ثم تصدّى من بعدُ لجمع المتناثر من شعر بشار ، فأصدره في جزء رابع ، ضمّه إلى أجزاء الديوان الثلاثة المطبوعة ، وسمّاه : ملحقات الديوان (القاهرة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م) .

وقام الأستاذ بدر الدين العلوي بجمع ثان لأشعار بشار ، ضمّنه مختارات الأدباء والعلماء التي انتقوها من شعر بشار ، وصدر الكتاب عن دار الثقافة ببيروت ، بعنوان : (ديوان شعر بشار بن برد)[٢] .

وطبع ديوان بشار بن برد بتحقيق الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور طبعة ثانية ، صدرت عن الشركة التونسية للتوزيع ، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر (سنة ١٩٧٦ م) . وأضاف الأستاذ محمد الطاهر الى جزئه الرابع (ملحقات الديوان) جزءاً كبيراً مما تفرّد به الأستاذ بدر الدين العلوي في الديوان الذي جمعه ، وشفع ذلك بزيادات أخر عثر عليها بعد طبع ديوانه الطبعة الأولى[٣] .

لقد ضمّ هذان الديوانان (جمع الأستاذ الطاهر ، وجمع الأستاذ

(٢) لم تشر دار الثقافة ببيروت إلى سنة الطبع . ولكن مقدمة الأستاذ بدر الدين العلوي حُررت في ١٢ ايلول ١٩٦٣ م . ويقول الأستاذ مختار الدين أحمد إن الديوان طبع سنة ١٩٦٥ م (مجلة المجمع العلمي الهندي ، مج ١ ج ١ ، ص ١٦٤) .

(٣) نظرات في ديوان بشار بن برد : ١٩ ـ ٣٢ ، ديوان بشار بن برد (ط ٢) ٤ : ٥ ـ ٦ .

العلوي) ثروة طيبة من شعر بشار ، (ولاتزال بقية صالحة من شعره في تضاعيف الكتب لم ينظمها سلك) . وهذان الديوانان هما المعتمدان لدى العلماء في المراجعة والتخريج . وان الاستدراك والاضافة انما يتمان بعد تأكد الباحث من عدم ورود الشعر المستدرك فيهما .

وقد بينتُ آنفاً أن الجزء الرابع من طبعة الأستاذ الطاهر الثانية (سنة ١٩٧٦ م) قد اشتمل على كثير مما جاء في الديوان الذي جمعه الأستاذ بدر الدين العلوي . ولكن لايجوز الاكتفاء به في المراجعة ، لأن الأستاذ الطاهر لم يستطع الوفاء بما تعهد به من تضمين الطبعة الثانية للجزء الرابع من الديوان (ملحقات الديوان) كلَّ ماتفرّد به الديوان الذي جمعه الأستاذ العلوي[٤] .

١ ـ استدرك الأستاذ الباحث الدكتور رضوان النجار على ديوان بشار المطبوع ثلاثة أبيات ، وكان يعني بالديوان المطبوع الديوان الذي قام بجمعه الأستاذ بدر الدين العلوي . ولكنه حين سرد ثبت المصادر والمراجع في ختام بحثه أغفل ذكر هذا الديوان البتة ، وأدرج اسم ديوان بشار بن برد الذي تولّى تحقيقه الأستاذ الكبير محمد الطاهر بن عاشور[٥] .

٢ ـ استدرك الأستاذ الفاضل قول بشار :

فسد الزمانُ وساد فيه المقرفُ   وجرى مع الطِّرْفِ الحمارُ الموكفُ

استمده من كتاب المحاضرات لليوسي ، وذكر أنه لم يرد في ديوان بشار

---

(٤) أشار الأستاذ عبد الجبار عبد الرحمن في كتابه : ذخائر التراث العربي الاسلامي (١ : ٣٧٩ / ط ١٩٨١ م) إلى طبعتي الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور ، وإلى كتاب المختار من شعر بشار . وسها عن الإشارة الى طبعة الأستاذ بدر الدين العلوي .

(٥) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣١ ج ١ ص : ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٧٨ .

الذي جمعه وحققه السيد بدر الدين العلوي[٦] .

ـ لم يرد البيت المذكور آنفاً في الديوان الذي جمعه الأستاذ بدر الدين العلوي ، ولكنه ورد في الديوان الذي جمعه الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور ، استمده من كتاب بهجة المجالس لابن عبد البر[٧] .

٣ ـ واستدرك الأستاذ الفاضل بيتين هما :

كريمٌ يغضّ الطرفَ عند حيائه ويدنو وأطرافُ الرماح دوانِ
وكالسيف إن لاينته لان متنهُ وحدّاه إن خاشنته خشنانِ

وذكر أن الجاحظ أوردهما في البيان والتبيين دون أن ينسبهما ، وأن الثاني منهما ورد في محاضرات اليوسي وحماسة البحتري من غير نسبة . ولكن البيت الثاني جاء في ديوان بشار بن برد (جمع العلوي) ، فيكون الأول منهما لبشار أيضاً[٨] .

لعله يحسن أن أذكر البيتين قد عُزيا الى غير شاعر . وكان على الأستاذ الباحث أن يشير الى ذلك ، لئلا يظن القارئ أن البيتين لم ينسبا إلا لبشار ، لايشركه فيهما أحد . وهذا خلاف ماجاءت به الروايات .

فقد ورد البيتان في خاص الخاص للثعالبي منسوبين الى أبي الشيص الخزاعي . ثم خرّجهما محقق الكتاب الدكتور صادق النقوي فقال : « ورد البيتان في زهر الآداب وديوان الحماسة وديوان المعاني والبيان والتبيين من

---

(٦) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣١ ج ١ ص : ٢٤٥ .

(٧) ديوان بشار بن برد لمحمد الطاهر بن عاشور ، الجزء الرابع ـ ملحقات الديوان ، ص : ١١٠ (ط ١) ، ص : ١٢٩ (ط ٢) .

(٨) مجلة معهد المخطوطات ، مج ٣١ ج ١ ، ص : ٢٤٦ .

قلت : أثبت الشيخ محمد الطاهر البيت في طبعته الثانية (٤ : ٢٤٧) نقلاً عن الديوان الذي جمعه الأستاذ بدر الدين العلوي .

دون عزو . والأول منهما في المحاضرات وديوان المعاني (في موضع ثان) وشرح النهج من دون عزو . وورد الثاني منهما من دون عزو في التشبيهات وحماسة البحتري والصناعتين والتمثيل والمحاضرة . وعزاه الشريشي في شرح المقامات الى بشار .... »[٩] .

قلت : وقد أورد البيت الثاني منهما محمد بن طباطبا العلوي في كتابه عيار الشعر معزواً الى الراعي[١٠] . ومن أجل ذلك أدرج الأستاذ راينهرت فايبرت البيتين في ملحق ديوان الراعي النميري[١١] .

٤ ـ إن اكتفاء الأستاذ الباحث باستدراك ثلاثة أبيات على ديوان بشار المطبوع (لم يبق له منها بعد العرض الذي قدمناه إلا بيت واحد عُزي الى غير واحد من الشعراء) شيء قليل ، اذا قيس بما تناثر من أشعار بشار في كتب الأدب والمحاضرات ، مما لم يضمه الديوانان المذكوران آنفاً .

٥ ـ ولقد عرض الأستاذ مختار الدين أحمد لديوان بشار صنعة الأستاذ بدر الدين العلوي ، واستدرك عليه سبعة أبيات[١٢] ، هي :

(أ) بيتان على الثاء ، كان قد ذكرهما الأستاذُ الذي استدرك على الديوان في الملحق الذي جعله في آخر الديوان ، نقلاً عن كتاب فصل

---

(٩) خاص الخاص للثعالبي : ٣٦٤ ـ ٣٦٥ ، قلتُ : قد جاء البيت الثاني في كتاب التشبيهات لابن أبي عون (ص ٢٦٣) معزواً إلى أبي الشيص الخزاعي خلافاً لما ذكره محقق كتاب خاص الخاص للثعالبي .

(١٠) عيار الشعر لابن طباطبا : ٢٥ .

(١١) ديوان الراعي النميري : ٣١٢ ، وقد خرّج البيتين الأستاذ فايبرت في أطروحته WS ، ص : ١٣٦ في مصادر كثيرة ، أبرزها : ديوان ليلى الأخيلية ، وديوان أبي الشيص ، والايجاز والاعجاز للثعالبي ، وخاص الخاص للثعالبي ، والحماسة البصرية ، وأنوار الربيع لابن معصوم ......

(١٢) مجلة المجمع العلمي الهندي ١ / ١ : ١٦٧ .

المقال . (انظر ديوان شعر بشار بن برد لبدر الدين العلوي ـ زيادات واستدراكات ، ص ٢٨٩) .

وذكرها الدكتور مختار الدين أحمد نقلاً عن الحماسة البصرية . ثم أثبتها الأستاذ الطاهر نقلاً عن الحماسة البصرية[١٣] .

(ب) وقول بشار :

وما الناس إلا حافظٌ ومضيّعٌ وما العيشُ إلا ماتطيب عواقبُهْ

استمده من الحماسة البصرية . وكذلك أثبته الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور من الحماسة البصرية[١٤] .

قلت : وقد أورده أبو علي الحاتمي في حلية المحاضرة[١٥] .

(ج) بقيت أربعة أبيات استمدها الدكتور مختار الدين أحمد من كتاب التمثيل والمحاضرة للثعالبي . إن عبارة الثعالبي لاتساعد على القطع بنسبتها إلى بشار ، بل لعلها أقربُ الى نفيها عن بشار .

٦ ـ وقد رأيتُ أن أنقل هنا طائفة من شعر بشار ، مما التقطته من بطون الكتب ، وعلقته على حواشي الديوان ، ولم أره في الديوانين المطبوعين المذكورين آنفاً .

وقد سردتُ هذه الأشعار (وهي قلّ من كثر) لتكون شاهداً ودليلاً لما يمكن تداركه من شعر بشار المبدّد المفرق في المظانّ من كتب الأدب والمحاضرات ، اذا تفرغ له باحث ، رُزق الصبر والمقدرة على تصفح المصادر ومجالسة الكتب . ولستُ من المتشددين الذين يفرطون في التتبع ويبالغون في الاستقصاء ، كأنهم يودون ألا يندّ عنهم مصدر ، فذلك مالا

---

(١٣) ديوان بشار بن برد (ط ٢) ٤ : ٣٨ .

(١٤) ديوان بشار بن برد (ط ٢) ٤ : ٣٤ .

(١٥) حلية المحاضرة في صناعة الشعر ١ : ٢٤٩ .

يـدرك . ولكني أيضـاً لأحبُّ التنـاول السهـل القريب ، الـذي لايقتضي بحثاً ودأباً ، ولا يكلف مراجعة وعناء .

(١)

إن الطبيب بطبّـــه ودوائـــــه لايستطيـع دفـــاع مقـــدورٍ أتى

مـاللطبيب يمـوت بـالـداء الـــذي قـــد كان يبرىء مثلـــه فيما مضى

هلـك المـداوَى والمـداوِي والـــذي جلب الـدواءَ وبـاعـه ومن اشترى

جـاءت الأبيـات الثـلاثـة في محـاضرات الراغب (٢ : ٤٣٢)، وفي التمثيل والمحاضرة للثعالبي (ص ١٨٢) غير منسوبة ، وأعاد الراغب البيتين الثاني والثالث (المحاضرات ٤ : ٤٨٨) غير منسوبين .

ولكن البيتين الأول والثـاني جـاءامـع ثـالث لهما ، ونسبت الأبيـات الثلاثة الى بشار في المختار من شعر بشار (ص ٢٨٥)[١٦] .

وهكذا نضيف البيت الأخير الى حصيلة مااشتمل عليه ديوانا بشار .

أما ابن عبد البر فقـد روى البيتين الأول والثـاني وقـدم لهما بقولـه : « ولأبي العتاهية ، ويروى لغيره »[١٧] .

(٢)

. . . . على فتكةٍ فالفتك صعب مراكبهْ[١٨]

(٣)

ولا خير في قربى لغيرك نفعُهـــا ولا في صديـقٍ لاتـزال تعـاتبُـهْ

---

(١٦) ديوان بشار بن برد (ملحقـات الـديوان) ٤ : ٢٣٠ (ط ١) ، ٤ : ٢٥٦ (ط ٢) ، ديوان شعر بشار بن برد للعلوي : ١٦ ـ ١٧ .

(١٧) بهجة المجـالس ١ : ٣٨٨ ، وجـاءت الأبيـات في كتـاب (أبو العتـاهيـة ـ أشعـاره وأخباره) : ١٨ ، مع التشكك في نسبتها .

(١٨) حلية المحاضرة ١ : ٢٦١ .

يخـونـك ذو القربى مراراً وربمـا   وفي لك عند الجهـد من لاتقـاربـه

جاء البيتان غير منسوبين في بهجـة المجالس لابن البر (١ : ٧٧٨) . أما الديوانان فقد أوردا البيت الثاني فقط ، استمداداً من محاضرات الأدباء للراغب الاصبهـاني الـذي نسب البيت الى بشـار[١٩] . وجـاء البيت الأول غير منسوب في الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي (ص ٢٨١) .

(٤)

بُنَيَّتي ليس بهـــا ظبظـــــابُ
في السرّ من خُرْسـان لاتُعـابُ
زُيّن منهـا النحرُ والرِّهَـابُ[٢٠]

(٥)

فـــالله أســـألــــه إدوام دائهمُ   وأن يديم لنا مـايوجب الحسـدا[٢١]

(٦)

(١٩) ديـوان بشـار بن برد (ملحقـات الـديـوان) ٤ : ١١ (ط ١) ، ٤ : ١٦ (ط ٢) ، ديوان شعر بشار بن برد للعلوي : ٤٤ .

(٢٠) رسائل أبي العلاء المعري ، تح الدكتور احسان عباس ١ : ٥٦ ، رسـالـة الغفران لكامل كيلاني ، السفر الثاني : ٥١٥ ، مجلة مجمع اللغـة العربيـة بـدمشق ، مج ٥٦ ، ج ٣ (تموز ـ ١٩٨١ م) ص : ٦٣٥ ـ ٦٣٧ .

وجاء البيت الأول غير منسوب في اصلاح المنطق لابن السكيت : ٣٨٥ ، وفي اللسـان (ظبظب) ، ونسبه إلى بشار الخطيب التبريزي في كتاب : تهذيب اصلاح المنطق : ٧٩٣ .

وجاء البيت الثاني في الصحاح واللسان (خرس) ، وفي معجم البلدان (خراسـان) . ونقلـه من اللسـان الأستـاذ الطـاهر بن عـاشـور (ملحقـات الـديـوان ٤ : ٢٧ / ط ١ ، ٤ : ٣١ / ط ٢) ، ونقل جزءاً منه من معجم البلدان الأستاذ بدر الدين العلوي (ديوان شعر بشار : ٢٤).

(٢١) بهجة المجالس لابن عبد البر ١ : ٤١٦ .

فبالله ثق إن عزّ ماتبتغي وقل   اذا الله سنّى عقد أمرٍ تيسّرا[٢٢]

(٧)

روى السريّ الرفاء في المحب والمحبوب لبشار :

وللفظها دلٌّ إذا نطقت   تركت بنات فؤاده صعرا
كتساقط الرطب الجنيّ من الـ   أفنانِ لانثراً ولا نزرا

وبيّن الأستاذ المحقق الفاضل مصباح غلاونجي أن البيتين نسبا لأبي دهبل الجمحي ، وعمر بن أبي ربيعة ، وخرّجهما[٢٣] .

(٨)

روى السريّ الرفاء لبشار :

اسقني في اللجين من حلب الكر   م وفي العسجديّ كأسَ المجوسِ
قد صغا النجمُ للهبوط وقد حا   نت صلاةُ الرهبان والقسّيس
هاتها كالشواظ تجمح في الرأ   سِ جماح الحصان غير الشموسِ

أورد السريّ الأبيات الثلاثة في باب السكر ، وكان قد ذكر البيت الثالث في باب أسماء الخمر[٢٤] . .

(٩)

أنشد السريّ الرفاء لبشار :

حوراءُ ألبسها النعيمُ ثيابه   كملت فكانت فوق وصف المفرطِ
ولقد لهوتُ بها فلم أظهر لها   سوءاً ولم أهبط جميع المهبطِ[٢٥]

---

(٢٢) تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون للصلاح الصفدي : ٣٥٥ .

(٢٣) المحب والمحبوب للسريّ الرفاء (تح . مصباح غلاونجي) ١ : ١٦٤ .

(٢٤) المحب والمحبوب ٤ : ٧٩ ، ٣٠٦ .

(٢٥) المحب والمحبوب ٢ : ١٤١ .

(١٠)

روى أبو حيان التوحيدي في البصائر والذخائر : « قال بشار : من جيّد قولي :

أنفس الشـــــوق ولاينفسني وإذا قـــــارعني الهمُّ رَجَـــعْ
أصرع القِرْنَ إذا نـــازلتُـــه وإذا صــــارعني الحبُّ صَرَعْ
عمَرَك اللهَ أمـــــا تعرفني أنـا حرّاثُ المنـايـا في الفـزع
انــــا كالسيف اذا وادعتـــه لم يروّعـــك وان هــزّ قطـع[٢٦] »

وقد أورد الأستاذ محمد الطاهر في طبعة الديوان الثانية أربعة أبيات لبشار ، استمدها من كتاب مجالس العلماء للزجاجي ، أبياتها الثلاثة الأولى هي الأبيات الأول والثاني والرابع التي رواها أبو حيان . أما البيت الرابع في رواية أبي اسحاق الزجاجي فهو :

سيفي الحلمَ وفي منطقتي أسـدُ المـوت إذا المـوتُ نَقَـع[٢٧]

ويتمُّ لنا من هاتين الروايتين اضافة بيت لم يروه الاستاذ الطاهر .

(١١)

قال أبو حيان التوحيدي : « وأنشد ابن أبي طاهر لبشار :

فسد الـزمـانُ وساد فيـه المقرفُ وجرى مع الطِّرْفَ الحمارُ المـوكَفُ
فـدع التبحُّثَ عن أخيـك فـإنـه كسبيكة الذهب الذي لا يكلف[٢٨] »

البيت الأول ساقه الأستاذ محمد الطاهر في ملحقات الديوان ، والبيت

(٢٦) البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي ٢ / ٢ : ٥١٠ .
(٢٧) ديوان بشار بن برد (ط ٢) ٤ : ١٢٣ ، مجالس العلماء للزجاجي : ٢٠٧ .
(٢٨) البصائر والذخائر لأبي حيان ١ : ٢٤٠ ـ ٢٤١ .

الثاني ساقه الأستاذ بدر الدين العلوي في ديوان شعر بشار[٢٩] . وغايتي من سردهما معاً أن أجمع مافرّقه الديوانان ، وأن أدلّ على أنهما من قصيدة واحدة .

(١٢)

قال شارح القصيدة الدامغة : « ومن قول بشار وذكر مَوْتَى :

فأصبحوا في التراب موتى كأنهم حنظلٌ نقيفُ »[٣٠] .

(١٣)

يجتوي ودّي كأني شيبةٌ بين فروقه[٣١]

(١٤)

ذكر الديوانان عدة أبيات لبشار من قصيدته الكافية التي منها بيته المشهور :

ياأطيب الناس ريقاً غير مختبر إلا شهادة أطراف المساويكِ[٣٢]

ويضاف الى ماذكراه البيتان اللذان أوردهما الحصري في جمع الجواهر وهما :

يسرّني وجهكِ المعشوق مقبلةً وإن توليتِ راعتني تواليكِ
كأن مسكاً وريحاناً وغاليةً مابين حجلك أو أعلى ذفاريكِ[٣٣]

---

(٢٩) ديوان بشار بن برد للأستاذ محمد الطاهر (ط ١) ٤ : ١١٠ ، (ط ٢) ٤ : ١٢٩ ، ديوان شعر بشار بن برد للعلوي : ١٥٩ .

(٣٠) كتاب القصيدة الدامغة : ٩٨ .

(٣١) المنصف لابن وكيع : ٣٧٦ .

(٣٢) ديوان بشار بن برد (ط ١) ٤ : ١٢٣ ـ ١٢٤ ، (ط ٢) ٤ : ١٤٣ ـ ١٤٤ ، ديوان شعر بشار بن برد : ١٧٣ ـ ١٧٤ .

(٣٣) جمع الجواهر في الملح والنوادر لأبي اسحاق الحصري القيرواني : ٣٤٥ ـ ٣٤٦ .

وكذلك الأبيات التي جاءت في الحماسة البصرية وهي :

أغراكِ بالبخل قلبٌ لايلين لنا يـاليتـه مرةً بـالجـود يُغريـكِ
قـالت ملكت ولم تملك فقلت لها مـاكل مـالكـة تُزْري بمملـوكِ
اذا ملكت ولم تعطين (؟) من سعـةٍ فمن يؤمّـل معروف الصعـاليـك[٣٤]

والبيت الأول من هـذه الأبيـات الثـلاثـة استـدركـه الأستـاذ محمـد الطاهر بن عاشور في طبعة ديوانه الثانية[٣٥] .

ويحسن أن نشير إلى أن هذه الأبيات لم تصفُ خالصة لبشـار ، فقـد اختلطت أبيـات منهـا وتـداخلت بـأبيـات ليعقـوب بن اسماعيـل بن ابراهيم بن محمـد (ويعرف بفروخ الطلحي المـدني)[٣٦] ، قـالهـا في وهبـة جارية محمد بن عمران القروي[٣٧] .

(١٥)

أخٌ خيرُ من آخيتُ أحمـلُ ثقلـه ويحمـلُ عني حين يفـدحُني ثِقْلي
أخٌ إن نبـا دهرٌ بـه كنتُ دونـه وإن كان كـونٌ كان لي ثقـةً مثلي
أخٌ مـــالُـــه لي لستُ أرهبُ بخلَـــه
ومـــالي لـــه لايرهبُ الـــدهرَ من بُخْلي[٣٨]

(١٦)

---

(٣٤) الحماسة البصرية ٢ : ٢١٠ ـ ٢١١ .

(٣٥) ديوان بشار بن برد للأستاذ محمد الطاهر بن عاشور (ط ٢) ٤ : ١٤٦ .

(٣٦) أخبـار فروخ الطلحي في : معجم الشعراء للمرزبـاني : ٤٩٥ ـ ٤٩٦ ، ومراتب النحويين : ٦٠ ، والأغاني (ط . دار الكتب) ١٥ : ٥٣ ـ ٥٤ ، ٢٠ : ١٠١ .

(٣٧) الأغاني (ط . دار الكتب) ١٥ : ٥٣ ـ ٥٤ ، ٢٠ : ١٠١ .

(٣٨) الجليس والأنيس ٢ : ٣٦٥ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر لبدران ٥ : ٢٣١ (ترجمة دعبل) .

أقولُ وقد غَصَّت عيونٌ بمائها ... علينا ومن دمعي كَمِينٌ ومرسَلُ
وجدت دموع العين تجري غروبها ... أخفَّ على المحزون والصبرُ أجملُ(٣٩)

(١٧)

. . . . ليس في منع غير ذي الحق بخلُ(٤٠)

(١٨)

. . . . وليس إلى أهل السماء سبيلُ(٤١)

(١٩)

. . . . وللفقرُ خيرٌ من سؤال بخيلِ(٤٢)

(٢٠)

ذكر الديوانان طائفة من أبيات بشار من قصيدته الشهيرة التي مدح

(٣٩) المحب والمحبوب ٢ : ٣١ ، والثاني منها في محاضرات الأدباء ٣ : ٨٢ ، وصدر البيت الأول رواه الطاهر بن عاشور في ملحقات الديوان ٤ : ٩ (ط ١) ، ٤ : ١٤ (ط ٢) .

(٤٠) حلية المحاضرة ١ : ٢٦٣ .

(٤١) حلية المحاضرة ١ : ٢٦٢ .

(٤٢) حلية المحاضرة ١ : ٢٦٢ ، وعلّق محقق الحلية الدكتور جعفر الكتاني (١ : ٢٧٤ رقم ٤٤١) بأنه لم يجد البيت بين لاميات بشار . وذكر بيت أبي الأسود الدؤلي (العقد لابن عبد ربه ٦ : ١٩٦ ، نهاية الأرب ٣ : ٣١٤) :

يلومونني في البخل جهلاً وضِلَّةً ... وللبخلُ خير من سؤال بخيل

وبيتي عبد الله بن المعتز (نهاية الأرب ٣ : ٣١٥) :

أعاذل ليس البخل مني سجيةً ... ولكن وجدت الفقر شر سبيل
لموت الفتى خير من البخل للفتى ... وللبخل خير من سؤال بخيل

وبيتاً لشاعر مجهول قاله في تحسين القبيح (العقد لابن عبد ربه ٥ : ٣٣٦) :

يقولون لي إني بخيل بنائلي ... وللبخلُ خير من سؤال بخيل

بها عمر بن العلاء والتي يقول فيها :

ألا أيها السائلي جاهداً ليعرفني أنا انف الكَرَمْ
نمت في الكرام بني عامر فروعي وأصلي قريشُ العَجَمْ(٤٣)

ويضاف إلى ماذكراه البيتُ الذي أورده السريّ الرفاء في المحب والمحبوب :

أصفراءُ رقّي على عاشق به لمّ منكِ أو كاللَّمَمْ(٤٤)

والبيتُ الذي جاء في جمع الجواهر :

وجال اللواءُ على رأسه يدوّمُ كالمضرحيّ القرِمْ(٤٥)

(٢١)

كأن المنايا عُلّقت بسيوفنا يُصبن المفدّى والغويّ المذمّما(٤٦)
وماحلبت بعد النوال أكفنا دماً جارياً إلا لمن كان أظلما
وأيام من عزّ امرأ بزّ مالَه . . . .

(٢٢)

روى الديوانان أبياتاً من قصيدة بشار التي منها بيته المشهور :

هل تعلمين وراء الحب منزلة تُدني اليكِ فإن الحبَّ أقصاني(٤٧)

(٤٣) ديوان بشار بن برد (ط ١) ٤ : ١٥٦ ـ ١٦١ ، (ط ٢) ٤ : ١٧٨ ـ ١٨٣ ، ديوان شعر بشار بن برد للعلوي : ٢١٤ ـ ٢١٨ .

(٤٤) المحب والمحبوب والمشموم والمشروب ١ : ٢٢٤ .

(٤٥) جمع الجواهر في الملح والنوادر للحصري : ٣٤٧ ، المضرحيّ : النسر . وقال أبو عبيد : الأجدل والمضرحيّ والصقر والقطامي واحد . (اللسان) .

(٤٦) المختار من شعر بشار / مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٦١ ، ج ٤ ، ص : ٦٥٢ .

(٤٧) ديوان بشار بن برد (ط ١) ٤ : ٢١٥ ـ ٢١٦ ، (ط ٢) ٤ : ٢٣٧ ٢٣٨ ، ديوان شعر بشار بن برد للعلوي : ٢٢٨ ـ ٢٢٩ .

ويضم إلى ماجاء في الديوانين بيت أورده السريّ الرفاء وهو :

لعـل يـومـاً إلى يـوم يقلّبهـا والـدهر يلبس ألـواناً بـألـوان[٤٨]

(٢٣)

روى الـديـوانـان عـدة أبيـات لبشـار من قصيـدتـه التي منهـا بيتـه السائر :

راحت ولم تعطـه برءاً لعلتـه منها ولو سألته النفسَ أعطاهـا[٤٩]

ويضم إلى ماأورده الديوانان بيتان أوردهما الحصري في جمع الجواهر :

تغمُّـه نفسـه من طـول صبـوتهـا حتى لو اجتمعت في الكفّ ألقاهـا[٥٠]

ماشـاهـد القوم إلا ظلَّ يـذكرهـا ولا خـلا سـاعـة إلا تمنـاهـا

٧ ـ ومن الاستدراك على الدواوين أن يتنـاول البـاحث مـاوقع فيـه جامعوها من وهم وسهو واضطراب وغلط في جمع الأبيـات وضمهـا بعضهـا إلى بعض . ولاأعرض هنا لما يتصل بالروايات والألفـاظ ومـاأصـابها من تحريف وتصحيف ، فـذلـك بـاب آخر يتصل بتصحيح الشعر وضبطـه . وانما غرضي من الاستدراك هنا أن يكشف الباحث المستدرك عما وقع في الجمع نفسـه من خلل ونقص وتلفيـق . وهـو أمر أغفلـه الأستـاذ البـاحث اغفالاً تاما .

ولن أتقصى مـاجـاء في الـديوانين من هـذا الضرب ، وانمـا هو المثـل والشاهد .

---

(٤٨) المحب والمحبوب ٢ : ١٩٠ .

(٤٩) ديوان بشار بن برد (ط ١) ٤ : ٢٣٠ ، (ط ٢) ٤ : ٢٥٦ ، ديوان شعر بشار بن برد للعلوي : ٢٤٥ ـ ٢٤٦ .

(٥٠) جمع الجواهر : ١٧٥ .

(١)

من مستدركات الأستاذ الطاهر على ديوان بشار (الملحقات ٤ : ٧ / ط ١ ، ٤ : ١٢ / ط ٢) :

ترجع النفس اذا وقّرتها وشفاءُ الهمّ في خمرٍ وماء

واستدركه أيضاً الأستاذ بدر الدين العلوي (ديوان شعر بشار بن برد : ١٦) ، وكلاهما قد استمدّ البيت من كتاب فصول التماثيل لابن المعتز .

وكنتُ بينت في كلمة لي سابقة أن هذا البيت قد ورد في الديوان في قصيدة همزية لبشار (الديوان ١ : ١٣٢ ـ ١٣٣) . وقد أخطأ المحقق الأستاذ الطاهر رحمه الله إذ قصر الممدود وجعل قافية القصيدة الألف المقصورة . وإن رواية البيت في فصول التماثيل لابن المعتز ، وهو من أبيات القصيدة لتؤيد ماذهبنا اليه وتعزّزه[٥١] .

(٢)

ومن مستدركات الأستاذ الطاهر (ملحقات الديوان ٤ : ٣٤ / ط ١ ، ٤ : ٤٤ / ط ٢) :

لخدّيْكَ من كفيك في كل ليلةٍ إلى أن ترى وجه الصباح وسادُ

تبيت تراعي الليل ترجو نفاده وليس لليل العاشقين نفادُ

وهو سهو من الشيخ رحمه الله ، فالبيتان قد وردا في الديوان الذي حققه الشيخ الطاهر نفسه ضمن قصيدة مطلعها :

نبا بك خلف الظاعنين وسادُ ومالك إلا راحتيك عمادُ[٥٢]

(٣)

(٥١) نظرات في ديوان بشار بن برد : ٥٤ ـ ٥٥ .

(٥٢) ديوان بشار بن برد ٣ : ١٣٥ .

ومن مستدركات الطاهر على ديوان بشار (ملحقات الديوان ٤ : ٣٦ / ط ١ ، ٤ : ٤٦ / ط ٢) :

فوالله ماأدري وكل مصيبة بأيّ مكيدات النساء أكادُ
غرور مواعيد كأن جداءها جَدا بارقاتٍ مزنُهنّ جمادُ

والبيتان قد وردا في الديوان ، وفي القصيدة نفسها التي ذكرنا مطلعها آنفا[٥٣] .

(٤)

ومن مستدركات الطاهر (ملحقات الديوان ٤ : ٨١ / ط ١ ، ٤ : ٩٦ / ط ٢) :

والشدي تحسبه وسنانَ أو كسلاً وقد تمايل ميلاً غير منكسرِ

ولايصح استدراكه ، لأنه البيت الذي ورد في الديوان من قصيدة مطلعها :

ياخاتم الملك ياسمعي ويابصري زوري ابن عمك أو طيبي له يَزُرِ[٥٤]

وهو يصحح رواية الديوان في البيت .

(٥)

وأورد الطاهر من مستدركاته مطلع قصيدة لبشار (الملحقات ٤ : ١٩٣ / ط ١ ، ٤ : ٢١٣ / ط ٢) :

أفيضا دماً إن الرزايا لها قيم

وهذا الشطر ليس لبشار ، وإنما هو لابن الرومي من قصيدة شهيرة له

---

(٥٣) ديوان بشار بن برد ٣ : ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٥٤) ديوان بشار بن برد ٣ : ٢٤٢ ، ٢٤٥ .

قالها في رثاء أمه ، مطلعها :

أفيضا دماً ان الرزايا لها قيمْ   فليس كثيراً أن تجودا لها بدمْ
ولاتستريحا من بكاءٍ الى كرى   فلا حمد مالم تسعداني على السأم

وهي قصيدة طويلة ، بلغت عدة أبياتها (٢٠٥) بيت[٥٥] .

(٦)

واستمد الأستاذ الطاهر من ديوان شعر بشار بن برد للسيد بدر الدين العلوي ليستدرك قول بشار (ملحقات الديوان ٤ : ٢١٤ / ط ٢) :

بدا لك ضوءٌ ماالحتجبت عليه   بدوّ الشمس من خلل الغمامِ

ولاحاجة به لذلك ، فقد كان استدرك البيت نفسه من قبل[٥٦] .

(٧)

وأورد الأستاذ بدر الدين العلوي (ديوان شعر بشار : ١٨) ثلاثة أبيات لبشار هي :

تزلُّ القوافي عن لساني كأنها   حماتُ الأفاعي ريقُهن مقضّبُ
فكم من أخٍ قد كان يأمل نفعكم   شجاع له ناب حديد ومخلبُ
أخ لو شكرتم فعله لعضضتم   رؤوس الأفاعي عضّ لايتهيّبُ

وقد استمدّ الأستاذ العلوي هذه الأبيات من كتاب الحيوان للجاحظ (الطبعة الأولى) .

وجاءت الكلمة الأخيرة من البيت الأول في طبعة الحيوان :

---

(٥٥) ديوان ابن الرومي ٦ : ٢٢٩٩ ـ ٢٣١٢ ، نظرات في ديوان بشار بن برد : ٤٦ ـ ٤٧ .

(٥٦) ديوان بشار ٤ : ١٨٦ / ط ١ ، ٤ : ٢٠٦ / ط ٢ .

(قِضابُ) ، فصححها الأستاذ العلوي إلى (مقضّب) فوقع في الخطأ .

وقد وردت الأبيات على الصواب في طبعة الحيوان (٤ : ٢٦١ / تح الأستاذ عبد السلام هارون) : « وقال بشار :

تــزلُّ القــوافي عن لســاني كأنهــا ‌‌‌‌ حمــات الأفــاعي ريقُهُنّ قَضَــاءُ

[وقال] :

فكم من أخٍ قـد كان يـأمـل نفعكم ‌‌‌‌ شجـاعٌ لـه نـابٌ حـديـد ومخلبُ

أخ لــو شكرتم فعلــه لــو عضضتم ‌‌‌‌ رؤوس الأفــاعي عضّ لايتهيب» .

والبيت الأول من شعر بشار قـد ورد في ديـوانــه (١ : ١٢٩) من قصيدة عدة أبياتها (٣٧) بيتاً .

وأورده العلوي في الديوان الذي جمعه (ديوان شعر بشار : ١١) .

أما البيتان التاليـان فهما كما قـال الأستـاذ عبـد السلام هـارون محقق كتاب الحيوان : « قد يكون القائل بشاراً وقد يكون غيره » .

(٨)

وأورد الأستـاد بـدر الـدين العلوي (ديوان شعر بشـار : ٣٨) قول بشار :

وقــــد أعقبتـــــه الجنـــو ‌‌‌‌ بُ روقــــــــاً من الأزيبِ

وصحة بيت بشار :

أعقبتــه الجنــوب روقــاً من الأز ‌‌‌‌ يبِ حتى حبــا حُبُـوَّ الأسيرِ(٥٧)

(٩)

ولبشار البائيـة الشهيرة التي قـالهـا يفخر فيهـا بـأيـام قيس عيلان ،

(٥٧) ديوان بشار ٣ : ٢١٢ ، نظرات في ديوان بشار : ١٧٦ ـ ١٧٧ .

ويمدح يزيد بن عمر بن هبيرة ، ومطلعها :

جفا وده فازورّ أوملّ صاحبه   وأزرى به أن لايزال يعاتبه[٥٨]

ولبشار قصيدة أخرى على وزنها ورويّها ، لم نظفر بمطلعها ، وبقي منها في الديوان عشرة أبيات ، أولها :

فياحزنا هلا بنا كان مابه   من الودّ إذ تبكي عليه قرائبه[٥٩]

ولما عرض الأستاذ بدر الدين العلوي لجمع أبيات بائية بشار الشهيرة (ديوان شعر بشار : ٤٢ ـ ٤٨) ضمّ اليها كل الأبيات التي نسبت لبشار ، والتي توافق البائية وزناً ورويّا .

وهذا أمر غير جائز في جمع الشعر ، إذ لايجوز ضم الأبيات المتشابهة وزناً ورويا ، مالم تقمْ بيّنة قاطعة على أنها من قصيدة واحدة .

(١٠)

أورد الأستاذ بدر الدين العلوي (ديوان شعر بشار : ٥٠) بيتاً لبشار في باب الباء :

وقفتُ بها القلوص ففاض دمعي   على خدي وأسعدني عصابه

وقد استمده الأستاذ العلوي من طبعة للعقد قديمة محرفة ، فتابع التحريف وأثبت البيت في باب الباء ، فأخطأ .

ثم أورده على الصواب بعد ذلك في باب الياء (ديوان شعر بشار : ٢٤٨) :

وقفتُ بها القلوص ففاض دمعي   على خدّي وأقصر واعظايه

وقد استمده من كتاب الأغاني وبدائع البدائه .

---

(٥٨) ديوان بشار ١ : ٣٠٥ ـ ٣٢٣ .

(٥٩) ديوان بشار ١ : ٢٤٣ ـ ٢٤٤ .

قلت : جاء البيت على الصواب في طبعات العقد الأخرى (انظر العقد ٥ : ٣٨٢ / تح . أحمد أمين والزين والأبياري) .

(١١)

أورد الأستاذ العلوي لبشار (ديوان شعر بشار بن برد : ٦٧) :

سكنتَ سكوناً كان رهناً بوثبةٍ   عماسٍ كذاك الليثُ للوثب يلبدُ

وتابعه الشيخ الطاهر فاستمد البيت منه ليضمه إلى الملحقات في طبعتها الثانية (٤ : ٥٨ / ط ٢) .

وليس البيت لبشار ، وإنما هو لابن الرومي ، وهو من قصيدة طويلة عدة أبياتها (٢٨٢) بيت ، قالها ابن الرومي في مديح صاعد بن مخلد ، ومطلع القصيدة :

أبين ضلوعي جمرةٌ تتوقّدُ   على ما مضى ام حسرةٌ تتجدّدُ[٦٠]

والبيت المذكور هو البيت الثاني والتسعون بعد المئة .

(١٢)

نقل الأستاذ بدر الدين العلوي بيتين لبشار من كتاب الأشباه والنظائر وذكر أنهما لم يردا في ديوان بشار ، وتابعه الشيخ الطاهر فاستمد منه البيتين ليضمهما إلى الملحقات في طبعتها الثانية (ديوان بشار بن برد للعلوي : ٧٧ ، ديوان بشار للطاهر ٤ : ٥٨ / ط ٢) . والبيتان هما :

حتى إذا بعث الصباح فراقنا   ورأين من وجه الظلام صدودا

جرت الدموع وقلن فيك جلادة   عنا ونكره أن تكون جليدا

والحق أن الاستاذين الفاضلين وقعا في السهو والنسيان . فقد ورد

(٦٠) ديوان ابن الرومي ٢ : ٥٨٤ ـ ٦٠٣ ، نظرات في ديوان بشار بن برد : ٤٤ ـ ٤٩ .

البيتان في قصيدة جميلة قالها بشار في مديح سلم بن قتيبة ، وحفظ لنا الديوان منها اثنين وستين بيتاً ، والبيتان المذكوران هما في ترتيب الأبيات الرابع والعشرون والخامس والعشرون[٦١] .

(١٣)

ومن مستدركات الاستاذ بدر الدين العلوي قول بشار (ديوان شعر بشار بن برد : ١٠٧) :

كأنما النقع يوماً فوق أرؤسهم سقفٌ كواكبه البيضُ المباتيرُ

وجاء ذلك كذلك في مستدركات الشيخ الطاهر (٤ : ٥٨ / ط ١ ، ٤ : ٧٢ / ط ٢) .

وهذا البيت ملفَّق ، صدره لبشار وعجزه للعتّابي ، وانما أوقع الاستاذين الفاضلين في هذا الغلط متابعتها طبعة كتاب الحيوان القديمة (الأولى) . وصحة رواية بيت بشار :

كأن مثار النقع فوق رؤوسهم وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه[٦٢]

وصحة رواية بيت العتابي (كلثوم بن عمرو) :

تبني سنابكها من فوق أرؤسهم سقفاً كواكبه البيض المباتيرُ[٦٣]

(١٤)

أورد الأستاذ بدر الدين العلوي (ديوان شعر بشار : ١٥٣) ثلاثة أبيات أولها :

---

(٦١) ديوان بشار ٢ : ٣٢٦ ـ ٣٢٨ .

(٦٢) ديوان بشار ١ : ٣١٨ ـ ٣١٩ .

(٦٣) أسرار البلاغة للجرجاني (١٩٣٩ م / القاهرة) : ١٥١ ، (ط . ريتر) : ١٥٩ ـ ١٦٠) ، نظرات في ديوان بشار بن برد : ٤١ .

وكذبتُ طرفي عنك والطرف صادق وأسمعتُ أذني فيك ماليس تسمعُ

ضمن أبيات من قصيدة أخرى أولها :

أأبكاك داعٍ في الصباح سميعُ وطيفٌ سرى من نهروان يريعُ

ولم يتنبه الى أن الأبيات التي استمدها من المنتحل للثعالبي هي من قصيدة أخرى .

(١٥)

نسب الأستاذ بدر الدين العلوي (ديوان شعر بشار : ١٥٤) بيتاً لبشار وهو :

أشاروا بتسليم فجدنا بأنفسٍ تسيل من الآماق والسِمُ أدمعُ

والبيت للمتنبي ، من قصيدته التي قالها في صباه يمدح علي بن أحمد الطائي ، ومطلعها :

حشاشة نفسٍ ودّعت يوم ودّعوا فلم أدر أيّ الظاعنين أشيّع[٦٤]

خامساً ـ الاستدراك على شعر أبي تمام

استدرك الأستاذ الباحث على شعر أبي تمام بيتاً واحداً هو قوله :

ثوى في الثرى من كان يحيا به الثرى ويغمر صرف الدهر نائلُه الغَمْرُ

وقد استمده من كتاب أصول البلاغة لميثم البحراني .

وذكر الأستاذ الباحث أن ديوان أبي تمام بشرح التبريزي قد خلا من هذا البيت ، وكذلك المختار من ديوانه للجرجاني[٦٥] .

وعدتُ الى المصادر والمراجع التي عدّدها الاستاذ الباحث ازاء اسم أبي تمام ، فاذا هو يسرد المصادر التالية : الحماسة لأبي تمام ، وديوان أبي تمام ،

(٦٤) ديوان المتنبي للبرقوقي ١ : ٤١٠ .

(٦٥) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣١ ، ج ١ ، ص : ٢٤٧ ـ ٢٤٨ .

الذي نشره الأستاذ الخياط ببيروت ، وديوان أبي تمام بشرح التبريزي ، والمختار من شعر بشار (اختيار الخالديين) . ثم يذكر ازاء كلمة الجرجاني : المختار من دواوين المتنبي والبحتري وأبي تمام[٦٦] .

لقد بينتُ سابقاً أن الاستدراك على الدواوين انما يتم على أتمّ هذه الدواوين وأكملها ، حتى يقدّم المُستدرِكُ على الديوان جديداً قد أغفله سابقوه . ولذلك فلا يجوز التحدث عن كتاب المختار من ديوان أبي تمام للجرجاني ، لأن المختار تنقصه أبيات وقصائد لأبي تمام كثيرة . وانما بناه صاحبه على الاختيار من الديوان ، فهو ينتقي ويصطفي مايتفق وغرضه الذي بنى عليه اختياره .

أما ذكر الحماسة لأبي تمام ، ونحن في معرض الاستدراك على شعر أبي تمام ، فأمر في غاية الغرابة ، لاتفسير له . وأما ذكر المختار من شعر بشار فقد أعجزني أن أتهدّى لأسباب ذكره .

وبيتُ أبي تمام الذي استدركه الأستاذ الباحث بيت مشهور سائر ، وهو من قصيدته في رثاء محمد بن حميد الطائي التي مطلعها :

كذا فليجلّ الخطبُ وليفدح الأمرُ فليس لعين لم يفض ماؤها عُذْرُ

وقد جاء البيت في ديوان أبي تمام بجميع طبعاته المعروفة .

وعدتُ الى ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ، وقد زعم الاستاذ الباحث أنه خلا من البيت ، فاذا البيت ثابت مسطور ، لم ينسه التبريزي ولم يغفل عنه .

لقد جاءت قصيدة أبي تمام في رثاء محمد بن حميد الطائي في ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : (المجلد الرابع ، ص ٧٩ ـ ٨٥) ، ورقم البيت المستدرك هو (٢٩) وقد ورد في الصفحة (٨٤) . (للبحث صلة)

---

(٦٦) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣١ ، ج ١ ، ص : ٢٧٢ ـ ٢٧٣ .

لحق

استدرك الأستاذ الدكتور رضوان النجار على شعر لبيد بن ربيعة الكلابي العامري أحد عشر بيتاً[٦٧] . وعدَّد من قبلُ الطبعات التي عرفها من شعر لبيد ، فذكر :

١ ـ أن الأستاذ ضياء الدين الخالدي قد نشر عشرين قصيدة من شعر لبيد سنة ١٨٨٠ م ،

٢ ـ وأن الأستاذ انطون هوبر قد نشر قطعة من ديوان لبيد سنة ١٨٨٧ م ،

٣ ـ وأن الأستاذ كارل بروكلمان أكمل نشر ديوان لبيد بن ربيعة العامري سنة ١٨٩١ م ،

٤ ـ وأن الأستاذ الدكتور احسان عباس قد قام بجمع شعر لبيد وتحقيقه وطبعه سنة ١٩٦٢ م ،

٥ ـ ثم نشرت دارُ القاموس ببيروت ديوانَ لبيد سنة ١٩٦٤ م[٦٨] .

وقد علّق الأستاذ العلامة الجليل حمد الجاسر في مجلة العرب الغراء (ج ٥ ، ٦ ، س ٢٣ ، تموز / آب ١٩٨٨ م ، ص ٣٦٠ ـ ٣٦٧) على ماأورده الدكتور النجار من مستدركات ، فأشار الى مخطوطة عُمَانية كانت مجهولة ، عثر عليها في مدينة مسقط (بعُمَان) ، تتضمن عدة

(٦٧) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣١ ، ج ٢ ، ص ٤٦٤ ـ ٤٦٦ .

(٦٨) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣١ ، ج ٢ ، ص ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، وانظر تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان (الترجمة العربية) ١ : ١٤٦ ـ ١٤٧ ، وشرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري (تح . الدكتور احسان عباس): ٣٨ ـ ٣٩ م ، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة لسركيس ٢ : ١٥٨٧ ، وذخائر التراث العربي الاسلامي للأستاذ عبد الجبار عبد الرحمن ٢ : ٧٩٦ .

دواوين ، وفيها أشعار للبيد لم ترد في ديوانه الذي قام بتحقيقه الدكتور احسان عباس . وهي في حدود سبعين بيتاً .

وبيّن الأستاذ الجاسر أن البيت الذي استدركه الدكتور رضوان من شعر لبيد نقلاً من كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني وهو قوله :

مصاعيبٌ محرّمةٌ ذراها لفحل لم يُدَيَّثْ باقتعادِ

من مقطوعة جاءت في المخطوطة في خمسة أبيات ، وأن الدكتور احسان عباس أورد منها بيتين نقلهما عن تهذيب الألفاظ والأساس واللسان والتاج (شرح ديوان لبيد : ٣٥٠ ، ٤٠١)(٦٩) .

أما البيتان اللذان استدركهما الأستاذ النجار من كتاب نظام الغريب وكتاب خلق الانسان لثابت وهما :

إياكَ أن يغمز منكَ الفائقُ
غمزاً ترى أنك منه ذارقُ

فقد جاءا في شرح ديوان لبيد للدكتور احسان عباس (ص ٣٥٦) ، ضمن أرجوزة من عشرة أبيات نقلها الدكتور عباس من كتاب الأغاني ، وأشار أيضاً الى ورود البيتين المذكورين آنفاً في كتاب نظام الغريب . وقد وردت الأرجوزة تامة في المخطوطة(٧٠) .

والبيتان الأخيران اللذان أوردهما الدكتور النجار في مستدركاته نقلاً عن كتاب الجيم ، وهما :

ويوم بني لحيان أدركتُ تَبْلكم وأنقذت عمراً من علاطٍ ورَوْسم
فيا راكباً إمّا عرضتَ فبلغَنْ بني جعفرٍ حلُّوا على كل موسم

فهما من منظومة وردت في المخطوطة في ثمانية أبيات . وأورد الدكتور

---

(٦٩) انظر الأبيات الخمسة في مجلة العرب (ج ٥ ، ٦ ، س ٢٣) : ٣٦٥ .

(٧٠) مجلة العرب : ٣٦١ .

إحسان عباس منها بيتاً واحداً نقلاً عن كتاب معجم ماستعجم للبكري (شرح ديوان لبيد : ٣٥٢ ، ٤٠٢) وهو :

على الراكب المتروك آخر عهده   بوادي السليل بين علوى وعيهم[٧١]

ثم أورد الأستاذ العلامة الجاسر ماتفردت به المخطوطة العمّانية من أشعار لبيد مما لم يرد في شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري الذي حققه الأستاذ الدكتور احسان عباس .

(٧١) انظر الأبيات الثانية في مجلة العرب : ٣٦٣ .

آراء وأنباء

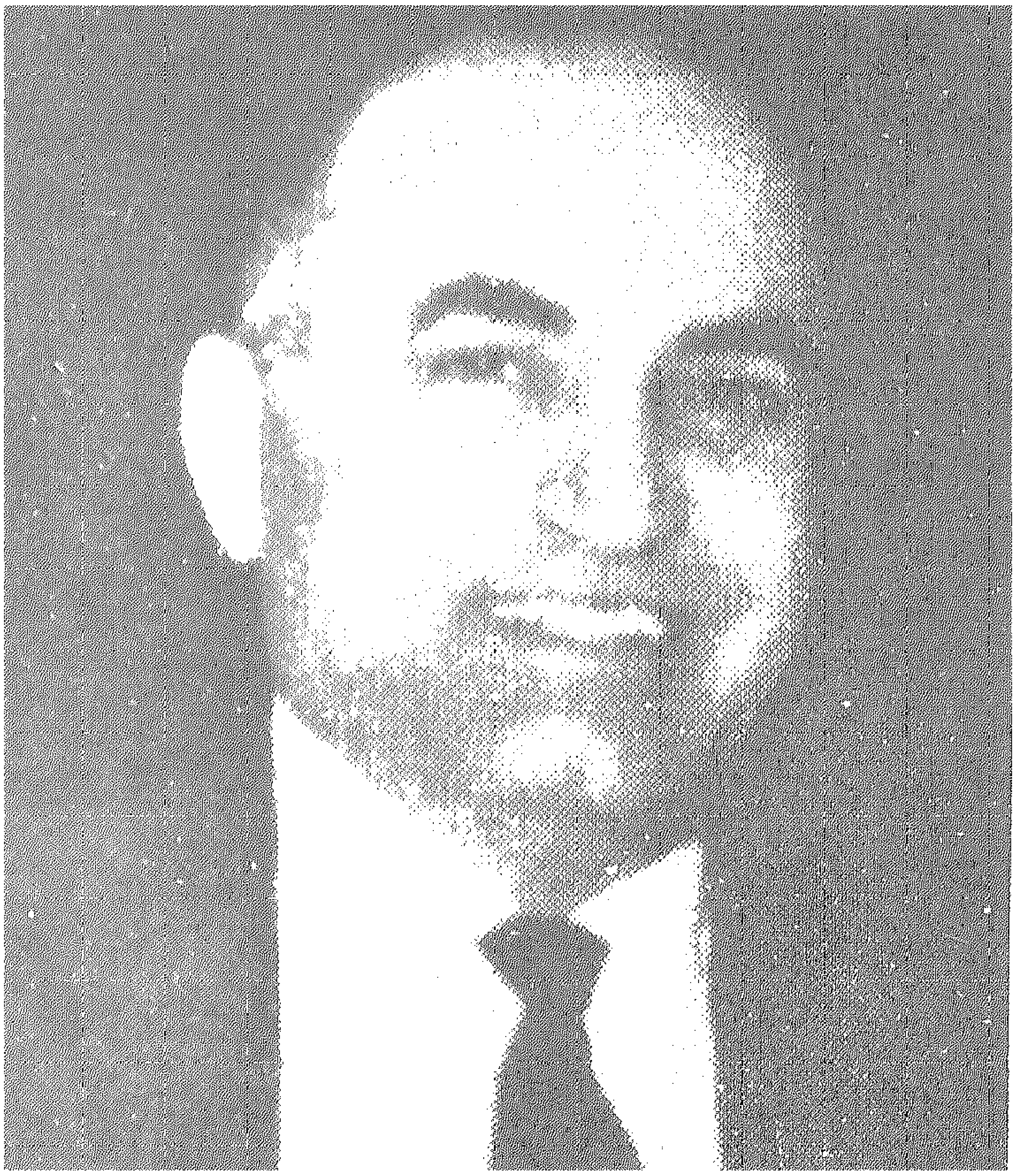

الدكتور صبحي المحمصاني

رسمه الأخير

الدكتور صبحي المحمصاني

العضو المراسل لمجمع اللغة العربية

١٣٢٤ ـ ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٠٦ ـ ١٩٨٦ م

كانت آخر رسالة تلقيتها من فقيد المجمع الكبير الدكتور عمر فروخ مؤرخة في ١٧ / ٨ / ١٩٨٧ ، وقد حملها إليّ رسوله بعد وفاته بما يقرب من شهرين[(١)] ، وفيها ينعى إلى المجمع صديقه وزميلنا الدكتور صبحي المحمصاني ، وقد جاء فيها مايلي :

« ويبدو أن صبحي المحمصاني كان يعاني مرضاً ظهرت عليه أعراضه الواضحة في العام ١٩٨٤ ، فأخذ في علاجه في بيروت وفي فرنسة ، ولكن المرض استعصى على العلاج فتوفيّ صبحي المحمصاني في باريس في العاشر من أيلول (سبتمبر) من العام ١٩٨٦[(٢)] » .

---

(١) انظر ماكتبناه عن فقيد المجمع الدكتور عمر فروخ وتاريخ وفاته وبخاصة الهامش المتضمن تحقيقاً في تاريخ مولده في الجزء الأول من المجلد ٦٣ من مجلة مجمع اللغة العربية .

(٢) هذا التاريخ يوافق الخامس من محرم سنة ١٤٠٧ هـ .

وفيما يلي موجز حياة الفقيد صبحي المحمصاني وأهم آثاره ومؤلفاته مع تقييم بعضها : بقلم د . عدنان الخطيب

مولد الفقيد ودراساته

ولد الفقيد الدكتور صبحي بن محمد رجب المحمصاني عام ١٣٢٤ للهجرة ـ ١٩٠٦ للميلاد في مدينة بيروت ، يوم كانت بيروت عاصمة إحدى ولايات سورية العثمانية ، حيث كانت أقاليمها تمتد من عكا في فلسطين جنوبا إلى اللاذقية ومايتبعها شمالا ، وهي تلف حول متصرفية (جبل لبنان) المرتبطة مباشرة بالصدارة العظمى في استانبول متمتعة باستقلال إداري ونظام خاص مضمون من قبل الدول الأوربية[٢] .

كان تحصيل صبحي المحمصاني الابتدائي مضطربا بسبب الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ م ، لأن المدارس الرسمية وحتى غير الرسمية كانت شبه مفقودة في بيروت في أثناء تلك الحرب ، فلما كانت سنة ١٩١٩ ، وكانت بيروت تحت الاحتلال العسكري الفرنسي ، دخل صبحي المحمصاني مدرسة « رأس بيروت التابعة للكلية السورية الإنجيلية ، وقد جاز مع رفاق له الصفوف الابتدائية باللغة الإنكليزية مع الصفين الأول والثاني من المرحلة الثانوية في عامين دراسيين . وفي عام ١٩٢١ ، وكان الانتداب الفرنسي قد فرض على سورية ولبنان ،

(٢) كان مما أدت إليه أطماع الدول الغربية في تمزيق أوصال الدولة العثمانية ثم القضاء عليها ، والفتن التي أيقظتها في بعض الأقاليم ومانجم عنها من مذابح طائفية سنة ١٨٤٠ ثم في سنة ١٨٦٠ م ، أن ضعفت الدولة العثمانية تجاه ضغوط تلك الدول واضطرت إلى اعطاء جبل لبنان استقلالا إداريا بموجب نظام موقت وقعته الدولة مع مندوبي كل من فرنسة وانكلترة وروسيا والنمسا وبروسيا ، ثم أقر النظام نهائياً مع بعض التعديل سنة ١٨٦٤ وانضمت ايطاليا إلى الموقعين عليه . انظر كتب التاريخ وبخاصة كتاب (ولاية بيروت) للتميمي والحلبي بيروت ١٩١٦ . ومذكرات يوسف الحكيم في جزء (بيروت ولبنان في عهد بني عثمان) بيروت ١٩٦٤ .

انتقل صبحي المحمصاني إلى الصف الثالث من الدائرة الاستعدادية في الجامعة الأميركية ، كما أصبح اسم الكلية السورية الانجيلية في تلك السنة ، وفي عام ١٩٢٤ نال صبحي المحمصاني شهادة الدائرة الاستعدادية بتفوق كبير ، إذ كان معدل علاماته في جميع الدروس يجاوز ٩٢ ٪ ، فكان الأول بين الخريجين وخطيب حفل التخرج باللغة الانكليزية .

وآثر صبحي المحمصاني دراسة علم الحقوق في فرنسة على غيره من العلوم فتوجه إليها ، ومن جامعة ليون نال (الاجازة) ثم (الدكتوراه) عام ١٩٣٢ مع شهادتين للدراسات العليا في القانون الخاص والاقتصاد وتوجه بعدئذ إلى إنكلترة حيث نال درجة (بكالوريوس في الحقوق) عام ١٩٣٥ من جامعة لندن .

كان صبحي المحمصاني يتابع تحصيله في كل من فرنسة وإنكلترة وهو يعمل في القضاء اللبناني منذ عام ١٩٢٩ إذ تولى المناصب التالية :

١ ـ قاضي محكمة صور .

٢ ـ حاكم صلح الشوف .

٣ ـ مستنطق بيروت .

٤ ـ مستشار في محكمة الاستئناف المختلطة .

٥ ـ قاضٍ ورئيس غرفة محكمة الاستئناف والتمييز في بيروت من عام ١٩٣٨ ـ ١٩٤٦ .

٦ ـ ومنذ أوائل عام ١٩٤٧ ترك فقيدنا القضاء ليتعاطى المحاماة مع المناصب التالية :

٧ ـ أستاذ في كليات الحقوق في الجامعات اللبنانية واليسوعية ومعهد الدراسات العربية من عام ١٩٣٨ ـ ١٩٧٤ .

٨ ـ المستشار القانوني لوفد لبنان لوضع ميثاق جامعة الدول العربية بالقاهرة عام ١٩٤٥ .

٩ ـ المستشار القانوني لوفد لبنان لوضع ميثاق الأمم المتحدة في سان فرنسيسكو عام ١٩٤٥ .

١٠ ـ عضو الشعبة الوطنية لمحكمة التحكيم الدولية .

١١ ـ عضو أو رئيس عدد من لجان التحكيم الدولية .

١٢ ـ رئيس لجنة العلوم .

ولما كان الدكتور صبحي المحمصاني يعتبر أن من واجب الفئات المثقفة والمستنيرة في لبنان أن تشارك في العمل السياسي من أجل وضع علمها وخبراتها في خدمة لبنان واللبنانيين ، وكان يتمنى أن يصل العمل السياسي فيه إلى درجة الرقي الحضاري ، قام عام ١٩٦٤ بترشيح نفسه عن مدينةبيروت في الانتخابات النيابية فنجح فيها ، وبذلك تولى :

١٣ ـ النيابة عن بيروت من عام ١٩٦٤ ـ ١٩٦٨ .

١٤ ـ وفي عام ١٩٦٦ اختير وزيراً للاقتصاد الوطني اللبناني .

غير أن التجربة السياسية للدكتور صبحي المحمصاني كانت على غير مايشتهي ، كما يقول في ترجمة ذاتية له ، فاستقال وآثر بعد تركه الوزارة الانصراف مجدداً إلى العمل العلمي والجامعي وإلى التأليف والبحث والتحقيق في عدد من الموضوعات الإسلامية والفقهية والقانونية والتشريعية .

مؤلفات الفقيد وآثاره

للدكتور صبحي المحمصاني مؤلفات قيمة ودراسات جيدة ، ومن أهم آثاره مايلي :

١ ـ فلسفة التشريع في الإسلام ، الطبعة الخامسة عام ١٩٨٠ ، والترجمة الأوردية لاهور (باكستان) عام ١٩٥٥ ، والترجمة الانكليزية لايدن عام ١٩٦١ ، والترجمة الفارسية طهران ١٩٦٨ .

٢ ـ النظرية العامة للموجبات والعقود في الشريعة الاسلامية جزءان ، الطبعة الثانية بيروت ١٩٧٢ ، والترجمة الايرانية طهران عام ١٩٦٣ .

٣ ـ الاوضاع التشريعية في الدول العربية ، الطبعة الرابعة بيروت عام ١٩٨١ .

٤ ـ المبادىء الشرعية والقانونية (الحجر والمواريث والوصية) الطبعة السابعة بيروت عام ١٩٨١ .

٥ ـ الدستور والديموقراطية ، الطبعة الثانية بيروت عام ١٩٥١ .

٦ ـ مقدمة في احياء علوم الشريعة بيروت عام ١٩٦٢ .

٧ ـ محاضرات في آثار الالتزام والاوصاف المعدلة لآثار الالتزام وانتقال الالتزام القاهرة عام ١٩٥٤ ـ ١٩٥٨ .

٨ ـ القانون والعلاقات الدولية في الاسلام ، الطبعة الثانية بيروت عام ١٩٨٢ .

٩ ـ الدعائم الخلقية للقوانين الشرعية ، الطبعة الثانية بيروت عام ١٩٧٩ .

١٠ ـ Les idées économiques dIbn Khaldoun Lyon 1932

١١ ـ The principles of International Law in the Light of Islamic Doctrine. Recueil of the Hague Academy. Leyden. 1936

١٢ ـ أركان حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي بيروت عام ١٩٧٩ .

١٣ ـ الأوزاعي وتعاليمه القانونية والإنسانية . بيروت عام ١٩٧٨ .

١٤ ـ المجاهدون في الحق . بيروت عام ١٩٧٩ .

١٥ ـ المجتهدون في القضاء . بيروت عام ١٩٨٠ .

١٦ ـ في دروب العدالة . بيروت عام ١٩٨٢ .

١٧ ـ تراث الخلفاء الراشدين في الفقه والقضاء بيروت عام ١٩٨٤ .

الفقيد عضو في مجمع اللغة العربية

انتخب مجلس مجمع دمشق الدكتور صبحي المحمصاني عضواً مراسلا له في بيروت ، في الجلسة التي عقدها بتاريخ الثالث من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٤٧ ، وصدر المرسوم الجمهوري باعتماد هذا الانتخاب في العاشر من شباط (فبراير) عام ١٩٤٨ تحت رقم ٢٢٣ .

أرفد الدكتور صبحي المحمصاني مجلة مجمع دمشق بعدد من دراساته القيمة ، كما قامت المجلة بالتعريف وتقريظ الكثير من كتبه ومؤلفاته ، وفيما يلي عرض موجز للدراسات التي نشرتها المجلة مع أهم ماعرفت به أو نقدته من مؤلفات الدكتور صبحي المحمصاني :

أولاً : « ابن قيم الجوزية »
ونواحي التجدد في اجتهاده

دراسة قيمة نشرها الفقيد في مجلة المجمع[٤] استغرقت ١٨ صفحة انتهى فيها الى القول : « إن ابن قيم الجوزية لم يكن من الفقهاء العاديين . بل كان من النوابغ الذين نظروا إلى الشريعة الإسلامية على حقيقتها ، والذين تحروا عن مقاصدها وغاياتها ، وتمسكوا بها غير مبالين بما قاله غيرهم .

وعلى هذا حارب ابن القيم التقليد الأعمى ، والجمود والخرافات الشكلية ، والتفصيلات الآرائية ، ودقق في الاجتهاد ، فاعتبر المقاصد أساساً للحكم في تصرفات الناس ومعاملاتهم ، وافتى بتحريم التحيل على الشرع ، وتوسع في أصول المحاكمات وطرق البينات .

فتوصل بذلك كله . إلى نظريات عصرية ، كنظرية المنفعة في أعمال الفضولي ، ومبدأ حرية التعاقد ، ومبدأ تقدير قيمة الشهادات ،

(٤) انظر المجلد ٢٣ الصفحات ٣٦٣ ـ ٣٨١ سنة ١٩٤٨

وعدم تجزئة الاقرار ، وفسخ عقود المديون المضرة ، ومبدأ تغير الأحكام بتغير الأزمان والأمكنة والأحوال ، وماشابه من النظريات والمبادىء ، التي لانراها اليوم إلا في أحدث الشرائع .. .

ثانياً : النظرية العامة
للموجبات والعقود في الشريعة الاسلامية
تأليف المحامي صبحي المحمصاني

تعريف ونقد عضو المجمع الشيخ محمد بهجة البيطار لكتاب الفقيد استغرق سبع صفحات من المجلة[٥] انتهى به بعد ابداء بعض الملاحظات على ماورد في الكتاب إلى القول بأنه : « من خير ماألف في موضوعه ضبطاً وتحريراً ، ودلالة على المصادر الفقهية الكبرى ، وأخذا عنها ، وموازنة بينها وبين المآخذ الأوربية ، وترجيحاً للفقه الإسلامي عليها .. » .

ثالثاً: النظرية العامة للموجبات والعقود في الشريعة الإسلامية .

مقال علّق فيه الفقيد على تعريف ونقد الشيخ محمد بهجة البيطار الملمع إليه آنفا[٦] . شاكراً الثناء على جهوده في الكتاب موضحاً رأيه قائلاً : « إني أصر على القول بان الفقهاء المسلمين لم يتطرقوا من حيث الأسلوب إلى نظرية عامة تشبه النظرية الرومانية إذ أن الفقه الإسلامي لم يتأثر بفقه الرومان ، وأن قولي هذا يتعلق بالأسلوب فقط ، أما فيا عدا الأسلوب الشكلي فإن الفقهاء المسلمين توصلوا من حيث الجوهر والمبادىء الأساسية إلى مايماثل النظرية العامة الحديثة وإلى مايفوقها في التعمق والتدقيق في بعض الأحيان .. »

(٥) انظر المجلد ٢٤ الصفحات ١١٨ ـ ١٢٥ سنة ١٩٤٩

(٦) المرجع السابق ص ٣١٠

رابعاً : التشريع اللبناني
واحكام الوصية العامة

بحث نشره الفقيد واستغرق عشر صفحات من المجلة[٧] أشار فيه الى انتقال لبنان من السيادة العثمانية إلى انتداب فرنسة عليه وانتهى فيه إلى القول : « هذا مثل من مسائل الأحوال الشخصية في لبنان ، وهو يدل على اختلاف الطوائف في هذه المسائل ، وعلى صعوبة الغوص في تفاصيلها ، وليس هذا بالمثل الوحيد ، فمسائل الزواج والطلاق والفرقة أشد تشعباً واختلافا ... » إلى أن قال : « ونحن نرى أن توحيد التشريع ممكن في كثير من مسائل الأحوال الشخصية لاسيا وأن الشريعة الإسلامية ليست مذهباً واحداً ، وأن الاجتهاد فيها واجب لامراء فيه ، وأن القاعدة الكلية في هذه الشريعة وفي غيرها من الشرائع الراقية هي أنه : لاينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان » .

خامساً: المبادىء الشرعية في الحجر والنفقات والمواريث والوصية في المذهب الحنفي والتشريع اللبناني

تأليف المحامي صبحي المحمصاني

مقال في تعريف ونقد كتاب الفقيد نشره عضو المجمع الشيخ محمد بهجة البيطار في مجلة المجمع[٨] ، أثنى فيه على المؤلف وأبدى بعض الملاحظات على ماورد فيه ثم قال : « وقد أحصى ـ المؤلف ـ في آخر المبادىء الشرعية أهم المراجع ، مرتبا اسماء مؤلفيها على حروف الهجاء ، مبيناً أماكن طبعها ، ووضع فهرساً هجائياً بالموضوعات والأعلام ، مع أرقام صفحاتها مهما تكررت ، والفهرس الأخير لمحتويات الكتاب ثم

(٧) انظر المجلد ٢٧ الصفحات ١٩٨ ـ ٢٠٦ سنة ١٩٥٢

(٨) انظر المجلد ٣٠ الصفحة ٦٤٤ سنة ١٩٥٥

جدول الخطأ والصواب . والدكتور أثابه الله قد وهب وقته للتدريس والمحاماة والتأليف » .

سادساً : محاضرات في القانون المدني اللبناني
ألقاها الدكتور صبحي المحمصاني
على طلبة الدراسات القانونية سنة ١٩٥٥

مقال في تعريف ونقد كتاب الفقيد نشرته مجلة المجمع[٩] بقلم الدكتور عدنان الخطيب تكلم فيه عن محاضرات الفقيد التي طبعها معهد الدراسات العربية في القاهرة ، وقد ختم تعريفه بقوله : « كان الدكتور المحمصاني خلال أبحاثه يبين حكم القانون اللبناني مشيراً إلى حكم القانون المصري وأحكام قوانين بقية البلاد العربية مع مقارنتها بأحكام القوانين الأجنبية ، غير مغفل حكم الشريعة الإسلامية في مختلف مذاهبها ، وذلك بأسلوبه القانوني المركّز الذي عوّدنا إياه في كتبه الـ ـيدة ، مما جعل كتابه الجديد تحفة في علم الدراسات القانونية المقارنة .. »

سابعاً : المبادىء الشرعية والقانونية
في الحجر والنفقات والمواريث والوصية
الطبعة الثانية بيروت ١٩٥٩

مقال في نقد وتعريف الطبعة الثانية من كتاب الدكتور المحمصاني بقلم عضو المجمع الشيخ محمد بهجة البيطار نشرته مجلة المجمع فيه اشارة بما أدخله المؤلف
على الطبعة الأولى من تنقيحات[١٠]

(٩) انظر المجلد ٣١ صفحة ٤٩٤ سنة ١٩٥٦

(١٠) انظر المجلد ٣٥ ص ١٣٧ سنة ١٩٦٠

ثامناً : مقدمة في إحياء علوم الشريعة

تأليف المحامي صبحي المحمصاني

مقال في تعريف ونقد كتاب الفقيد الذي جمع فيه محاضرات له ألقاها في تونس ، نشره في مجلة المجمع[11] الشيخ محمد بهجة البيطار استهله بقوله : « كنا كتبنا من قبل في مجلة مجمعنا العلمي ، على بعض مؤلفات الدكتور المحمصاني ، ونوهنا بأن المصنف يستند بنقله إلى أمهات المراجع الإسلامية .. » وبعد أن عدد الناقد مراجع الفقيد الفقهيّة أثنى على جهوده ونبل مقاصده ثم أبدى بعض الملاحظات التي رآها اثناء دراسته الكتاب .

تاسعاً : قاضي قضاة بغداد
وأثره في الفقه الإسلامي

دراسة جديدة لحياة الإمام أبي يوسف يعقوب الأنصاري صاحب الامام أبي حنيفة بقلم الدكتور المحمصاني نشرتها له مجلة المجمع وقد استغرقت عشرين صفحة[12] .

ترجم الدكتور المحمصاني لأبي يوسف ترجمة وافية وذكر ولعه بالعلم منذ طفولته مستشهداً بقولة الإمام نفسه : « العلم شيء لايعطيك بعضه حتى تعطيه كلك »

ثم تكلم الباحث عن نهج أبي يوسف الفقهي : وقال : « برز أثر الاستحسان الفقهي وأثر منصب القضاء والمشاورات الإدارية في مواضيع عديدة من أبواب الفقه التي عالجها أبو يوسف » ثم تكلم عن الآثار التي تركها أبو يوسف وخصّ كتاب « الخراج » بدراسة مفصلة عن المبادىء التي جاءت فيه والتي تتفق وأحدث النظريات في القانون الإداري .

(١١) انظر المجلد ٣٧ ص ٤٧٦ سنة ١٩٦٢

(١٢) انظر المجلد ٤٠ الصفحات ١١٧ ـ ١٣٦ سنة ١٩٦٥

وتكلم الفقيد الحمصاني عن مايسمى بالحيل الشرعية أو المخارج في المسائل الفقهية ورأي الأحناف بها وبخاصة رأي الإمام أبي يوسف وهو من الذين ينظرون إليها على أنها : « تدابير لطيفة لاتصطدم مع النصوص ، ويقصد بها التخلص من المآزق والمآثم والحرام ، والخروج إلى الحلال من غير إبطال حق أو احقاق باطل أو الدخول في التمويه والشبهة » .

كما فصل القول بعدئذٍ في أهم القواعد التي أفتى بها الإمام أبو يوسف مثل « تغير الأحكام بتغير الأزمان » و « التيسير للضرورة » و « التعسف في استعمال الحق » . وأخيراً تكلم عن بعض الأقضية والفتاوى التي حكم بها أو أعطاها أبو يوسف وهي « تصور لنا تعمق الإمام ودرايته وتدقيقه وعدالته ، وتعطينا دليلاً على تأثره بمنصب القضاء وبصعوبات المنازعات القضائية التي عاناها » .

وأنهى الفقيد بحثه عن أبي يوسف بقوله : « لقد اكتسب مبادىء الفقه من أبي حنيفة ومبادىء القضاء من ابن أبي ليلى ، ولكنه زاد على مااكتسب ، بجده واجتهاده كثيراً من قواعد علم الفقه وضوابط فن القضاء ».

عاشراً : الجهاد ومسوغاته الشرعية

بحث جليل كتبه الفقيد بمناسبة الأعمال الوحشية التي ارتكبها الصهاينة وأعوانهم في فلسطين والتي تحرمها مبادىء القانون الدولي والإتفاقيات الدولية وقد أدانتها كثير من المؤتمرات الدولية . نشرته مجلة المجمع واستغرق أربع عشرة صفحة[١٢] .

(١٢) انظر المجلد ٤٤ الصفحات ٣٠٩ ـ ٣٢٢ سنة ١٩٦٩

ثم تكلم الفقيد عن مسوغات الحرب الشرعية وقد حصرها بما يلي :

أولاً : حماية الدين وأماكن العبادة .

ثانياً : دفع العدوان عن الديار .

ثالثاً : منع الظلم .

وبعد أن استشهد الفقيد بنصوص القرآن الكريم ختم بحثه بقوله : « وهذا ، بلا مراء ، توكيد سام لبطولة من يضحي في سبيل المبادىء الروحية الخالدة ، والمثل الوطنية العليا ، وتقدير جدير لنضال من يذود عن عز الديار ومجد الوطن ، وكرامة المواطنين » .

أحد عشر : الدعائم الخلقية للقوانين الشرعية

تأليف الدكتور صبحي المحمصاني

مقال في نقد وتعريف كتاب الدكتور المحمصاني نشره عضو المجمع الدكتور شكري فيصل في مجلة المجمع[١٤] قال في مستهله : « إن معاناة الدكتور المحمصاني لهذه الموضوعات وأبحاثه الدائبة فيها جعلته واحداً من أبرز رجال الفكر التشريعي في الإسلام ، ولكنه في هذا الكتاب يطرق على نحو أوسع وأدق ، موضوع حكمة التشريع ويرى أن « بحوث الدين والأخلاق والقانون في هذه الشريعة تجمعها حكمة روحية واحدة وعلل اجتماعية مترابطة » ومن هنا يصرف همّه في هذا الكتاب ، إلى دراسة (هذه الأسس العامة التي تشكل الدعامة المشتركة للنواحي الروحية والاجتماعية في الإسلام ولجميع أحكامه الدينية والأخلاقية والقانونية) .

وختم الدكتور فيصل تعريفه بالكتاب بالخاتمة التي كتبها الفقيد المحمصاني والتي يقول فيها : « إن الاعتدال هو الدعامة الأساسية في هذه الأحكام جميعاً ومركز الثقل فيها بين جهتين متطرفتين ، فمن جهة أولى

(١٤) انظر المجلد ٤٨ الصفحات ٩١٧ ـ ٩٢٢ سنة ١٩٧٣

تقوم أحكام الدين والأخلاق ، وتترجّح فيها كفة الاحسان إلى جانب الاستقامة والعدل ـ ثم من جهة أخرى تقوم القوانين الشرعية ، وتترجح فيها كفة العدل إلى جانب الاحسان ـ ثم تلتقي الجهتان : جهة الديانة والأخلاق مع جهة الأحكام القانونية ، في توازن مضبوط ، طرفاه الديانة والقضاء ، ومركزه الاعتدال في الاستقامة والعدل ، مع تطعم الاثنين بشيء من الاحسان ، بقدر كثير في الديانة ، وبقدر أقل في القضاء .

وهكذا يتبلور هذا الترابط والتأثير المتبادل في الآية الكريمة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ والإِحْسَانِ ﴾ ، ويلتقي المتقون مع الفقهاء في القيادة والسيادة وفاق الحديث الشريف : المتقون سادة ، والفقهاء قادة .. » .

من طرائف مؤلفات الفقيد

غذّى الفقيد المكتبة العربية بالعديد من المؤلفات القيمة ، ومن طرائف مؤلفاته الدالة على علمه الغزير وبيانه المشرق وخلقه الرفيع كتابه عن أعلام فقهاء العرب والمسلمين المعنن (**المجاهدون في الحق ـ تذكارات من مالك إلى السنهوري**) وفيما يلي عرض موجز لمحتوياته :

جعل الفقيد مدخله إلى الكلام عن أعلام الفقهاء والمشرعين قوله عن علم الفقه وأقطابه : (كان العرب والمسلمون من المجلين في ميدان العلوم الفقهية ، وقد امتازوا بغزارة الإنتاج في هذه العلوم ، وبالتعمق في التحليل وبالمقدرة على الاستنتاج والاستقراء والتخريج والتفريع . فبنوا بذلك بناء متيناً كاملا من التشريع ، وتراثا ثمينا شاملا من القواعد الكلية والضوابط العامة ، والأحكام الفرعية التفصيلية .

وقد ساعدهم على ذلك أمور أهمها تعدد الأدلة التشريعية ، وتعدد القضايا الطارئة ، وتأثير قواعد الدين والأخلاق . فالأدلة الشرعية التي اعتمدها الفقهاء ، من أدلة نقلية مبنية على نص القرآن الكريم أو السنة

الشريفة ، إلى أدلة عقلية مبنية على القياس والإجماع والاستحسان والاستصلاح والاستدلال ، كلها وسائل مرنة للبحث العلمي والاجتهاد المنتج .

وكذلك ساعد الفقهاء تعدد القضايا الطارئة ، التي نجمت عن توسع الدولة بالفتوحات ، وعن تغير الأحوال والعوائد والحاجات .

أما تأثير قواعد الدين والأخلاق ، فناتج عن شمول علم الفقه للعبادات والمعاملات جميعاً . فقد اقترنت من جراء ذلك فكرة العدالة بفكرة الاحسان ، واتصف القضاء بالرحمة والتيسير ، وبنزاهة الإيمان ، ونصفة الخير المطلق . وهكذا جاءت الشريعة الإسلامية شريعة إنسانية خالدة ، مرنة تساير حاجات الزمان وضرورات الحياة الاجتماعية - ص ٢١) .

ثم مهد الفقيد لبحثه عن الإمام مالك بن أنس بقوله : (كان مالك المؤسس والموطد لمدرسة أهل الحديث ، التي هي امتداد لمدرسة الحجاز ، التي ترجع في أصلها إلى الفاروق عمر بن الخطاب (رض) ، ثم إلى ابن عمر وابن ثابت وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين من بعدهم . وأخذ مالك العلم عن ربيعة الرأي ، وسمع الحديث ورواه عن كثير من التابعين وتابعي التابعين . فكان ثقة في الرواية ، وحجة في الفقه حتى لقب عن جدارة بإمام دار الهجرة ، وبإمام المدينة وإمام الحجاز ، ومفتي الحرمين وعالم العلماء ، وحتى وصل علمه وفضله وصيته إلى الذروة ، وذهب المثل فيه وفيمن أتى بعده من أشباهه : « **أيفتي ومالك في المدينة !** »

وهكذا ، عدّ مالك عالماً في الحديث ، وعالماً في السنة ، وعالماً في الفقه جميعاً . وكان له الفضل في تدوين الحديث والسنة تدويناً علمياً في

مصنفه المشهور « **الموطأ** » وفي تثقيف جيل من الأئمة ، وأشهرهم الإمام محمد بن إدريس الشافعي ، الذي أقر بفضل مالك وبقيمة مصنفه ، حيث قال : « ما على الأرض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك ، مالك حجة الله تعالى على خلقه بعد التابعين . ومالك معلمي وعنه أخذنا العلم . وإذا جاءك الحديث عن مالك فشد به يدك . وإذا جاء الأثر فمالك النجم ـ ص ٢٣)

وبعد أن بحث الفقيد في انتشار مذهب مالك وفي أدلة التشريع في هذا المذهب تكلم عن المصالح المرسلة ومافرعه عنها أتباعه ضاربا بعض الأمثلة ، ممهداً للبحث عن الأوزاعي إمام بلاد الشام بقوله : (**في أيام المحن القاسية ، يستلهم الناس عبر الماضي ، وتعاليم الدين والأخلاق ، ومبادىء العدالة** . ولم يخل التاريخ من العظماء والأقطاب الذين أظهروا هذه العبر ، وصاغوها عبارات تكفكف العبرات وتضمد الجراحات .

وهانحن في لبنان ، بعد محنة السنين البغيضة لابد لنا لاستعادة عافيتنا الاجتماعية **من ثورة روحية ، مستمدة من تراثنا الديني والأخلاقي ، الذي أقرته الأديان السماوية ، لاسيا الإسلام والمسيحية** .

وقد كان من هذا التراث الأصيل ، بلا ريب ، مذهب الأوزاعي وماحواه من تعاليم قيمة ، كانت ولاتزال مفخرة لهذه البلاد ، فالأوزاعي ، اللبناني المولد والموطن ، والعربي المحتد والثقافة ، والإنساني الفكر والعمل ـ كان أول من نادى بالوحدة الوطنية الصحيحة في هذه البلاد ، وحمل مشعل العدالة الصافية النقية من كل تعصب أعمى ، ليضيء بها زمانه ومابعد زمانه إلى الأبد .

وعندما أرّخ ابن خلكان للأوزاعي في كتابه « **وفيات الأعيان** » أشار إلى مقامه في قرية حنتوس ، جنوبي بيروت ، وروى قول أهالي تلك القرية : « **ههنا رجل صالح ينزل عليه النور** » .

وهكذا ، قبل أن تأسست منارة مطار بيروت بجوار مقامه ، كان الأوزاعي منارتها في أيام الظلمات ، ولايزال منارتها في أيام الظلامات .

أما الكلام على الأوزاعي ومذهبه ، فيستوجب المجلدات ، ولقد كتب الكثيرون عن حياته وبعض تعاليه . إنما جماع مذهبه ، فقد ضاع مع الزمن ، ولم يبق منه إلاّ أقوال مبعثرة هنا وهناك ، في بطون المخطوطات ومطولات المذاهب الأخرى التي تفوق الحصر . وبكل تواضع ، أقول إني سلخت عشرات السنين في التقاط ماأمكن من هذه الأقوال وجمعها في كتاب (نشر سنة ١٩٧٨) مع اعترافي بأنه لم يصل إلى درجة الكمال ، إنما لم يكن بإمكان هذا العاجز أكثر مما كان . وعلى كل ، فالأقوال والتعاليم القيمة نادرة كالدرر الثمينة فلا تتحصل إلا بالجهد والغوص والتنقيب ـ ص ٣٣) .

وبعد أن ألقى الفقيد ضوءا على سيرة الأوزاعي تحدث عن علمه وأخلاقه وعن الأوزاعي المحدث والفقيه وكيفية انتشار مذهبه ثم اندثاره وعن أصول هذا المذهب وعدد المؤلفات فيه والمراجع إليه ثم تحدث عن الحركة القوية التي قامت في مستهل هذا القرن لإحياء تراثه وتحري أخباره وآثاره .

وختم الفقيد كلامه بالإشارة الى أهم المسائل التي عالجها مذهب الأوزاعي والأجوبة التي انتهى إليها علماؤه .

ثم تحدث الفقيد في كتابه عن قاضي قضاة بغداد الإمام أبي يوسف وآثاره ونهجه الفقهي وعن أهم المسائل التي أثرت عنه ، معدداً المؤلفات

التي يمكن الرجوع إليها لزيادة البحث والتوسع فيه .

ثم اختـار الفقيـد البحث المعمـق عن أقضى القضـاة أبي الحسن الماوردي ، ثم عن نواحي التجدد في اجتهادات الإمـام ابن قيّم الجوزيـة . وبعـده تكلم بتفصيـل عن عبقريـة ابن خلـدون وسيرتـه وآثـاره وعن علم العمران وما أبدعه فيه .

وختم الفقيـد كتابـه ببحث مطـول عن القـائـد والمفكر والمصلح الإسلامي الكبير محمد إقبال معرفاً به وبمنهجه الإنساني المعتـدل وبـدعوتـه المسلمين إلى النهضة والإبداع والإخـاء العـالمي ، ثم تحـدث عن جهود محمـد إقبال وأثره وأثر شعره في إنشاء دولة باكستان الإسلامية .

كل هـذا بعـد أن بحث في فصل خـاص عن رجـل القـانـون المعـاصر علامـة العرب في عصرنـا الـدكتور عبـد الرزاق السنهوري واضع القـوانين المدنية لعدة أقطار عربية وصاحب مدرسـة « **إن جميع مـذاهب الفقـه الإسلامي يجوز الرجوع إليها والأخـذ منهـا لوضع القوانين التي تلاءم أوضـاع مختلف البـلاد العربيـة** » أي التي تتماشى مـع أحـدث التشريعـات العـالميـة من جهـة وتتفق مع أحكام الشريعـة الإسلاميـة من جهة ثانية .

وبعد أن عدد الفقيد آثار السنهوري ركّز بحثه في مسؤولية السيد أو المخدوم عن أعمال خادمـه أو تـابعـه ، وهي من المسـائل التي كانت من أهم ميادين جهود السنهوري الموفقة .

الفقيد ومشروع نظام محكمة العدل الإسلامية الدولية

كانت الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي ، بناءً على قرار مؤتمر القمـة الإسلاميـة الثـالث المنعقـد في مكـة المكرمـة ، دعت بعض العلمـاء والخبراء من ممثلي بعض الدول الإسلامية ، لوضع مشروع نظام لمحكمة عدل

تراث الخلفاء الراشدين في الفقه والقضاء

تأليف
المحامي الدكتور صبحي محمصاني
عضو المجامع العلمية العربية
رئيس شرف في محكمة الاستئناف والتمييز
نائب بيروت وأستاذ في كليات الحقوق في بيروت سابقاً

دار العلم للملايين

صورة خط الفقيد صبحي المحمصاني
وتوقيعه على كتاب أهداه إلى المجمع

إسلامية دولية تقرر انشاؤها ، ثم ألّفت لجنة فنيّة قانونية للنظر في المشروع الذي وضعه أولئك العلماء والخبراء ، وكان الدكتور صبحي المحمصاني من المدعوين ، كما كنتُ أنا في عدادهم ، إلى الاجتماع في مدينة جدة في أواخر عام ١٩٨١ م .

والتأمت اللجنة بتاريخ ٢٧ ـ ٣١ من كانون الأول (ديسمبر) من تلك السنة ، وسجلت افتقادها علم وخبرة الدكتور صبحي المحمصاني الذي اعتذر عن عدم الاشتراك مع زملائه بسبب حوادث مخلة بالأمن حالت دون وصوله إلى مطار بيروت الدولي[١٥] .

عمر فرّوخ ينعى الفقيد ويؤبّنه

في الرسالة التي تلقيتها من الدكتور عمر فرّوخ ، والتي أشرت إليها في صدر كلامي ، نعيُ الفقيد صبحي المحمصاني وأنه توفيّ في باريس في العاشر من أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٨٦ ، وأردف الدكتور فرّوخ تغمده الله برحمته يقول :

« دخلت أنا وصبحي المحمصاني عام ١٩١٩ م إلى القسم الثانوي في مدرسة رأس بيروت التابعة للجامعة الأميركية ، ونلنا شهادة الدائرة الاستعدادية في الجامعة الأميركية سنة ١٩٢٤ (المقابلة للبكالوريا) .

كان صبحي المحمصاني يتمتع بذكاء كبير ، وفيما يتعلّق بحفظ مفردات العلم خاصّة . وقد ساعده ذلك في حياته المدرسيّة ثم في حياته العامة في المحاماة وفي التأليف .

إن صبحي المحمصاني لمعرفته باللغتين الإنكليزية والفرنسيّة ولحسن اطلاعه على الشرع الإسلامي ثم على القوانين المدنيّة في البلاد العربية وفي

(١٥) إن المشروع الذي تمت صياغته يومئذ ، لم يتخذ شرعيته النهائية مع الأسف ، لعدم التئام مؤتمر القمة الإسلامي في دورة عادية حتى اليوم !

البلاد الأجنبيّة ـ أصبح مرجعاً في القضايا القانونية الدوليّة ...

رحمه الله وجزاه خيراً عمّا قام به من الخدمة الجلّى في دراسة الشريعة الإسلامية ومن التأليف فيها » .

رحم الله فقيدنا الكبير وأجزل ثوابه وعوض العربية والشريعة الإسلامية خيراً .

ماهذا الكتاب

الدكتور أحمد خان

١ ـ ان باكستان تحظى بالمخطوطات العربية قدر ماتحظى بلاد إسلامية أخرى . ولكني أقول أسفاً إن أكثر هذه المخطوطات دفينة في الرفوف ، أو عرضة للضياع ، لأنها لم تجذب عيون من يقوم بتعريفها أو يخرجها من الخمول والإهمال . وقد أقلقني هذا الأمر فعقدتُ العزم أن أقوم بتعريفها ووصفها في المجلات العربية لمحبي التراث .

وبهذه المناسبة أضع أمامكم كتاباً مهماً من نوادر كتب التراث ، وآمل عونكم لمعرفته .

٢ ـ انه مخطوطة من كتب الأدب العربي أسلوبها جميل خلاب ، تمور بالأبيات الكثيرة . ويظهر ، من قَدامة ورقها ، ونمط خطها ، أنها قد تكون وليدة القرن السادس الهجري . ولكني لم أهتد الى عنوان هذا الكتاب ، ولا الى مؤلفه ، لأن النسخة ناقصة من أولها وآخرها ، كما أن أوراقها مفككة ومضطربة . ولا أكاد أعرف من أية ورقة تبتدئ المخطوطة ، وبأي ورقة تنتهي .

وهذه المخطوطة تحوي (١٦٠) ورقة ، بقطع ٢٩ × ٢١ سم ، وفي صفحتها (١٥) سطراً .

وهاهي ذي رؤوس الأبواب أو الفصول التي وجدتها في المخطوطة مكتوبة بقلم جليّ ، قد تدلّ على شيء من مادة الكتاب ، وعسى أن ترشد الى هذا الكتاب القيم :

- من كره الزواج من البنات أو كرهه لهنّ غيرهنّ .
- فصل في ذكر البنات .
- فصل من أخبار البنات .
- من خطب لنفسه فتزوج .
- مَن خُطِبَتْ إليه ابنته فزوّج مكرها .
- مَن خطب ورُدّ .
- مَن خطبت إليه ابنته فردّ الخاطب .
- وأد البنات .
- مراثي البنات .
- أمّ صفارة بنت ثروان ابن أخي شعيب عليه السلام .
- اللطف بالبنات والشفقة عليهنّ .
- برّ البنات بالآباء ولطفهن بهم .
- ذكر حوّاء عليها السلام ووصف خَلْقها .
- ذكر أمّ موسى عليه السلام .
- ذكر مريم بنت عمران عليها السلام .
- بركات الأمّهات .
- الرّضاع والشبه .
- جلد الأمهات واحتسابهنّ وكرمُهنّ .
- كتاب الأمّهات .
- فصل في صفات النساء .
- فصل في أسنان النساء ، وأعضاء النساء .
- فصل في أخلاق النساء .
- من طلق زوجته مكرها .

- وفاء النساء لأزواجهنّ .
- كتاب الزوجات وصالهنّ بأزواجهنّ (؟) .
- فصل في الطلاق .
- بركات النساء .
- كرم أفعال النساء مع أزواجهنّ وغيرهم .
- حداد المرأة على زوجها .
- آسية بنت مزاحم امرأة فرعون .
- أمّ خديجة بنت خويلد رضى الله عنها .
- ذكر امرأة أيوب عليه السلام .
- ذكر بلقيس .
- خلاف الأبناء للأمّهات .
- مراثي الأمّهات والجدات والخالات .
- صفات النساء المحمودة والوصاة بهنّ .
- وصايا الأمّهات .
- غضّ البصر .
- اليتامى .
- غشيان النساء في الصوم .

وإن هذه الفصول أو الأبواب ليست بمرتبة ترتيباً صحيحاً ، فإننا كتبناها كما وجدناها في الأوراق المضطربة .

٢ ـ والرجاء من علماء اللغة ومحبي التراث أن يرشدوني إلى عنوان هذا الكتاب واسم مؤلفه ، كما أرجو منهم إشعاري عن نسخته الأخرى إن وجدت ، ليسهل عليّ ترتيب هذه الأوراق بعد مقابلتها بالنسخة الكاملة المرتبة .

وإن النسخة هذه نسخة قيمة ، جليلة القدر ، متوغلة في القدامة ، وقد قرئت على عالم أو مؤلف ، كما يظهر من علامة القراءة عليها . ولا أريد أن أتركها كما هي لتصبح رهينة الخمول ، ونضيعها أخيراً .

قال حاتم يا ابا حنبل خلّ سبيل أسيري فقال له ابو حنبل انا اسرته فقال حاتم قد رضيت
بقوله فقال اسرني ابو حنبل فقال حاتم

فان ملك البلوى ابك غادرا الا من بني بدر اتتك القوابل

تريد بأنه اشبه اخواله بني بدر في الغدر ع

فصل

عن [illegible] قال لما [illegible] الروم [illegible] النبي [illegible]
عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم [illegible] ذلك [illegible]
[illegible] النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الكفار [illegible]
[illegible] اهل كتاب وقد ظهر اخواننا من اهل فارس على اخوانكم من الروم فانزل
[illegible] الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم [illegible]
لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من
يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس
لا يعلمون فخرج ابو بكر الصديق رضي الله عنه الى الكفار [illegible]
[illegible] اخواننا [illegible] الله [illegible]
[illegible]

بمنّه تعالى

سلمه الله تعالى وابقاه آمين

جناب الاجل الامجد الافخم حميد الشيم [illegible] سيدي العزيز السيد عبد القادر المغربي

بعد اهدى مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام ولا زال [illegible] خاطركم العاطر [illegible] تكونوا بخير وعافية وصلت [illegible]

المباركة وتلوناها مسرورين مع غاية الممنونية والهدية [illegible] وتلقيناها بزائد القبول وحسب الامر يجري العمل [illegible]

ويحصل لنا بركة انفاسكم الطاهرة ونرجوكم لا تنسونا من صالح دعاكم تجاه بيت الله الحرام ومنها [illegible]

عبد الله اسماعيل العلوي
١٢٠٨
١١ ٦ [illegible]

إني وجدت خطابا (أصلا) للسيد عبد الله اسماعيل العلوي موجه إلى
السيد عبد القادر المغربي، ومؤرخ في بداية القرن الرابع عشر الهجري، إذ كان
السيد عبد القادر في مكة المكرمة أو متوجها إليها للحج أو لغرض آخر.
وجدت هذا الخطاب بين أوراق من كتاب بمكتبة أبي، ولا أدري
لماذا، وكيف وصل إليها. ولأن الخطاب يشير إلى أمر مهم أو آخر يلقي
ضوءاً على شيء من حياة عالمين كبيرين، فننشره كإفادة عامة لعله
يرشد أحدا يهتم بحياة هذين العالمين.

الدكتور احمد خان
مجمع البحوث الاسلامية
رجب ١٠٣٥
اسلام آباد، باكستان

الكتب والمجلات المهداة

لمكتبة مجمع اللغة العربية
خلال الربع الثالث من عام ١٩٨٨

محمد مطيع الحافظ - غزوة بدير

أ - الكتب العربية

- **أبحاث ندوة رأس الخيمة التاريخية (الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي والعلاقة بين الخليج العربي وشرق أفريقيا) (الجزء الأول)** - مركز الدراسات والوثائق - رأس الخيمة ١٩٨٧ .
- **إحياء الميت بفضائل أهل البيت عليهم السلام** - جلال الدين السيوطي - تحقيق محمد سعيد الطريحي - بيروت ١٩٨٨ .
- **الأدب الديني** - (دراسات أدبية من القرآن والحديث) - د . زكي المحاسني - بيروت ١٩٨٨ .
- **الأحاديث الموضوعة** - ابن تيمية - حققها وعلق عليها محمود الأرناؤوط - راجعها وترجم لمؤلفها الشيخ عبد القادر الأرناؤوط - الكويت ١٩٨٨ .
- **أعلام الدين في صفات المؤمنين** - الحسن بن أبي الحسن الديلمي - تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم ١٤٠٨ هـ .
- **الأمثال اليمانية (١ - ٢)** - جمعها وشرحها وقارنها بنظائرها من الأمثال الفصحى الأستاذ القاضي إسماعيل بن علي الأكوع - بيروت ١٩٨٤ .

- **بلاد شنقيط : المنارة والرباط** - خليل النحوي - تونس ١٩٨٧ .
- **البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي** - جمعها وحققها وبيّن مواضعها القاضي إسماعيل بن علي الأكوع - بيروت ١٩٨٨ .
- **تاريخ الأحمدي** - الأمير أحمد حسين بهادر خان الهندي - تحقيق محمد سعيد الطريحي - أشرف على الترجمة السيد محسن الخاتمي - راجعه السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب - بيروت ١٩٨٨ .
- **تاريخ العلوم عند العرب** - محمد مطيع الحافظ - جامعة دمشق ١٩٨٨ .
- **تأملات في الصحيحين (دراسة وتحليل لصحيحي البخاري ومسلم)** - محمد صادق نجمي - تعريب وتعليق حسن مرتضى القزويني - بيروت ١٩٨٨ .
- **تربية المراهقين المعوقين (الادماج في المدرسة)** - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس ١٩٨٨ م .
- **الثغور الباسمة في فضائل السيدة فاطمة عليها السلام** - جلال الدين السيوطي - تحقيق محمد سعيد الطريحي بيروت ١٩٨٨ .
- **جامع المقاصد في شرح القواعد (١ - ٢)** - علي بن الحسين الكركي - قُم ١٤٠٨ هـ .
- **حسن المقصد في عمل المولد** - جلال الدين السيوطي - تحقيق محمد سعيد الطريحي - بيروت ١٩٨٧ .
- **دليل تثبيت الكثبان الرملية** - د . الحسين الختالي - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس ١٩٨٨ .
- **دليل جامعة حلب (١٩٨٧ - ١٩٨٨)** - حلب ١٩٨٨ .
- **دليل الدوريات التربوية في الوطن العربي** - المنظمة العربية

للتربية والثقافة والعلوم ـ تونس ١٩٨٨ .

- **شرح الأربعين النبوية** ـ محمد سعيد الجلالي ـ بيروت ١٩٨٧ .

- **العباب الزاخر واللباب الفاخر (حرف السين)** ـ الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني ـ تحقيق محمد حسن آل ياسين ـ بغداد ١٩٨٧ .

- **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (معجم معاني كلمات القرآن الكريم)** ـ أحمد بن يوسف المعروف بالسمين ـ تحقيق محمود محمد السيد الدغيم ـ استانبول ١٩٨٧ .

- **فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء** ـ إعداد محمد سعيد المليح ـ أحمد محمد عيسوي ـ الاسكندرية ١٩٧٨ .

- **ابن قتيبة اللغوي (منهجه وأثره في الدراسات اللغوية)** ـ د . عبد الجليل مغتاظ عودة التميمي ـ طرابلس ١٩٨٨ .

- **القضايا الخُلقية الناجمة عن التحكم في تِقنيات الإنجاب** ـ أكاديمية المملكة المغربية ـ المغرب ١٩٨٦ .

- **المثلث المختلف المعنى** ـ الفيروز أبادي ـ تحقيق ودراسة د . عبد الجليل مغتاظ عودة التميمي ـ طرابلس ١٩٨٨ .

- **المجموعة الإحصائية للعام الدراسي (١٩٨٤ ـ ١٩٨٥)** ـ جامعة دمشق ـ ١٩٨٧ .

- **مختارات شعرية** ـ الكسندربلوك ـ نقلها إلى العربية د . أبو بكر يوسف ـ موسكو .

- **المدارس الإسلامية في اليمن** ـ القاضي إسماعيل بن علي الأكوع ـ بيروت ١٩٨٦ .

- **مستقبل التربية وتربية المستقبل** ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ تونس ١٩٨٧ .

- **مُسكّن الفؤاد عند فقد الأحبة والأولاد** - علي بن أحمد الجبعي العاملي - تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم ١٤٠٧ هـ .

- **المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب** - جلال الدين السيوطي - تقديم وتحقيق د . التهامي الراجي الهاشمي - المغرب .

- **الموسيقا الأندلسية المغربية (فنون الأداء)** - عبد العزيز بن عبد الجليل - (عالم المعرفة) - الكويت ١٩٨٨ .

- **نصوص الدراسة في الحوزة العلمية** - تأليف جمع من العلماء - تقديم وتحقيق محمد حسين الحسيني الجلالي - بيروت ١٩٨٨ .

- **نظام التربية والتعليم في جمهورية إيران الاسلامية** - وزارة التربية والتعليم - ١٩٨٤ .

- **الوثائق السياسية اليمنية من قُبيل الاسلام إلى سنة ٣٣٢ هـ** - جمع وتحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي - بغداد ١٩٧٦ .

ب - المجلات العربية

- المعرفة	٣٠٨ - ٣٠٩	١٩٨٨	دمشق
- القانون	١ - ٤	١٩٨٧	دمشق
- نشرة الكتب الأجنبية في مركز الدراسات والبحوث العلمية	٥٠	١٩٨٧	دمشق
- المجلة الطبية العربية	٩٣	١٩٨٦	دمشق
- التراث العربي	٣١	١٩٨٨	دمشق
- الحياة التشكيلية	٢٥-٢٦-٢٧-٢٨	١٩٨٦ ، ١٩٨٧	دمشق
- النشرة الاقتصادية	١ ، ٢	١٩٨٨	دمشق

ـ صوت فلسطين	٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩	١٩٨٨	دمشق
ـ عالم الذرة	٧	١٩٨٨	دمشق
ـ المجلة البطريركية	٧٦، ٧٧ـ٧٨	١٩٨٨	دمشق
ـ نهج الإسلام	٣١، ٣٢	١٩٨٨	دمشق
ـ مجلة جامعة دمشق	١٠	١٩٨٧	دمشق
ـ الثقافة الباكستانية	١٢	١٩٨٨	دمشق
ـ الهند	١٠١	١٩٨٨	دمشق
ـ موريتانيا	٣ ، ٤	١٩٨٨	دمشق
ـ الضاد	٥، ٦، ٧	١٩٨٨	حلب
ـ مجلة بحوث جامعة حلب	٩، ١٠	١٩٨٧	حلب
ـ نشرة اتحاد مجالس البحث العلمي العربية	أيار-حزيران، تموز-آب	١٩٨٨	بغداد
ـ الثقافة الإسلامية	١٨	١٤٠٨	بيروت
ـ تراثنا	٢	١٤٠٨	بيروت
ـ الفكر العربي	٥١، ٥٢	١٩٨٨	بيروت
ـ تاريخ العرب والعالم	١١٥ـ١١٦، ١١٧ـ١١٨	١٩٨٨	بيروت
ـ الشراع	٣٢٩، ٣٣٣، ٣٣٦، ٣٤١، ٣٤٢	١٩٨٨	بيروت
ـ المجلة العربية للتربية	٢	١٩٨٧	تونس
ـ تعليم الجماهير	٣١	١٩٨٧	تونس
ـ المجلة العربية للمعلومات	٢	١٩٨٧	تونس
ـ المجلة العربية للبحوث التربوية	١	١٩٨٨	تونس
ـ الثقافة	١٠٠	١٩٨٨	الجزائر
ـ دفاتر معاً	١	١٩٨٤	الجزائر
ـ المجلة الجزائرية للاتصال	آذار	١٩٨٨	الجزائر

ـ البيبليوغرافيا الجزائرية	٤٧	١٩٨٨	الجزائر
ـ المنتدى	٦٠،٥٨	١٩٨٨	دبي
ـ الفيصل	١٣٨، ١٣٩، ١٤٠	١٩٨٨	الرياض
ـ عالم الكتب	٢	١٩٨٨	الرياض
ـ اليرموك	٢٣	١٩٨٨	عمان
ـ أبحاث اليرموك	١	١٩٨٨	عمان
ـ رسالة المعلم	٥ـ٦	١٩٨٧	عمان
ـ رسالة المعلم	١	١٩٨٨	عمان
ـ التقييس	١، ٢	١٩٨٨	عمان
ـ آفاق علمية	٥	١٩٨٦	عمان
ـ مؤتة للبحوث والدراسات	١	١٩٨٨	عمان
ـ نشرة مكتبة مجمع اللغة العربية الاردني	٨	١٩٨٨	عمان
ـ العلم والمجتمع	٦٧، ٦٨	١٩٨٧	القاهرة
ـ ديوجين	٧٩	١٩٨٨	القاهرة
ـ مستقبليات	١	١٩٨٧	القاهرة
ـ رسالة اليونسكو	٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩	١٩٨٧	القاهرة
ـ رسالة اليونسكو	٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢	١٩٨٨	القاهرة
ـ نشرة أخبار التراث العربي	٣٦	١٩٨٨	الكويت
ـ أخبار التراث الإسلامي	١٣ ، ١٤	١٩٨٨	الكويت
ـ الإحياء	٢	١٩٨٧	المغرب
ـ الوحدة	٤٤ ،٤٥	١٩٨٨	المغرب
ـ الإسلام اليوم	٥	١٩٨٧	المغرب

ـ الدراسات الإسلامية	٢	١٩٨٨	باكستان
ـ النشرة الأخبارية	١٧	١٩٨٨	تركيا
ـ بناء الصين	٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩	١٩٨٨	الصين
ـ الصين المصورة	٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨	١٩٨٨	الصين
ـ دراسات شرقية	٣	١٩٨٨	فرنسا
ـ ثقافة الهند	١-٢ ، ٣-٤	١٩٨٦	الهند

جـ ـ الكتب والمجلات باللغات الأخرى

- Ibla, 1, 1988
- Littérature Chinoise, 3, 1988
- la Nouve lle Revue Internationale, 6, 9, 1988
- Museum, 157, 1988
- Studia Islamica, LXVII, 1988
- la Chine, 5, 6, 1988
- Coree, 5, 6, 7, 8, 1988
- Kim Il Sung, De Quelques Taches Revenant Aux Structures De l' Union De la Jeunesse Travai lleuse Socialiste, 1988
- Opéra Révolutionnaire, Parle, Foret, Corée, 1974
- la Santé Publique, Corée, 1983
- Pour L' amitié et la Solidarité, Corée, 1982

☆ ☆ ☆

- Orient, XXIII, 1987
- Hamdard Islamicus, 2, 1988
- Hamdard Islamicus, 3, 1987

- Journal of Asian and African Studies, 35, 1988

- Bulletin of the John Rylands University Library of Manchester, 1, 1988

- The Muslim World, 1, 1988

- Peasant Studies, 1, 4, 1987

- Mundus, 4, 1986

- Mundus, 4, 1987

- Mundus, 1, 2, 3, 1988

- Islamic Studies, 2, 1987

- Islamic Studies, 1, 1988

- Western Humanities Review, 1, 2, 1988

- Science in China, 5, 6, 7, 1988

- The Zionist, Mass Communication From Theory to Application, Tunis, 1988

The Syrian Coastal Town of Jabla. Its History and Present Situation, Sato Tsugitaka, Tokyo, 1988

- Mirza Fath Ali Akhundzadeh and Literary Criticism, Iraj Parsinejad, Tokyo, 1988

- A Túrkish Dialect in North-Western Anatolia-Bolu Dialect Materials-Hayasi Tooru, Tokyo, 1988

- Studies in the Syriac Preface, Eva Riad, Sweden, 1988

- An Arab-Syrian Gentelman and Warrior in the Peniod of Crusades. Memories ol Usa-mah lan-Munqidh, Philip Hitti, U, S, A, 1987

- Annual Report 1987 Of the Librarian of Congress, Washington, 1988

☆ ☆ ☆

- Comptes Rendus de l'Académie Bulgare des Sciences, 5, 6, 7, 8, 1988

- Boletin de la Academia Argentina de Letras, 203-204, 1987

- Memoriile Sectiilor Stiintifice, 3, 1983

- Memoriile Sectiilor Stiintifice, 1, 1985

- Acta Biologica. Cracoviensia, XXIX, 1987

- Lettera dall´Italia, 10, 1988

- Iliria, 1, 1987

- La Verdad y Sus Amigos, Maher- A- Sulay man, Madrid, 1973

- La Ciudad del Garab,'Abd Al-Basit Al-sufi,Madrid, 1969

- Influencia de la Filosofia Arabe en el Pugio de Raimundo Marti, Anqel Rodriguez Bachiller, Madrid, 1969

- El Dificil Amor, Naguib Mahfuz, Madrid, 1969

- La Lirica del Quijote Y Sancho Panza, Pedro Echevarria Bravo, Madrid, 1968

- Filosofia de « El Collav. de la Paloma » de Ibn Hazm, Angel Rodriguez Bachiller, Madrid, 1969

- Cenizas, Zakariya Tamer, Madrid, 1969

- Un Metodo Critico, Muhamad Mandur, Madrid, 1972

- Hogar Tras las Fronteras, Issa Al-Nauri, Madrid, 1973

- Cuentos Jordanos, Issa Al-Nauri, Madrid, 1972

- Averroes Ibn Rochd, Anqel Rodriguez Bachiller, Madrid, 1968

- El Islam en Filipinas, AnqelRodriquez Bachiller, Madrid, 1968

- Boletin In Informativo Arabismo, 50, 1988

فهرس الجزء الرابع من المجلد الثالث والستين

(المقالات) — الصفحة

شعر بشر بن أبي خازم الأسدي في مخطوطة عمانية كانت مجهولة		
	الأستاذ حمد الجاسر	٥٧١
علماء قفصة في عصر ابن راشد	الأستاذ أبو القاسم كرو	٦٠٠
مشروع معجم مصطلحات الآثار	الأستاذ يحيى الشهابي	٦١٨
قضية إعجاز القرآن عند الجاحظ	الدكتور وليد قصاب	٦٣٠
مكانة ضياء الدين بن الأثير في تاريخ الأدب العربي		
	الأستاذ فريد جحا	٦٦٤
الألبانيون ، عدة تسميات لأمة واحدة	الدكتور محمد موفاكو	٦٧٧

(التعريف والنقد)

المستدرك على دواوين شعراء العرب المطبوعة (القسم الثاني)		
	الدكتور شاكر الفحام	٦٨٥

(آراء وأنباء)

مجمعي افتقدناه الدكتور صبحي المحمصاني العضو المراسل لمجمع اللغة العربية		
	الدكتور عدنان الخطيب	٧١٣
ماهذا الكتاب ؟	الدكتور أحمد خان	٧٣٣
الكتب والمجلات المهداة لمكتبة المجمع خلال الربع الثالث من عام ١٩٨٨		٧٣٩
فهرس الجزء		٧٤٨
فهرس المجلد		٧٤٩

الفهارس العامة للمجلد الثالث والستين

أ ـ فهرس أسماء كتاب المقالات منسوقة على حروف المعجم

ـ أ ـ

د . إبراهيم السامرائي ٣٨٧

أبو القاسم محمد كرو ٦٠٠

د . أحمد خان ٧٣٣

د . أحمد شوقي بنبين ٤٠٩

د . أحمد كوتي ٢١٥

ـ ح ـ

حمد الجاسر ٢٢ ، ٣٧١ ، ٥٧١

ـ س ـ

سمير أحمد المعلوف ٨٧

ـ ش ـ

د . شاكر الفحام ٣٠٥ ، ٤٩٥ ، ٥٢٧ ، ٦٨٥

ـ ص ـ

د . صادق آئينه وند ٤٥٤

د . صادق فرعون ٢٣٧ ، ٤٣٧

ـ ع ـ

عبد الإله نبهان ٥٠

عبد العزيز الطباطبائي ٥٥٦

د . عبد الكريم اليافي ١٩٥

عبد اللطيف الراوي ٥٠

عبد الهادي هاشم ٣٣٢ ، ٣٣٧

د . عدنان الخطيب ١١٣ ، ٥٣٨ ، ٧١٢

عز الدين البدوي النجار ٢٥٣

ـ ف ـ

فريد جحا ٦١ ، ٦٦٤

ـ م ـ

د . محمد كامل عياد ٣

محمد مطيع الحافظ ١٠٠

محمد موفاكو ٦٧٧

ـ و ـ

وجيه السمان ٤٢

د . وليد قصاب ٦٣٠

ـ ي ـ

يحيي الشهابي ٦١٨

يحيي مير علم ٣٤٦ ، ٥٤٨

ب ـ فهرس المقالات

منسوقة على حروف المعجم

ـ أ ـ

الأستاذ محمد أحمد دهمان ٨٩٩ ـ ١٩٨٨ م ٥٢٧

الألبانيون ، عدة تسميات لأمة واحدة ٦٧٧

انتخاب لجان المجمع الدائمة ٣٤٤

انتخاب لجنة الأصول ٥٤٧

إنها مخطوطة زاد الرفاق ٣٧١

- ت -

التقرير السنوي ١٦١

- د -

الدكتور أحمد عبد الستار الجواري العضو المراسل ٥٣٨
ديوان شعر عدي بن الرقاع العاملي ٢٥٣

- ذ -

ذكر النجوم والكواكب في الشعر العربي القديم ٤٢

- ر -

الرحالة آلويس موزيل ٣
رسالة في صناعة الكتابة (القسم الثاني) ٥٠

- س -

سطوة الشاعر ولغة الشعر ٣٨٧
سعيد بن سعيد الفارقي وكتابه (تفسير المسائل المشكلة) ٨٧

- ش -

شعر بشر بن أبي خازم الأسدي ٥٧١

- ص -

الصيد ، تاريخه ، مصطلحاته ، كتبه ٤٥٤

- ظ -

ظاهرة وقف الكتب في تاريخ الخزانة المغربية ٤٠٩

- ع -

العلامة عبد العزيز الميمني في ذكرى مرور مئة عام على مولده ١٠٠
علماء قفصة في عصر ابن راشد ٦٠٠
عمر فروخ كفاح خمسة وستين عاماً دفاعاً عن العربية والإسلام ١١٣

- ف -

فقيد المجمع الأستاذ عبد الهادي هاشم ٣٠٥
في الذكرى المئوية لولادة نسيب عريضة ٦١

- ق -

قضية إعجاز القرآن عند الجاحظ ٦٣٠

- م -

ماهذا الكتاب ؟ ٧٣٣
مجمعي افتقدناه الدكتور صبحي المحمصاني العضو المراسل ٧١٣
مخطوطة مجهولة الاسم ٢٢
مراثي الشعراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ٢١٥
المستدرك على دواوين شعراء العرب المطبوعة (القسم الأول) ٤٩٥
المستدرك على دواوين شعراء العرب المطبوعة (القسم الثاني) ٦٨٥
مشروع معجم مصطلحات الآثار ٦١٨
مشكلات الترجمة والتعريب ١٩٥
مفهوم التعريب ٣٣٧
مكانة ضياء الدين بن الأثير في تاريخ الأدب العربي ٦٦٤
الملتقى الرابع للسانيات العربية والإعلامية ٣٤٦
من مخطوطات كتاب الجمل في اللغة ٥٥٦
المؤتمر الإقليمي للإعلامية والتعريب ٥٤٨

- ن -

نواة لمعجم الموسيقى (القسم الثالث) ٢٣٧
نواة لمعجم الموسيقى (القسم الرابع) ٤٣٧

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٦

ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ،مج ٣٤	تح مطاع الطرابيشي
ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، مج ٣٩	تح سكينة الشهابي
ـ الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ، ج ٢	تح غازي طليمات
ـ المسائل المنثورة في النحو لأبي علي الفارسي	تح مصطفى الحدري
ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (المجاميع) ق ٢	وضع ياسين السواس
ـ المبسوط في القراءات العشر لأبي بكر الأصبهاني	تح سبيع الحاكمي
ـ الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ج ٣	تح إبراهيم عبد الله
ـ المستدرك على فهرس (الشعر)	اعداد رياض مراد
ـ تاريخ دنيسر للطبيب أبي حفص عمر بن اللمش	تح إبراهيم صالح
ـ الدكتور شكري فيصل وصداقة خمسين عاماً	للدكتور عدنان الخطيب
ـ الوقاية وحفظ الصحة عند ابن سينا	للدكتور أحمد عروة

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٧

ـ المحب والمحبوب للسري الرفاء مج ١ ـ ٤	تح غلاونجي والذهبي
ـ شعر خداش بن زهير العامري	صنعة د . يحيى الجبوري
ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، مج ٣٨ ، ٤٠	تح سكينة الشهابي
ـ إعراب الحديث النبوي للعكبري (ط ٢)	تح عبد الإله نبهان
ـ فهرس مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج ٦	وضع غزوة بدير
ـ الفهرس العام لمخطوطات دار الكتب الظاهرية	وضع الخيمي والحافظ
ـ الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ، ج ٤	تح أحمد مختار الشريف
ـ علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب	دراسة وتحقيق د . مراياتي وطيان وميرعلم
ـ فهرس مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج ٥	وضع محمد خير محمد

NO . 4 VOL. LXIII

REVUE

DE L'ACADÉMIE ARABE DE DAMAS

B. P. (327)

تباع مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

في كل من المكتبات الآتية :

- المكتبة العربية : السيد أحمد عبيد (شارع غسان ـ دمشق)
- دار الكتاب الجديد : السيد الدكتور صلاح الدين المنجد (بيروت ـ لبنان)
- مكتبة دار البيان : السيد علي الخاقاني (بغداد ـ شارع المتنبي ـ العراق)
- مكتبة السيد محمد حسين الأسدي (كتابفروشي ـ أسدي)
(ميدان بهارستان ـ طهران ـ إيران)
- مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع (الكويت)
- مكتبة المتنبي : السيد حامد سعد الدين (١٤ شارع الجمهورية ـ القاهرة)
- دار البشير (عمان)
- مكتبة دار نجد للنشر والتوزيع : السيد عبد الرحمن فهد السويلم (الرياض)
ص . ب ١٧٠٧٣
- مؤسسة علوم القرآن : السيد محمد ديب مستو (الإمارات العربية المتحدة ـ عجمان)
ص . ب ١٢٤٣

السعر : ١٠ ل . س داخل القطر

دار الفكر للطباعة بدمشق

١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م

Bibliotheca Alexandrina
0652683